بسم الله الرحمن الرحيم

الأبحاث تعبّر عن آراء أصحابها ولا تتحمل الجامعة مسؤولية ما ورد فيها.

لقد تم ترتيب الأبحاث حسب حروف المعجم.

المعياريّة: هذا المنهج الذي حفظ وحدة العربية

دراسة لغوية مقارنة بين المعيارية العربية والمناهج اللغوية الأخرى

إعداد

د/إسماعيل أحمد عمايرة

فكرة هذه الأوراق

المسعى في هذه الأوراق أن تجلّى صورة المنهج المعياري الذي سار عليه علماء العربية في سبيل حفظ وحدة اللغة لتدوم على مر العصور، لغةً تتوارد على حوضها قوافل الظلماء إلى المنهج الرباني منذ كان الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فلئن كانت المعياريات غير العربية قابلة للحفاظ على وحدة لغاتها وتماسكها على مدى قرن أو قرنين من الزمان، أو أقل من ذلك أو أكثر، ثم تبدأ تلك اللغات بالتحلل إلى لهجات أو حتى إلى لغات، فإن العربية كان يُخطط لها أن تدوم_على الدهر_ لغة كالفَلَك العظيم، تحفّ بها اللهجات العربية وغير العربية كما تحف الكويكبات بالفلك العظيم،تستنير به و قد تقترب في مدارها منه أو تبتعد، ولكنها تظل خارج القدرة على التأثير في نهج مداره.

وعلى هذا فالمعياريات كُثر، ولكن المعيارية العربية نسيجُ وَحْدِه، متميز عن سائر المعياريات في أهدافه وخصائصه. وقد كان من هَمّ هذه الأوراق أن تتحدث عن هذا المنهج، وعما يميزه عن كثير من المناهج اللغوية الأخرى، وعن الأخطاء التطبيقية التي وقع فيها. ولم يكن من هم هذه الأوراق أن تتحدث عن لبنات شكلت وحدات هذا المنهج، وليس الحديث هنا عن أبواب تناولها هذا المنهج، كالفاعل، و المفعول به،والمبتدأ، والخبر، والحال،والمجرد، والمزيد،... فهذه مفردات ظاهرة، تناولتها بإسهاب كتب النحو والصرف، ولكن القصد هنا، أن يوقف على المعمار الهندسي الذي كان يتشكل نسيجه منها في خطوط دقيقة، لا تكاد ترى إلا بالنظرة الكلية

الشاملة، وقد اصطفت فيه تلك الخيوط على هيئة تميزها عن كل هيئة اصطفّت في بناء المعياريات الأخرى.

والحديث هنا، عن معيارية متميزة، وقد حُقّ لبعض المستشرقين أن ينادوا بالبحث عن مكان متميز لها، ليس بين المدارس اللغوية في تاريخ الفكر الإسلامي، بل بما يتجاوز ذلك بالبحث عن مكان لائق بها في تاريخ العلوم بعامة(١).

وبعد أن تعددت المناهج اللسانية في العصر الحديث، فقد تناول الباحثون هذا المنهج التراثي القديم، بالقراءة والنقد والموازنة بينه وبين المناهج الأخرى. ويكفي أن أشير من بين هذه الدراسات إلى كتاب "اللغة بين المعيارية والوصفية " لتمام حسان ، إذ وازن فيه بين هذين المنهجين: المعيارية والوصفية، وكان واضح الترجيح للوصفية وواضح النقد للمعيارية. وتناول أحمد سليمان ياقوت، المعيارية والوصفية، في كتابه:"الكتاب بين المعيارية والوصفية "وقد اجتهد فيه في تصنيف نماذج من مواقف سيبويه التي رأي فيها توافقا مع الوصفية ،ونماذج أخرى عدّها له معيارية. ولا يخفى مدى تأثر هذه الدراسة بالدراسة السابقة لتمام حسان ، انتصارا منه للوصفية على حساب المعيارية. وهاتان الدراستان على خلاف مع هذه الدراسة التي تسعى إلى بيان أهمية المعيارية للعربية ، وهي تميزها عن سائر المناهج اللغوية الأخرى لاستمرار العربية لغةً حية ومرجعا لتواصل الأجيال.

ومن هذه الدراسات كتاب:"المستشرقون والمناهج اللغوية "لإسماعيل أحمد عمايرة ،وكان حديثه في هذا الكتاب منصباً في الأساس على بعض المناهج كالمنهج التاريخي والمقارن والتقابلي والوصفي والإحصائي. وقد تخلل حديثَه عن

هذه المناهج شيء من الموازنة بينها وبين المعيارية في بعض نقاط التقاطع أو الافتراق. ولم يكن من همّ هذه الدراسة أن تُفرد المعيارية بحديث خاصّ بها، لأن الباحث يُعدّ دراسته حول المناهج التي سار عليها المستشرقون، وهو لا يرى أن هذا المنهج كان يمثل خط سير لهم في دراساتهم عن العربية.

اللغة: نحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب:

ثمة سمات تجمع بين اللغة، أيّ لغة، وأصحابها. فكما أنّ أصحاب اللغة يختلفون في مستوياتهم وأعمارهم وقوّتهم وضعفهم...فإنّ اللغة ظواهر متعدّدة متنوعة. فهذه ظاهرة شاخت وهرمت، وآذنت بالرحيل من عالم الاستعمال، وتلك ظاهرة تشيع وتزدهر على ألسنة الناطقين بها. وربّما ازدهرت ظاهرة في هذا الحّيز المكانيّ وانحسرت في حيّز آخر.وهكذا هي الحياة، حياةُ البشر، وحياة الظواهر البشريّة التي تصدر عنهم، ومنها الظواهر اللغويّة. تمور مَوْرًا ولا تَني عن الحركة، مع أنّ للمتوهّم عذرًا حين ينظر إلى الحياة في مقطع زمنيّ ضيّق، لا يفطن فيه إلى أنّ المظهر البشريّ أو اللغويّ المتغير قد يتبدّى له ثابتًا في مقطع زمنيّ، وربّما مكانيّ أيضاً، فيحسَب أنّ هذا الثبوت سرمديّ لا يحور ولا يدور؛ فكأن الشيخ لم يكن شابًا، والشابَّ لم يكن طفلا، وكأنّ الشائع من الظواهر اللغويّة أو البشريّة لم يكن قليل الشيوع، ثم تدرّج حتّى وصل إلى ذروةٍ ما، ثم طال به البقاء في الذروة، أو تراجع وانحسر حتّى أصبح نَسْيًا منسيًّا، أو أثرًا بعد عَيْن. وهذه هي سمة الكائنات والعادات واللّغات، في هذا العالم النسبيّ...تحسَبها جامدة، وهي تمرّ مرّ السحاب.

مَعْيَرة اللغة توقاً إلى السكن والاستقرار

ومن سمات الإنسان في هذه الحياة، أنْ يتوق فيها إلى الاستقرار، وأن يكره-أحيانًا –هذا التغيّر الذي يرى فيه الأشياء والأحوال تجري، حتى لكأنه يُحسّ أنّها تكاد تُغْرقه في ثَبَج موج متلاطم، وهو الكائن الضئيل، لم يغرق، ولكنّ الغرق يتهدّده. فهو يجد في المترل المتين ملجأ وملاذاً، وفي ثبوت المكان والاتجاه، ما يمكّنه من أن يؤوب إلى مستقر ثابت، مع أنّ المكان _كسائر النواميس الكونية_ يمرّ في هذا الملكوت الكونيّ ولا يَني. وهو كذلك يجد في المعايير الثابتة – ولو ثبوتاً نسبيّاً- للغة أهل زمانه ومكانه نوعاً من السّكن والاستقرار، يمكّنه من التواصل والهدوء النفسيّ والاجتماعيّ، مع أنّ اللغة لا تكفّ عن الرحلة والمسير، من طور إلى طور، ومن جيل إلى جيل، حتى إنّ المرء لَيَحارُ في أمرها وأطوارها، ومبتداها، ومآلها.و أما الأجيال فتشرب منها كما تشرب مما يليها من نهر لاتعرف مَنْبَعه ولا مصبه. لكأنّ اللغة هي الحياة بنظمها الثقافية والاجتماعية.. والحياة هي اللغة، وكلّ يسبح بأصحابه في ملكوت ساحر، غامض، باهر، مهيب.

اللغة: الوصية الكبرى المؤتمنة على فك "شفرة "الماضي

وهل التاريخ سوى هذه النظم الثقافية والاجتماعية؟ تتداخل في حلقات، تُحْكِم سلسلة العصور، وتأتي في سياقات متداخلة متجاورة. والأمر موكول إلى اللغة، فهي الشاهد المؤتمن على مادة التاريخ، وهي الخرائط التي تجول بمن يعرفها في شعاب ذاكرة مرّت بها البشرية.ولا شك في أن ثمّة علاقة تكاملية بين الأحداث التي تشكل التاريخ الإنساني والأنظمة اللغوية: الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية، التي يتشكل رصيدها المعنوي أصلا من الأحداث التاريخية، متفاعلة مع الذهن البشري الخلاق، القادرِ على إيجاد هذا الخلق الجديد المؤتلف من نسيج لغوي، اختلطت خيوطه بنسيج الأحداث التاريخية، لتصبح اللغة بذلك حاضنة التاريخ. وبذا تصبح اللغة هي الوصية الكبرى المؤتمنة على "شفرة" الماضي. واللغة بميكانيكيتها التعبيرية هي المسؤولة عن استعادة الحركة والحياة، إلى الزمن الصامت، فإذا به ناطق تجري الحياة في عروقه.ولا يعني ذلك أن قراءة نصوص الماضي، على نحو من السهولة؛ لا أدل على ذلك من التباين في تفسيرها، والتنوع في قراءتها، والاستعانة بالآثار والحفريات الجيولوجية، وشواهد أخرى كثيرة من خارج اللغة، تَرْدف النص اللغوي وتساعد على سَبْر أعماقه.

اللغة بين الجَد والحفيد

إذن، فمع هذا الكرّ والفرّ في الرحلة الدّؤوب، يحدث التغيّر، سريعًا أو بطيئًا ، في كلّ مرافق الحياة، ومنها اللغة، التي اختلف أهلها في التعبير عن هذا التغيير الذي يعتريها، فالجَدّ، مثلاً، يشعر أنّ لغة الحفيد تتغيّر، فيسمّى

هذا التغيّر خروجًا على العرف اللغويّ، أو مخالفًا للمعيار، أو لحنًا، أيْ: خطأ لغويًّا.بل إن المرء نفسَه ليحس أن رحلة الحياة تدخل به أطوارا يكاد يقف معها مبهورا أمام ألفاظ عفا عليها الزمان، وما عاد يمر بها أو تمر به إلا مصادفة، ولكنها تبقى مخزونة في الذاكرة التاريخية، كأنها قوارير ملأتها ذاكرة التاريخ بالموروث ، الذي يمثل واقعاً وخيالاً انبلج، فكان من رحِمه الحاضر.

أمّا الحفيد فيغلب أن يَعُدّ هذا الخروج تطوّرًا وأخذاً بالأسباب، نحو معايشةٍ لمتغيّرات العصر. وهكذا ينشأ حُكمان لا يخلوان من الحِدّة في الحكم على ظاهرة واحدة؛ إذ يسمّيها بعضهم: تطورًا بكلّ ما للكلمة من مشروعية تقتضيها سُنن التطور، ويسمّيها بعضٌ خطأ أو لحناً بكلّ ما للكلمة من معان سلبية. فالخطأ خطأ، والتطوّر صواب. إنْ نحن جانبناه- تحيّزًا إلى القديم- نكن بذلك قد ركبنا شططاً.

بين الاعتدال والغلوّ في فهم التطور اللغوي

وقد وجد أصحاب المنهجين التاريخيّ والوصفيّ في هذا المنطق صوابًا ، وقالوا: "دع لغتك وشأنها"، فاللغة لا بدّ لها من أن تتطوّر ، وقد رموا المعايير المدرسية النحوية بالركود(٢). وأمّا المنطق الآخر فقد دافع عنه بعض أصحاب المنهج المعياري دفاعًا مستميتًا ، فقواعد اللغة صرفًا ونحْوًا وصوتًا؛ ومعاني المفردات، وحتى الأساليب البيانية، ينبغي أن تظلَّ على حالها. وقالوا: "خُلق النحو بأسنان" كناية عن الكمال، فإذا اعترى اللغةَ تغيير يخرج بها عن حدود المعيار اللغوي العربي مكانًا (قبائل محدّدة في منطقتي الحجاز ونجد) وزمانًا (حوالي ١٥٠ قبل الهجرة حتى ١٥٠ بعدها)، عُدّ ذلك لحنا، حتّى لو كان

الأمر يتعلق بالألفاظ ومعانيها،إلا في حالات نادرة حين يُتوثق من صفاء لغة مَن تجاوز منتصف القرن الثاني الهجري[٣]. وبطبيعة الحال، فإن لكل معيارية مواصفاتٍ خاصةً بها، مربوطةً بأهداف تلك المعيارية، وملابسات نشأتها التاريخية والراهنة والمستقبلية.

اللغة بين الثابت والمتغير

إنّ نظرة كهذه أو تلك، لا تخلو من اعتدال في جانب، وغلوّ في جانب آخر. وحتّى نحاكم هذه وتلك، لا بدّ من إقرار معيار يُحتَكم إليه؛ فاللغة في جوانب من مكوّناتها، تَثْبُت مدّة طويلة قبل أن تتغير وتتبدّل. وتتمثل الثوابت في نَحْو اللغة وصرفها، أي القواعد التي تَضبط بِنَى الكلمات وبنى الجمل أو التراكيب. وتسعى العربية المعياريّة منذ النحاة الأوائل، إلى أن يظل ثبوت الثوابت العربية دائماً، بينما ثوابت المعياريات الأخرى، ثوابتُ نسبية قابلة للتغيّر البطيء مع الزمن. وبالتالي فإن مبدأ الثابت في غير العربيّة يؤدي إلى أن تتغير هذه اللغات وتتبدل — ولو على نحو بطيء — فلا تعود قراءة التاريخ إلا في يد المتخصصين ، في حين تطمح العربية بفضل ديمومة الثوابت في أن تكون " شِفرة" التاريخ في ميسور من ملك هذه الثوابت.

وأما المتغيرات فما سوى الثوابت، كالأساليب البيانية ومعاني الكلمات ومدلولاتها. وحتّى الألفاظ التي تحمل هذه المدلولات، فإنّها تتجدّد، وتموت، وتحيا، وقد يكون ذلك بطيئًا أو سريعًا. ولا ضَير، فهذه متغيّرات اللغة، وهي تختلف من تخصّص إلى آخر، في مضامينها الاصطلاحيّة، حتى لدى أبناء الجيل الواحد والمكان الواحد.

وطولُ عُمر هذه المتغيرات أو قِصَره، مرهون بعوامل مختلفة،اجتماعية أو دينية.. كالأمثال والعبارات التي تتكرر في مناسبات الأفراح والأتراح، وكالمسكوكات اللفظية المرتبطة بالدين، وهي العبارات الجاهزة التي تتداولها الأجيال، نحو "يرحمك الله"، و"عظّم الله أجركم" و" لبّيك الّلهم لبّيك" و"سبحان الله".. فإن اطّراد استعمال هذه العبارات والأساليب لا يتيح لسوافي النسيان والهجران أن تُعَفّي على آثارها، ولذا فهي تبقى دُولة بين الناس، لا تنقطع. وهي تنبض على لسان آخر مستعمل نَبْضَها على لسان أول مستعمل، بشكلها ومضمونها، وإعرابها، وتقديمها أو تأخيرها. وقد كثرت كتب التراث التي تتعقب هذه الأساليب كفقه اللغة للثعالبي ،وأدب الكاتب لابن قتيبة.

وأما قواعد النّحو والصّرف العربيين، فتلك ثوابت مُعَمَّرة، وهي التي تسمح للأجيال أن تتواصل ، على تباعد ما بينها زمانًا ومكانًا. وعلى هذا، فإن كانت الثوابت تسمح باستمرار التواصل بين الأجيال، على ما بينها من تباعد، فلم لا تدوم هذه الثوابت؟ ولِمَ لا يكون السجل الثقافي والتجربة الحضارية للأمة في المتناول ، لكل من أراد أن يطّلع على تجارب صَمَتَ أهلها تحت ركام التاريخ، ولكن الخرائط التنظيمية الموصلة إلى ما أنتجته أدمغتهم يمكن أن تُقرأ في ضوء كل نص أو أثر تركوه، بفضل المحافظة على الثوابت.

المعيارية العربية مفتاح تولج به كلُ العصور

وهنا ينهض دور "المعيارية" التي تسعى إلى أن تظلّ الأجيال على تواصل، وهي المنهج الذي سار عليه علماء التراث في تقعيد اللغة، وعرف باسم المعيارية

لأنه يرمي إلى الحفاظ على معايير الصواب في اللغة، برصْد قواعدها واستعمالاتها. أليس مهمًّا أن نملك مفتاحًا لغويًّا نَلِج به المعمار الفكريّ والإرث الحضاريّ، لعصور بعيدة عن عصرنا؟ ألا يستحقّ التقدير، كلَّ التقدير، أولئك الذين "مَعْيروا" اللغة، أيْ: حفظوها إذ قعّدوها ، فكانوا بذلك كمن يبني هَرَمًا شامخًا، من امتلك الوقوف على رأسه، مَلك أن يرى كلّ ما صَنعه مَن قبلَه، وملك مَن يأتي مِن بعده بقرون، أن يروا ما كُتِب فَيَفْهَمونه من غير ترجمان؟ هذا ما ينبغي أن تؤيّدَ المعياريّة فيه؛ إذ وفرت لمن يمتلكها أنْ يمتلك مفتاحًا لا يصدأ ولا يبلى، وجعلته يتسنّم قمّة دونها كل القمم.

أيغني ثوب واحد عن كل الثياب؟

وأمّا أن يُتاح للغة أنْ تجدّد ثيابها بألفاظ جديدة، وتشبيهات ومجازات، وأمثال تعبّر بها عن واقع ما يجدّ في هذه الحياة، فهذا أمر مطلوب[٤]. وهو جزء من تاريخ اللغة المتجدّد، وهو الموضوع أو الموضوعات التي تعبّر عنها الثوابت لكي تنقلها من جيل إلى جيل، فتؤدي هذه الثوابت بذلك بعض رسالتها، وإلاّ فكيف نقول للناس وللغة: هذه هي الألفاظ وهذه هي معانيها، وهذه هي التشبيهات والاستعارات، ثياب قديمة، البَسوها وألْبِسوها لغتكم، حسبكم وكفى، فثوب واحد يُغني عن كل ثوب ، ولكلّ الفصول والمناسبات...! هذا منطق لا ينبغي أن يؤيَّد فيه أحد.فالأساليب البيانية والمجازات البلاغية هي الثياب الجديدة التي تعبر عن فلسفة التمايز بين عصر وعصر وتجربة وأخرى.

وعلى هذا فاللغة معياريّة في حدود السّعي إلى تثبيت الثوابت كما

يشتهي المعياريون، واللغة متطوّرة كما يقول التاريخيون. وحتّى يُؤكّد هذا المضمون يُمْكن أن يُقال: إنّ ترك اللغة وشأنها، حتّى في ثوابتها، أمرٌ يؤدّي إلى أن تفقد اللغة أهمّ خصائصها التواصليّة بين الأجيال، ولا سيما حين يحمل هذا التواصل رسالة خالدة كالقرآن الكريم، كما أنّ الحيلولة دون أن تتطور اللغة، كالحيلولة بين الجسم الحيّ وغذاءٍ جديدٍ، يُمِدّه بطاقة جديدة، فيضمحلّ فيموت.

كيف تصبح اللهجةُ اللغةَ المعياريّة ؟

وثوابت اللغات قد تقوم على النهوض بقواعد لهجة من اللهجات، حتّى تتمتع هذه اللهجة بعامل أو أكثر من العوامل التي تؤهّلها إلى ما يجعلها تتفوق على سائر اللهجات المقاربة لها، كالعامل الدينيّ، أو القوميّ، أو الاقتصاديّ، أو العلميّ... أو ما اجتمع لها من هذه العوامل جملة؛ وعندئذ يكثر الناطقون بها، وتصبح هي اللغةُ المعتمدةَ لدى أمّةٍ من الأمم، أو حضارة من الحضارات... ويصبح ما سواها ممّا قاربها مجرّدَ لهجات محليّةٍ، يتعامل بها الناس على نطاق ضيّق، وقد تكون عرضة للتغيّر السريع؛ إذ لا تجد عناية كبيرة في التخطيط اللغوي الذي يصّب اهتمامه على الارتقاء باللهجة المتميزة لتصبح اللغة المعيارية للأمة.

وقد تقوم اللغة المعياريّة – كما في العربيّة – على ائتلاف ما اتّفقت عليه لهجات متقاربة(٥)، مع استبعاد ما اختلفت فيه هذه اللهجات من ظواهر لا تدخل في بناء القواعد الراسخة للمعيارية، التي تُعتَمَد بوصفها ثوابتَ لغةٍ تتوحّد عليها الأمة. وأمّا اللهجات، فتظلّ في أخذ وردّ، تقرّبها أو تباعدها عن اللغة المعياريّة

عوامل متعددة، كالأمّيّة والجهل، والعامل الدينيّ، والقرب اللّغويّ من الأمم الأخرى ذات اللغات البعيدة عنها، أو القريبة منها أُسْرَةَ.

ولا ينبغي أن توسم المعيارية — القائمة على ائتلاف ما اتفقت عليه اللهجات المتقاربة — "بالخطأ المنهجي في جعل المرحلة المختلفة للدراسة واسعة"(٦)، إذ اتساع هذه المرحلة تضحية لا بد منها إذا أريد للغة أن تخرج من حيز المكان الضيق والزمان الضيق والقبيلة المحدودة، إلى رحاب أوسع، ولا سيما في حالة كحالة العربية التي أريد لها أن تحمل المعجزة الربانية، التي يؤمّل لها أن تتجاوز في استمرارها حدود الزمان والمكان، لتشمل العربية في نطاق يتجاوز القبيلة، إلى ما ائتلفت عليه القبائل، مع التضحية — بطبيعة الحال- بالفروق الخاصة التي تميز قبيلة عن أخرى، كهذه التضحيات التي تقوم عليها المعيارية في لغات متعددة، إذ يُضحّى بالفروق اللهجية Dialect لصالح الفصحى في هذه اللغة أو تلك Standard Language وإذا لم تتسع الدائرة دخلت اللغة في حيز مغلق من الشروط الوصفية الضيقة، سريعة التحلل والتغير.

وقد كان النحاة القدامى على وعي بضرورة أن يتجاوز التخطيط اللغوي الانحصار في نشر اللغة المعيارية بين العرب إلى نشرها بينهم وبين غيرهم من أبناء الشعوب الإسلاميّة. قال ابن جني في تعريف النحو:"انتحاء سَمْت كلام العرب... ليلحق من ليس من أهل العربيّة بأهلها في الفصاحة"(٧).

وعوامل التغيير والتطوّر حالّة لا محالة، حتّى لو افترضنا افتراضًا أنّ شعبًا قد عُزِل، فإنّ اختلاف الزّمان وحده، أو المكان وحده، كفيلٌ بأن يُحدث - ولو ببطء شديد- تغييرًا ما، على لغته، وطرائق عيشه. فكيف والعالم يموج بعضه في بعض، في الحرب وفي السّلم، فتختلط الأعراق

واللغات والثقافات، ويتأثر بعضها ببعض، على نحو أو آخر، فتنشأً أجيال جديدة بعادات جديدة، ولغات أو لهجات أخرى ؟

حكمة المعيارية في مواجهة سنن التطور

وأحسَب أنّ هذا ما كان يضعه مقعِّدو المعياريّة العربيّة في الحسبان، فهم يبحثون عن مواصفات تُقام عليها أسسٌ معيارية تحافظ على نفسها، فلا تزول ثوابت البنيان، ولا تَزِلّ. ولذا كان من همّهم أنْ يرسّخوا القواعد التي تحتكم إليها الأجيال جميعًا في تلقّي اللغة، ومعرفة الثابت من المتغيّر، حتّى يتسنّى لهم تحقيق ما يبتغون: مرونة تناسب التطوّر وتسايره وتسير في ركابه، فلا تنكفئ اللغة على نفسها، أو تتصدّع أمام زلازل التغيير، وتكون قادرة على التعبير عن الجديد. وبذا تَثْبت ثبوتًا راسخًا يتحمل ما يُبنى عليه. ولذا كانت في قواعد النّحْو والصّرف التي أرسى دعائمها النحاة الأقدمون، مواصفاتُ البناء الراسخ المتين، فهي تسمح بمواجهة ارتجاجات التطوّر، إذ تسمح الأركان التي أرسَوها، بالانتقال في التعبير من وجه راجح إلى وجه مرجوح، بدلاً من السماح بترك هذا وذاك للإتيان بوجه جديد من البِنى الصّرفية والتراكيب النحويّة. ومع الزّمن تكون اللغة قد تبدّلت وفقدت هويتها، وأصبحت بذلك غريبة عن الأجيال اللاحقة.

ما كان أحرى بالنحاة العرب، وهم من أصول شتّى عرقيًا ، ولُغويًّا، وحضاريًّا ، لو كانوا كغيرهم من المعياريين، أن يتأثّروا بالنواميس التي جرت وتجري على لغات كثير منهم، بما في ذلك العربيّة قبل الإسلام؛ فكلّ هذه اللغات تتطوّر وتَتَفكّك، وتتفرّق بها السُّبُل إلى لهجات فلغات متباينة. أمّا

المعياريّون العرب فهم يختلفون عن كلّ مَن سواهم مِن المعياريين؛ إذ هم على اختلاف انتماءاتهم القديمة، ولغاتهم، وأصولهم، أجمعوا على أن يؤسّسوا مشروعًا لديمومة لغة تبقى محافظة على أركانها العتيدة، مُلبّيةً لما تحتاجه سنن التطور، أركانٍ: تراعي الثابت والمتغيّر، وتُديم الرّبط بين الماضي والحاضر والمستقبل. لا أدل على ذلك من أن سائر اللغات لم تملك لنفسها هذه الاستمرارية التي تربط الماضي البعيد بالحاضر، كما امتلكته العربية المعياريّة.

لا يقال هذا من باب العُجب و"الشوفينية" التي يمنعها من أن ترى عيوبها شدة الخيلاء والإعجاب بالذات. فهذه هي حقيقة هذه اللغة التي أدركها بعض المستشرقين. وفي هذا المعنى يقول ف. فيشر W.Fischer: "والحقيقة أن النحو العربي يعطينا الحق في أن نعتبر اللغة العربية _ابتداء من شواهدها النصية القديمة كالشعر العربي القديم، وحتى ظهور مرحلة متأخّرة، وهي العربية المكتوبة المعاصرة _لغة واحدة(٨)".ولا شك أن "فيشر" تتملكه الدهشة من طول هذه المدّة التي حافظت فيها العربية على وحدتها ، مقابلة بلغات أخرى، كلغته الألمانية مثلا التي عاشت مرحلة تلوّنت فيها باللاتينية " وكأنها الوجه الآخر للاتينيّة" على حد تعبير الألماني أوفي بوركسن Uwe Pörksen الذي ذهب إلى أن النصوص الألمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر"قد غُصت في بعض الأحيان بالعبارات الفرنسية لدرجة أن استعمال الإنجليزية الشائع اليوم يبدو تافها إذا ما قارناه باستعمال الفرنسية آنذاك (٩)".

ويمكن للمرء في ضوء هذا أن يُلقي نظرة تقويميّة على ما بُذِل من جهود في سبيل الحفاظ على وحدة العربّية، على مدى عصورها، منذ صدر

الإسلام إلى يومنا هذا، فيرى أنّ العربّية قد مَرّت بمرحلة جَمْع النصوص من أهلها الخُلّص الذين تنطبق عليهم معايير الاحتجاج اللغوي، وفحصها للتثبّت منها صحةً، وانتماءً إلى مكان الاحتجاج و زمانه، وتصنيفها شعرًا ونثرًا ،وتقعيدها نحْوًا وصرفًا وصوتًا... ودرسها أدبًا وبلاغة... والتفنّن في تقديمها للناس بأساليب يُراعى فيها الخاصّة والعامّة.

المعياريّة وبعض المقدمات المنهجية الأخرى:

قامت المعيارية على أصل من أصول المنهج الاستقرائي، وهو استقراء ناقص-ولكنه كاف- لنصوص من عصر الاحتجاج اللغوي، قال ابن السراج: فيما نقله عنه السيوطي "[١٠]النحو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب".ومن الواضح أن المقعّدين لم يقفوا لتقعيد كلام العرب على كلامهم كله، وهذا هو المقصود بالاستقراء الناقص. وقال السيوطي فيما نسبه إلى أبي عمرو بن العلاء "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"[١١] ،ولكن العيّنات أو النماذج المستقراة مستفيضة ، شملت القرآن الكريم، وكثيرا من أقوال العرب وأشعارهم وأمثالهم. وقد آتى الاستقراء ثماره بما استنبطوه من قواعد أصبحت لدى المتأخرين منهم هي المرجع بعد أن كانت النصوص هي المرجع، ولذا فإن المرحلة التي كانت تسبق التقعيد كانت هي مرحلة الاستقراء ، ثم تلتها المرحلة التي قُعدت فيها اللغة واستُخلصت فيها المعايير من النصوص، ليعود إليها الأبناء في معرفة ما كانت عليه لغة الآباء، وقل الاعتماد على الشواهد والنصوص تدريجيا في هذه المرحلة.إنها مرحلة العودة

إلى القواعد المستنبطة، وهي مرحلة كان على رأسها الخليل وسيبويه ثم استمرت لدى من جاء من بعدهم ممن كانت القاعدة لديهم هي الشغل الشاغل، وليس الشواهد المستقراة.

وقد اشتهر ارتباط المعيارية بلغة القرآن الكريم عند العرب، وما قاربها مما يُحتج به كالذي وصل إلينا من أشعار العرب قبيل الإسلام وبعيده، مع أن اللغة في أي عصر من العصور تُتكلم ملكة ثم تبدأ بالانسلال التدريجي من حياة الناس، معبرة عن هذا الانسلال بدخول مظاهر جديدة قليلة، ثم تكثر مع الزمن، ثم يصبح الأمر محتاجا من اللاحق من أهلها إلى العودة إلى صناعة الإعراب، ليعرف الفرق بين المَلَكة الجديدة وما كانت عليه ملكة الناس في زمن سابق.والسبيل إلى ذلك المعرفة بصناعة النحو، الذي يُعد من أهم أغراضه أن " يُلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة"[١٢].

والمعيارية العربية بمراعاتها للنصوص القديمة التي تسبق عصر التقعيد، كنصوص العصر الجاهلي وصدر الإسلام، تكون بذلك قد أرست أصلاً من أصول ما أصبح يُعرف في العصر الحديث بالمنهج التاريخي، وهو منهج وضع نصب عينيه أن يفيد من النصوص المكتوبة، مع أنه لا دليل عليها سمعيا، إلا من خلال محاكاة الرواة لما يحفظونه من أشعار القدماء ونثرهم، وبذا فإنهم لم يأنفوا من اعتماد النصوص المكتوبة عن أصول مروية، لينطلقوا منها في الاحتجاج اللغوي.

وهم يلتقون مع أصحاب المنهج التاريخي في ضرورة التأكد من صحة سند النص فضلا عن صحة متنه، ومن مظاهر اهتمامهم بالسند أن جعلوه شرطا لقبول النص، فـ "لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله"[١٣].

ولكن المقصد لدى المعياريين في التأكد من صحة السند يختلف عن مقصد التاريخيين، فالتاريخيون يوثقون النص سندا لمعرفة انتمائه لقائله. أما المعياريون فهدفهم ألا يكون النص لمولّد أو من لا يوثق بفصاحته[١٤]. ولطالما رد المعياريون نصوصا لأن قائلها غير معروف، أو مشكوك في صحة النسبة إليه[١٥].

وقد يعالج القدماء الظواهر التاريخيّة تحت تسميات خاصة كالمطرد في القياس الشاذ في الاستعمال. نحو: وَدَعَ، و: وَذَرَ، والشاذ في القياس والاستعمال، نحو: ثوب مَصْوون (الصيغة التاريخيّة) بدلاً من مصون، وفرس مَقْوود (وهي الأقدم)، بدلاً من مقود[١٦]، ومن الشواهد على ذلك نحويا، نحو ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾[١٧]. وتفسير هذه تاريخيًا أن تلك الصيغ والتراكيب تمثّل بقايا ممّا كان يُستعمَل تاريخيًا، ولكن استعمالها أصبح نادرًا مع الزمن، مع أن القياس ظل يسمح بذلك. فالماضي من يذر: وذر، ومن يدع: ودع، هذا هو القياس، ولكن تطورًا حدث، فأصبحوا يقولون: يدع ويذر، ولا يقولون: ودع، و: وذر. وأصبح تركيب: "أكلوني البراغيث"، النمط القديم في اللغات الساميّة[١٨]:" أكلتني البراغيث". وليس من حقنا باسم "الوصفيّة" أن ننكر قياسية هذه الصيغ ووجود هذه التراكيب، أو أن نشكّك في وجود شواهدها. قال الدكتور تمام حسان في هذه الصيغ، " فإذا صحّ ذلك فيما جاء به من شواهد، كان الكلام عن القياس هنا كلامًا لا يعضده شاهد واحد من شواهد اللغة "[١٩]. إن وجود هذه الأقيسة تاريخيًا يبدو وجيهًا لوجاهة القياس فيها، ولوجود بعض الشواهد عليها. هذا ما لا ينبغي إنكاره تاريخيًا، أما تلك الأقيسة التي تُبنَى

من ضَرَب على وزن جعفر: ضَرْبَب، فهذه أقيسة منطقية لا يؤيّدها الاستعمال الوصفي ولا التاريخي، ولا ينبغي أن تؤيّدها المعياريّة السديدة، ولا ينبغي كذلك أن يُخلَط بينها وبين الشواهد التاريخيّة التي بدأت تنحسر من الوجود الاستعمالي للغة.

وقد يكون من تفسير أمثال: ودع و: وذر و: مصوون و: مبيوع... أن تكون هُجِرت عند سائر العرب، وقد ظلّت عند فئة قليلة تطّرد على الألسنة، ولكنها في ميزان المعياريّة لا تنهض عليها القاعدة العريضة لعموم الناطقين بالعربيّة المعياريّة..

ويلتقي المعياريون – من جانب آخر- مع ما أصبح يعرف لاحقا بخصائص "وصفية"، تهمل النصوص"المكتوبة"، وتنطلق عوضًا عن ذلك من الخطابات "المنطوقة" في زمن التقعيد النحوي بعد منتصف القرن الثاني الهجري، حتى القرن الرابع. ولذا كان النحاة المعياريون المتقدّمون يصفون وصفًا حيًّا لغة من يسمعونهم من القرّاء، وأهل البادية. ولكنهم مع ذلك يبقَون معياريين، إذ هم لا يهتمون تاريخيا بالنصوص المكتوبة القديمة كنصوص العربية البائدة، كالثمودية واللحيانية والصفاوية، التي لقيت عناية واضحة لدى المؤصلين التاريخيين(٢٠). وهم لا يهتمون وصفيًا بالمستويات اللهجية التي تنأى بهم عن حدود مشروعهم المعياري المربوط بالنمط القرآني، فهم بذلك يلتقون بالتاريخيين وبالوصفيين بمقدار، ولكنه المقدار الذي يخدم المعيارية، وإلا لاهتموا تاريخيًا بلغة النقوش العربية البائدة، ولاهتموا وصفيّا بتوصيف العربية وفق ما آلت إليه في أزمانهم هم، ولجعلوا من نصوص كل

لهجة معيارًا لها، وحجةً يُحتجّ بها للعربية فيما انتهت إليه على ألسنتهم، وفيما يمثل كل عصر و كل مصر، ولما احتاجوا إلى أن يتخيروا لمعيَرة العربية، ما أرسوه من قواعد عامة، تهمل الفروق اللهجية الناعمة بين لهجة وأخرى من اللهجات التي اعتُمدت للتقعيد زماناً ومكاناً، مع إهمال متعمّد للهجات التي لا تصلح لإقامة المعيار اللغوي عليها،وإن وافقت زمن التقعيد ومكانه. فالمعياريون يخالفون الوصفيين وإن شابهوهم في السماع من بقايا من ظلوا يمثّلون النمط المعياري، في عصور تخرج عن إطار الزمن المضروب لعصر الاحتجاج. والمخالفة تأتي من أوجه، منها:

- أن البقية الباقية ممن ظلّوا على النقاء الممثّل لعصر الاحتجاج ما كان ليُعتد بلغتهم لو أنهم لم يمثّلوا ذلك العصر. فالهدف من توصيف المستوى اللغوي لدى هؤلاء هدف معياري، لا وصفي. ولو كان وصفيًا لآثروا عليه أن يسمعوا من أهل زمانهم هم.
- أن طريقة معالجة النصوص المتأخرة التي جمعوها عن الأعراب لم تكن "وصفيّة" بالمفهوم الاصطلاحي للوصفية ، فهم يجمعون من بعض الأعراب الذين يماثلون في النصوص المجموعة عنهم، تلك النصوص القديمة التي وصلت إليهم عن طريق الرواية من القبائل التي يحتج بكلامها. وقد تجنّبوا أن يصفوا ما سمعوه عن القبائل التي لا تبتعد ألسنتها عن النمط المألوف في لغة عصر الاحتجاج. ولو كانوا وصفيين لما جعلوا فرقًا بين أن يسمعوا من هذه القبيلة أو أن يهملوا تلك.

- أن المستويات اللهجية المسموعة لم تستو عندهم، بل هم يبحثون عمّا اتّفقت عليه القبائل التي يُسمَع منها، فهم يبحثون عن المؤتلف الذي يجمعها، ويهملون عن عمد ما يفرّق بينها ويمثّل خصوصية لهجيّة لقبيلة لا تلتقي فيها مع بقية القبائل التي سُمِع منها، أو القبائل التي تسبقها زمنًا وتعود إلى صميم عصر الاحتجاج. ولو كانوا وصفيين لما خلطوا لهجة قبيلة بلهجة قبيلة أخرى، بحثًا عن المؤتلف بينهما، و لفصلوا بين هذه وتلك.

إن همّ المعياريّة في نهاية المطاف ليس همًا وصفيًا، ولا تصلح الوصفية لتحقيق حلم المعياريّة في حفظ مستوى لغوي يجمع عليه الناس عربًا وعجمًا من الناطقين بالعربيّة، في جميع عصورهم وأمصارهم. وهذا هدف لا يحلم به إلا المعياريّة، ولا سيما المعياريّة العربيّة. ولو كان هَمّ المعياريّة هدفًا محدود المكان والزمان، فإذا ما تغيّرت اللغة تغيّر وصفها، لكان الأمر أكثر سهولة في جمع المادة وفي تقعيدها، بحكم أن المقعّد اللغوي يقعّد شيئًا يعيشه ويمارسه نفسيًا واجتماعيًا،ولا يحرص على ديمومته.

لقد كان من الطبَعي أن تنتهي مرحلة الاستقراء عند المعياريين في شكل قواعد تُطبَّق على النصوص اللاحقة لعصر الاحتجاج، وأن يكون الشغل الشاغل للمعياريين الاستمرار في مراقبة الفصحى، أي اللغة المعياريّة في ضوء هذه النصوص. وهذا ما دأب عليه المعياريون في كل زمان، أما الوصفية فنحاتها يطبقون فيها معايير أهل زمانهم اللغويّة، وهم ربما يحتاجون هذه المعايير لتعليم اللغة إلى غير الناطقين بها أكثر من تعليمها للناطقين بها.

وكان بعض القدماء قد فرّقوا بين "النص المكتوب" و"الخطاب

المنطوق" ولا سيما القراء منهم، إذ كانوا يفرّقون بين نطق القراءات حتى مع اتفاقها في الرسم الكتابي. وكانوا يسعون إلى دراسة اللغة في سياقها الاستعمالي ، مع مراعاة الملابسات السياقية التي تمكّن المخاطب والمتكلم من معرفة مقصد الخطاب. وإذا كان بعض المحدثين قد عدّ سياق الحال (الذي تنشأ فيه عملية التكلّم، من طقس أو حركة...) داخلا في بنية الخطاب بوصفه مكوّنًا ضروريًا للبنية الدلالية، فإن القدماء قد تنبّهوا لذلك، فقيل: "أنا لا أحسن أن أكلّم إنسانًا في الظُلمة"(٢١). وقد صرح بعض النحاة بعبارات دالة على أخذهم للسياق الحالي والمقالي بعين الاعتبار في عملية التقعيد. قال ابن السراج "الذي لا يَحْسن إضماره: ما ليس عليه دليل من لفظ ولا حال مشاهدة"(٢٢). وقد اهتم المفسرون بضرورة الوقوف على أسباب النزول، لتفسير الآيات والوقوف على أحكام القرآن الكريم. واهتموا كذلك بالسياق الخطابي الذي قد تهمله الكتابة الذاتية، كالتنغيم الذي يهتم بإبراز الاختلاف في نطق النص أو الجملة في رسمها الكتابي على نحو يفهم منه أنها استفهام أو تعجب أو غير ذلك، وكخروج الكلام عن مقتضى الظاهر المكتوب، كالاستفهام والنداء، ولا سيما ما كان منه بغير أداة، فإن الحاجة إليه في المنطوق أقل نسبياً.

وكان المعياريون يدركون الفرق بين المنطوق والمكتوب، فالنطق فيه سجيّة وارتجال، كأي شعر أو نثر مرتجل.وأما المكتوب ففيه صناعة ومراجعة وتأنق. وقد أدرك ذلك القدماء وهم يطلقون على قصائد زهـــيـــر بن أبي سلمى، اسم"الحوليات" لأنه كان يراجع القصيدة على مدى حول من الزمان. والمنطوق

يعتمد على سياق الحال من إشارة، وطقس، ومقام. ويحاول المكتوب أحيانًا أن يصوّر ما يمكن تصويره من سياق الحال، كما في قوله تعالى:"فأقبلت امرأته في صَرّة فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم"(٢٣)، أو قوله تعالى: " يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت"(٢٤). أو قوله تعالى:"فجاءته إحداهما تمشي على استحياء"(٢٥)،أو قوله تعالى:"كأنهم حُمُر مستنفرة فرّت من قسورة"(٢٦)، و أدركوا أن النطق يبرز السياق المنطوق كالنبر ودرجة الانفعال. أما المكتوب فيصعب فيه ذلك وإن كان يسعى لشيء منه بعلامات الوقف والابتداء، وعلامات الغنة والمدّ ، التي روعيت في الكتابة القرآنية.كُلّ هذا وذاك كان يدركه المعياريون ويسعون إلى تحقيق التوازن بين متطلبات النطق والكتابة. ولقد أبدع علماء القراءات إذ كانوا يضعون علامات الوقف والوصل، والإظهار والإدغام، والفتح والإمالة، وأحكام نطق الأصوات كالراء واللام وهاء التأنيث،مع مراعاة الوقف على مرسوم الخط القرآني ومقتضى النطق(٢٧). في القراءات القرآنية، إذ هي ترمي إلى الرقي بالمكتوب وتعويضه عما ينقصه، سعيًا به إلى الارتقاء إلى مستوى المنطوق. وهذا يتفق والمحاولات الوصفيّة التي تسعى إلى تسجيل المنطوق برموز صوتية.

وكم يذهل المرء إعجابًا بدقّة ما صنع المعياريّون العرب؛ إذ رفعوا أعمدة بنائهم في ضوء هدف محدّد واضح، وهو استمرار اللغة وديمومتُها لتكون أداةَ تواصلِ الأجيال والأمصار، وقد كان بعضهم كمن يقف من اللغة على ثغورها، فإنْ أصابها شيء من عوامل التغيّر التفتوا إلى "الثوابت" أولاً، وهؤلاء–من بين المعياريين العرب– هم الذين يصّوبون الخطأ النحويّ

أو الصّرفيّ؛ إذ لا تأخذهم في الزيغ عن قواعد هذين العِلْمَين لومة لائم، فأيّ استحداث في أصول هذين العِلمين يستدعي موقفًا علاجيًّا سريعًا حاسمًا. ودون ذلك بكثير أن يكون الأمر متعلقًا بالمتغيّرات المعجمية والبلاغية والأسلوبية. ولعل الكسائي (توفي ١٨٩هـ) في كتابه:"ما تلحن فيه العامة" كان أول من ألّف في هذا المجال،وظل تواتر التأليف فيه مستمراً منذ ذلك الوقت و إلى يومنا هذا.

صحيح أن اللغة ظاهرة اجتماعيّة، والظواهر الاجتماعيّة تنمو "كالعادات والتقاليد والملابس وطريقة المعيشة في عمومها "[٢٨]. ولكن هذا لا يمنع من أن يكون للظواهر الاجتماعية والدين واللغة ثوابت، إلى جانب المتغيرات، فأصول العقيدة ثابتة، وفقه الواقع متغيّر وفق مقتضيات الحال، والصدق والكذب، والعفة والدناءة.. كلّها قيم اجتماعية ثابتة على مرّ العصور، واللغة كذلك لها ثوابت ومتغيرات، فلماذا يُنعَى على النحاة محافظتهم على ثوابت اللغة وغَيرتُهم على ردّ من يخرج على هذه الثوابت إليها، ولماذا إعجاب الدكتور تمّام حسّان بأبيات يذكرها لعمّار الكلبي، يسخر فيها من النحاة، و مطلعها:

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

قال الدكتور تمّام حسان: "ولست أرى أصْدق من هذه الأبيات ولا أدْعى منها للإعجاب في شرح العلاقة بين الموقف السليم الذي يقفه المتكلم، والموقف غير السليم الذي يقفه المعياريون من النحاة "[٢٩]. وهكذا حوّل تمّام حسان الموقف الشعري إلى موقف فكري منهجي يُتبنّى في ضوء ميله إلى

"الوصفية" التي لو سرنا وراءها لانقسمت اللغة وتشظّت في لهجات أو لغات لا تُحصَى، ولما بقيت ثوابت المعياريّة التي ما نزال نتفاهم بها ونعبّر عمّا نفهمه وتفهمه الأجيال من بعدنا.

ألا تسعى كل أمة للحفاظ على ثوابتها ممثّلة في هويتها الاجتماعية واللغوية والفكرية، وتنفق من أجل ذلك المال والوقت والجهد؟ ألم تكن مهمة النحاة الحفاظ على هذه الهويّة وقد نجحوا في ذلك على مدى متطاول من عمر العربيّة؟ فهل ننسف جهدهم في ذلك استنادًا إلى موقف شاعر تجاوز الثوابت فردوه إليها؟ وأيّهما أولى أن نردّ الشاعر أم نُفلت العنان لتجمح بنا اللغة، في مهاوي التطور، وإذا بنا نتهشم لغوياً على هيئة فتات من اللهجات التي لا تحفظ لنا هويّة، كما حفظتها لنا العربيّة التي ما تزال تمثّل الرابط الأقوى بين الناطقين بها، حتى لو اختلفت ثقافاتهم وأعراقهم وعاداتهم وتقاليدهم وأديانهم؟

إن قدرتنا على التواصل مع الأجيال السابقة فضلاً عن قدرتنا الراهنة على التواصل قراءة وكتابة وقولاً، لأكبر دليل على أن المعايير تستحق أن يُحافَظ على ثوابتها، وأن تُحترَم، وأن يُحسّ من يتهاون بها بشيء من العقاب الاجتماعي.

لقد أصبحت قواعد المعياريّة تمثّل مستوى اجتماعيًا لم يتوقف يومًا عن الحياة منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا. ولكن هذا المستوى لم يُتلقَّ سليقة في كل العصور تلقيًا تامًا، بل كان وما يزال يُتلقى بوساطة المعايير اللغوية والقواعد، إذ هي تربي في الناس نوعًا من السليقة التي إن هي ضلّت

سبيلها استعانت بها، حتى إذا ما تشكّلت فيها تشكل العادات الاجتماعية أصبح في ميسور الكتّاب أن يمارسوها دون حاجة ملحّة في العودة إلى القواعد. وقد ساعد ثبوت الثابت من هذه القواعد على سهولة السيطرة عليها، ولا سيما إن نحن أفلحنا في غربلتها حتى يَسْقط منها ما ليس بعملي، من تعليلات مسرفة وأقيسة بعيدة، ومنطق وفلسفة وجدل، وعندها سيكون النافع العملي من هذه القواعد قليلاً يسهل التعامل معه والاحتكام إليه.

لقد كان من الأهمية بمكان لدى المعياريّة أن تشقّ طريقها لإقامة معايير تجمع الناس على خصائص ينتفع بها الجميع، بدلا من أن تتيه في لُجج التعدد اللهجي باسم الوصفيّة التي لو أخِذ بها لكثرت القواعد كثرة يصعب معها أن تتوحّد الأمة عليها. ولذا كان لا بدّ للمعياريّة من أن تضحي بكثير من الظواهر الوصفيّة، فلا تقيم القواعد عليها، وقد تحملها على الضرورة إن هي جاءت في الشعر، أو على الشذوذ إن جاءت في النثر. والشاذ قد يكون دارجًا لدى فئة من الفئات، ولكنه خاص بتلك الفئة، ولا يعمّ سائر الفئات. وبشيء من المرونة أبقت المعياريّة على شكلين أو أكثر من أشكال الاستعمال اللغوي، ليكون في ذلك مندوحة تسمح بشيء من السعة، حين يُؤخَذ بهذا الوجه أو ذاك من أوجه الاستعمال المعياريّة. وفي هذه المندوحة مندوحة أخرى تسمح بأن يُقَاس على كلام العرب ليصبح المقيس عليه جزءًا من كلامهم(٣٠). وعليه جاز أن يقال في إرسال الحُجّاج أفواجًا: فوّجهم، وهذا اشتقاق من كلمة عربيّة،وجاز أن يقال في الاتصال التلفوني (الهاتفي) تلفنه(أو تلفن له) وهو اشتقاق من كلمة أجنبيّة أخضعت للوزن العربي(٣١)، وفي قتل الجراثيم من الحليب ونحوه بالغلي والتبريد على طريقة العالم باستور:بَسْتَره بَسْتَرة، وجاز أن

يقال: تَلْفَزه تَلْفَزة، فهذا كله لا يخرج على القياس الذي تسمح به المعياريّة، لأننا لا نأتي بوزن جديد، وإنما نصب في وزن فَعْلَلَ- وهو معياري- مادة أخرى، على نحو ما فُعِل قديمًا حين قالوا: قرطاس وقرطاسية وفلسف وفلسفة وهكذا. وهي ألفاظ منصوص عليها في معجماتنا التراثيّة. فالأوزان شيء — وهي معايير ثابتة — وما يُصَبّ فيها من مادة وصفية جديدة، عمل معجمي يدخل في متغيرات اللغة، ويدخل فيما تمليه الحاجة الاجتماعية لمستعملها على مر العصور، على أن يكون حتى هذا المتغير خاضعًا للمراقبة في أصواته ومقاطعه ووزنه الصرفي وموقعه النحوي.

فإذا ضمنت المعياريّة المحافظة على الثوابت من نحو وصرف، لتلتقي عليها الأجيال والأقطار، فإنها لا تعارض في الرصد الوصفي للغة الذي يشكّل مادة المعجم والبلاغة والأساليب البيانية، بل هي تدفع نحو ذلك. ألم يتحدث البلاغيون عن تشبيهات الشعراء وصورهم البيانية التي تشمل ما ورد لدى الشعراء الجاهليين ومن جاء من بعدهم إلى يومنا هذا؟ ألم يتطوّر المعجم العربي ليضم بين جنباته ألفاظًا جديدة عربيّة ومعرّبة ومولّدة، ولم يقتصر على ما جاء لدى الأصمعي والجوهري؟ فالوصفية لم تخل من أن تُرصد فيها الظواهر المتغيرة مع الإبقاء على الثابت ثبوتاً راسخًا.

لقد توقّف الزمن لدى المعياريين باستقراء الثوابت عند زمن محدّد (العصر الجاهلي حتى سنة ١٥٠ للهجرة تقريبا)، وهذه الثوابت هي المعايير التي يُرَاد لها أن تبقى، وقد ظل الباب مفتوحًا للوصفيّة أن تستقبل الظواهر اللغوية غير الثابتة لتدرسها في كل عصر، ولتقف على ما يجدّ من مفردات ومعان وبلاغة وتشبيهات، وهكذا... فبالثوابت تحافظ اللغة على هيكل

البناء اللغوي، وبالمتغيرات تسمح لنفسها بالنماء والتجدد، ولكنه نماء وتجدد على هيكل بناء ثابت مألوف للناس على اختلاف عصورهم وأحوالهم وأماكنهم. والثابت محفوظ في معايير يتعلّمها الناس على اختلافهم منذ نشأة النحو إلى يومنا هذا، ثم يمهرون فيها، حتى تصبح مع الزمن كالسليقة، وأمّا المتغير فسليقة يعيشها الناس واقعا لغويا كما لو كانوا يتنفّسونها في أوساطهم الثقافية والاجتماعية كما يتنفّسون قيمهم الثقافية والاجتماعية، ومع كل قيمة يتلقّونها بالمفردات الدالة عليها، بما يتناسب وأعمارهم واستعدادهم، إلاّ أن يُستهدَف التخريب استهدافًا يُقصَد من ورائه التغريب أو التخريب الذي يسعى قَصْداً إلى ملء اللغة بمفردات لا تحتمل اللغة كثرتها ولا تأنس بها لفظًا، ولا صوتًا، ولا صرفًا.

لم يكن المقصودُ بـــ " المعياريين " النحاةَ فقط، وإنما كان من مهندسي هذه المدرسة علماءُ الصرف وعلماء الأصوات والبلاغيون والنقاد والمفسرون والقرّاء.. فكأنما اقتسم النحاة والبلاغيون المهمة في درس الظاهرة اللغوية. أما النحاة فهمهم أن يحكموا على التركيب صحة أو خــطأ، وبالـــتـــالي فإن ما يهمهم " المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة" على حد تعبير الجرجاني(٣٢). وأما البلاغيون فلا يكتفون بما ذهب إليه النحاة، إذ هم يدرسون معنى المعنى بما فيه من كناية واستعارة(٣٣).

ويقتضي إنصاف المعياريّة العربيّة أن يشار إلى أنها على وعي كاف بالعوامل المتعددة اللازمة للتعامل مع ما يحقق عملية التواصل بين المتكلم والسامع فيما يقترب ممّا يطلق عليه المعاصرون مصطلح"نحو النص". فهم

يدركون مثلاً أن للكلمة معنى في ذاتها. فكلمات من نحو: رجل، وامرأة، وطفل، تحمل معنى في ذاتها، يُسْتحضر عند النطق بها. وهذا هو المدلول المعجمي الكامن في الألفاظ عند نطقها من غير سياق. فإذا قيل عن رجل: إنه امرأة، أو عن امرأة: إنها رجل، فهذا فيه مفهوم نحوي يقدم فائدة ما، بغض النظر عن صدق المضمون أو كذبه، بمعنى أن الكلمات جاءت في الجملة على نظم محدد، فيه " تعليق الكلم بعضها ببعض، وجَعْلُ بعضها بسبب من بعض" على حد تعبير عبد القاهر الجرجاني[٣٤] والألفاظ كما يقول الجرجاني "مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعـــيار الذي لا يُتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يُعرض عليه"[٣٥]وفي ذلك أيضاً مفهوم مجازي. والمدلول الأول للكلمة حدده النحاة في تعريفهم للاسم والفعل والحرف[٣٦]. والناس بعامة يملكون في كلامهم الاسم والفعل والحرف، لكنهم يتفاوتون في الكيفية التي تُنْظم بها هذه المادة الخام. قال عبد القاهر في مزية لفظ على لفظ في القرآن الكريم: "أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه[٣٧]". وأما المدلول الثاني فكان موضع عناية النحويين الذين يبحثون في علاقة الكلمة بالكلمة، فتؤدي الكلمة " في الجملة معنى من المعـــاني الـــتي لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضم كلمة إلى كلمة[٣٨] ". والمدلول الثالث، أي المجازي فكان موضع عناية البلاغيين.

فإذا كانت "العين" في مدلولها الحقيقي تعني العضو الذي يُرَى به، أو عين الماء، فإن العين تعني الجاسوس في سياق بلاغي محدد، وتعني العضو في

"مجلس الأعيان" حديثًا. واليد في معناها الحقيقي عضو الجسد المعروف، ولكنها في سياق آخر تعني مِقْبَض الباب، وفي نحو: اليد العليا واليد السفلى، تعنيان المتصِّدق والمتصدّق عليه، وفي نحو: أُسقط في يده، تعني وقع في حيرة وندم. وهكذا تختلف المعاني باختلاف السياق المجازي للكلمة. ولا شك أن المعنى الحقيقي للكلمة قد يندثر ليحل محله معنى مجازي، ثم يصبح لدى المستعمل معنى حقيقيًا، أو يختلط عليه بالمعنى الحقيقي، حتى ليصعب أن يميّز بينهما: أيهما الحقيقي وأيهما المجازي(٣٩)، كما في مثال "العين"، أهي في الأصل منبع الماء أم عضو الرؤية في الإنسان أو الحيوان.

قال أبو حيان في مثالب الوزيرين: "وكانت الكناية عند فشوّها تصير إلى حد الاسم الأول، فينتقلون إلى كناية أخرى.. فكثرت الكنايات، وليس غرضهم تكثيرها"(٤٠). وقال الزركشي في البرهان في علوم القرآن، "تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر لعلاقة بينهما"(٤١)

ولا شك أن الكلمة التي يكمن فيها معنى أصلي يُعرَف بها، أو معنى مجازي تكتسبه من السياق، قد يصبح لها معنى فيه قيمة رمزية، كأن تنادي شخصًا لتبرز فيه صفة معينة كالحب، فتناديه: يا قيس، تشبيهاً بقيس ليلى، أو صفة كـــ(الدكتاتورية) للحاكم المستبدّ، فتقول: يا فرعون، أو معنى " مُشفّر"، أي له رمزيّة خاصة متعارف عليها لدى طرفين محددين. وعندئذٍ يحتاج إلى فئة خاصة تعرفه، لأنه لم يدخل في الثقافة العامة للناطقين بهذه اللغة أو تلك.

ولما كانت التراكيب النحوية والبنى الصرفية ثابتة معياريا، فإن النحاة لم يشغلهم البحث عن متغيّر فيها، لأن التغيّر فيها لحن مردود مرفوض،

ولكنهم كانوا على وعي بما يطرأ على معاني المفردات من تغيّر، إذ ظهر في تعدّد معانيها بصمات الأجيال. فالزكاة في الجاهلية غير الزكاة في الإسلام، وكذلك الصلاة، والسجود، والكفر، والإيمان، والنفاق، والفِسْق، وغير ذلك(٤٢). وظهرت على الكلمات أبعاد معان اجتماعية في عصر، لم تكن لها في العصر الذي قبله، أو في العصر الذي يليه، ومن هذه الألفاظ:الموالي، والمولدين، والولاء، والبراء، والبيعة، وغيرها. ومن هذه الألفاظ ما حمل مدلولات علمية كالنحو، والعروض، والصرف، إذ أصبح لها مدلول اصطلاحي إلى جانب مدلولها اللغوي(٤٣). ومن أسماء العلوم الجديدة التي لم تكن قديمًا: "الحوسبة" أو علم الحاسوب، و"الاتصالات"، و"الأحياء"، فهي كلمات عربيّة طُوِّرت معانيها لتأخذ مدلولات اصطلاحية جديدة.

وقد تكون الألفاظ كالعملات، بعضها عالمي، فهي متداولة في كل مكان، وقد ينشط تداولها في مكان أكثر منه في مكان آخر، وبعضها محلي، فهي مقصورة على بيئة محددة وزمان محدد. وقد تموت وتندثر أو تندثر معانيها أو بعض معانيها. ومن الألفاظ التي كانت فزالت بزوال معانيها: المِرْباع (جاء في مادة ربع من لسان العرب أن المِرْباع رُبْع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية..) ومما ترك أيضًا أو قلّ استعماله: الإتاوة والمكْس والحُلوان، ومن التراكيب قولهم: أنعم صباحًا وأنعم مساءً، وقولهم للملك: أبيت اللعن) (٤٤).

وثمة ألفاظ سُمِّيت مولدة، أخذها المولدون ممن لا يُحتج بلغتهم، ومنها: النحرير، والْخُمّ، والزّبون، والكابوس. وثمة ألفاظ أخرى أعجميّة أو معربة كالفالوذج(٤٥) (نوع من الحلوى: فارسيّة) والمَنْجَنون(٤٦) (نوع من

السلاح: يونانية) إلى غير ذلك، وقد تخصّصت فيه كتب من أمثال: المعرّب للجواليقي وغيره.

وقد تختلف مدلولات الألفاظ باختلاف الخلفية الثقافية و الاجتماعية لمستعمليها، فالاختلاط مثلاً له مدلول يصل إلى حدّ التحريم عند قوم، وهو علامة انفتاح عند آخرين.

هذا عن الكلمة، وأما الحركة، فقد تحمل معناها الحقيقي، والمراد معنى مجازي، فهزّ الرأس إلى الأسفل، يعني الموافقة عند قوم ، أو إلى الأعلى، ويعني الرفض، وجمل من نحو: أشاح بوجهه، ورفع حاجبيه، وهزّ أعطافه، وغمز بعينيه، كل هذه تعبيرات مُفْعمة بتصوير سياق الحال الحركي. وحملها على معناها الحقيقي قتلٌ لها. وكل هذه المفاهيم عرفها المعياريون من علماء التراث، وهي من بدهيات ما أخذوه بعين الاعتبار في توصيفهم للغة.

ولا شك في أن اللغات تتفاوت في ما لمعاني الكلمات من ظلال، فلكل كلمة جذورها في تربة حضارتها، وهذا ما يبدو واضحاً في تباين معاني الكلمات من لغة إلى أخرى. وأحياناً من لهجة إلى أخرى ضمن المحيط اللغوي الواحد، أو الأسرة اللغوية الواحدة. فكلمة " سيارة " مثلا، كانت تعني في المعاجم القديمة: "القافلة" التي يترحل بها مجموعة من الناس، وهي ما تزال تحمل هذا المعنى،من سار يسير، وقد كان الناس يحملون متاعهم على دوابهم،ثم يسيرون. وأما المفهوم الأوروبي الحديث فيعني المعنى نفسه، ولكن التنقل يكون على الأغلب على آلة ذاتية الحركة Automat وهذا هو المعنى الذي اتخذته الألمانية[٤٧] للدلالة على الآلة ذاتية الحركة، أي السيارة في

مفهومها الحديث Auto وهي كلمة يونانية الأصل[٤٨]. ولكن العربية أخضعت المفهوم الأوروبي للتسمية العربية القديمة: سيارة، من غير أن تجد في ذلك غضاضة،وبالتالي تكون قد عبرت بالنقل المجازي عما كان لها في حضارتها الخاصة عن معنى جديد لإدارة تنقل جديدة.

وأما التراكيب النحوية، فلكونها من الثوابت، فإنها كالأركان من البيت، لها في كل لغة صياغة محددة، ونظم محدد متميز، ولا سيما إذا ابتعدت لغة عن أخرى أسرةً، وانتماءً، فما تقديم الصفة على الموصوف، أو الموصوف على الصفة أو العدد على المعدود، أو المعدود على العدد مثلاً ،إلاّ أسس غائرة الجذور في الثقافة التي تتميز بها عقلية عن عقلية في هذه المجموعات الأممية واللغوية. والتمايز النحوي بين اللغات أشد ثبوتاً من التمايز البلاغي معياريا، حتى إن المرء ليستطيع أن يستعير من لغة بعيدة عن لغته كثيراً من تشبيهاتها ومجازاتها وأمثالها، وأساليبها، لكنه يصعب أن يستعير من تلك اللغة قوالبها التركيبية النحوية دون أن يُخِلّ إخلالاً يؤدي إلى عدم الفهم في تلك اللغة المنقول إليها.

وقد أدرك المعياريون القدماء ما بين الكلمات والجمل من تفاوت في درجة العاطفة والانفعال، فالكلمات قد تكون دالة على درجات من الحب (الهوى، والعلاقة، والكَلف، والعشق، والشغف، واللوعة، واللاعج، والجوى)[٤٩] أو درجات من الكره (البغض والقِلى، والشنف، والشنأ، والمقت)[٥٠]، فكأنما كل لفظة قد عُبّئت بدرجة انفعالية أقل من أختها أو أكثر. ومثل ذلك يقال في درجات الشجاعة والجبن، والكرم والبخل،

والحرارة والبرودة.

وأدرك المعياريون كذلك أهمية المحيط الخارجي للنص والوسط الذي قيل فيه، كالظرف السياسي والاجتماعي والثقافي، فسورة "الكافرون" مثلاً تفسّر في ضوء معرفة بأسباب نزولها ممثلة في مفاوضة الكافرين اليائسة للرسول صلى الله عليه وسلم، في أن يعبدوا إلهه، في مقابل أن يبادلهم ذلك بعبادة آلهتهم. وهكذا كانت أسباب النزول في القرآن الكريم كله،على درجة كبيرة من الأهمية في تفسيره. ومن ذلك تفسير القرآن في ضوء معرفة منهم بالناسخ والمنسوخ. وقد كان الشعر يفهم في ضوء معرفة بما يروى من ظروف قيل فيها، كالظروف التي أحاطت بمعلقة عمرو ابن كلثوم(٥١) وغيره،والظروف الاجتماعية والنفسية التي في ضوئها فُهم شعر الصعاليك(٥٢).

وكانت الألفاظ تأخذ مدلولها من الوسط الثقافي لاستعمالها، فالعلة: المرض، والعلة الأولى في سياقها الفلسفي الأصل أو المسبب للوجود، والعلة في السياق النحوي تفسّر السبب في الرفع أو النصب... وقد لاحظ المفسرون اختلاف القَسَم من سورة إلى أخرى، ومن استعمال إلى آخر، بما يتناسب مع مقام حديث القسم، كالقسم بمواقع النجوم، والقسم بالليل إذا يغشى، وبالشمس وضحاها، إلى غير ذلك من المداخل القسمية التي تنسجم مع طبيعة الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات اللاحقة. وقد كانت الأمثال لا تفهم من خلال مفرداتها وجملها فحسب، وإنما فُهمت من خلال سياقاتها المقالية والمقامية على حدّ سواء، ويراعى في ذلك ما فيها من حذف ونبر وتنغيم يضفيه مدى التطابق بين أصل المَثَل وما ضُرب له. ولعل من أوضح الأمثلة على مراعاة السياق المقالي في تقدير المحذوف من الكلام، أن نرى

نحوياً من الأوائل كسيبويه يقدر المحذوف من الكلام بناء على ما ظهر منه، وقد فصّل القول في تقدير ما حُذِف من عبارة " الناس مجزيون بأعمالهم، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ" و "المرء مقتول بما قتل به، إن خنجراً فخنجرٌ وإن سيفاً فسيف"(٥٣). وأدرك السياق المقامي كذلك بمعالجة أمثلة متعددة على الحذف المقامي، من نحو قولك " إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج، قاصداً في هيئة الحاج، فقلت: مكةَ ورب الكعبة، حيث زَكِنْتَ أنه يريد مكة، كأنك قلت: يريد مكة والله"(٥٤). فالكلام مرهون بما يحقق الفائدة منه، " فما كانت فيه فهو جائز"(٥٥).وهذه مفاهيم تعالج عادة فيما يسمى "نحو النص".

ومن وسائل تحقق الفائدة السياق المقامي، أو لسان الحال، على حدّ تعبير ابن هشام. قال: " والكلام ما تحصل به الفائدة، سواء كان لفظاً أو خطاً، أو إشارة أو ما نطق به لسان الحال"(٥٦). ومن لطيف ما التفت إليه المعياريون القدامى القيمةُ الكامنة في أدوات الصدارة التي تُؤدي ما يُطلق عليه المُحْدَثون أدوات الإظهار والتوكيد Topicalisierungspartikel(٥٧) كالقصة التي تروى عن الكِندي المتفلسف إذ سأل أبا العباس عما حَسِبه حشواً في كلام العرب، فقال: أجد العرب يقولون: عبدالله قائم، ويقولون: إن عبدالله قائم، ويقولون: إن عبدالله لقائم. فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال له أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ. فقولهم: عبدالله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم إن عبدالله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقوله: إن عبدالله لقائم، جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرّر المعاني(٥٨).

ولم يغب عن المعياريين البعد الاجتماعي في تفسير بعض الظواهر

اللغوية ، كالتداخل اللهجي، ومن ذلك أن يتأثر أحد بلهجة مجاورة للهجته، فيستعمل لفظتين: إحداهما من لهجته الأصلية والأخرى من اللهجه المجاورة. يقول ابن جني:" فإنّ أَخْلَق الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين، لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسعة تصرف أقوالها، وقد تكون لغته في الأصل إحداهما ثم استفاد الأخرى من قبيلة أخرى، وأطال بها عهده وكثر استعماله لها، فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى"(٥٩).

مآخذ على المنهج المعياري:

هل تَعْدَم الحسناءُ ذاما؟

تعرّضت جهود النحاة إلى ما كلف اللغة كثيرًا؛ فقد استخلصوا قواعدهم من الشّعر والنثر على حدّ سواء، وربّما غلّبوا شواهد الشعر على النثر، بحكم أن التوثّق من مدى انتماء النص الشعري إلى عصر الاحتجاج اللغوي أضمن من القدرة على التوثق من انتماء النثر العادي لذلك العصر، إذ الشعر يحميه إلى حدّ ما، وزنه وقافيته. وبحكم أن الشعر أُحكِم خلْقه نظماً وصياغةً، وأن الشعراء كانوا أكثر من سواهم قدرة على التعبير الجميل. وكان من همّ القدماء- وهم يبحثون في إعجاز القرآن- أن ينظروا في آفاق الشعر: كم ترتفع آفاق التعبير القرآني عما دونها من آفاق التعبير الشعري(٦٠) ؟ والبحث في الإعجاز القرآني كان من أهم مطالب الدرس اللغوي.

غير أنّ الشعر له خصوصية نابعة من تحكّم الوزن والقافية، ولذا كثرت الخصوصّيات فيه، من تقديم وتأخير وحَذف وحَشْوٍ، إلى غير ذلك ممّا جَعَل

قواعد اللغة تتضخم، حتى تستوفي الأشكال المتعددة التي جاءت بها الضرورات، وهي كثيرة، تحدّثت عنها كتب النحو، كالضرورة الحسنة في صرف ما لا ينصرف وقصر الممدود ومد المقصور، والضرورة المستقبحة التي تستوحش منها النفس، كردّ كلمة مطاعم إلى مطاعيم أو عكسه، ومنها الزيادة المؤدية إلى لبس، كما في: انظر، حين تصبح بالضرورة: انظور، أو الضرورة التي يترتب عليها نقص مُجْحف، كأن يقال في: المنازل: المنا[٦١]. ولو كان الأمر موكولاً إلى لغة النثر وحده، لما احتاج المقعّدون إلى كل هذا الفيض من القواعد، ولما احتاجوا إلى النّص على أنّ هذا من باب الضرورة الشعريّة، أو اختلفوا في ذلك: أهو ضرورة أم ليس بالضرورة؟ وَلَما عانت كتب النحاة ولا سيما الأوائل منهم، مما احتشد فيها من قواعد تحتاج إلى نَخْل وغرْبلة لاستخلاص ما يحتاجون إليه في الاستعمال العاديّ أو النّثريّ للّغة.وما تزال العربية _ فيما أحسب_ تحتاج إلى جهود مخلصة، تصطفي ما يحتاج إليه الناثر دون الشاعر.

لقد استسهل النحاة الاستشهاد بالشعر لسهولة حفظه، واستشهدوا بالقرآن الكريم لأنه الهدف الأسمى من كل هذه الجهود النحوية ، ولأنه محفوظ في الصدور وفي السطور. وأمّا خطب العرب وقصصهم ورسائلهم وسائر كلامهم فقد تطرّق الشّك – في الغالب الأعم- إلى مدى الالتزام برواياتها بلفظها. وحُقّ لهم ذلك ، بيد أن هذا فوّت علينا أن نقتصر على الصورة الوظيفية للغة. وكم تمنى المرء لو أن المقعّدين تخيّروا لقواعدهم، توضيحا لها أو استدلالاً عليها بأمثلة مما ورد إلينا من نثر أموي أو عباسي،

أو حتى من كلام عادي للأعراب الذين كان يُطمأن إلى صفاء لغتهم بحكم عُزلتهم، حتى بعد منتصف القرن الثاني الهجري، وربما إلى القرن الرابع الهجري، فقد كان هذا أولى من أن تترك القواعد دون شواهد،أو أمثلة، أو أن يمثل عليها بجمل مصنوعة باهتة المعنى والمضمون، وربما غير قابلة للفهم أحيانا.وهي غير قليلة نجدها مبثوثة في كتب النحو، على أنها أمثلة "الدُرْبة المتعلّم"، من نحو: ظننت بناء الدار الساكِنها المعجبُه القائم عنده الذاهبُ إليه أخواه مُعجبا بكراً(٦٢).

ولا بأس في دراسة القواعد اللغويّة التي تلزم في صَوْغ الشعر. أمّا أن يكون التقعيد على النثر والشعر بنتوآته وضروراته الكثيرة، دون مَيْزٍ بينهما، فهو مما أثقل اللغة، وأثقل على المتعلم، وأثقل الأمر على النّحاة أنفسهم؛ إذ احتاجوا إلى كثير من الحِجاج والجَدَل والعلل الأوَل والثواني و الثوالث، وإلى التعليل والقياس والمنطق والفلسفة أحيانًا(٦٣)، لإثبات مشروعية القواعد الكثيرة التي ناءت بحملها كتب النّحْو والصّرف المطوّلات، كالكتاب لسيبويه والمقتضب للمبرد والأصول لابن السراج حتى لقد تسلّلت هذه أحيانًا إلى المختصرات والكتب التي تعلّم الناشئة، كالجُمل للزجاجي والإيضاح لأبي عليّ الفارسي،.فكثير من هذه القواعد لا يلزمهم في أداء الوظيفة التواصلية العادية للغة. وقد أثبتت دراسات إحصائية قام بها عدد من طلبتي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، حول قواعد الحال، والمفعول المطلق، والفاعل، ونائب الفاعل، والمفعول به، ونواصب الفعل المضارع، والمبتدأ والخبر، والنعت، وقواعد المصدر، والمشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية، واسم الآلة، فكانت القواعد المستقاة من كل باب من كتب النحو والصرف، أضعاف

ما يحتاج إليه المرء من قواعد وظيفية. فالقواعد التنظيرية الواردة على كل باب تعد بما يتجاوز مئة قاعدة، وقد تصل في بعض الأبواب كالحال، والمبتدأ والخبر، إلى مئات القواعد والتقريرات النحوية، وأما القواعد اللازمة وظيفياً فلا تتجاوز عشراً إلى عشرين قاعدة في الباب الواحد أو حتى دون ذلك. فإذا أراد مدرس اللغة أن يقدم للناشئة درساً في اللغة، حار أمره، ولم يسعفه إحصاءٌ يقوم في تحديد نتائجه على مبدأ الشيوع، فلجأ إلى تخمين المهم من القواعد، غير أن تخمينات المدرسين تتفاوت تفاوتاً واضحاً(٦٤).ولا أدل على ذلك من تفاوت الكتب المدرسيّة تفاوتاً كبيراًفيما تقدّمه للناشئة في التعليم المدرسي(٦٥)، منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا.

ومما أثقل النحو والصرف أيضا هذه المسائل التي "وضعها النحويون للرياضة، ولضَرْبٍ من تمكين المقاييس في النفوس، كقولهم: كيف تبني من كذا وكذا ؟ وكقولهم: ما وزن كذا ؟ وتَتَبعهم في ذلك الألفاظ الوحشية، كقولهم: ما وزنْ عزويت، وما وزن أُرونان ؟ وكقولهم في باب ما لا ينصرف: لو سميت رجلاً بكذا، كيف يكون الحكم ؟ وأشباه ذلك"(٦٦). هذه أسئلة طرحها عبد القاهر الجرجاني على لسان من يهاجمون علم النحو، ثم قال في الإجابة عنها: " قلنا لهم: أما هذا الجنس فلسنا نعيبكم إن لم تنظروا فيه ، ولم تُعنَوا به، وليس يهمنا أمره، فقولوا فيه ما شئتم وضعوه حيث أردتم"(٦٧).

لا شك أن آراء النحاة تتنوّع تنوّع اختلاف، أو حتى تنوّع تضاد أحيانًا، لكن هذا التنوع منوّط باختلاف تفسير النص، وهذا طبيعي مألوف في كثير من النصوص في لغات أخرى، أو هو تنوع مرده التعليل. والتعليل ليس ملزمًا في معظم العلل التي تقدّم، فحين يُقَال في جملة من نحو: زيد زارني، فإن إعراب: زيد: مبتدأ،

أو فاعل، على اختلاف البصرين عن الكوفيين المعروف في ذلك. وهذا لا يغيّر من الأمر شيئًا، لا في شكل الجملة ولا في معناها، وإنما هو اختلاف في توجيه الإعراب. أما النمط أو المعيار فهو ثابت في الاستعمال، ولا يؤثّر – بعدئذ – أن تعربه على هذا النحو أو ذاك.

ولعلّ من أهم ما ألزمهم بالعلة النحويّة، الرغبة في اطّراد القواعد، والسعي إلى تسويغ مقنع بذلك. فالرفع مثلاً جعلوه علامة على الفاعلية والنصب علامة على المفعولية. وفي هذا نوع من توظيف الأشكال اللغويّة توظيفًا معنويًا، وقد قرّروا أن كلاً منهما: الفاعل والمفعول به، يحتاج إلى العلامة التي تميّزه عن الآخر، حتى لو تبادلا الرتبة فقُدِّم أحدهما على الآخر. وهنا يطرح النحوي سؤالاً عن علة رفع الفاعل مع الفعل اللازم الذي لا يحتاج أصلاً إلى مفعول به، فتكون الإجابة: إنها الرغبة في اطراد قاعدة الفاعل مع الفعل المتعدي، على الفاعل مع الفعل اللازم، فظلّت علامة الرفع ملازمة للمتعدي واللازم، من باب السعي إلى اطراد القاعدة(٦٨).

ولكن هذا التوظيف لعلامة الرفع مع الفاعل، والنصب مع المفعول، قد ألزم النحاة في أن يعدّوا بعض أنواع المفعول به فاعلاً في نحو: سقط الحائط، ومات الرجل، فالحائط قد وقع عليه فعل السقوط فهو مفعول به في المعنى، والفعل مبني للمعلوم –لا للمجهول– والفاعل مسند إليه، فهو فاعل بالإسناد وبالرتبة وبالحركة، لكنه مفعول به في المعنى. ولذا عدّه النحاة فاعلاً شكلاً، وإن كان في المضمون مفعولاً به(٦٩).

ولكن المضمون – وهو الغرض الأسمى للأداء اللغوي– يظلّ حاسمًا

حين يقع اللبس. قال المبرّد: " وفي كل مسألة يدخلها اللبس يقرّ الشيء في موضعه ليزول اللبس، وإنما يجوز التقديم والتأخير فيما لا يُشْكل "[٧٠]. وعلى هذا فإنه لا يجوز: ضَرَب هذا هذا، على التقديم والتأخير لحصول اللبس، ولكنه يجوز أن يُقَال: ضربتْ هذا هذه، لمطابقة الفاعل لفعله.

وحتى يستوي لديهم بناء القاعدة فقد يحتاجون إلى معايير متعددة، ومن ذلك:

- معيار الأصل والفرع، فالأصل مثلاً أن يقوم الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به كما في نحو: ضرب زيد عمرًا، فإن تقدّم المفعول اعتمادًا على الحركة الإعرابيّة، وذلك إبرازًا لغرض بلاغي، فهذا هو الفرع، لا الأصل، كما في ضرب عمرًا زيد، فإن حدث لبس في نحو: ضَرَب عيسى موسى، كان لا بدّ من الترتيب، وبذا يتحتّم أن يكون عيسى هو الفاعل وموسى مفعول به، ولا يشفع الغرض البلاغي هنا لتقديم المفعول على الفاعل، إلا على سبيل "الاشتغال" وذلك بتقديم المفعول مع وجود الضمير العائد عليه، وقد يكون المعنى العقلي هو الأصل، فإن قيل أرْضَعَت الكبرى الصغرى، أو أرْضَعَت الصغرى الكبرى، فالمعتمد في جواز التقديم والتأخير ليس على الحركة الإعرابيّة، وإنما على القرينة العقلية، إذ الكبرى هي التي تُرضع الصغرى، وليس العكس.

وقد زاد من عبء الدرس اللغوي كثرة التعليلات، وقبولها على علاّتها، فكان من الغلو في قبول هذه العلل ما قاله ابن جني: "ولست تجد شيئا مما علّل به القوم وجوه الإعراب إلا والنفس تقبله، والحس منطو على

الاعتراف به(....) فجميع علل النحو: إذاً مواطئة للطباع"[٧١].وقد أدرك القدماء ذلك، فالزجاجي يقسم العلل إلى علل تعليمية يُتوصّل بها إلى تكلم كلام العرب، وبها يُضبط، وعلل قياسية، وثالثة جدلية، ومثال العلة التعليمية أن يقال لمن يسأل:بم نصبتم زيداً في:إن زيداً قائم ؟ فتكون الإجابة: نُصب بـــ"إن"، فعلّة النصب"إن" التي تنصب الاسم وترفع الخبر. هكذا ورد النصب عن العرب.

ومثال العلة القياسية أن يقال:"لم وجب أن تنصب "إنّ" الاسم؟ فتكون العلة قائمة على قياس وضع نحوي بوضع نحوي آخر، كقياس "إنّ" واسمها وخبرها بالفعل المتعدي إلى مفعول به " فحُملت عليه فأعملت إعماله لّما ضارعته. فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظاً، والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظاً، فهي تشبه من الأفعال ما قُدّم مفعوله على فاعله نحو: ضَرَب أخاكَ محمدٌ، وما أشبه ذلك". فالعلة القياسية تقوم على قياس نمط تركيبي بنمط تركيبي آخر، أو ظاهرة بظاهرة أخرى تشبهها وتفسرها. وأما العلة الجدلية فهي أشد بُعدا من سابقتيها عن المستوى التعليمي. قال الزجاجي:في مثال (إنّ) وأخواتها: فمن أي جهة شابهت هذه الحروفُ الأفعالَ ؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟أبالماضية،أم المستقبلة، أم الحادثة في الحال، أم المتراخية ؟ أم المنقضية بلا مهلة؟ وحين شبهتموها بالأفعال لأي شيء عدلتم بها إلى ما قُدّم مفعوله على فاعله نحو:ضرب زيداً عمرو...؟". ويمضي الزجاجي في أسئلة أخرى عديدة، إلى أن يقول: "وكل شيء اعتل به المسؤول جوابا عن هذه المسائل فهو داخل في الجدل والنظر"[٧٢]...

ويبدو أن عوامل متعددة قد أذكت في النحاة روح الاستكثار من النوعين الأخيرين من العلل: القياسية والجدلية، فقد مضى زمن طويل على البدايات العملية لنشأة النحو عند الأوائل، وازدهر الفكر الفلسفي والجدل بين علماء الكلام وأصحاب الفِرَق والمذاهب والأديان وشُرّاح الكتب النحوية والفقهية من المتأخرين، فدبّجوا مصنفاتهم بمزيد من العلل الجدلية والأقيسة التجريدية، حتى تضخم بذلك الدرس اللغوي، واشتغل الناس بالشروح وشروح الشروح والحواشي على الشروح. وربما تملّك بعضَ النحاة وهم يعللون القواعد اللغوية إحساس فلسفي كوني-ليس لغويا- مفاده أن العلة موجبة لمعلولها وهي ترتبط به وجودا وعدما، وأن لكل قاعدة علة تقتضي أن تُكشف ويُبان عنها، مع أن ظاهر الأمر من تفكير بعضهم يوحي بميزهم بين العلة الفلسفية الوجودية الموجِدة لمعلولها، والعلة اللغوية الاجتهادية التي قد تصح أو لا تصح. لكن الممارسة العملية توحي بغير ذلك. قال الزجاجي:" إن علل النحو ليست موجبة، وإنما هي مستنبطة أوضاعا أو مقاييس، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها"[٧٣]. ولو كانت العلل اللغوية كالعلل الفلسفية أو المنطقية ، تدور مع معلولها، لكانت اللغات كلها تلتقي على علل واحدة، أو لكانت إحدى اللغات تنفرد دون سواها من اللغات بهذه العلل. ولست أدري: هل كان استشعار النحاة لبقاء العربية لغة معيارية دائمة البقاء، قد حملهم على ربط العلل الفلسفية بالظواهر اللغوية، ولا سيما أن كثيرا منهم كان على دراية بعلم الكلام والفلسفة والمنطق؟

وقد بالغ بعض النحاة في تقييد اللغة، فلم تكن الثوابت لديهم هي الثوابت من نَحْو وصرف، بل تجاوز الأمر ذلك إلى تثبيت المتغيّرات؛ إذ صَفّد بعضُهم الخيالَ البلاغيّ في أغلال من التعبيرات الثابتة، فإنْ قلت: لفت الانتباه، قالوا: لا، بل قل: استرعى الانتباه، ولا يقال: تنزه إذا خرج إلى البساتين، فالنزهة لا تعني القعود في الخُضر والجنان، وإنما الابتعاد عنها، والصواب ما ذهب إليه الدينوري[٧٤] في أدب الكاتب من لَمْسٍ لمعنى التطور التاريخي لهذه الكلمة، إذ التنزه ابتعاد عن البيوت والمنازل، ولكنه أصبح يعني الاقتراب من الجنان والبساتين.

وقد قيّدوا معاني المفردات لتكون حصرًا فيما حلّ بها من معانٍ قديمة، فإنْ اكتسبت معنًى لاحقًا، قالوا على سبيل التحفظ: هذا مولّد من المعاني أو مولّد من الألفاظ. قال الجوهري في كلمة مولّد: " عربية مولدة، ورجل مولّد، إذا كان عربياً غير محض" [٧٥]. وقال ابن منظور: " سمي المولّد من الكلام مولداً إذا استحدثوه و لم يكن من كلامهم فيما مضى "[٧٦]. وقد كان هذا منهج الجوهري في جمع ألفاظ الصحاح، قال:" فإني أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة"[٧٧] وهكذا كان شأن كثير من المتغيّرات الفنّية، وكثيرٍ من المعاني المستحدَثة، قال الأصمعي في شعر المتأخرين: "خَرّق خرّق" حين علم أنه متأخر، وكان قد قال فيه معجباً، قبل أن يعلم أنّه لأهل زمانه:هذا هو الشعر ! [٧٨].

وهكذا كان للمعياريّة العربيّة تطبيقاتٌ قد تسيء إلى أهدافها وما ترمي إليه، وتحفز_ باسم الحِفاظ على العربيّة_ من يَثِبُ في وجوه الناس

مُخَطِّئًا إياهم فيما لا ينبغي أن يُخطِّؤوا فيه بالضّرورة، لاحتماله وجهًا من الصّواب، و قد حفل بذلك كثير من الكتب التي تعالج ظاهرة اللحن ، فيما عُرف من كتاباتهم باسم " قل....ولا تقل". ومن طريف ما انطوت عليه جهود هذا الصنف من المعياريين، أن تصدّى لهم من يخطّئهم فيما خطّؤوا الناس فيه[٧٩]، معتمدين على طاقة التعليل لديهم في شمول ما لم يجزه التعليل لدى سواهم، أو لرجوعهم إلى لهجات وشواهد لم يقف عليها سواهم، أو لم يعتمدوها في تقعيدهم.

المعيارية وأسباب اللحن:

ولو أوجزِ القول في هذه الظاهرة لرأينا أنها تكاد تنحصر في أسباب ثلاثة: فثمة لحنٌ نابع من تحكيم مستوى لهجيّ في مستويات لهجيّة أخرى، فيحكم على ظاهرة لهجيّة بأنها لَحْن موازنة بما ورد في لهجة أخرى. فالقبائل قد تستعير بعض ألفاظها من قبائل أخرى، قال السيوطي: " لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسَعَة تصرّف أقوالها، ويجوز أن تكون لغته (أي لغة الآخذ من قبيلة أخرى) في الأصل إحداهما(أي إحدى لفظتين) ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى، وطال به عهده، وكثر استعماله لها، فلحقت بطول المدة، واتصل الاستعمال بلغته الأولى"[٨٠]. وهذا النّوع لا يَحْسُنُ أن يُعّدّ لحنًا، مادام ينحدر في مرجعيّته من لهجات فصيحةً، كما هي الحال في: خطّأ تخطيئًا، عند مَن يهمز، وخطّى تخطية،لدى مَن لا يهمز. و"مصيطر"، بالصاد، وهو تطور بتأثير من الطاء المفخمة على السين المرققة، و"مسيطر"، على الأصل. أمّا إذا كانت الظاهرة من لهجات[٨١] بعيدة عن معيار الفصاحة[٨٢]. مكانًاً وزمانًا كما هي الحال في ظاهرة الطمطمة أو

الطّمْطمانيّة(نُطْق "ال" التعريف بالميم كما في: "امبيت" بدلاً من البيت..)أو الكَشْكَشَة (التقليل من انفجاريّة الكاف بإشرابها قدرًا من الشّين، في مواطن محدّدة، كما في "كتابكِ" للمؤنّثة دون المذكّر، فإن أُشرِبَت سينًا سمّيت كَسْكَسَة)، أو العَنْعَنَة (نُطْق الهمزة عينًا أحيانًا، كما في "مسألة و مسعلة") أو الاستنطاء (أنطى بدلاً من أعطى) فهذه لا تُتخذ معيارًا ،بل هي مَيل، أيْ لحن أو انحراف عن المعيار اللهجيّ الذي سُوّد واعتُمِد ، وتمثل ذلك في "نشوء القواعد والمعايير المدرسية النحوية التي أرست دعائم النظام النحوي على نحو لا يقبل التبديل، ووفقا لهذا النظام أصبح ينظر إلى كل تغيير بوصفه خطأً أو انحرافاً"[٨٣]. واللّحن في أصل معناه: الميل والانحراف عن المعيار[٨٤]. وهذا الشّقّ من اللّحن خطير على وحدة اللّغة.

وثمة لحنٌ نابع من اختلاف نطق العرب للكلمات الأجنبيّة، كأنْ تسمع الآذان العربية الأصوات الأجنبية بطرائق مختلفة، وكلّ يستصوب النطق الذي نطق به، ويستهجن ما سواه أو يخطّئه، كأن تُنطَق أسماء المدن أو البلدان أو الأشخاص أو الأشياء، غير العربيّة، فيقال مثلاً: برتقال، وبردقان، وبرتقان[٨٥]... وحالة كهذه تستلزم _في التخطيط اللغوي _ أن يُتَّخذ شكلٌ نطقيّ واحد، وفق معايير محددة[٨٦]، فيُعَمّم ويُطَّرح الباقي،ليقتصر ذكره على التوثيق التاريخي لوجوده، وهنا تظهر أهمية المجامع والمؤسسات الثقافيّة المخوّلة بوضع المعايير المناسبة للاختيار، وهي تملك أن تعممها بين الناس.

وتَظْهر كذلك أهمية المنهج التاريخي المقارن في دراسة اللغات، فاللغات لا تعرف النقاء، ولا بد لها من الأخذ والعطاء، ومن هنا تشتد الحاجة إلى هذا المنهج التأصيلي الذي يسعى إلى بيان أصول الظواهر اللغويّة،

في رحلة الغموض التي تلف تاريخ اللغات والثقافات على حدّ سواء. ولا ينبغي أن يحال بين العربية أو غيرها وبين ما يدخل إليها من مفردات اللغات الأخرى، على أن يكون ذلك بوعي يلبي مطلبا وظيفيا، بالوقوف على أصول هذه الظواهر، وعلى أن يكون وفق معايير "الجرعة المقبولة" وبشروط اللغة المستعيرة،حتى يكون الداخل إلى اللغة داعما لها، لا مفسدا لأصول بنائها، إذ العبرة باستيعاب هذه الأجسام اللغوية الوافدة، وليس بطردها.

وثمة لحن نابع من اختلاف نطق غير العرب أو من جاورهم من العرب[٨٧] ، لكلمة عربية، كأن تنطق الألفاظ العربية التي فيها صوت كالعين أو الغين، همزةً مثلاً ، ومثل هذه تُرَدّ إلى نطقها العربيّ السليم، ويُنبّه لذلك، ولا سيما في أوساط الناطقين بغير العربيّة. وهذا النوع من اللّحن خطير كذلك على وحدة اللّغة. وقد بين السيوطي أن اللغة لم تؤخذ عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، "فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان وإياد، لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية" [٨٨]، ومع ذلك فقد تأثرت العربية بالأمم المجاورة وأدى ذلك إلى هذا النوع من اللحن.

ومادام الحديث عن المعيارية: شامها وذامها، حسناتها وعيوبها، فإن المرء ليرى من حسناتها كيف تنبهت هذه المعيارية في تبويبها للدرس اللغوي إلى معاني الأساليب، كالشرط، والتوكيد، والإثبات، والنفي، والقسم، والتمني... وتحدثت عما يمكن أن يُعدّ تفكيكاً للتراكيب التي تتكون منها الجمل بالحديث عن: الفعل،

والفاعل، والمفعول، والمبتدأ، والخبر... وما بينها من روابط كالإسناد، والفضلة والعمدة، والأصل والفرع، والعامل والمعمول[٨٩].

وقد أتمت نظرية النَظّم لدى عبد القاهر الجرجاني كثيراً من الترتيبات النحوية التي أكسبت الفكر اللغوي امتيازات رفيعة، ومع ذلك كله فإن المرء لينتابه إحساس بأن النحو قد أصابه قدر من التفكيك، الذي لم يساعد في لملمة الصورة التواصلية الوظيفية التي ينبغي أن تقوم بها اللغة.فالتعبير عن الزمن في العربية نجده معالم شاحبة موزعة، في صورة شذرات مشتّته لا تنضبط تحت عنوان واحد. وحتى أسلوب تقليدي كالتوكيد، نراه وقد تشظّى ،فعولج التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي في باب، وأما التوكيد بالأداة نحو " إنّ " ولام الابتداء وضمير الفصل والقسم ونوني التوكيد... فهذا كله موزّع هنا وهناك في كتب النحو والبلاغة.

مَعْيرة اللّغة في ضوء البحث عن انسجام الشكل والمضمون

ومما أوجع الوظيفة التواصلية للغة في تفكير المعياريين، أن راحوا يبحثون عمّا يثبت انسجام المضامين مع الأشكال النحوية،من رفع أو نصب أو جرّ أو جزم. فإن قال قائل مثلا من باب الشرط: من يدرسْ ينجحْ، فجَزَم الفعلين، فالجملة شرطية، وإن رفع فالجملة تُحمل على باب الصلة، فكأنما المعنى: ذلك الذي يحقق شرط الدراسة هو الذي ينجح، أو:الشخص الذي يدرس هو الذي ينجح، على سبيل الإخبار أو" التعريف" ونقل الحقيقة. وعليه فإن قول الشاعر:

"ومن يَميل آمال السيف ذروته"[٩٠]

لا يُعد جملة شرطية، وذلك لأن "مَن" لم تجزم الفعل "يميل". أما إذا كان الفعل ماضيا، نحو: مَنْ درس نجح، بفعل ماض، في الشرط والجواب، فهذه الجملة يتوافر فيها ما يتوافر في جملة الشرط وجملة الصلة، لأن الفعلين ماضيان فلا يظهر عليهما الجزم الذي هو من خصائص الشرط، ولا الرفع الذي يصاحب الصلة. ولذا كان الأمر فيها محمولا على نية القائل، وهذا ما يحدث على الأقل في نظام الكتابة الذي لا يُظْهر تنغيم الجملة صوتياً، إذ المفترض أن تنغيم الجملتين نطقا مختلف.

ولا يكاد يخلو درس نحوي من مفارقات بين مقتضيات المعنى والتفسير الشكلي من نصب أو رفع أو جرّ أو جزم. وعلى هذا ففي الشرط يقال: أدرس تنجحْ (بالجزم) فتنجح محمولة على الشرط بأداة شرط محذوفة(٩١)، على ما ذهب إليه سيبويه والمبرّد من النحاة الذين ورد ذكرهم في الحاشية(٩١). فكأنما الجملة: ادرسْ، فإن تدرس تنجح، فإن قيل:ادرس تنجحَ، بالنصب، فعلى تقدير أداة نصب، كما لو كانت الجملة:ادرس لتنجح ،على إضمار" أن"، وإن قيل: ادرس تنجحُ، فكما لو كانت الجملة: ادرس، فأنت تنجحُ (٩٢).

ومن طريف مفارقات الشكل والمضمون، أن النحاة حملوا جملة من نحو:أمّا عبدالله فمنطلق، على الشرط، وقال الخليل في تفسير مضمون الجملة إنها تعني: مهما يكن من أمره فمنطلق(٩٣)، مع أن "أما" لا تحمل معنى الشرط، وإنما هي أداة تفصيل. ولكن وقوع الفاء في تركيبها، شكلاً، أغرى النحاة بعدّها شرطا ثم كان التأويل المرهق للمعنى. وقد وضع النحاة شرطا

"للتمييز" اصطلاحاً، فهو منصوب(٩٤)، وعلى هذا فالتمييز المجرور لا ينطبق عليه شرط النصب في نحو: رأيت ألف رجل. إذ رجل، تمييز في المعنى دون المصطلح.

والمفعول لأجله اصطلاحاً ينبغي أن يكون منصوباً، نحو: صَمَتّ إجلالا للقرآن، فإن جُرّ فقيل: "لإجلال"، خرجت من باب المفعول لأجله اصطلاحاً (٩٥)، مع أنها تظل معنى مُبيّنة للسبب الذي من أجله سمي هذا" المفعول " مفعولا لأجله. والمفعول به (معنى) سُمي فاعلا في نحو: انكسر الغصنُ، لأنه أخذ حكم الفاعل رفعا، ولأن الفعل أسند إليه.. ونائب الفاعل مفعول به في المعنى، وقد سمي نائب فاعل لأنه أخذ حكم الفعل شكلا، إذ هو مرفوع ، وقد أُسند إليه. والحال في نحو: وقفت أنتظر صديقي، لا تبيّن الهيئة بمقدار ما تبيّن السبب، ومع ذلك عُدّت جملة(انتظر صديقي) حالا ، وليس مفعولاً لأجله، لسبب شكلي مفاده أن الحال تأتي – على الأغلب- مشتقة، والمفعول لأجله يأتي مصدراً " (٩٦)، فإذا كان تأويل محل الجملة: وقفت منتظرا صديقي، فهي حال، وإن كان التأويل مصدراً: وقفت انتظاراً لصديقي، فهي مفعول لأجله. ومهما يكن فالجملتان بالتأويلين السابقين تبينان السبب وتبتعدان عن بيان الهيئة، ولكن القاعدة الشكلية: (الحال مشتقة (٩٧)، أو في تأويل مشتق، والمفعول لأجله جامد، أي مصدر أو في تأويل مصدر) قد جعلتهم يعدون جملة هي في المعنى مفعول لأجله- يعدونها حالا. وبذا تكون الأشكال قد تحكمت في رقاب المضامين.

إن الأمثلة لا تكاد تحصى على هذا النوع من التنميط الذي جعل

النحاة يترددون بين مقتضى الشكل والمضمون. وقد راعى النحاة المضمون في تسميتهم لكثير من أبواب النحو ، إذ مضمون التسمية النحوية، نحو: فاعل، خبر، حال ، تمييز، مستثنى، منادى؛ أوالصرفية، نحو: اسم مرة، اسم هيئة ، اسم فاعل، اسم مفعول ، اسم آلة... يدل على منطلقات تعبر عن مراعاة المضمون.

ولا يخلو الأمر كذلك من أن بعض المصطلحات،كالمفعول المطلق، نبعت تسميته من الشكل الذي جاء عليه، فالمفعول به سمي كذلك، لأنه فُعِل به، أي وقع عليه فعل الفاعل[٩٨]، وقد ارتبط بالباء. والمفعول له، أو لأجله، قُيِّد باللام ، والمفعول معه ارتبط بالواو التي هي في معنى "مع" أي: واو المعيّة، والمفعول فيه [٩٩] ، ارتبط بحرف (في) لأنه الظرف الذي وقع الحدث فيه، وهكذا ظل المفعول المطلق "مطلقاً" من أي حرف جر يقيّده في شكل التسمية [١٠٠].

و"نائب الفاعل" تسمية نابعة من الشكل، لأنه ناب عن الفاعل[١٠١] شكلا، فأخذ حركته وإسناده،ولكنه مفعول في المعنى. والمنسوخ سمي منسوخاً لأن حكمه الإعرابي شكلا ، قد اختلف عما كان عليه قبل النسخ. والفعل المضارع سمي مضارعاً لأنه ضارع الاسم[١٠٢] بحمْله علاماتِ الإعراب. و لم تشع تسميته الدالة على الزمن (الدال على الحال أو المستقبل)، لأن هذه التسمية لم تستوعب جميع دلالاته الزمنية، فهو قد يدل على مطلق الزمن، أو على الزمن الذي يعبر عن اللحظة الراهنة، فقولنا: تشرق الشمس، قد يدل على أنها الآن تشرق، أو على أن سمة الإشراق فيها سمة متكررة[١٠٣]. وفي قوله تعالى: "لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من

ظُلم"، هي نفي لمطلق الزمن، أما قولنا:لن يكرر زيد فعلته، فهي نفي للمستقبل دون الماضي أو الحال(١٠٤).

وقد مال النحاة إلى جعل أبواب النحو في عناقيد شكلية ربما لا يجمعها رابط المضمون، فحروف الجرّ ذات معان متباينة، ولكنها يجمعها أنّ ما بعدها يأتي –شكلاً– مجروراً. والنواسخ يجمعها في زُمَر أنها تُحدث في منسوخها شكلاً واحداً من الإعراب، كـــ "كان وأخواتها"، و"إن وأخواتها". وقد يجمع بينها المضمون إذا عولج النفي في باب واحد، وكذلك الاستفهام، والنداء، وقد يجمعها الشكل والمضمون، كواو العطف وفائه،وثم، فهي تعطف ما بعدها على ما قبلها شكلا إعرابيا، وهي تلتقي على مفهوم العطف والنسق مضمونا ً.ولكن كثيراً من النحاة يختلفون بين الشكل والمضمون، فالنحاة الأوائل من أمثال سيبويه والمبرد وابن السّراج والفارسي، يعدون الجزم من شروط باب الجزاء، كما سبق ذكره في الحاشية(٩١) من هذا البحث. أما النحاة المتأخرون كالزمخشري(١٠٥)، فيحشدون ما دل– مضموناً– على الجزاء في باب واحد، بغض النظر عن العمل، ولكنهم يفصّلون داخل الباب، فيذكرون الأدوات العاملة كـــ"إنْ" الشرطية، وغير العاملة كـــ:إذا، ولو. ومن الطريف أن يجمع بعض النحاة بين مقتضى الشكل والمضمون، كأن تكون أداة صريحة في الصلة، كالذي والتي والذين... في جملة من نحو: الذي يأتيني فله درهمان. فهي لاتجزم ولكنها تفيد الشرط، ولذا قيل: تضمّنت معنى الجزاء، وقد أقنعهم بذلك شكلاً، وجود الفاء في جوابها(١٠٦). وهكذا كانت قواعد النحو تشق طريقها في

رحلة صعبة من المواءمة بين مقتضيات الشكل والمضمون.

الفرق بين المعيارية العربية وغيرها من المعياريات

أحسَب أنّ المعياريّة العربيّة، بفضل السّهر المتميز على العربية، قد تمكّنت من الحفاظ على استمراريّة اللغة، فكثير من اللغات، إن لم يكن جلّها أو كلّها – ارتبط بأهداف تواصلية محدودة الأجل، بمعنى أنّ هذه اللغات تتحوّل، ولو ببطء نسبي، حتى ليكاد ينسلخ ماضيها عن حاضرها، وحاضرُها عن مستقبلها، كلما طال بها الزّمان، وكثرت عوامل التغيير.

فإذا كانت اللغة مربوطة مع الاقتصاد والأهداف التّجاريّة والسّياسيّة بحبال متينة، فإنّ هذه الحبال قد تقوّي ارتباط الناس بلغة ما، أو توهن ارتباطهم بها، فقد تجُرُّ إليها شعوبًا ليتكلموها لغة ثانية، أو ربّما تُزاحِم اللغةَ الأولى فتحلّ محلّها، كما حدث لدى كثير من المستعمرات الأفريقية أو الأمريكيّة؛ إذ تغيّرت لغاتها وحلّت محلّها لغة أو لغات بديلة.

وحتّى الأمة الواحدة ذات اللغة الواحدة، فإنّ لغتها قد تكون في ثبوتها أو تحوّلها السريع مرهونة بعوامل تؤديها اللغة، فإنْ تغيرّت هذه العوامل تغيّرت معها اللغة، على نحْو من السرعة أو البطء ، حتى غدا صعبًا على جيل لاحق من أبنائها أنْ يفهم جيلاً سابقًا، وهذا ما حلَّ بالفرنسية والإنجليزيّة والألمانيّة وكثير من اللغات، إذ يُحِسّ النّاطقون بها بشيء من انحسار الضوء الذي يمكن أن يَربطهم بوضع كانت عليه اللغة في الماضي، كلّما دَلجوا خطوةً في عتمة هذا الماضي، الذي ربّما لم يتجاوز بهم مئة عام أو مئتين عن زمانهم.

أما العربية فيفاخر أهلُها بأنها منذ قُعّدت إلى يومنا هذا، ما تزال

وستبقى مرهونة بالرسالة القرآنية، وعاءً يحملها إلى يوم الدين. وفي هذه القناعة الراسخة ينقل الزجاجي في الإيضاح ، أنّ أبا العباس المبرد قال: "كان بعض السلف يقول: عليكم بالعربيّة فإنها المروءة الظاهرة، وهي كلام الله عز وجلّ وأنبيائه وملائكته"(١٠٧). لكأن قواعدها"الثابتة" تجاوزت ما يتوقع من البعد الزماني المتحوّل للغات على المدى الطويل، لتدخل في باب "النواميس" الكونية الدائمة، مع ترك الباب "مُوارِبا" ليد التطور، لتعمل في "المتغيرات" بما يجدد اللغة، ويساعدها على مواكبة الحياة. والصورة هنا مغرية بتشبيه النواميس اللغوية الثابتة بالنواميس الحيوية للشجرة التي قد تتغير أوراقها، غير أنها تبقى محكومة في حياتها بنواميس الحياة التي تختفي وراء ما قد يبدو في مظاهر الموت، و تساقط الأوراق.

قد يُصر بعض الناس قديما وحديثا على عدم التشبث بالنحو والإعراب، ما دام أكثر الناس يتكلمون على سجيتهم بغير إعراب ولا معرفة منهم به، فيفهمون ويُفهمون غيرهم مثل ذلك". هذا ما حكاه الزجاجي(١٠٨) على لسان بعض أهل زمانه. ولا شك في أن هذه المقولة لا تنطلق قديما ولا حديثا عن مزاج معياري، وإنما عن مزاج وصفي يؤمن بالواقع اليومي المعاش للغة، وهو واقع لا يبالي من التبدل والتغيير للغة، لتبقى اللغة مربوطة بالسجية من غير حاجة إلى التعلم، ما دام الناس قادرين بها على أن يفهموا ويُفهموا غيرهم. ولكن هذه النظرة لا تُقر بها كل المعياريات، عربية وغير عربية؟ وإلا لما وجدنا تعليم كل أمة لنحوها وقواعدها، إذ يُعكف على تلقينه الأبناء في المدارس والجامعات، معيارا

يحتكمون إليه في الأداء السليم للغة معيارية حية يتفق عليها الجميع على اختلاف لهجاتهم الخاصة، وتختلف قليلا أو كثيرا عن الصعيد اللغوي الذي يتعاملون به في حياتهم اليومية. أما المعيارية العربية فهي أشد حفاظا على النمط المعياري للعربية من سائر اللغات المعيارية الأخرى.

ومهما اقتربت اللهجات التي تمثل سجية الناس في التكلم من المعيارية الفصيحة، فإن هذا لا يعفي الناس من هدف " الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدّل ولا مغيّر، وتقويم كتاب الله عز وجل الذي هو أصل الدين والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تُفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب"*

واللحن في اللغة المعيارية عند العرب له حساسية خاصة، فإن كانت اللغة آلة للتعبير عن المضامين والمعاني التي تحملها الكلمات والجمل فإن التضحية بالآلة قد يكون أعز على صاحبها من أن يُضحى بما يحتويه وعاؤها أحيانا. وهذا ما عبرت عنه حكاية عمر رضي الله عنه،إذ قال لقوم رمَوا فأساؤوا الرمي: بئس ما رميتم. فقالوا: إنا قوم "متعلمين"، فقال: والله لخطؤكم في كلامكم أشد من خطئكم في رميكم"(١٠٩) ،وعليه فإن تشبث العربية بمعايير النحو والإعراب يدخل في صلب مقومات المعيارية.

أصل العلاقة في المصطلح العربي بين المعنى الاصطلاحي والمعنى الاشتقاقي:

لقد فزعت اللغات الأوروبيّة حتى في عنفوان قوّهّا، إلى وعاء اللاتينيّة والإغريقية تغرف منهما ما لا حصر له من المفردات والمصطلحات، في شتّى أنواع العلوم، كاللغة والطب والفلسفة... مع أنّ هذه المصطلحات والمفردات لا تنتمي إلى هذه اللغات الأوروبيّة المستعيرة إلاّ بسبب بعيد، فإذا سُئِل الإنجليزيُّ أو الألمانيُّ، مثلاً، عن مصطلحات لغويّة(١١٠) من نحو Subject أو Perfect أو Imperfect فإنّه قد يَفهم معناها من خلال ثقافته اللغويّة التي اكتسبها في مراحل حياته التعليمية، ولكنّها ليست ألفاظًا لها مدلولات لغويّة، بالضّرورة، في لغته الآنية.والعربية بخلاف ذلك، إذ هي تحرص في الغالب على ما يُشبه الحبل السُّريّ الذي يغذّي العلاقة بين المضامين الاصطلاحيّة وأمّهاتها من المعاني الاشتقاقيّة اللّغويّة العادية ،التي تنبع من الجذر اللغوي للكلمات التي تلتقي على ذلك الجذر.

المعيارية العربية أشد حرصا على النقاء:

ومن الطريف أن نعرف أنّ العربيّة كانت قد مرّت بمرحلة من الضعف العلميّ، وبخاصة في مجال المصطلح؛ إذ لم يكن لها في صدْر الإسلام إلاّ ما ورثته عن عربية الجاهلية. وكانت السريانية توازي بالنسبة للعربيّة أهمية اللاتينيّة بوصفها لغة مجرّبة موازنة باللغات الأوروبيّة. ولكن العرب حين أخذوا عن السريان أو الفرس أو اليونان بعض مضامين مصطلحاتهم، عبّروا عنها بألفاظ عربيّة، وتجافوا عما هو غير عربيّ، في الأغلب الأعمّ(١١١). فإذا

كان هذا هو شأن العربيّة فيما هو من الألفاظ والمصطلحات، وهي من المتغيرات، فكيف يقبلون إدخال الشوائب الأجنبية على الثوابت العربية من أوزان صرفية أو تراكيب نحوية، مع أنّ السريانية قريبة من العربية، وهي شقيقة من شقيقاها وتشبهها في كثير من الثابت والمتغير؟ لقد ملأت الألفاظ الفارسّية كتابات بعض الكتّاب كالجاحظ في "البخلاء" من نحو: الفانيذ (نوع من الحلوى) والنشاشتج (وهو النشا) والبرنكان (نوع من الثياب) والجوارشن (نوع من الأدوية الهاضمة).. وتفشّت ألفاظ السريانية والإغريقية في بعض كتابات العلماء كالخوارزميّ[١١٢] في "مفاتيح العلوم"، فإنّ هذا كان مؤقتًا؛ إذ باد جلّ هذه الألفاظ أو أخذت هوية العربية صوتًا وبنية صرفيّة، أو استُبدِل بها نظيرات عربية، وَوُسّعت دلالاتها لتشمل المعاني الجديدة[١١٣].

وقد كان هذا شأن العربية، فهي إن أحسّت أنّ أوعيتَها قد طفح كيلُها بالألفاظ الأجنبيّة، عكفت على ما أخذته في عملية تنقية مستمرة، تعالج فيها ما داخلها، حرصًا منها على النقاء، وهي بهذا كله "ترفع من شأن من يلتزم بها، وتُعطيه مكانة ثقافية واجتماعية تتناسب ومقدار التزامه بها"[١١٤]. وبهذا أمكنها أن تقدم لمن يمتلك مفاتيحها النظَر في عمق التاريخ وأبعاد الحاضر و آفاق المستقبل، دون وحشةٍ أو عتمةٍ كثيفةٍ تواجهه. وكان توسّعها في المعمورة، أفقيًّا وعموديًّا في البُعدين: الزمانيّ والمكانيّ.

أما اللغات الأوروبية فهي لا تحرص حرص العربية على نقاء الهويّة، ولا تخشى التبدّل الذي هي سائرة نحوه أصلاً، حتّى لو لم تستعر شيئًا من اللغات الأخرى؛ لأنها مترحّلة، وسائرة إلى التغيّر بطبعها. فـــهـــذه اللغات

لا تربطها رابطة بشيء مستديم، رباطَ العربية بكتابها الخالد: القرآن الكريم.

المعجمات المعيارية المتأخرة كانت أكثر تسمحاً في استيعاب الأعجمي أو المولد:

وثمة ملحظ نفسيّ في طريقة أخذ الألفاظ والمصطلحات العربيّة، فرغم أنّ بعض اللغويين يهتمّ بنقاء ما يستعمل من ألفاظ أو معان جديدة لألفاظ قديمة، فهم يسجلون ذلك كله أو بعضه بشيء من التحفّظ، حين يدعونه مولّدًا أو أعجميًّا، ومع ذلك لم يَحْرِموا المعياريّة العربيّة – ما دام الأمر في نطاق المتغير، لا الثابت – من بعض هذه الألفاظ والمصطلحات؛ ولذا فقد كانت معياريتهم على قدر من المرونة في استيعاب مصطلحات أجنبيّة ورد ذكرها في "لسان العرب" لابن منظور، و" القاموس المحيط" للفيروزابادي، و"تاج العروس" للزَّبيديّ وغيرها. وحرصًا على الهويّة الصوتيّة والصرفيّة للعربية فقد كان يشار إلى هذه الألفاظ بما آلت إليه من مسحةٍ قرّبتها من العربيّة أو عرّبتها. وعليه فإنّ من السهل أنْ يُوقَف بهذا على بعض ما يفسّر هذا التباين بين حجم المعجمات المبكرة التي تتمسك بإيراد الألفاظ العربية الصحيحة، كالصحاح للجوهري، وبين المعجمات المتأخرة زمنيًّا كاللسان لابن منظور أو التاج للزَّبيديّ. وقد كثر في هذه المعجمات المتأخرة أن تورِد كثيراً من المعاني بأسلوب فيه مظنة الشك في أصالة الاستعمال، إذ يُقدّم لإيرادها بعبارات من نحو: ويقال، وقيل...

إنّ الملحظ النفسيّ الذي أشير إليه ليفسر كيف ظلّ المعجم العربيّ التراثيّ يلوذ مُسْتحييًا من أن يتضمّن ألفاظًا أجنبيّة، أو أعجميّة، على حدّ

تعبيرهم، وكيف أنّ معجمًا لا يوجد لدى صاحبه هذا الملحظ النفسيّ كالمستشرق الهولنديّ دوزي R.Dozy في " تكملة المعاجم العربيّة "، الذي أصبح يفتح الباب قصْدا على مصراعيه لِلَمّ ما دخل إلى العربيّة من ألفاظ ومصطلحات، يَسْتقيها من عصور ما بعد عصر الاحتجاج اللغويّ، ككتب الطب والنبات والأدوية والرحلات. قال دوزي في مقدمة معجمه: "وكانت مصادري التي اعتمدت عليها مصنفات العرب في القرون الوسطى (...) لقد نقبت عن الكلمات في مصنفات المؤرخين وأصحاب كتب التراجم مثل: محمد بن الحارث، وابن القوطية، وفي كتاب الأخبار المجموعة، وكتاب المطمح، وقلائد الفتح (...) وكذلك من مصنفات الجغرافيين والرحّالة (...) ومن الأمثال والقصص مثل: كليلة ودمنة، وقصة باسم الحداد، و ألف ليلة و ليلة (...) وقد قرأت كتب النباتيين (...) ومن كتب الأطباء (...) ومن كتب أحكام القضاء..." [١١٥]. إذن، فإنّ هذا الملحظ النفسيّ ربّما كان مسؤولاً عن شيء من الانغلاق في النظرة المعياريّة حالت دون تسجيل ألفاظ العصور اللاحقة تسجيلاً متعمداً. وهنا تبرز أهمية المنهج التاريخي الذي يكون من أهدافه المعلنة، أن يتتبع هذه الألفاظ المستحدثة، بالوقوف على أصولها، والظروف التاريخية لدخولها، وما اعتورها من تغير في النطق والمعنى، على نحو ما فصّل "فيشر" في مقدمته للمعجم التاريخي للغة العربية[١١٦].

ولِمَ لا ؟ فالألفاظ كأوراق الشجر، ينبغي أن يتساقط بعضها؛ وفي ذلك تعبير عن تجدّد الحياة في شجرة اللغة، فألفاظ تموت وألفاظ تحيا، ومعان لألفاظ تموت ومعان للألفاظ نفسها تحيا. وكم منّا مَن لا يُحِسّ بغربة عن

كثير من ألفاظ المعجمات التراثية، وكثير من معاني النصوص القديمة؟ وإلاّ فلمَ كانت المعجمات أصلاً، وما فلسفتها إذا لم ترصد الألفاظ ومعانيها على تعاقب الأزمان وتباين المكان؟. إن من المكابرة بمكان أن يُتوهم أن المعجمات المعيارية المتأخرة كاللسان والقاموس المحيط وتاج العروس، معجمات تقتصر على عصر الاحتجاج، وأن هذه المعجمات لم تحش نفسها بما تفرضه الحياة على أصحابها من طوارف ما حملته التجارب من ألفاظ جديدة، أو ألفاظ قديمة بمعانٍ حادثة.

ومهما يكن، فإنّ هذه المعيّارية العربيّة كانت إنجازًا تاريخيًّا مذهلاً، ومشروعًا عربيًّا وعالمياً فريدًا، تخلّى من أجله العرب عن لهجاتهم الخاصة، ومشروعًا إسلاميًّا شارك في بنائه جِلّة العلماء المسلمين على مدى العصور، وما تزال هذه المعياريّة منارة ترنو إليها الأنظار، بوصفها لغة الدستور الخالد، وهي لغة أقبلَ عليها العامّة والخاصّة، والعرب وغير العرب، وجعلوها معياراً مُهمّاً للتقدم والثقافة، فاتّخذوها لغة لهم دون لغاتهم، ولهجاتهم التي اعتاد الناس التمسك بها والتباهي، وجَبّوا ما سواها من تاريخهم، بما وَسِعَتهم الحيلة، وتنافسوا، ولو على كِسْرة من موائد الرحمن: آيةٍ يتلونها، أو دعاء يتعبدون به ويَتَقرّبون إلى ربّهم.

ومن الطريف، في هذا المقام، أن يذكر ما قاله مُظْهر الدين الزيداني في مقدمة كتابه "المُكمّل في شرح المفصل" مبيناً أهمية العربية حتى على ألسنة أعدائها، قال: " ما لهؤلاء الذين يعيبون العربية يتكلمون بكلام العرب عند التدريس والمناظرة، ليكون لهم مَنْصب وفَرْق بينهم وبين العوام، وليكون

لمحفلهم جمال، فإن العوام لا يقدرون على الفصاحة والتكلم بالعربية، فإذا سمعوا الفصحاء يتكلمون بالعربية تقع في قلوبهم عظمة للفضلاء، فإن صدق هؤلاءِ في ذمهم للعربية فلِمَ لم يتكلموا بلسانٍ غير العربية حتى لا يبقى بينهم وبين العوام فرق؟ فإن فعلوا ذلك يستهزىء بهم العوام ويضحكون"(١١٧).

وهكذا " استتب التأثير المعياري للمدارس النحوية العربية في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي (...) وقد أصبحت العربية لغة الثقافـــة في العالم الإسلامي، حتى إن غير العرب تعلموا طرائق استخدامها، وقد أسهموا إسهاماً جوهرياً في تحقيق وحدة اللغة التي أرسى دعائمها النحاة"(١١٨).

لقد أحسّ كل من دخل في دين الله أفواجاً–عرباً وغير عرب _ أن المشروع الحضاري الجديد: بناء الحضارة الإسلامية ، يستلزم أن تكون اللغة العربية من أهم مقوماته، ولذا كان هدفهم – منذ البداية – أن تظل المعيارية العربية المرجع اللغوي الحي، الذي ينبغي له أن يخْلد خلود القرآن الكريم، ولذا فقد هبّ المعياريون الأوائل ، لتقعيد اللغة قبل أن تتغير بفعل الزمان، حتى على ألسنة أهلها من العرب الخُلّص ، من الجيل الثاني أو الثالث. وقد كان يدفعهم إلى ذلك دافعان: تعليم العربية لأبنائها الذين أصبحت تتناوش ألسنتهم عادياتُ التطور اللغوي الذاتي للناطقين بلغة من اللغات، والتطور الناجم عن احتكاك أصحاب اللغة بسواهم. والدافع الثاني: تعليم العربية للناطقين بغيرها من أبناءِ الشعوب المفتوحة، الذين سارعوا، فيما يشبه الإعجاز، إلى التوجه الكليّ، نحو تعلم العربية، صغارِهم وكبارهم وعجائزهم وسائر أطيافهم الاجتماعية. وربما يظل لافتاً للنظر: كيف تحولت شعوب

بكاملها من لغاتها الأصلية العريقة ، طواعية إلى العربية، رغم التأخر النسبي للوسائل والإمكانات التعليمية. فالعربية ليست لغة القوة المادية التي تسعى إلى فرض نفسها على الشعوب "بسيوف العولمة"، وإنما هي "لغة عالمية" تعرف أنها ذات رسالة عالمية، فهي تتعايش- عالية القامة — مع اللهجات بلهْ اللغات، تعايشا قائما على القناعة الذاتية والاحترام ، لا الخصام والضغط الخارجي فيما يشبه القمع الذي مارسه الفرنسيون في الجزائر والمغرب وتونس والسنغال،و كما يفعل دعاة العولمة في زماننا(١١٩). ومن المحزن أن نعلم أن تعميم لغة العولمة على الشعوب المغلوبة يكون في الغالب الأعم من جيوب أبنائها، وعلى حساب أوقاتهم، إذ هم يهجرون لغاتهم التي يمكن أن تنمّى، لحساب لغة أو لهجات لم تثبت التجربة بعد، نجاحا شعبيا ونفسيا أو تربويا في تلقيها، أو تلقي العلوم بها.

ومن طريف ما يُلحظ أن غير الناطقين بالعربية لم يصل إلينا ما يشير إلى أنهم خُصّوا بكتب لغوية يُتوجه في تأليفها إليهم ، مع أن كثيراً من المؤلفين اللغويين كانوا على معرفة بأكثر من لغة، فسيبويه كانت الفارسية لغته الأم، وكذلك أبو علي الفارسي،وأبو حامد الغزالي وغيرهم.

و لم يكن همهم الهدف التاريخي الذي يبحث حقَب التطور التي مرت بها اللغة. فحسبهم من العربية ما بؤرةُ مركزه القرآنُ الكريم، ولـذا كـان اهتمامهم من لغة الجاهلية بالقدر الذي يخدم النمط اللغوي القرآني.

و لم يكن اهتمامهم وصفياً يتجه إلى الواقع المحكيّ للغة في زمانهم ، فلغة أهل زمانهم لم تكن المحور.ولذا كان وصفهم يتجه إلى اللغة المعيارية:

المكتوبة أو المنطوقة التي تصف النمط القرآني وتدور في فلكه. فإن اهتموا في زمن التقعيد بوصف المنطوق لأهل زمانهم من بعض الأعراب ، فلأن نمط لغة هؤلاء كان ما يزال معياريا يسير على النحو القرآني.

ولم يكن اهتمامهم بالموازنة بين العربية وغيرها ، مع أنهم كانوا يدركون أن كثيراً من الظواهر تلتقي فيها العربية ببعض اللغات العتيقة ، كالسريانية، اللغة الأصلية لحنين بن إسحق، وإسحق ابن حنين، والعبرية والحبشية والتركية، وقد ألف أبو حيان الأندلسي في هاتين اللغتين الأخيرتين بعض الكتب التعليمية.

أجل، لم تتشعب بهم السبل والأهداف، إنه هدف واحد: النمط القرآني، ولذا كانوا في غنىً عن التشتت بين الدوافع التي أسفرت لاحقاً عن المناهج اللغوية المتعددة. على أن المرء لا يعدم وجود إرهاصات لهذه المناهج الحديثة، في بعض ما أشار إليه المعياريون القدماء.

خاتمة:

وبعد، فلعل من أظهر ما سعت هذه الورقة إلى إبرازه، الآتي:

- اللغة ظواهر ثابتة وأخرى متغيرة، أما الثابتة فهي التي تحافظ على وحدة اللغة بين أهلها إلى أطول أجل ممكن. وأما المتغيرة فهي التي تلبّي في اللغة حاجة أهلها للتطور والتغيّر. وعلى هذا فالسمتان نابعتان من طبيعة الظاهرة اللغوية، وهما أصيلتان فيها. بيد أن الثوابت تثبت في غير العربية ثبوتًا نسبيًا، أي هي تتراح نحو التطور البطيء الذي تظهر آثاره ولو بعد أجيال، لتدخل اللغة ببطء في مرحلة جديدة، بعيدة عما كانت عليه. أما العربية فقد خُطط لثوابتها لأن تدوم دوامًا يشبه المطلق، لارتباطها بديمومة البقاء القرآني، فالعربية وعاء القرآن الكريم. ولا أدل على ديمومة هذه الثوابت في الاستعمال، من أن أهلها ما يزالون يفهمون نصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف، وسائر النصوص التي التزمت بالقواعد التي استُخلصت من تلك النصوص ، قبل ما يزيد على خمسة عشر قرنًا إلى يومنا هذا، بل يؤمّل أهلها في أن تظل هذه اللغة محفوظة في المستقبل بحفظ القرآن الكريم.
- تعدّ اللغة أهم وسيلة لفهم الماضي، بإنجازاته وألغازه، ولا يعرف اللغات القديمة والأثرية من أهل العصر إلا من تخصص في بعض تلك اللغات ودرسها ليستطيع بذلك فك " شِفرة " الماضي. أما العربية فهي تكشف الماضي الذي كُتب بها وتجعله في مُكْنة عامّة أهلها، لأن ماضيها ما يزال

موصولاً بحاضرها منذ قرون طويلة، وهذه سمة للناطقين بهـــا لا تتـــأتى للناطقين بغيرها.

- ثمة عوامل حاسمة في مدى استجابة اللغات إلى التغير والتطور، كالعامـــل الاقتصادي والسياسي والاستعماري والثقافي... وقد كانت هذه العوامل مفرقة أو مجتمعة، سببًا بطيئًا أو سريعًا في استجابة اللغات لقوانين التغيّر، وقد كانت العربية الاستثناء الوحيد من بين اللغات، إذ جعلها – كونها لغة القرآن، وبفضل تخطيط المعياريين لديمومتها – تحافظ على وحـــدتها، متحدية بذلك جميع عوامل التغير التي عصفت باللغات، وباعدت بـــين ماضيها وحاضرها.
- توافر للمعيارية العربية عوامل الحفاظ عليها، نطقًا وكتابة. أما العربيـــة فقد توافر للنص المكتوب بها عوامل الضبط بالنقط والإعجام، والضبط بالحركات. فأيما نص مُهمّ كالقرآن الكريم، كان في وسع الأجيـــال أن تقرأه معجمًا منقوطًا، ومضبوطًا بالشكل، وموضّحًا بعلامات التـــرقيم التي تبيّن الوقف والوصل والغنّة، والمدّ... وأما جانب النطق فالمعياريون يطمئنون إلى تواتر القراءات القرآنية وحفظها في الصدور كما حُفظـــت في السطور. فالمد مقدّر بقدره، وكذلك الإخفاء والإظهـــار، والنـــبر ، والتنغيم، والقلقلة، والهمس ، والجهر، والشدة ، والرخـــاوة ، والـــروم والإشمام... وقد تيسّر لكثير من نصوص العربية جوانب إظهار الـــسياق المقامي والمقالي، فالآية تُفَسّر في ضوء معرفة بأسباب نزولها والظـــروف

الاجتماعية وغير الاجتماعية التي قيلت فيها. والأمثال والأشعار والحكم تفسر في ضوء معرفة واضحة بسياقاتها في كثير من الأحوال.

- تعاورت جهود الرواة والنحاة واللغويين والبلاغيين والمفسرين والقراء... في صوغ ملامح المعيارية العربية، فكانت جهود كلّ فريق متّصلة الأسباب بجهود الفريق الآخر. وجهودهم جميعًا ترمي إلى الحفاظ على وحدة اللغة.
- ثمة بعض التطبيقات المنهجية الخاطئة، التي وقع فيها كثير من المعياريين، كعدم التفريق بين المستوى الشعري والمستوى النثري للغة ، في الاحتجاج للقواعد النحويّة،مع أنهم يدركون ذلك، إذ ينصّون على أن الضرورة من مقتضيات الشعر دون النثر، وأن التقديم والتأخير ،والحشو والحذف، قد يكون باعثه مراعاة الوزن والقافية.
- تسمّحت المعيارية بمراعاة بعض أشكال التباين اللغوي، وجعلت من ذلك نوعًا من أسباب التوسعة، فقد روعي اختلاف اللهجات، وأقر المعياريون بعض أشكال التعدد، وجعلوا منه راجحًا ومرجوحًا وجيدًا وأجود. أما الأشكال النطقية البعيدة كالعنعنة والكشكشة... فقد عُدّت من المهمل الذي لا تُقعّد اللغة على أساسه.
- المعيارية العربية حساسة إزاء ما يمكن أن يخالطها مما يمكن أن يفسد اللغة بكثرة الكلمات والمصطلحات الوافدة. وبخاصة إذا كانت هذه الألفاظ لا تخضع لضوابط العربية صوتًا وبنية صرفية. فلئن قبلت بعض اللغات الهندية الأوروبية، كالفارسية والإنجليزية والألمانية، أن تغرف من وعاء

العربية واللاتينية واليونانية وغيرها، الشيءَ الكثير، فإن العربية قد غرفت من أوعية غيرها، ولكنها لا تلبث في المعتاد أن تعكف على ذلك، ولــو بعد حين، لتنقّي نفسها منه، أو لتخضعه إلى موازينها حتى يصبح جــزءاً من نسيج لُحْمتها.

- أفادت المعيارية العربية من كثير من مبادئ المناهج الأخرى. وقد راعت أن تقوم قواعدها على مراعاة الضبط الشكلي، والمضمون، وسارت على الاستقراء والاستنباط، وفيها لفتات تاريخية قائمة على تتبــع مظـــاهر التطور،كما نجد فيها إرهاصات تأصيلية مقارنة، تتمثل في محاولاتهم رد الكلمات إلى الأصول اللغوية التي انحدرت منها.

بيد أن هذه الإرهاصات المنهجية قد جاءت مبكرة قبل أن تنضج هذه المناهج في عصور لاحقة. وكان حَسْب النحاة أن اتخذوا منها ما يشبه أن يكون للبناء حجارة صغيرة، تدعم رصف المباني الأساسية التي كانت تلزمهم في إقامة هذا المشروع المعياري العظيم، الذي حفظ لنا وحدة العربية، إذ فسّر لنا اللغة شكلاً جاء عليه التركيب النحوي، وضبطًا كانت عليه البنى الصرفية، ومعنى سعى إلى الوقوف على مدى ملاءمة كل لفظ لمعنى ما يليه، وإسناده إليه، في نظرية متكاملة ترمى إلى سَبْرِ اللغة، واكْتِناه أعماقها، والوقوف على أسرار النظم، وصحة تأليفه.

إن المكانة المتميزة للنص القرآني الكريم، الذي جمع بين مقتضيات حفظه خطابًا يُتلفّظ به، ونصًا مكتوبًا، لَيُلبّي مطلبًا وصفيًا، وتاريخيًا تطوّرياً، ولكنه يتميز في المعيارية بالديمومة. في حين أن الخطابات المنطوقة لدى

الوصفيين، لا تكتسب صفة الديمومة بمجرد أن تنتهي عملية التكلم ويتحوّل المنطوق إلى رموز كتابية مرئية لا مسموعة. وأما كون القرآن نصًا مكتوبًا فقد توافر له بهذه الخصيصة ما يُلَبّي مطلب التاريخيين الذين ينظرون إلى اللغة المكتوبة بوصفها التسجيل الدائم للمنطوق. وعلى هذا تكون المعيارية العربية قد وضعت يدها – بالقرآن الكريم – على نص توافر له ما يجمع خصيصة النطق التي يبحث عنها الوصفيون، وخصيصة الكتابة التي تخلّد المنطوق وتسعى إلى تجسيده في رموز كتابية. وبذا ساعدت خصوصية القرآن الكريم في كونه محفوظًا في الصدور والسطور، على الجمع بين فضيلة النطق عند الوصفيين وفضيلة الكتابة لدى التاريخيين.

ولو أن القرآن الكريم لم يكن في حياة العربية لما كانت العربية موجودة كما هي، على مدى هذه القرون الطويلة من عمرها، ولاعتراها واعترى معياريتها ما يعتري اللغات الأخرى ومعياراتها من تبدل، ولما دامت لأهلها أداةً صالحةً للتواصل على مر العصور. وإن أي منهج لغوي – بالغا ما بلغت أهميته– لهو منهج ثانوي في حياة العربية، لأنه يحقق مقصدا لغويا ثانويا، على أهميته. أما المعيارية فتحقق جوهر مقاصد العربية وأمّ أهدافها. وهو الديمومة التواصلية التي يفسح الثابت فيها إلى الحفاظ على جوهر اللغة، ويفسح المُتغير فيها مجال مواكبة اللغة للحياة. وفي هذا ما يفسر بوضوح سرّاً من أسرار تشبث المعياريين العرب بمنهجهم في تعليمهم للعربية على مر العصور إلى يومنا هذا، ولا سيما في المراحل التعليمية، المدرسية منها والجامعية، فلم يحيدوا عن منهجهم هذا مهما بدت المناهج الأخرى لافتة أو مغرية.

الحواشي:

واعتمدت في ترتيبها أسماء الباحثين جريا على نسق ترتيب المصادر والمراجع

١. فايس:
Weiss,J.:Die Arabische National Grammatik und die Lateiner,ZDMG ٦٤ (١٩١٠), p.٣٤٩.

٢. ف. فيشر: المراحل الزمنية ص٤٨٦

٣. الشلقاني، عبد الحميد: رواية اللغةص٨١

٤. عمايرة، إسماعيل: بحوث في الاستشراق واللغة ص٢٦٥

٥. الموسى، نهاد: اللغة العربية وأبناؤها ص ٢٢، وانظر عمايرة، إسماعيل: بحوث في الاستشراق واللغة ص ٢٦٧

٦. حسان، تمّام: اللغة بين المعيارية والوصفيّة،ص٩٠

٧. ابن جني، عثمان: الخصائص، ٣٤/١

٨. ف.فيشر.fischerKw: المراحل الزمنية ص٤٨٦، وانظر عبابنة، يحيى: النظام اللغوي للهجة الصفاوية، وانظر الزعبي، آمنة: اللهجة العربية الثمودية.

٩. أوفي بوركسن Uwe Porksen" هل الألمانية خليط لغوي؟" مجلة فكر وفن" العدد٩١سنة٢٠٠٩

١٠. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: الاقتراح في أصول علم النحو،ص٣١

١١. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: الاقتراح في أصول علم النحو،ص٦٣

١٢. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: الاقتراح في أصول علم النحو،ص٣١

١٣. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: الاقتراح في أصول علم النحو،ص٧١

١٤. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: الاقتراح في أصول علم النحو،ص٧١

١٥. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: الاقتراح في أصول علم النحو،ص٧٢-٧٣

١٦. ابن جني، عثمان: الخصائص،١/١٠١-١٠٣،وانظر الفارسي،أبو علي: المسائل العسكريات،ص٦٣

١٧. سورة الأنبياء:الآية ٣

١٨. انظر عمايرة، إسماعيل: دراسات لغوية مقارنة(كتاب ظاهرة التأنيث) ص٨٥

١٩. حسان، تمّام: اللغة بين المعيارية والوصفيّة،ص٣٨

٢٠. انظر مثلا:

Littmann,E:Zur Entzifferung der thamudischen Inschriften.Berlin١٩٠٤

وانظر عبابنة ،يحيى:النظام اللغوي للهجة الصفاوية ،جامعة مؤتة، الأردن ١٩٩٧

وانظر الزعبي ، آمنة: اللهجة العربية الثمودية ، عمان، الأردن ٢٠٠٦

٢١. ابن جنّي: الخصائص ١/ ٢٤٧

٢٢. ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل: الأصول في النحو٢/٢٤٧

٢٣. سورة الذاريات:الآية٢٩

٢٤. سورة البقرة: الأية١٩

٢٥. سورة القصص: الآية ٣٥

٢٦. سورة المدثر: الآية ٥٠

٢٧. الدّاني:التيسير ص٢٩

٢٨. حسان، تمّام: اللغة بين المعيارية والوصفيّة،ص١٣

٢٩. حسان، تمّام: اللغة بين المعيارية والوصفيّة،ص١٢

٣٠. ابن جني: الخصائص ١/٣٦٢

٣١. انظر شاهين،عبدالصبور: العربيّة لغة العلوم والتقنية ٣٠٩، وإبراهيم،زيدان أحمد الحاج:اللغة العربيّة والتعريب: ٣٢٣، وعمايرة، حنان: اسم الآلة ٧٦-٨٣

٣٢. الجرجاني: دلائل الإعجاز ص٢٧٣

٣٣. الجرجاني: دلائل الإعجاز ص ٢٧٣

٣٤. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز٤٦، وانظر ياقوت، أحمد سليمان: الكتاب بين المعيارية والوصفية ص٢-٣

٣٥. الجرجاني،عبد القاهر: دلائل الإعجاز٨٠

٣٦. الفارسي: المسائل العسكريات ٢٣-٢٣

٣٧. الجرجاني، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز٨٩،وانظر أبا حيّان التوحيدي: مثالب الوزيرين ١١

٣٨. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز٩٢

٣٩. الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ٣٨/١

٤٠. التوحيدي، أبو حيّان: مثالب الوزيرين٢٥٤-٢٥٥

٤١. الزركشي: البرهان ٤٨٠/٣

٤٢. السيوطي: المزهر ٢٩٤/١

٤٣. السيوطي: المزهر ٢٩٦/١

٤٤. السيوطي: المزهر ٢٩٧/١

٤٥. انظر التونجي، محمد: المعجم الذهبي ص٤٢٣

٤٦. انظر فرينكل fraenkel ١٣٥، و عمايرة، إسماعيل: تطبيقات في المناهج اللغوية.ص١٣٩

٤٧. انظر شريجله

Schregle: Deutsch-Arabisches Wörterbuch, Beirut - London ١٩٧٧

٤٨. انظر محاضرو اللغة الألمانية:

Lektorat Deutsch Sprache des VEB Bibliographisches: grosses Fremdwörterbuch Leipzig, ١٩٨٠

٤٩. الثعالبي: فقه اللغة ص١٧١

٥٠. الثعالبي: فقه اللغة ص١٧٢

٥١. التبريزي: شرح القصائد العشر ص٢١٥

٥٢. حول شعر الصعاليك يُنظر عطوان، حسين: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ص ٤٤ وما بعدها، ويُنظر له أيضا: الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ص ٣١

٥٣. سيبويه: الكتاب ٢٥٨/١

٥٤. سيبويه:الكتاب ٢٥٧/١

٥٥. ابن السراج: الأصول ٨٤/١

٥٦. ابن هشام:شرح شذور الذهب ص ٣٦

٥٧. انظر حول هذا المفهوم ليفاندوفسكي:

Lewandowsk,Th.:Linguistisches Wörterbuch,Heidelberg ١٩٨٠(p.١٠١٠)

٥٨. الجرجاني، عبد القاهر:دلائل الإعجاز ص٢٣١. ومن جميل ما قاله الرضي في مفهوم حروف الصدارة "كل ما يغيّر معنى الكلام ويؤثر في مضمونه ، وكان حرفا، فمرتبته الصدر. وإنما لزم تصدير المُغيّر الدال على قسم من أقسام الكلام ليبني السامع ذلك الكلام من أول الأمر على قصد المتكلم".الرضي، شرح الكافية ٣٣٦/٤

٥٩. ابن جني: الخصائص ٣٧٢/١،وانظر السيوطي:الإيضاح ص٦٧

٦٠. انظر مقدمة محمود شاكر لكتاب مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين ط٣ دار الفكر ص٣٠ وما بعدها

٦١. السيوطي: الإيضاح ٤١-٤٣

٦٢. المبرد: المقتضب ٢٤/١،٢٥

٦٣. انظرعمايرة ،إسماعيل: تطبيقات في المناهج اللغوية ص١١٧

٦٤. عمايرة،إسماعيل: تعليم العربية في مرحلة التعليم العام ص ٣٢.

٦٥. انظر بوبتسين: الأفعال الشائعة في العربية المعاصرة ص.١٥

٦٦. الجرجاني: دلائل الإعجاز ص٨٠-٨١، وانظر ضيف شوقي:المدارس النحوية ص٥٥-٥٦

٦٧. الجرجاني: دلائل الإعجاز ص٨٠-٨١

٦٨. المبرد: المقتضب ١/٨

٦٩. ابن السراج: الأصول ١/٧٤

٧٠. المبرد: المقتضب ١/٨

٧١. ابن جني: الخصائص ١/٥١

٧٢. الزجاجي: الإيضاح ص٦٤-٦٥

٧٣. الزجاجي: الإيضاح ص

٧٤. الدينوري:أدب الكاتب ص ٣٨

٧٥. الجوهري: الصّحاح(ولد) ٢/٥٥٤

٧٦. ابن منظور: اللسان(ولد)٣/٤٦٩

٧٧. الجوهري: الصّحاح١/٣٣

٧٨. ابن سنان: سر الفصاحة ٢٧٨-٢٧٩. وقد روى ابن سنان الخفاجي رواية مشابهة عن الأصمعي تفيد الموقف نفسه ص٢٧٩

٧٩. يعقوب،إيميل: معجم الخطأ والصواب،ص ٦٥ وما بعدها.

٨٠. السيوطي: الاقتراح ص ٦٧

٨١. تيمور، أحمد: لهجات العرب٣٩،٦١،٨٠،٨١،١٠٢،١١٣

٨٢. السيوطي: المزهر١/٢١٠-٢١١

٨٣. ف.فيشرfischerKw: المراحل الزمنية٤٨٥-٤٨٦

٨٤. ابن منظور: اللسان (لحن)

٨٥. دوزي: تكملة المعاجم العربية ٢٧٢/١. وانظر عمايرة، إسماعيل: تطبيقات في المناهج اللغوية ١٣٨-١٤٠

٨٦. عمايرة، إسماعيل: نحو معجم موحد لألفاظ الحياة العامّة، ص٥٢

٨٧. السيوطي: المزهر١/٢١٢

٨٨. السيوطي: المزهر١/٢١٢

٨٩. عمايرة، إسماعيل:بحوث في الاستشراق واللغة ص٣٠٧

٩٠. سيبويه: الكتاب ٧٠/٣

٩١. سيبويه: الكتاب ٩٣/٣، والمبرد: المقتضب ٨٢/٢، والفارسي: الإيضاح ٣٢٢/١، والزمخشري: المفصل ص١١٢

٩٢. سيبويه: الكتاب ٩٥/٣، والمبرد: المقتضب ٩٥/٢، والزمخشري: المفصل ص١١٣

٩٣. سيبويه: الكتاب ٢٩٤/١، والزمخشري: المفصل ص ١٥١

٩٤. ابن عقيل: شرح ابن عقيل ٢٨٩/٢

٩٥. ابن عقيل: شرح ابن عقيل ١٨٥/٢

٩٦. ابن عقيل: شرح ابن عقيل ١٨٦/٢

٩٧. ابن عقيل: شرح ابن عقيل ٢٤٤/٢

٩٨. المبرد: المقتضب ٢٩٩/٤

٩٩. المبرد: المقتضب ٢٩٩/٤

١٠٠. ابن عقيل: شرح ابن عقيل ١٦٩/٢

١٠١. المبرد: المقتضب ٥٠/٤

١٠٢. المبرد: المقتضب ١/٢

١٠٣. ف.فيشرfischerKw: المراحل الزمنية ٤٨٩

١٠٤. عمايرة، إسماعيل: دراسات لغوية مقارنة ص ١٢٨ وما بعدها

١٠٥. الزمخشري: المفصل ص ١٥٠

١٠٦. سيبويه:الكتاب١٠٢/٣

١٠٧. الزجاجي: الايضاح ص ٩٥

١٠٨. الزجاجي: الايضاح ص ٩٥.

*الزجاجي: الايضاح ص٩٥

١٠٩. الزجاجي: الايضاح ص ٩٦

١١٠. عمايرة، إسماعيل: تجربة المستشرقين الألمان في ترجمة المصطلح اللغوي العربي

١١١. انظر ف.فيشر:

Fischer,W.:the chapter on grammer in the kitaab Mafaatiih al-[c]uluum.In ZAL ١٥،١٩٨٥(٩٤-١٠٣)

وانظر عمايرة، إسماعيل:المستشرقون ونظريّاتهم في نشأة الدراسات اللغويّة العربيّة ص ٦٥ (الطبعة الثانية)

١١٢. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص٧٩-٩٢

١١٣. عمايرة،إسماعيل:المستشرقون ونظريّاتهم في نشأة الدراسات اللغويّة

العربيّة ص٦٨ وما بعدها

١١٤. ف.فيشر: المراحل الزمنيّة ص ٤٨٥

١١٥. دوزي:تكملة المعاجم العربية١/٢٥

١١٦. أ.فيشر: المعجم اللغوي التاريخي ص٢١ وما بعدها

١١٧. الزيداني، مظهر الدين:المكمل في شرح المفصل، ص٣٥، تحقيق علي أحمد الشروش، رسالة دكتوراه- الجامعة الأردنية ٢٠٠٩

١١٨. ف.فيشر:المراحل الزمنية ص٤٨٧

١١٩. عمايرة ،إسماعيل:العولمة ومستقبل العربية ص ١٢-١٩

المصادر والمراجع

واعتمدت في ترتيبها أسماء الباحثين انسجاما مع الإحالة في الحواشي

١. الآمدي، علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، طبعة عبد الرزاق عفيفي، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢. إبراهيم، زيدان أحمد الحاج: اللغة العربيّة والتعريب،مجلّة اتحاد الجامعات العربيّة، عدد ٣١ الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربيّة ١٩٩٦ ص٣٠٣-٣٣٥

٣. أ. فيشر August Fischer: المعجم اللغوي التاريخي، ط١، القاهرة، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٤. أوفي بوركسن Uwe Porksen " هل الألمانية خليط لغوي؟" مجلة" فكر وفن" العدد٩١ سنة ٢٠٠٩

٥. بوتسين،هارتموت Bobzin,Hartmutt الأفعال الشائعة في العربية المعاصرة، ترجمة إسماعيل أحمد عمايرة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٦. التبريزي، يحيى بن علي: شرح القصائد العشر، دار الجيل، بيروت.

٧. التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد: مثالب الوزيرين، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق.

٨. التونجي، محمد: المعجم الذهبي(فارسي-عربي)، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩

٩. تيمور، أحمد تيمور: لهجات العرب، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

١٠. الثعالبي، إسماعيل: فقه اللغة، تعليق وشرح خالد فهمي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١١. الجاحظ، عمر بن بحر: البخلاء، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٢. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

١٣. ابن جني، عثمان: الخصائص، محمد علي النجار، القاهرة، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م.

١٤. الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١٥. حسان، تمّام: اللغة بين المعيارية والوصفيّة، دار الثقافة، القاهرة ١٩٥٨

١٦. الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف: مفاتيح العلوم، بيروت،

١٧. الداني، سعيد: التيسير في القراءات السبع، طبعة أوتو برتزل، إستانبول، ١٩٣٠م.

١٨. دوزي، R.Dozy: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، العراق، ١٩٧٨م.

١٩. الدينوري، عبدالله بن مسلم بن قتيبة: أدب الكاتب،تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.

٢٠. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحق، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، مكتبة دار العروبة،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.

٢١. الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.

٢٢. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق يوسف المرعشلي وجمال الذهبي وإبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٣. الزعبي، آمنة: اللهجة العربية الثمودية، عمان، ٢٠٠٦م.

٢٤. الزمخشري: المفصل في النحو، تحقيق بروخ J.P Broch كرستياني، ١٨٧٩م.

٢٥. الزيداني، مظهر الدين: المكمل في شرح المفصل، تحقيق علي أحمد الشروش، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م.

٢٦. ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط١،مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.

٢٧. ابن سنان الخفاجي: الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٨. سيبويه، عمرو بن عثمان: الكتاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٦م-١٩٦٨م.

٢٩. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: الاقتراح في أصول علم النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، ط١، القاهرة ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

٣٠. المزهر، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر.

٣١. شاهين، عبد الصبور: العربيّة لغة العلوم والتقنية،ط٢، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٦.

٣٢. شريجله "المعجم الألماني العربي"
-Arabisches Wörterbuch, Beirut - London ١٩٧٧
Schregle, Götz: Deutsch

٣٣. الشلقاني، عبد الحميد: رواية اللغة، دار المعارف، مصر.

٣٤. ضيف، شوقي: المدارس النحوية، ط٤، دار المعارف، القاهرة.

٣٥. عبابنة، يحيى: النظام اللغوي للهجة الصفاوية، جامعة مؤتة، الأردن ١٩٩٧م.

٣٦. عطوان، حسين: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م.

٣٧. الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٢م.

٣٨. ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر.

٣٩. عمايرة، إسماعيل: تطبيقات في المناهج اللغويّة، دار وائل للنشر، عمان ٢٠٠٠م.

٤٠. -: تعليم العربية في مرحلة التعليم العام، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠١م.

٤١. العولمة ومستقبل العربية، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد ٦٦، ٢٠٠٦م.

٤٢. المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، ط٣، دار وائل للنشر، عمان.

٤٣. تجربة المستشرقين الألمان في ترجمة المصطلح اللغوي العربي،

٤٤. بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٣م.

٤٥. دراسات لغوية مقارنة، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٣م.

٤٦. تطبيقات في المناهج اللغوية، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٠م.

٤٧. نحو معجم موحد لألفاظ الحياة، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠١م.

٤٨. عمايرة، حنان: اسم الآلة —دراسة صوتية صرفية معجميّة، دار وائل للنشر، عمان ٢٠٠٦.

٤٩. الفارسي، أبو علي: الإيضاح العضدي، تحقيق حسن شاذلي فرهود ،القاهرة ١٣٨٩-١٩٦٩

٥٠. المسائل العسكريات، تحقيق إسماعيل أحمد عمايرة، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨١م.

٥١. فايس: "النحاة العرب والنحاة اللاتينيون"

Weiss,J.:Die Arabische National Grammatik und die Lateiner,ZDMG ٦٤ (١٩١٠), p.٣٤٩.

٥٢. فرينكل: "الألفاظ الأجنبية الآرامية في العربية"

Fraenkel,Sigmund:Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden ١٨٧٨.

٥٣. ف.فيشر W. Fischer، المراحل الزمنية للعربية الفصحى، ترجمه ونشره:إسماعيل عمايرة في كتابه: بحوث في الاستشراق واللغة، ط٢، دار وائل للنشر، ٢٠٠٣م.

٥٤. Fischer,W.: The chapter on grammar in the kitāb Mafātīh al-'ulum in ZAL ١٥, ١٩٨٥

٥٥. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

٥٦. محاضرو اللغة الألمانية:

Lektorat Deutsch Sprache des VEB Bibliographisches, grosses Fremdwörterbuch, Leipzig١٩٨٠

٥٧. الكسائي، علي بن حمزة: ما تلحِن فيه العامة، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م.

٥٨.ليتمان:" مدخل إلى المخطوطات الثموديّة" Littmann, Enno: Zur Entzifferung der thamudischen Inschriften, Berlin

٥٩. مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط٣، دار الفكر.

٦٠. المبرد، محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٦١. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٦٢. الموسى، نهاد: اللغة العربية وأبناؤها، الرياض، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

ياقوت، أحمد سليمان: الكتاب بين المعيارية والوصفية، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية ١٩٨٩م

فهرس الموضوعات

اللغة العربية بين الواقع والمرتجى

إعداد

د. بكر شيخ أمين

ما أكثرَ هُمومَ الأمّة العربيّة وشجونَها في هذه الأيام.. لا تكاد تتجاوز همّاً إلاّ وتقع في همّ جديد!!.

قاست في العصر العباسيّ مشكلة الشّعوبيّة، ثمّ انتصرت عليها، وأذابتها حتّى لم يبق لها أثر. وجاء العصر الحديث، فإذا المصائب تنهال على هذه الأمّة أكبر من شعوبيةّ القدماء وأدهى وأمر.

❁❁❁

بدأها عدد من المستشرقين أمثال رينان وشبنجلر وغولد زيهر وماسينيون وغويدي..فدرسوا خصائص المجتمع العربيّ، وأوضاع اللّغة العربيّة.. ومن هنا دخلوا، وراحوا ينفثون سمومهم، حتّى خلصوا جَميعاً إلى أنّ العربيّ قد يصبح عالماً، أو مؤلّفاً كبيراً، ولكنّه يستحيل أن يكون عبقريّاً أو مبدعاً؛ لأنّ جذوره عربيّة آسيويّة، لا ترقى إلى مستوى العبقريّة والإبداع.

وألّفوا بِهذا المعنى كثيراً من الكتب، ونشروا آراءهم بِمختلف اللّغات، وكان من جُملتها باللّغة العربيّة.

ومن الأسف الشّديد أنّ نظريّة المستشرقين الحاقدين المسمومة لقيت آذاناً صاغية، وقلوباً متفتّحة، في مصر بالدّرجة الأولى، ثمّ تبعتها لبنان وسورية وبقية العالم العربيّ.

❁❁❁

في مصر كانت مدرسة (أحمد لطفي السّيّد) مرآة صادقة لنظريات رينان، ومن ذكرنا من هؤلاء المستشرقين..

هذه المدرسة وقفت أمام تيارين في عصرها، الأوّل المتمثّل في الأحزاب

الوطنيّة المنادية باستقلال مصر، والثّاني المتمثّل في الدّعوة إلى الإسلام وحده.

أصدر أحمد لطفي السّيد جريدة (الجريدة) وجعلها منبراً للشّباب المثقّف في مصر كلّها، وكان على رأســـهم عبد العزيز فهمي، وعــليّ عبد الرّازق، وطه حسين، وسلامة موسى، وأحمد أمين، ومحمود عزمي، وتوفيق الحكيم، وكثيرون لا يحصون عدداً.

اعتقد هؤلاء النّاس بسبب تلمذهم على المستشرقين، وتبنيهم لآرائهم ونظرياتهم أنّ مصر ستبقى متخلّفة ما دامت متمسّكة بتراث شرقيّ آسيويّ، وبالعقليّة الآسيويّة العقيمة، وأنّــها لن تفلح إلاّ في تحرير الوطن من كلّ راسب، سواء أكان هذا الرّاسب دينيّاً أم حضاريّاً، وما الإبداع والنّبوغ إلاّ نتاج آري، والعرب ومعهم كلّ الآسيويّين لا إبداع عندهم، ولا نبوغ، ولا أصالة، ولا شيء يستحقّ الذّكر.

❋❋❋

خذ مثلاً نظريات طه حسين في كتابه "حديث الأربعاء"، وانظــر كيف ردّ عبقريّة المتنبّي، وابن الرّوميّ، وأبي تمام، وابن جني، إلى أصول غير عربيّة، وسلخ عن جميع العلماء والشعراء العرب كلّ أصالة وإبداع.

وفي كتابه "مستقبل الثّقافة في مصر" زعم أنّ مصر ــ وإن كانت واقعة جغرافيّاً في القارة الإفريقيّة ــ إلاّ أنــّها جزء من القارة الأوربيّة وقال: هذه الحضارة الإسلاميّة الرّائعة، لم يأت بــها المسلمون من بلاد العرب، وإنــّما أتوا ببعضها من هذه البلاد ــ ويقصد مصر ــ وببعضها الآخــر من مجوس الفرس، وببعضها الآخر من نصارى الرّوم. ثمّ تساءل من جديد: أمصر من الشرق أم من الغرب؟

وفي كتابه "في الشّعر الجاهليّ" طرح شكّاً كبيراً في الشّعر الجاهليّ، وأنكر وجود عدد من الشّعراء، ولم يكتف بذلك، بل عمد إلى أقدس المقدّسات، وهو القرآن الكريم، فزعم أنّه يبحث فيه بحثاً موضوعيّاً، فشكّ في قصصه، وشكّ في صحّة تلك القصص، وأراد من وراء ذلك أن يقنع النّاس بفساد ما يعتقدون، ولكنّ الله سلّم؛ إذ ثارت عليه مصر من أوّلها إلى آخرها، واندفع النّاس إليه من كلّ فجٍّ عميقٍ يريدون تقطيعه وتمزيقه، لولا أنّ حمته الدّولة، وجعلت عليه ألف حارس وحارس، وما إن مضت فترة، وهدأت النّفوس إلاّ وعُيِّنَ ــ بقدرة أصابع خفية ــ وزيراً للمعارف، يتصرّف بأمور التّعليم والتّوجيه في ذلك البلد المسلم العظيم.

❊❊❊

هذه الكراهيّة للعرب والمسلمين والشّرق سِمة ظاهرة عند جميع أفراد هذه المدرسة، فسلامة موسى قال بالحرف الواحد في كتابه "اليوم والغد": كلّما ازددتُ خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله، فهي تتلخّص في أنه يَجب علينا أن نَخرج من آسيا وأن نلحق بأوربا. وكلّما زادت معرفتي بالشّرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنّه غريب عنّي؛ إلى أن يقول في آخر كلامه: أنا كافر بالشّرق ومؤمن بالغرب. وكان من جملة ما دعا إليه أن يكون التّعليم أوربيّاً، لا سلطان للدّين عليه، ولا دخل له فيه. ومن قوله: اعتقادنا بأنّنا شرقيّون بات عندنا كالمرض، ولهذا المرض مضاعفات.

❊❊❊

وامتدت العدوى إلى لبنان، ولكنّها اتّخذت مسارات أخرى، أوّلها:

مُـــحاربة اللّغة العربيّة؛ لأنــّها بصراحة لغة القرآن؛ وراح الدّكتور أنيس فريحة أستاذ اللّغات السّامية في الجامعة الأمريكيّة في بيروت يدعو في كتابه المعنون بـــ"نحو عربيّة ميسّرة" إلى هجر اللّغة العربيّة الفصيحة، واتّخاذ العاميّة اللّبنانيّة بديلاً عن الفصحى، وملأ كتابه هذا هجاء للقرآن، ولكلّ التّاريخ الإسلاميّ.

وشايعه كاتب آخر اسمه "مارون غصن" دبج مئات المقالات في هذا الاتجاه. واتّفق الرّجلان: أنيس فريحة ومارون غصن على الدّعوة إلى العامية اللّبنانيّة، وكتابة هذه العاميّة بالحروف اللاّتينية؛ وكان يزعجهما، بل يقززهمـــا ـــ كما قال المرحوم الدّكتور عمر فروخ ـــ أن يريا مسلمي لبنان يتلون القرآن الكريم، ويتّجهون إلى المساجد، ويتحدّثون بالعربيّة، ويكتبونها، ويدافعون عنها.

وتبعهما شعوبي آخر، أمضى لساناً، وأقوى شكيمة، وأكثر أنصاراً، وأوضح حجّةً، هو سعيد عقل، فلقد أصرّ على أن يكتب ديوانه الأوّل المعنون بـــ"جلنار" باللّغة العاميّة، ثمّ كتب ديوانه الثّاني "يارا" بالعامية وبحروف لاتينيّة، وكذلك فعل في ديوانه الثّالث "لن".

ويبدو أنّ دعوة الدّكتور فريحة ومارون غصن وسعيد عقل لاقت صدى محبّباً ورواجاً طيّباً في لبنان بعامّة وعند كلّ الشّعوبيين المبغضين لكل ما هو عربي أو مسلم.

ونتساءل اليوم عن أولئك النّاس الذين يتكلمون الفرنسية أو الإنكليزية في بيوتِهم في لبنان، أو يَجعلون أكثر كلماتِهم إنكليزيّة أو فرنسيّة، هل هذا

يا ترى أثر أنّ آثار الاستهانة بالعربيّة واحتقار لها، أو له سبب آخر؟

❁❁❁

وماذا نقول عن بعض الفضائيات اللّبنانيّة والّتي جعلت جلّ الأحاديث الّتي تذاع فيها، والبرامج الّتي تبثّها، والّتي يحرص معظم العرب، على مشاهدتِها لما فيها من تشويق وإغراء وأمور مستباحة، باللّغة العاميّة، والمليئة بما يقشعرّ منه الخلق الرّفيع، وتشمئزّ منه اللّغة العربيّة الشّريفة.

❁❁❁

وإذا كانت هذه الفضائية لبنانيّة، والقائمون عليها من أعداء العربيّة الفصحى، إذن فماذا نقول عن فضائية غير لبنانيّة استضافت سعيد عقل ثلاثة أسابيع عدداً، وخصّصت له في كلّ أسبوع مقابلة امتدت ثلاث ساعات كاملة، كان يتحدّث فيها عن هذه اللّغة الميّتة، ويدعو بملء فمه، وبكلّ صراحة إلى هجرها، ومحاربتها، وعدم اعتمادها في الحديث، والكتابة، والتّأليف وسماها لغة الجاهليّة، وحتّى يكون البرنامج ناجحاً، والدّعوة محبّبة، زيّن القائمون على البرنامج بكلّ ما هو حبيب إلى النّاس من موسيقى، وصور، وأفانين، وصوّروا دواوين الشّاعر بصور مكبّرة، ومجسّمة، وقرّبوا آلة التّصوير من الكلام حتّى كاد كلّ متفرّج أن يرى الشّعر العاميّ باللّهجة الزّحلاويّة، ويرى العاميّة اللّبنانيّة مكتوبة بحروف لاتينيّة، وكانت عناوين الدّواوين معروضة بأحلى ما يكون العرض؟

❁❁❁

إنّ حديثنا عن سعيد عقل ومدرسة الدّعوة إلى العاميّة يجب ألا تشغلنا عن النّظر في تيارات شعوبيّة أخرى، لا تقلّ عن مدرسة سعيد عقل خبثاً،

وسوء طوية، وشعوبيّة سوداء؛ إنّه تيار يتمثّل بأدونيس ويوسف الخال، ثمّ بعبد الوهاب البياتي وأمثالهم، يناصرهم مجموعة من النّقاد، ويدعمهم إعلام غني، وإذاعات، ونقاد، ومنظرون، وسدنة، ومجلات منها: "شعر" و"مواقف"، و"حوار".

يتّخذ هذا التّيار مواقف عدائيّة من التّراث تنصبّ على كلّ ما هو عربيّ، أو إسلاميّ منه، بشكل صريح، لا لبس معه عند أدونيس ويوسف الخال، وبشكل معلن مرة، ومبطن مرة عند عبد الوهاب البياتي.

فالبياتي مثلاً يتنكر بسبب اعتناقه المذهب الماركسي لكلّ ما يتّصل بالدّين والتّراث من قريب أو بعيد. يقول في إحدى قصائده شاتِماً الكتب الصفراء، والتي هي تراث العرب والمسلمين: يقول

شبابي ضاع في المقابر
والكتب الصفراء والمحابر
من بلد لبلد مهاجر
آه من صمت القواميس المريب
ومقامات الحريري
على هامش مخطوط قديم
ذكرتني بكلاب الزمهرير تنبح الموتى
بصحراء الجليد

ومن هذه المدرسة نظم عادل فاخوري أستاذ الفلسفة في كلية الآداب الجامعة اللّبنانيّة الكلام التّالي، وأخذته الإذاعة اللّبنانيّة، ولحنته، ودعته

القصيدة الإلكترونيّة. قال الفاخوري تلميذ أدونيس:

هسهسات السّنابل

صليل

في الهوا

ينتهي رحيل

سين. سين. سين.

سرساب أسود

عصفور يطير

يتبعثر في الرّيح

يولد

عند تجمع الأثير

ويهوى الصّعود

كلما

همَّ

به

من النّشوة

همى

النشوة ريش

سين. سين. سين

سرساب أسود

أبجد. هوز. حطي. كلمن

سعفص. قرشت

سين. سين

أبجد. هوز. حطي

الحرف يسري حيث الموت

حاء

فحيح

عصفور

عين. صاد

عصفور

عين. صاد

النّشوة ريش

اشخط

النشوة ريش

اشخط

خط. نقطة. خط

خط. نقطة. خط

خط.

ترى ماذا يريد هذا الرّجل أن يقول، بل ماذا يريد بتلك الحروف المقطعة، عين. سين. عين صاد ... تراها معارضة لـــ(حاميم عين سين

قاف، أو ألف لام ميم، أم لشيء آخر؟

وإذا كنّا قد نسبنا هذه الأشعار إلى أدونيس وصحبه، فمن هو هذا الرّجل، وماذا يريد؟

أدونيس رجل سوريّ الأصل، من جبال اللاّذقية، اسمه الحقيقي: أحمد سعيد علي، واتّخذ لنفسه لقب إله الخصب عند القدماء وهو "أدونيس". تقلّب بين الشّيوعيّة، والقوميّة السّوريّة، والنّاصريّة، ثمّ تنصّر، وهجر الوطن العربيّ كلّه، واستوطن فرنسا، ولا يزال فيها.

أدونيس صاحب رسالة في هدم التّراث، وهو الفيلسوف، والمنظر لهذا الاتّجاه. ففي كتابه "الثّابت والمتحوّل" وبخاصّة في الجزء المسمى بـــ"صدمة الحداثة" حرب معلنة شعواء وصريحة على كلّ قيم التّراث، والدّين، والأدب، والشّعر، ورفض لكلّ أدب فيه أثارة من دين وإسلام.

وهو يرى أنّ المشكلة المصيريّة والحضاريّة تتمثّل بِمشكلة الدّين، ويعني به الدّين الإسلامي ليس غير. قال أدونيس عن الإسراء والمعراج من قصيدة طويلة ساخرة من كلّ القيم الدّينيّة على لسان رسول الله محمّد –صلى الله عليه وسلم–:

رأيت باباً كتبت عليه

كتابة قرأتـــها

فانفتح الباب.. رأيت خلفه جهنماً

رأيت غابات من النسوان

يُـــغْلَيْنَ في القطران

يُطرحن للأفاعي

هذا جزاء نسوة.. يظهرن للغريب..

هذي امرأة.. صورها صورة الخترير..

جسمها حمار.. لأنـــها لم تغتسل من حيضها

هذا عقاب امرأة.. تعشق غير زوجها

هذا جزاء امرأة.. لا تحسن العشرة..

أو لا تحسن الوضوء..لا تصلي

....

أفليست هذه الشّواهد دليلاً على تلمذة هؤلاء لأولئك الشّعوبيّين، ودعوة إلى إحباط كلّ شيء عربيٍّ، أو إسلاميٍّ، أو آسيويٍّ؟.

ولماذا نتكلّم عن مصر ولبنان وننسى ما يحدث في بلدنا وبلدان الخليج العربيّ من أوّلها إلى آخرها؟

لقد امتلأت الشّوارع بإعلانات كبيرة، ومضاءة باللّيل، ومنصوبة أمام كلّ عين، ومثبتة في كلّ زاوية تحمل دعاية بلغة عامية، أو بلغة أجنبيّة عن مصنوعات وطنيّة، فهذا صابون جود مورننغ، وهذه النكهة من دربي، وهذا مطعم للهمبرغر، وذاك مطعم كانتيكي فرايد جيكن، وهذا المول خير من ذاك المول، وهذا كوفي شوب، والغراند بيتزا عند هذا أكبر من عند غيره، وهكذا.... ويضيق الصّدر من هذه التّعبيرات وهذه اللّغة، ومن هذا الافتتان بلغة من يذبحوننا في معظم الأقطار العربيّة والإسلاميّة.. وتحتجّ.. وتحتجّ، ولا من يسمع أو يجيب.

❁❁❁❁❁

وبعد، فماذا نحن فاعلون أمام هذا الخطر الدّاهم، وكيف يكون الخلاص؟

إنّه لا يكفي أن نقتصر على ما ردّ به بعض عقلاء العــرب، ولا على الرّدّ على تلك النّظريات والآراء بشتم أصحابــها وسبابــهم.

الواجب الكبير أن تردّ على منطق أعدائنا بمنطق عقلانيّ مماثل، إن لم يكن بأرجح منه، ولا يتم ذلك إلاّ بدراسات عميقة ورصينة تبين خصائص المجتمع العربيّ، ومزايا اللّغة العربيّة، ووهجها، والتّكلّم بِها، والدِّفاع عنها.

وأعتقد أنّه لا يستطيع ذلك إلاّ علماء متخصّصون في هذه الدّراسات، وقادرون على مجابَهة الأفكار بمثلها، تدعمهم الحكومات العربيّة بعد أن تؤمن الحكومات ذاتها بأهمية هذا الموضوع، وخطره الهائل، وتنفذَ وسائل الإعلام في البلاد العربيّة جميع ما يريدون، وتسهّلَ لهم سبل الوصول إذاعيّاً وتلفزيونيّاً إلى كلّ بقعة في العالم.

أيّها العرب ! ويا أيّها الغيارى!

افتحوا عيونكم على الخطر الدّاهم، وادفعوه قبل أن يكون طوفاناً مغرقاً للجميع.

آليات تحديث منطقية اللغة العربية

حفاظا على الهوية ومواكبة لعصر العولمة

إعداد

د . خالد محمّد محمود قمر الدولة

الحمد لله حمد المتبصرين بآلاء نعمائه، والمتيقنين بنصر من ينصره، وأصلي وأسلم على خير من أقرأَ وقرأ، وتعلَّم وعلَّم، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه والتابعين، الثقاة الحفظة الضابطين

أمَّا بعد:

فقد تحصَّن المسلمون الأوائل بالقرآن الكريم، وسنة رسوله، فحصَّنوا اللغة العربية صوتًا ورسمًا ممَّا يصيب اللغات عادة من تشويهٍ، أو تبديلٍ، أو انقراضٍ، مستحدثين كلَّ ما من شأنه ضبط اللسان، مستلهمين منطق اللغة في بنيتها الصوتية والتركيبية؛ فوضعوا قواعد علمي التجويد والنحو ، وهم بذلك ضبطوا الجانب الشفاهي للغة، المتمثل في السماع والتحدث، أمَّا الجانب التقييدي للغة والمتمثل في الكتابة، فوضعت قواعد الرسم الإملائي والخط العربي؛ لضبط الكتابة ومن ثم القراءة ، وبذلك تمَّ تحديث مهارات اللغة الأربع: الاستماع، والتحدث، والكتابة، والقراءة؛ فغدت اللغةُ العربيةُ أداة كلِّ عالمٍ ومتعلِّمٍ، وكاتبٍ ومتكلِّمٍ، فانعكس ذلك على الثقافة اللغوية العامة؛ فتبلورت هوية الحضارة العربية الإسلامية، التي تسامت فوق كلِّ الحضارات.

واليوم ونحن نعايش واقعًا متسارعًا متناميًا متداخلاً في الرؤى والثقافات، آلياته نافذة ومؤثرة، أعتقد أننا بحاجة إلى تحديث آلياتنا اللغوية؛ لحماية وتطوير حضارتنا العربية الإسلامية، لتزاحم بها في عصر العولمة؛ لأن التحديث سمة ومنهاج للتطور، ولا أحد يستطيع أن ينكر قيمة التحديث في كافة مجالات الحياة، فمن حدَّث ذاته وأدواته تفاعل، فأثَّر وتأثَّر، وحاكمه في ذلك هويته التي يرتكز إليها، وآلته اللغة صائغة هذه الهوية.

من هنا جاءت مشاركتي بهذا البحث المعنون بـــ «آليات تحديث منطقية اللغة العربية حفاظًا على الهوية ومواكبة لعصر العولمة» ضمن فعاليات مؤتمر «اللغة العربية ومواكبة العصر» على أرض المملكة العربية السعودية، برعاية كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، في إطار المحور الخامس «هموم اللغة العربية في عصر العولمة» وتحديدًا النقطة السادسة «اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة عصر العولمة»

يأتي هذا البحث في مقدمة ومبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

جاء المبحث الأول تحت عنوان: ملامح تحديث اللغة العربية قديمًا ومدى فاعليتها

رصدت في هذا المبحث مجموعة من الملامح الدالة على تفاعلية النظام اللغوي للعربية، وتفاعل المستخدمين مع لغتهم وصولاً إلى نقاط ضبط تحفظ اللغة وتراثها، لمسايرة ركب الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها الماضية، وذلك من خلال مجموعة من الملامح تمثلت في:

١- قواعد تجويد القرآن الكريم استقرار للصوت العربي.

٢- نقط الحرف وقواعد الإملاء سمة فارقة في الكتابة العربية.

٣- تقعيد النحو ضرورة واقعية.

وجاء المبحث الثاني تحت عنوان: آليات التحديث المنبثقة عن منطقية اللغة العربية

يأتي هذا المبحث مناقشًا لعدد من ركائز اللغة العربية، مع إمكانية الانطلاق بها وفق متطلبات العصر؛ لكي تتسم اللغة بفاعلية الحياة، وإحداث

اتساق مع حركة التطور الاجتماعي، انطلاقًا من الحدود والأطر التي بنيت عليها ، وذلك من خلال الآليات التالية:

١- المنطق الصوتي واستغلال معطياته.

٢-المنطق التركيبي ودعوات تيسير النحو ما لها وما عليها.

٣-منطق صياغة الثروة اللغوية وكيفية تطويره.

يرتكز هذا البحث في استقاء مادته العلمية على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع في مجال التجويد والقراءات القرآنية، وعلم الأصوات وتطبيقاته، وكتب تقعيد النحو، وكذلك مؤلفات تيسير النحو العربي، والمعاجم اللغوية والموضوعية، ومجموعة من الدراسات والأبحاث الحديثة.

غاية هذا البحث إلقاء الضوء على مدى تفاعلية أبناء اللغة العربية مع لغتهم، وانفعالها ومواكبتها للتطورات العلمية والثقافية عبر تاريخها، وبالتالي قدرتها على ذلك في عصرنا الحاضر وفق استثمارنا لمكامن قوتها، وأسرار بقائها، وتفعيل ذلك وجعله آليات للتحديث.

المبحث الأول: ملامح تحديث اللغة العرب قديماً ومدى فاعليتها

هناك مجموعة من الملامح الدالة على تفاعلية النظام اللغوي للعربية ، وتفاعل المستخدمين مع لغتهم وصولاً إلى نقاط ضبط تحفظ اللغة وتراثها ، وتساير ركب الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها الماضية ، من هنا يأتي هذا المبحث راصدًا لبعضٍ من هذه الملامح ، مسلطًا الضوء عليها؛ لتكون نبراسًا يُهتدى به إلى سبل التحديث المنشودة لتطوير اللغة العربية مسايرة لروح التقدم في العصر الحديث.

أولاً: قواعد تجويد القرآن الكريم استقرار للصوت العربي

اللغة أهم وأرقى وسائل التعبير الإنساني، والصوت مكمن اللغة ، فـــ "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "(١) وأصوات اللغة وقودها المحرك لها عبر الحناجر والألسنة، قارعًا آلة السمع، موصلاً كيان عقل المرسل بكيان عقل المتلقي، فهي مغزل الفكر مدار عملية التواصل الإنساني، كما أنها " تمثل الجانب العملي للغة، تلك الوسيلة التي أفاء الله بها على البشر؛ فكانت أبرز وأهم وسائل الاتصال "(٢).

---

(١) الخصائص لابن جني ، ت / محمد علي النجار ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٣م، ج١ ، ص ٣٣٠

(٢) معالم الأصوات العربية، د. عبد المنعم عبد الله محمد ، د. صلاح الدين محمد قناوي، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧ هـــ - =

إذن الأصل الأصيل في حياة اللغة الحية هو الصوت اللغوي ، ولا أكاد أكون متجاوزًا عندما أقول: إن اللغة بأصوات مستعمليها لا بأبنائها؛ لأن الأبناءِ قد يتهاونون في تتبع خطى نسجها طواعية بالانزلاق إلى استعمالات لا ترقى إلى مستوى الضبط الفصيح، أو التحول إلى تبني لغات أخرى كسُبل إلى مسيرة حياة ، وقد يكون تحوُّل الأبناء عن لغتهم بالإكراه، كفرض لغة بعينها على مجتمع مغلوب على أمره بأي نوع من أنواع السيطرة.

هذا ما يحدث في معظم اللغات ، ولكن في لغتنا العربية فهو أمر نادر الحدوث ، بل مستعصيٌّ على الحدوث؛ لأن العربية حُصنت صوتًا من قبل القرآن الكريم {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يوسف٢، {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } الزخرف٣، كما أنه موجه للناس جميعًا {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً} الإسراء١٠٦، ودليلنا الواقعي الآن أن الصوت العربي ينطلق مدويًا كل يوم من حناجر ما يقارب المليار ونصف المليار مسلم على مستوى العالم ينتمي إلى العربية منهم حوالي ٢٤٠ مليون عربي.

فالقرآن حصن حصين للغة العربية من خلال نسيج آيه الحكيم، يدوي الصوت العربي في أرجاء المعمورة ، نعمة ما بعدها نعمة، وشرف ما بعده شرف، لم تنله لغة قبل ، ولن تنله لغة بعد، فاللغة العربية نافذة عبر العصور، باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يقول أحد الباحثين: "إن من أهم خصائص العربية أصوات الحروف فيها؛ لأن جوهر الصوت العربي بقي

= ١٩٩٧م، ص ٣٥

واضحًا وهو ما يتمثل في قراءة القرآن الكريم، وإخراج الحروف الصامتة إخراجًا يكاد يكون واحدًا "[١]

وهنا يطرح السؤال نفسه، كيف حُوفظ على النسيج الصوتي للغة العربية من خلال النص القرآني ؟

القرآن الكريم نسج لغوي عربي متكامل صوتيًّا وتركيبيًّا ودلاليًّا، وهذه حقيقة مستقرة والصوت اللغوي هو المدخل الطبيعي إلى أية لغة، للنفاذ إلى مستوياها الأخرى، وامتلاك ناصيتها ، جاء القرآن الكريم مرسخًا لهذا المبدأ، قال عزَّ وجل {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً }المزمل٤، وفي موضع آخر{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} الأعراف٢٠٤، قال ابن الجزري:" ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب ، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى "[٢]

من هنا جاء التوجه، فقد " اتَّخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن الكريم أساسًا لتطلعاها، وآياته مضمارًا لاستلهام نتائجها ..... لهذا بقيت العربية في ذروة عطائها الذي لا ينضب، وظلت إضاءاها في قمة ألقها الذي لا يخبو، فكم من لغة قد تدهورت وتعرضت لعوامل الانحطاط، وانحصرت أصالتها برطانة الدخيل المتحكم من اللغي الأخرى، فذابت وخمد

(١) بحوث لغوية، د. أحمد مطلوب ، ط١ ، دار الفكر ، عمَّان ، ١٩٨٧ ، ص ٢٧

(٢) النشر في القراءات العشر ، صححه وراجعه / علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، ج١ ، ص ٦

شعاعها الهادي، إلاَّ العربية فلها مداد من القرآن"[١].

إن علمي القراءات والتجويد نتيجة طبيعية لكلف العلماء بالنص القرآني ، والحفاظ عليه صوتًا نابضًا غضًّا نضرًا كما تلقاه السلف الصالح من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عملوا على ضبط القراءات وإليهم يعد الفضل في وجود هذا التراث في الدراسات الصوتية، التي أرسى قواعدها الخليل وتلميذه سيبويه الذي عاصر أساتذة قرَّاء القرآن الرواد، وأخذ منهم القراءات عرضًا وسماعًا.

لقد استقلَّ علما القراءات والتجويد على يد القراء الذين صنفوا في مؤلفاتهم أصوات اللغة، وأنواعها، ومخارجها، وضمنوها نظرات صائبة تتفق إلى حد كبير ومعطيات الدرس الصوتي الحديث، الذي يعرف بـ phonotics أي: علم الأصوات، مثل (التيسير في القراءات السبع) لأبي عمر الداني تـ ٤٤٤هـ ، (النشر في القراءات العشر) لابن الجزري، تـ ٨٣٣ هـ، (الرعاية في تجويد القراءات وتحقيق التلاوة) لمكي بن أبي طالب، تـ ٤٣٧هـ، (التحديد في الإتقان والتجويد) لأبي عمر الداني.

هذا إلى جانب المصنفات التي اهتمت بدراسة ما يحدث من تغيرات صوتية في النطق، مثل كتاب (الإبدال) لابن السكيت، تـ ٣٤٤هـ، (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي، تـ ٣٥١هـ، وكتب لحن العامة مثل (لحن العامة) لأبي بكر الزبيدي، تـ

(١) الصوت اللغوي في القرآن ، د. محمد حسين علي الصغير ، دار المورخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢٠٠٠ ،ص ٧٣

٣٧٩هـ، (تثقيف للسان) لابن مكي الصقلي تـ ٥٠١هـ[١].

مظاهر التحديث الصوتي عند علماء العربية

من الثابت علميًّا أن أول دراسة صوتية لتحديد مخارج الأصوات العربية كانت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي تـ ١٧٥هـ، حتى وإن كانت الغاية من ورائها غير ذي صبغة صوتية، حيث إن هذا الجهد من قبل الخليل جاء في معرض بحثه عن طريقة ما لترتيب مفردات اللغة العربية التي جمعها، وكان بحاجة إلى منطق ما لتبويب هذه الحصيلة اللغوية، فهداه تفكيره لهذا الترتيب الصوتي فيما عُرف عنه بمعجم العين، ويفصل لنا منهجه تلميذه الليث بن المظفر الذي روى معجمه قائلاً: " فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول ا، ب، ت، ث،... وهو الألف؛ لأن الألف حرف معتل، فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء ، إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر في الحروف كلها وذاقها، فيصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق... وإنما كان ذوقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: اب، ات، اح ، اع، اغ؛ فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم "[٢].

---

(١) ينظر: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، د. كريم زكي حسام الدين ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ص ١٧

(٢) ينظر: معجم العين ، تـ /د. عبد الله درويش ، ط مطبعة العاني بغداد ١٩٦٧م، ص ٥٢-٥٣

من خلال هذا المنهج نستشف أن عمل الخليل ساهم فيما يلي:

وصف الجهاز النطقي عند الإنسان مبتدأ بالحلق، منتهيًا بالشفتين، مقسمه إلى مدارج، موزعًا الأصوات العربية عليها.

كان دقيقًا في تقسيم مجموعة الأصوات التي تنتمي إلى مخرج واحد، فحروف الحلق لا يتم إنتاجها عند نقطة واحدة في التجويف الحلقي ، وقسم الحلق إلى أحياز ، أقصى الحلق ، ووسطه ، وأدناه[١]؛ وعليه رتب الأصوات وفق مخارجها ترتيبًا تصاعديًّا دقيقًا كما يلي: ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج ، ش ، ض ، ص ، س ، ز ، ط ، د ، ت ، ظ ، ذ ، ث ، ر ، ل، ن ، ف ، ب ، م ، و ، ا ، ي ، ء[٢] ، وهي تسعة وعشرون صوتًا.

قسَّم الأصوات إلى صحيحة، وضابطها أن لها أحياز، ومخارج، وهي خمسة وعشرون ، وأصوات هوائية وهي أربعة [و — ا — ي — ء]، وسميت هوائية لأنها هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وهو بذلك ألمح إلى الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة.

جانب آخر خاص بائتلاف الأصوات في نسيج الكلمة العربية، فمن ملاحظاته في هذا الجانب، أن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب

---

(١) ينظر: السابق ص ٦٥

(٢) وضع الخليل الهمزة في آخر الهجائية الصوتية؛ لأنه وجدها تتغير في النطق بين التسهيل والتحقيق ، ونجده يشير إلى أن مخرجها من أقصى الحلق ، ينظر هامش أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ص ١١٣- ١١٤

مخرجيهما، إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل: [حيعل][١]، أي: حي على الفلاح.

كانت الريادة في هذا المجال للخليل، وانطلق الدرس الصوتي بعد ذلك مستلهمًا خطواته، ومستحدثًا آليات تدعِّم هذا الجانب من الدراسة اللغوية.

قد عالج سيبويه تلميذ الخليل الأصوات اللغوية في مصنفه (الكتاب)، وخاصة في الجزء الثالث في باب الإدغام، قائلاً: "هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها، ومجهورها ومهموسها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها، فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفًا "[٢].

تتسم معالجة سيبويه للأصوات بالملامح التالية:

أعاد النظر حول ترتيب الأصوات على المخارج الصوتية، فقد اتبع الترتيب المخرجي كما عند أستاذه الخليل من الحلق إلى الشفة، ولكنه خالفه في ترتيب الأصوات نفسها ، فقد بدأ بالهمزة، ثم الألف، ثم الهاء،...إلخ

قسَّم الأصوات العربية إلى أصول وعددها تسعة وعشرون، وفروع وأصلها من التسعة والعشرين، وهو بهذا يفرق بين ما عرفته الدراسات الصوتية الحديثة من الفرق بين [الفونيم phoneme] و[والفون Allophone]، أو الوحدة الصوتية ، والصورة الصوتية[٣].

---

(١) ينظر: معجم العين ، ص ٦٨

(٢) الكتاب لسيبويه ، تـــ / عبد السلام هارون ، ٤ / ٤٣٦

(٣) الفونيم : هو الوحدة الصوتية التي يترتب على تغييرها تغيُّر المعنى ، كالقاف والميم في [قال – مال] ، أما الفون: فهو الصورة الصوتية التي لا يترتب على تغييرها =

اعتمد سيبويه على مبدأ المشافهة في دراسته الصوتية، أي: اللغة المنطوقة المسموعة ، لا اللغة المكتوبة المدونة، وذلك عندما قال: " وهذه الحروف التي تتمتها اثنين وأربعين، جيدها ورديئها، أصلها التسعة والعشرون، لا تبين إلا بالمشافهة " [١]

صنَّف سيبويه الحروف باعتبار طريقة النطق ، أو التحكم في الممر الصوتي ، صنفها تصنيفات متنوعة ، كما أطلق كثيرًا من المصطلحات على حروف العربية.

أمَّا ابن جني فقد جمع أشتات الدرس الصوتي وضم متفرقة في كتابه (سر صناعة الإعراب) ويمكن إجمال مساهماته فيما يلي[٢]:

= تغيُّر في المعنى كالهمزة في [قال – وآل] ، بمعنى القول في العامية المصرية. ينظر معالم الأصوات العربية ص ٣٩.

يربط الدكتور كريم بين ما توصل إليه سيبويه من أن اللغة بها حروف أصول، وأخرى فروع عنها ، وبين ما عبر عنه فندريس حديثًا فيقول: نجد ما فطن إليه سيبويه منذ مئات السنين يردده أحد اللسانين المعاصرين قائلاً: لسنا في حاجة إلى القول بأننا لا نستطيع إحصاء الأصوات في لغة ما بعدد الحروف الموجودة في أبجديتها، فلكل لغة فيها من الأصوات أكثر مما في كتابتها من العلامات، تلك حال الفرنسية، والإيطالية، ولإنجليزية، والألمانية. أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ص ١١٦

(١) الكتاب لسيبويه ص ٤ / ٤٣٢

(٢) سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، تحقيق / السقا وآخرين ، مصطفى البابي الحلبي، ط١ ، ١٩٥٤ م ، مقدمة المحقق.

عدد حروف المعجم ، وترتيبها، وذوقها.

وصف مخارج الحروف [الأصوات] وصفًا تشريحيًّا دقيقًا.

بيان الصفات العامة للحروف ، وتقسيمها إلى أقسام مختلفة.

ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال، أو الإبدال، أو الإدغام، أو النقل، أو الحذف.

نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد، وأنها راجعة إلى تأليفه من أصوات متباعدة.

يعتبر ابن جني هو أول من أطلق على هذا اللون من الدراسة اسم علم الأصوات، وفاخر أقرانه قائلاً: "وما علمت أحدًا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع"(١).

إضافات أخرى وتحديثات جديدة للأصوات العربية جاءت على يد العالم العربي ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث الحروف)، وجملة ما جاء فيها(٢).

سبب حدوث الحرف.

سبب حدوث الحرف وكيفية إنتاجه مع حديث عن المخارج والمحابس.

تشريح الحنجرة واللسان، وهنا تبرز العلاقة بين الدراسات الصوتية والطبية.

الحروف العربية وكيفية صدور كل حرف منها فسيولوجيًّا.

الحديث عن بعض الأصوات التي سمعها في لغات أخرى غير عربية،

---

(١) سر صناعة الإعراب ، ١/ ٦٣

(٢) ينظر: أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، تصحيح / محب الدين بن الخطيب، مطبعة المؤيد ١٣٣٢هـ. كما ينظر: الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، ط ٦، ١٩٨١ م، الأنجلو المصرية، ص ١٣٦-١٥٢، معالم الأصوات العربية ص ٤٣

مثل السين الزائية، والزاي السينية، والفاء الشبيهة بالباء.

الحديث حول كيفية إنتاج بعض الأصوات بحركات غير نطقية كالطاء التي تنتج عن تصفيق باليدين بحيث لا تنطبق الراحتان.

يلاحظ أن ابن سينا وظَّف مجال عمله وهو الطب في خدمة دراسة الأصوات العربية، وهذا تطور بارز في تاريخ الدرس الصوتي العربي.

في تطور آخر يعتبر تحديثًا ملموسًا من هذا الجانب، استطاع السكاكي أن يقدم لنا أول رسم بياني لجهاز النطق مشفوعًا بتوزيع الأصوات اللغوية عليه حسب مخارجها(١).

هكذا نستبين حركة الترقي والتحديث لهذا الجانب الهام من جوانب اللغة العربية، مما يعطي انطباعًا عامًا بأهمية تطور النظر في جوانب لغتنا العربية، وما طرح من مباحث صوتية كان دافعه ومحركه ومطبقه على مجال الواقع المنظور علماء القراءات القرآنية والتجويد ، فقد قاموا بمحاولة تطبيقية للدرس الصوتي على الأداء القرآني ، ويظهر ذلك جليًّا في تعليلاتهم الصوتية لأحكام الميم الساكنة، والنون الساكنة، والتنوين، عند التجاور مع بقية حروف العربية في السياق، وشاعت بين مصنفاتهم كثير من المصطلحات الصوتية(٢).

ثانيًا: نقط الحرف وقواعد الإملاء سمة فارقة في الكتابة العربية

انطلاقًا من نص صوتي تشريعي وجب الحفاظ عليه ، وإرث لغوي ذي معالم وأطر محددة ، مع انتشار أفقي واسع تمثَّل في اتساع رقعة الدولة

(١) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي ، ط١ ، البابي الحلبي ١٩٣٧م ، ص ٦

(٢) ينظر في ذلك: النشر في القراءات العشر ، ج ٢ ص ٥٢

الإسلامية، وتداخل لغات وثقافات غير عربية، من هذا وذاك برزت الحاجة إلى ضبط الشكل الكتابي الممثل للنص الصوتي، ومعاودة النظر في الأبجدية العربية؛ لتكون ذات إطار وشكل منضبط لما تمثله من أصوات مختلفة.

نقط الحرف:

عُرِف اصطلاحًا بالإعجام(١)، وجملة القول فيه: تمييز الأحرف المتشابهة في الأبجدية اللغوية العربية بنقطها ، ك [ب ، ت ، ث] ، و [ج، ح ، خ] ، و [د ذ] وغيرها ، وكانت هذه الرموز الكتابية غير منقوطة.

نشأ عن استخدام الأحرف الكتابية من غير تنقيط لبس في فهم النصوص المكتوبة ، أدى إلى انحرافات دلالية طالت كتاب الله العزيز، ورسائل ومكاتبات متبادلة بين الولاة ، وغير ذلك مما كان يُقَيَّد كتابة في هذا الوقت، وعُرف هذا النوع من الخطأ اللغوي بالتصحيف، " والاهتمام بالإعجام كان نتيجة لشيوع التصحيف ، وكانت المصاحف مجردة من الإعجام، ومكث الناس يقرأون في مصحف عثمان نيفًا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وخاصة في العراق، مما أفزع الحجاج بن يوسف والي العراق، فطلب من ولاته وضع العلامات على

(١) الإعجام لغة: هو إزالة استعجام الكتاب بالنقط ، والإعجام في الخط هو التنقيط، والعَجْمُ: النقط بالسواد ، مثل التاء عليها نقطتان ، أي: نقط الحروف المتشابهة في الرسم لعدم وقوع اللبس في قراءتها ، خوفًا لما يطرأ عليها من تصحيف. ينظر: الخط والكتابة في الحضارة العربية ، د.يحي وهيب الجبوري ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ص ١٠٥

الحروف المشتبهة، وقيل: إن أول من نقط المصاحف هو يحي بن يعمر، وقيل: بل هو نصر بن عاصم"[١].

ولكن هل نقط الحرف بهذه الكيفية كان اختراعًا في ذلك الوقت ؟ أم كان تطويرًا وتحديثًا لآليات كتابية سابقة؟

هناك إشارات ودلائل على أن هذا الصنيع لم يكن اختراعًا بل تطورًا وتحديثًا لما كان يستخدم جزئيًّا قبل ذلك في الكتابة، وقيل إن هناك إشارة تدل على معرفته في العصر الجاهلي من خلال استعمال كلمتي: (الرقش والترقيش)[٢] في الشعر الجاهلي.

وقيل: إن العرب حينما احتاجوا للإعجام تأثروا باللغات المجاورة كالسريانية، والعبرية [٣]، كما أن هناك إشارات تدل على معرفة الإعجام زمن الرسول -ﷺ- والصحابة، والخلفاء الراشدين[٤] فقد روي أن النبي -ﷺ- قال: " إذا اختلفتم في الياء والتاء فاكتبوها بالياء"، ونقل عن عبدالله بن عباس قوله: " لكل شيء نور ونور الكتاب العجم "، وجاء عن عبيد بن أوس الغساني كاتب معاوية قوله: " كتبت بين يدي معاوية كتابًا ، فقال لي:

---

(١) الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ص ١٠٥

(٢) الرَّقْشُ والترْقِشُ: الكتابة والتنقيط ، وحية رقشاء: فيها نقط سواد وبياض ، ينظر: اللسان مادة [رقش] ، وجاء في المعجم الوسيط تحت مادة رقش: ومن معاني الترقيش: التزيين ، والتحسين ، والنقش ، والزخرفة ، والتسطير.

(٣) ينظر: الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ص ١٠٦

(٤) ينظر: السابق ، ص ١٠٦- ١٠٧

يا عبيد ، أرقش كتابك، فإني كتبت بين يدي رسول الله -ﷺ- فقال: يا معاوية أرقش كتابك، قال عبيد: وما رقشه يا أمير المؤمنين؟ قال: أعط كل حرف ما ينوبه من النقط ".

خلاصة القول في هذا "أن الإعجام كان موجودًا، وقد عرفه العرب منذ عصر الرسالة ، واستعملوه في كتاباتهم اليومية، إلا أنه لم يكن إعجامًا كاملاً، بل في بعض الكلمات، وبعض الحروف من الكلمات، والمصاحف كان فيها نقط، فلما كثر التصحيف في العصر الأموي، سارعوا إلى تنقيط المصاحف"(١).

إذن نقط الحرف تطور طبيعي لحركة اللغة، حدث في العصر الأموي استجابة لواقع ثقافي فرضه التطور الاجتماعي للدولة العربية الإسلامية.

قواعد الإملاء:

نعني بها القواعد المنظمة للكتابة لكي ننقل الصورة الصوتية التعبيرية إلى شكل كتابي مقيد ، يحمل رسالة الكاتب إلى القارئ، فلابد أن تتسم بالدقة والانضباط والتوافقية بين المستعملين.

من هنا " يحتل الإملاء العربي مكانة كبيرة على خريطة الكتابة العربية؛ لأنه في الواقع يمثل حجر الزاوية في فهم المكتوب، وعرضه بصورة واضحة"(٢)، فهو " الوسيلة الأساسية إلى التعبير الكتابي، ولا غنى عن هذا التعبير، فهو الطريقة الصناعية التي اخترعها الإنسان في أطوار تحضره؛ ليترجم

---

(١) ينظر: السابق ، ص ١٠٧- ١٠٨

(٢) قواعد الإملاء العربي بين النظرية والتطبيق ، د. حسن شحاته ، د. أحمد طاهر حسنين ، مكتبة الدار العربية للكتاب ص٧

بها عما في نفسه، لمن تفصله عنهم المسافات الزمنية والمكانية، ولا يتيسر له الاتصال بهم عن طريق الحديث الشفوي"[١].

انطلاقًا من هذه القيمة الإستراتيجية للإملاء العربي، قُعدت قواعده منذ وقت مبكر، لكي تكون قانونًا موحدًا يجب أن يلتزم به كل كاتب، والإخلال به يُعد نقصًا في آلة الكاتب، وعُرف هذا الجانب من الضبط اللغوي قديمًا بالهجاء، وأوضح ذلك الدكتور فايز فارس في تحقيقه لأحد المصنفات في الإملاء قائلاً[٢]: لقد تبين أن القدماء عنوا بالهجاء ما يعني المحدثون بالإملاء، وقد صنَّف السابقون مصنفات مستقلة في الهجاء ، كما أن كثيرًا منهم عقد لهما أبوابًا في الكتب النحوية، ومن المصنفات المستقلة:

١- كتاب الهجاء للكسائي، ١٨٠هـ ٢- آلة الكتاب للفراء، ٢٠٧هـ

٣- كتاب الهجاء للسجستاني، ٢٠٥هـ. ٤- الخط والهجاء للمبرد ٢٨٥هـ.

٥- كتاب الهجاء لثعلب، ٢٩١ هـ ٦- مختصر ما يستعمله الكتاب لأبي سعيد، ٢٩٦هـ

٧- كتاب الهجاء والخط لابن كيسان ٢٩٩هـ ٨- الخط والقلم

---

(١) الإملاء والترقيم في الكتابة العربية ، عبد العليم إبراهيم، مكتبة غريب ، ص ٩

(٢) ينظر: باب الهجاء للإمام أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي، (ت٥٦٩هـ)، تحقيق / د. فائز فارس، مؤسسة الرسالة بيروت، ودار الأمل الأردن ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ، ص ٤٠- ٤٦

للمفضل بن سلمة ٣٠٠هـ

٩- كتاب صورة الهمزة للطبري ٣١٠هـ ١٠- الخط والهجاء لابن السراج ٣١٦هـ

١١- كتاب الهجاء للجعد ٣٢٠هـ ١٢- كتاب الهجاء لابن الأنباري ٣٢٨هـ

١٣- كتاب الهجاء لابن درستويه ٣٤٧هـ ١٤- كتاب الهجاء للأصفهاني ٣٧٠ هـ

١٥- كتاب الهجاء للرماني ٣٨٤ هـ

وعدد منها أكثر من عشرين مصنفًا، ثم عرض للكتاب موضع التحقيق وهو (باب الهجاء لابن الدهان)(١).

المتتبع لهذا الكتاب يجد أن موضوعات الهجاء ، أو آلة الكتَّاب كما كان يسميها القدماء ، أو قواعد الإملاء كما استقر حديثًا ، يجدها قد تشكلت واستقرت عبر نظرات وتحديثات متوالية (٢)، حتى أصبحت قواعد ثابتة، ساهمت

---

(١) تناول هذا الكتاب مجمل قواعد الإملاء العربي ، كألف الوصل، وهمزة القطع، وما يزاد ويحذف في الكتابة ، وما يتصل وينفصل من الكلمات، وعقد فصلاً لكتابة المقصور والمنقوص والممدود ، وفصلاً آخر لرسم الهمزات، وبيَّن أحكام الهمزات ورسمها في الابتداء والتوسط والتطرف، وغير ذلك من أمور تتعلق بالإملاء والخط ، ينظر: الجزء الثاني من الكتاب ص ١ - ٤٨

(٢) ظهرت في العصر الحديث آراء ونظرات متعددة تحت ما يسمى تيسير القواعد الإملائية، تمثلت في: بحوث، ومقترحات، ورسائل ، وكتب ، طرحت ونوقشت داخل المجامع اللغوية، تهدف إلى حيوية وتفاعلية الشكل الكتابي مع حركية اللغة =

مع نقط الحرف في رسم معالم الجانب الكتابي للغة العربية، ومن ثم ضمان التوثيق الدقيق للفكر العربي عبر الكتابة، حتى يتلقاه من يتلقاه في زمنه أو بعده بعدة أزمان قارئًا إياه، مستوعبًا محتواه وفق ما أراد كاتبه، مستوثقًا من حيوية وتفاعلية هذا الشريان اللغوي في حمل نبض فكر الكاتب إلى من يقرأ؛ بذلك يعتبر نقط الحرف وقواعد الإملاء سمة فارقة في الكتابة العربية.

ثالثًا: تقعيد النحو ضرورة واقعية:

قد بلغت اللغة العربية حدًا من النضج الثقافي الشفاهي أهلها لاستيعاب القرآن الكريم {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ } الشعراء ١٩٥، الذي جاء نسجه اللغوي من أصوات وبنى صرفية وتراكيب نحوية تتسق مع منظومة العربية، تلقاه الرسول -ﷺ- وكان يتصف بأنه أفصح من نطق بالعربية، وأمر بتبليغه، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً }سبأ٢٨، {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً } الإسراء ١٠٦؛ فالرسالة عامة وكافة بلسان عربي واضح غير قابل للتحريف ، أو للانحراف، وكانت العربية تتداول على الألسنة شفاهة، وتؤخذ سليقة، فأصبح هذا الوضع اللغوي غير قابل للاستمرار في ظل كيان عربي إسلامي أخذ في التشكل، تمثل في الدولة العربية الإسلامية الموحدة التي تتسع كل يوم، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا، عربًا بلهجات متفرقة، وعجمًا بلغات متعددة.

= العربية في العصر الحاضر، ينظر: الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، فصل (قواعد الإملاء على بساط البحث) ص ١٠١ - ١١٥

من هنا بدأ نذر ما يسمى باللحن[١] ، وهو الخطأ اللغوي وعُرف منذ عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، ثم الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم أجمعين)، فقد أرشد الرسول – صلى الله عليه وسلم – الصحابة بتقويم أحد الرجال بحضرته، فقال: " أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ " ، وقد كان أبو بكر الصديق يقول: " لأن أقرأ فأسقط أحب لي من أن أقرأ فألحن"، وفي عهد عمر بن الخطاب بدأت هذه الظاهرة في التفشي ، فعندما مرَّ عمر على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا: "إنا قوم متعلمون" ، فأعرض مغضبًا وقال: "والله لخطؤكم في لسانكم أشد على من خطئكم في رميكم ، سمعت رسول الله –ﷺ– يقول: رحم الله امرأ أصلح من لسانه"

وطال اللحن كتاب الله، فقد روي أن رجلاً قرأ قوله تعالى {وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ }التوبة٣ ، بكسر لام رسوله ، فقال أعرابي سمع ذلك: إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه.

وقصة بنت أبي الأسود مَعْلَمٌ مشهور في هذا الجانب ، عندما دخل عليها أبوها وقد اشتدَّ الحر بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحر ، رفعت

(١) يعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها ، وأيضًا استنباط قواعد النحو وتصنيفها ، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هبَّ على صوته أولو الغيرة على العربية والإسلام ، ينظر: عرض تاريخي لهذه الظاهرة في كتاب (أصول النحو) ، سعيد الأفغاني ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، سورية، ١٤١٤ هـــ - ١٩٩٤م ـــ ص ٦ - ١٥

أشد، فظنها تسال، وتستفهم منه، أيُّ زمان الحر أشد ؟ فأجابها، فقالت: يا أبت إنما أخبرك و لم أسألك.

ودخل رجل على زياد فقال له: "إن أبينا هلك، وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا، فقال زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك".

كما ذُكر أن أعرابيًّا دخل السوق فسمعهم يلحنون ، فقال: سبحان الله ! يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن، ولا نربح!

ثم شاع اللحن في العصر الأموي، حتى تطرق إلى البلغاء من الخلفاء والأمراء، كعبد الملك، والحجاج، والناس يومئذ تتعاير به، وكان مما يسقط الرجل في المجتمع أن يلحن ، حتى قال عبد الملك، وقد قيل له: " أسرع إليك الشيب ، فقال: شيبني ارتقاء المنابر مخافة اللحن "، وكان العرب كما قرر بن جني أشد استنكارًا لزيغ الأعراب منهم لخلاف اللغة، فقد ينطق بعضهم بالدخيل والمولد، ولكنه لم ينطق باللحن.

خطوات تقعيد النحو:

جاءت الخطوة الأولى من قبل قراء الذكر الحكيم كإجراء احترازي لصون النص القرآني المدون في المصحف العثماني من الخطأ، ووضع ما يعرف بنقط الشكل، وينسب إلى أبي السود الدؤلي أنه لاحظ أن أواخر الكلمات في سياق الآيات يكون بعضها مرفوعًا ، أو منصوبًا ، أو مجرورًا أو مجزومًا، فعمل على وضع علامات تحدد للقارئ حركات أو حالات الإعراب، وكان ذلك بأن قال لأحد طلابه: " إذا رأيتني قد فتحت شفتي بالحرف فأنقط نقطة أعلاه، وإذا ضممت شفتي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت شفتي فاجعل نقطة تحت الحرف،

فإن أتبعت شيئًا من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين...." (١)؛ وقد تمكن أبو الأسود بذلك من وضع مقياس للنطق السليم، كما يعد أول من استخدم النقط في الضبط الإعرابي (٢).

أبو الأسود بهذا الصنيع قد لفت الأنظار إلى الارتباط الوثيق بين حركات أواخر الكلمات ووجود نظام شامل تصدر عنه هذه الحركات ، وهذا ما فطن إليه من جاءِ بعده من القراءِ والنحاة ، مثل عبد الرحمن بن هرمز ، ويحي بن يعمر الذي شارك نصر بن عاصم في إعجام الحروف، وعبد الله بن إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر، وقد تبلور هذا النظام الشامل لأول مرة في قواعد العربية نحوًا وصرفًا على يد سيبويه في كتابه الكتاب "(٣).

قد تطور نقط الشكل هذا فيما بعد على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى علامات تميز نقط الشكل عن نقط الإعجام ، وهو ما نعرفه الآن بالفتحة والضمة والكسرة، وفي حالة التنوين تُكرَّر ، كما وضع علامة للسكون والهمزة والشدة (٤)، ولم يقتصر عمل الخليل على كتابة المصاحف، بل استُعْمِل في الكتابة بصفة عامة.

تمثلت الخطوة الثانية في وضع الأطر النظرية لأبواب النحو: هناك روايات

---

(١) ينظر: أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ، ت / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار نهضة مصر، ١٩٧٤م ، ص ٢٩

(٢) ينظر: معالم الأصوات العربية ، ص ٩

(٣) أصول تراثية ص ٩

(٤) ينظر: المحكم في نقط المصحف، لأبي عمرو الداني، صفحات:٣ ، ٦ ، ٧ ، ٩، ٤٣

كثيرة تتحدث عن بدايات هذا العلم والتنظير له، فمنها ما يشير على أنه علي بن أبي طالب، أو نصر بن عاصم، أو أبو الأسود الدؤلي، وهناك من يقول كان بإيعاز من علي بن أبي طالب لأبي الأسود الدؤلي، وغير ذلك الكثير، وينتهي الدكتور أحمد مختار عمر بعد عرضه لمعظم الأقوال والروايات حول هذا الموضوع بقوله" وقد تبين من هذا إلى أن السبب الأساسي في وضع النحو – مهما كان واضعه، ما فشا من لحن عقب الفتوحات الإسلامية، وامتداد آفاق اللغة العربية إلى مجالات لم تتح لها من قبل، وفساد الألسنة حتى بالنسبة للعرب أنفسهم نتيجة اختلاطهم بالأجانب"(١).

هكذا نتبيَّن أن تقعيد النحو كان لضرورة واقعية دعت الحاجة إليها في ذلك الوقت.

(١) البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ط ١ ، ١٩٨٨م ، عالم الكتب، ص ٨٦

المبحث الثاني: آليات التحديث المنبثقة عن منطقية اللغة العربية

اللغة كيان حيوي ذو صلة وثيقة بحياة الإنسان، والحياة لها بعدان: مكاني، وزماني، يتمثل الأول في المحيط الاجتماعي بما يحويه من عادات وتقاليد اجتماعية، وصلات وتأثرات على الصعيد المحلي أو العالمي، أما البعد الزماني فيتمثل في التراكمات التاريخية للخبرات والمعارف، وتوالدية الأفكار عبر الزمن، والانطلاق بها نحو المستقبل طلبًا للأحدث والأيسر والأسرع في تلبية حاجيات الإنسان، واللغة شريان الحياة لهذين البعدين.

إذن لابد أن تتسم اللغة بفاعلية الحياة الإنسانية؛ كي يحدث اتساق مع حركة العصر ، انطلاقًا من الحدود والأطر المنطقية التي بنيت عليها مع تواؤمية حركة التطور الاجتماعي والمعرفي عبر الزمن.

من هنا يأتي هذا المبحث ليناقش عددًا من ركائز اللغة العربية، وإمكانية الانطلاق بها وفق متطلبات العصر.

أولاً: المنطق الصوتي واستغلال معطياته

اللغة بناء لبناته الأساسية الأصوات فهي تتشكل لكي يُبنى منها الكلمات، ثم الجمل فالعبارات، أو كما يقول الدكتور/ احمد مختار عمر "فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة، أو المتجمعة في وحدات أكبر، ترتقى إلى أن تصل إلى المجموعة النفسية "[١].

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ص ٤٠١

ووفق ما قدمت لنا الدراسات الصوتية لأصوات العربية من تحديد لمخرجها، وصفات لها، وملامح لائتلافها وتنافرها ، وتشكيلات مقاطعها، وتلامحات أدائها من نبر وتنغيم وسكتات كلامية ، وغير ذلك من معطيات هذه الدراسات؛ يمكن إبراز مجموعة من الجوانب تعتبر آليات لتحديث وتفعيل هذا الجانب الهام في ارتقاء اللغة العربية.

١– تعليم الأداء وإجادة النطق

إن طبيعة العصر الحاضر تفرض تمايزًا واضحًا للجانب الصوتي الشفاهي على الجانب الكتابي للغة، وذلك بفضل مستحدثات العصر المتنوعة والمتعددة، والغالبية العظمى منها تعتمد بشكل أساسي على الاتصال الصوتي "والواجب على المرء أن يعرف كيف يتكلم بطلاقة؛ لكي يصل إلى جمهوره، ويحقق النفوذ الذي يبغيه، وطريقة نطق الإنسان لم تعد أمرًا خاصًا بالمتكلم، وإنما هو أمر متعلق بكل من يستمع ، سواء كان المتكلم سياسيًّا، أو عالمًا، أو فنانًا، أو ممثلاً رسميًّا،...، ولم يعد الجمهور السامع كما كان في الماضي تجمعًا صغيرًا من الأصدقاء، أو الأقارب أو الجيران ، يتجمعون في مكان صغير، فالجمهور الآن قد يكون آلافًا أو ملايين"(١).

ومن هنا يحتل الأداء أو فن النطق مكانًا هامًا في التعليم الحديث، والوسيلة إلى إجادته الدراسات الصوتية بمعطياتها، مما يؤدي إلى التغلب على أمراض الكلام الناجمة عن اكتساب عادات نطقية غير سليمة، " والنطق السليم لا يتطلب أكثر من وضع الأعضاء الصوتية في المواضع التي يتطلبها

(١) دراسة الصوت اللغوي ، ص ٤٠٢

كل صوت من أصوات اللغة "[١]، أما إذا كانت عيوب النطق أمراضًا في النظام العصبي المركزي، أو نقصًا في السمع فيفترض لها أن تكون هناك معرفة مسبقة بعلم الأصوات اللغوية [٢].

٢- تعليم العربية لغير الناطقين بها، وتعلُّم اللغات الأخرى:

من الجوانب الهامة التي يمكن استغلال معطيات الدراسات الصوتية فيها، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، نشرًا لها ومن ثم نشر للدين الإسلامي كرسالة حُمِّلنا بها، وكذلك تعلم اللغات الأخرى، تواصلاً مع المجتمعات الإنسانية، واندماجًا في المحيط العالمي، وإحاطة بالعلوم والفنون والمستحدثات التقنية، والتفاعل معها وتطويعها وفق آلياتنا الاجتماعية والثقافية، وتفاديًا لصداماتها.

يتأتى هذا من أن لكل لغة أنظمتها الصوتية، وعاداتها وخصائصها النطقية ، فتقدم الدراسات الصوتية أطرًا لكل لغة، يمكن من خلالها تفادي الخلط الصوتي بين نظام كل لغة [٣].

من الصعوبات التي تواجه الأجانب عند تعلمهم اللغة العربية مثلاً[٤]: نطق أصوات الحلق، فكلها أو جُلها تمثل أمامهم مشكلة صوتية، فالعين مثلاً

---

(١) أصوات اللغة ، د. عبد الرحمن أيوب ، ط١ ، ١٩٦٣ م ، ص ٢٤

(٢) ينظر: الصوت اللغوي ، ص ٤٠٢

(٣) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران، دار المعارف، ١٩٦٢م ، ص ١٣٦

(٤) ينظر: الأصوات، علم اللغة العام، د. كمال بشر، دار المعارف ١٩٧٠، ص ٢٢٣

ينطقها بعضهم كما لو كانت همزة أو هاء، والحاء تنطق خاء، وصوت القاف نسمعه من بعضهم، كافًا أو خاءً.

يضاف إلى هذا صعوبات أخرى تتعلق بنطق الكلام المتصل بسماته وخواصه الصوتية المعينة التي لا يقوم الأجنبي على معرفتها وإجادتها إلا بالتعلم والمران على يد خبير متخصص، وذلك مثل الانسجام الصوتي، والنبر وتوزيعه في الكلمة أو الجملة، وما يعرض للحركات من قصر وطول طبقًا للنظام الصوتي الذي يختلف باختلاف اللغات.

٣- توافق الشكل الكتابي مع المحتوى الصوتي

من مستحدثات الدراسات الصوتية ما يسمى بالكتابة الصوتية مما دفع د. أحمد مختار إلي القول بأن " أحدث طريقة لكتابة اللغات قائمة على الصوت....، وأي نظام ألفبائي يقوم على أساس من التعرف على الفونيمات، وكل فونيم يُعطى رمزًا معينًا يمثله "[١].

وقد لوحظ أن الأصوات يعتريها التطور والتغير عبر الزمن ، ومن ثم قصور الرموز الكتابية [الأبجدية] عن ملاحقة هذا التطور ، وتمثل هذا التطور في مظهرين[٢]:

الأول: عدم قدرة الأبجدية على تمثيل النطق تمثيلاً صادقًا، كالرمز للفتحة الطويلة برمز الياء في العربية (رمى)، وكإغفال هذا الرمز نهائيًا في مثل (هذا، هذه).

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ، ص ٤٠٥

(٢) ينظر: الأصوات ، علم اللغة العام ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧

الثاني: وجود رموز هذه الأبجديات دون وجود مقابل صوتي لها في الكلام المنطوق ، مثل الألف والواو في (رموا، عمرو)، حيث كتبت الألف في نهاية الكلمة الأولى ، والواو في نهاية الكلمة الثانية [١].

إذن يمكن من خلال آلية الكتابة الصوتية التغلب على عدم توافقية الشكل الكتابي مع المحتوى الصوتي.

٤- تعليم الصم وعلاج عيوب السمع والنطق

من مستحدثات الدراسات الصوتية علم الفونتيك الوقائي والعلاجي والشفائي؛ لمعالجة قضايا النطق والتلفظ لدى المعاقين[٢]، وهناك مصنفات علمية حديثة تعالج هذه العيوب مستخدمة الدرس الصوتي من وسائلها [٣] ، واستخدام علم الأصوات في تعليم الصم ذو أهمية خاصة، حيث يقوم المدرس بتعليمهم نطق بعض الألفاظ نطقًا تقريبيًّا يفهم، وتعويدهم قراءة شفاه المتكلمين عند الكلام ، وفهم ما يقولون.

إذن المعطيات الصوتية آلية لدمج هذه الفئة في المحيط الاجتماعي،

---

(١) يوجد باب مستقل في الكتب التي تعالج قواعد الإملاء يعرف بالحروف التي تزاد في الكتابة ، والتي تحذف من الكتابة ، ينظر على سبيل المثال: الإملاء والترقيم في الكتابة العربية ، ص ٦٧ — ٨٣

(٢) فنون التقعيد وعلوم الألسنية، د. ريمون طحان، د. دنيز طحان، دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، ١٩٨٣ ، ص ١٤١

(٣) ينظر: أمراض الكلام ، د. مصطفى فهمي، ط٤، دار مصر للطباعة ، ص ٢٢١، الصوت اللغوي ص ٤٠٧ — ٤٠٩

والتواصل معها، وإفادها، والاستفادة منها.

٥- هندسة الصوت ووسائل الاتصال

هناك فرع في الدراسات الصوتية يسمى بعلم الأصوات الفيزيائي ، نما وازدهر حديثًا من خلال عناية مهندسي الاتصالات بمعطياته ، ودراستهم للخصائص الفيزيائية للعلل والسواكن؛ ليمكنوا أجهزة الاتصالات المخترعة من قبلهم أن تكون قادرة على الاحتفاظ بكل الذبذبات التشخيصية لهذه الأصوات، فليست كل الترددات الحادثة تتمتع بدرجة واحدة من الأهمية في تشخيص الصوت؛ وعليه تحدث مواء مات بوسائل تقنية عالية لنقل الرسالة الصوتية بالدقة المطلوبة.

وهذا باب متسع لاستغلال معطيات الأصوات وإخضاعها لتقنيات العصر، ولا يكون عجبًا إذا علمنا أن الأصواتيين ومهندسي الصوت والاتصال يبذلون الآن جهودًا مشتركة لحل مشكلات اللغة المتكلمة، والاهتمام بتحسين وسائل الاتصال، وطرق تسجيل الصوت، وإعادة إنتاجه(١).

ثانيًا: المنطق التركيبي ودعوات تيسير النحو ما لها وما عليها:

للغة العربية منطقها الخاص بتراكيبها اللغوية ، ووحدة التحليل اللغوي الجملة، وهي " مجموعة من الكلمات مرتبة ترتيبًا نحويا ، تكوِّن وحدة لغوية كاملة، تعبر عن معنى مستقل"(٢)؛ وعليه اعتبر النحاة الكلمة وحدة الجملة، وترتبط بالإعراب الذي

---

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ، ص ١٠٦ – ١٠٧

(٢) أصول تراثية ، ص ٢٠٨

يسمح بتقديمها وتأخيرها، كما يمكن أن تنضم إلى كلمات أخرى أو تنفصل عنها، وقسمت الكلمات إلى اسم، وفعل، وحرف، فالاسم ما دلَّ على مسمى والفعل ما دلَّ على حدث وزمن، والحرف ما دلَّ على معنى في غيره، وقد حددوا علامات تميز الاسم، والفعل، والحرف (١).

ومن الأشياء التي اصطلح عليها في المنطق التركيبي أن للجمل أصل وضع هو نمطها المكون من ركنيها الأساسيين، المسند إليه، والمسند، فأما الجملة الاسمية فالمبتدأ مسند إليه، والخبر مسند، وأما في الجملة الفعلية فالفاعل أو نائبه مسند إليه، والفعل مسند، وكل من هذين الركنين عمدة لا تقوم الجملة إلا به، وما عدا هذين الركنين مما تشتمل عليه الجملة فهو فضلة يمكن أن يستغنى عنه في تركيب الجملة (٢).

كما أن للجملة معايير ثلاث هي(٣):

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث القاهرة ، ط ٢٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ج١ ، ص ١٣

(٢) يضيف دكتور تمام حسان مجموعة أخرى من المعايير للمنطق التركيبي للعربية تتمثل في: ١- الأصل الذكر ، فإذا عدل عنه إلى الحذف وجب تقدير المحذوف من ركني الجملة. ٢- الأصل الإظهار فإذا أضمر أحد الركنين وجب تقديره.
٣- الأصل الوصل، وقد يعدل إلى الفصل.
٤- الأصل الرتبة بين عناصر الجملة، وقد يعدل عنها إلى التقديم والتأخير.
٥-الأصل الإفادة، فإذا لم تتحقق الإفادة فلا جملة. ينظر: الأصول دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ط المغرب، ١٩٨١، ص ١٣٨

(٣) ينظر: أصول تراثية ، ص ٢١١

١- معيار الوظيفة: فالجملة إما خبرية أو إنشائية.

٢- معيار التركيب: فإذا بدئت باسم سميت جملة اسمية، وإذا بدئت بفعل سميت جملة فعلية، وإذا بدئت بشرط سميت جملة شرطية. ٣- معيار الموقعية: فهناك جمل لها محل من الإعراب في حالة كونها تشغل محل الكلمة المفردة ذات الموقع الإعرابي في الجملة ، وجمل أخرى ليس لها محل إعرابي.

يضع ابن هشام الحدود والأطر المنطقية للجملة العربية من خلال دراستها دراسة مفصلة عندما أفرد لها الجزء الثاني من كتابه "المغني " تحت عنوان: " تفسير الجملة " ، وذكر فيه أقسامها وأحكامها [١]، وفي كتاب " قطر الندى " حاول وضع أنماط الجملة في العربية تحت عنوان " صور تأليف الكلام "[٢]

يرى بعض الباحثين في العصر الحديث[٣] أن ما ذهب إليه ابن هشام يمثل علامة مضيئة في تاريخ النحو العربي، فقد حاول حصر النماذج التركيبية الأساسية للجملة في اللغة العربية وهو أمر لم يظهر الاهتمام به في اللغة الإنجليزية إلا حديثًا.

---

(١) ينظر: مغني اللبيب من كتب الأعاريب، ت / محي الدين عبد الحميد ، ط المكتبة التجارية.

(٢) ينظر: قطر الندي وبل الصدى، شرح وتعليق / طه الزيني، محمد عبد المنعم خفاجي، ط دار الشعب ، ١٩٦٣، ص ٣٦ - ٣٧

(٣) ينظر: صور تأليف الكلام عند ابن هشام ، د. محمود نحلة، ط دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٣م، كما ينظر: الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيقًا دراسة بنيوية، د. جلال شمس الدين ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٥م

إذن هناك منطق تركيبي محدد تبني عليه اللغة العربية، ويعتبر بمثابة قانون حاكم لصياغة الكلام العربي ، فإذا كان هذا الأمر كذلك فما هي المشكلة التي تواجه أبناء العربية في تطبيق قوانين البناء التركيبي للغتهم ؟ وهل هذه المشكلات قديمة أم حديثة ؟ وما هي أوجه الحلول التي طرحت في سبيل تبسيط وتيسير هذه القوانين اللغوية لكي تمكن مستعمل اللغة من تطبيقها؟

تحت عنوان دعوات التجديد والإصلاح للنحو العربي[١] يقول الدكتور أحمد مختار عمر: إن النحو العربي قد شابه منذ نشأته شوائب وارتفعت شكوى المتعلمين من صعوبته وتعقيده، ويرجع ذلك إلى أسباب متعددة منها:

أن النحويين القدماء حين قعَّدوا قواعدهم أقحموا اللهجات العربية بصفتها وخصائصها المتباينة، مما خلق مشاكل معقدة أيسرها اختلاف الأقوال في المسالة الواحدة، والإكثار من الأمور الجائزة، وكثرت التقسيمات والتشعيبات، والإسراف في وضع الشروط، وكان الواجب عليهم أن يفرقوا بين القواعد النحوية التي غايتها احتذاء الصواب وصيانة اللسان عن الخطأ، وبين دراسة ما نطق به العرب وما جرى على ألسنة قبائلهم.

نظرية العامل[٢] التي بالغ النحاة فيها، وفلسفوها حتى ألفوا كتبًا تجمع

---

(١) ينظر: البحث اللغوي عند العرب ، ص ١٤٦

(٢) نظرية العامل هي نظرية ذات أثر كبير في النحو العربي، ومؤداها أن الكلام عبارة عن سلسلة من الجزئيات المنفصلة المتتابعة التي يعمل السابق منها في اللاحق طبقًا لنظرية العلة والمعلول ، فكما أن لكل معلول علة، فلكل معمول عامل، ونظرًا إلى أن العلة يجب أن تسبق المعلول ، فلابد أن يأتي العامل قبل المعمول، ينظر: عالم =

قواعد النحو بعنوان العوامل.

الإفراط في التأويل والتقدير وحمل الأساليب العربية على غيرها، كتقدير أن مضمرة بعد الفاء، ونصب الفعل بأن، ثم اعتبار الفاء حرف عطف في قولنا: ذاكر فتنجح، والتقدير لتكن منك مذاكرة فنجاح.

استخدام النحويين أنواعًا من الأقيسة النظرية التي لا تعتمد على شاهد من الكلام العربي كمنعهم تقديم الفاعل على فعله في نحو قولهم: محمد قام، واعتبارها جملة اسمية، وبدا تأثرهم واضحًا بعلم أصول الفقه.

وغير ذلك من أسباب ساهمت بشكل مباشر، أو غير مباشر في وضع العراقيل أمام دارسي ومتعلمي النحو، مما أدى إلى صعوبة الإلمام بمسائله عامة، بل وصد الناشئة عن القبول على تعلُّم قواعد العربية.

هذا مما دفع مجموعة من العلماء قديمًا وحديثًا(١) إلى طرح مقترحات

= اللغة عبد القاهر الجرجاني ، د. البدراوي زهران ، دار= = المعارف ط ٤، ١٩٨٧م ، قضية العامل ص ١٤٢- ١٤٨ ، وقد حصر الدكتور جلال شمس الدين مواقف العلماء العرب قديمًا وحديثًا من هذه النظرية بين رافض ومؤيد وجمعها في هامش كتابه الأنماط الشكلية لكلام العرب ص ٥٩

(١) ينظر في ذلك على سبيل المثال:

البحث اللغوي عند العرب - أصول النحو العربي ، في نظر النحاة ورأي ابن مضاء، في ضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد ، عالم الكتب ١٩٨٩م — نحو التيسير ، د. أحمد عبد الستار ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٤م – العربية الفصحى الحديثة ، سننكفيتش ، ترجمة وتعليق / د.محمد حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي — خطوات متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، =

لإصلاح النحو أو تيسيره، ونقد النحو ومناهج النحاة، ومن أوائل هؤلاء:خلف الأحمر البصري ١٨٠هـــ، من خلال كتابه " مقدمة في النحو"، حيث قال في مقدمة كتابه " لما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين، قد استعملوا التطويل وكثرة العلل ، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلغ في النحو من المختصر... والمأخذ الذي يخف على المبتدئ حفظه، ويحيط به فهمه، فأمعنت النظر والفكر في كتاب أؤلفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين؛ ليستغني به المتعلم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق، و لم أدع فيها أصلاً ، ولا أداة ، ولا حجة ، ولا دلالة إلا أمليتها فيها، فمن قرأها وحفظها وناظر عليها علم أصول النحو كله ".

كما كتب اليزيدي "مختصر النحو"، وكتب أبو علي الفارسي "الإيضاح "، وكتب الزجاجي كتابه "الجمل"، وتعرَّض الجاحظ لهذه القضية؛ فنبَّه معلم الصبية، وطالبه بأمور تقوِّم لسان الصبي، وتساعده على تأدية الغرض، والابتعاد عن اللحن، واستجاب هشام بن معاوية، وأبو عمر

= د. عفيف دمشقية، بيروت، ١٩٨٠م – الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي، تحقيق / د. شوقي ضيف ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٧م – وكتب أخرى للدكتور ضيف في هذا الإطار مثل: تجديد النحو ١٩٦٨م ، تيسير النحو التعليمي قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده ، ١٩٨٦م ، تيسيرات لغوية ١٩٩٠ م، كما نشر اتحاد الكتاب العرب مجموعة من البحوث والدراسات مؤخرًا تحت عنوان " قراءات معاصرة في تيسير النحو العربي، ينظر موقعه الإلكتروني http:/www.awm.dam.org

الجرمي للجاحظ فوضعا مختصرين في النحو.

هذه الجهود والمختصرات في واقع الأمر لم تحقق أهدافها، فالصعوبة في النحو لا تزال قائمة وآثارها بارزة في مناهجنا الدراسية ، إذ أصبح الطلبة في عصرنا الحاضر يقفون حيارى أمام كثير من القضايا النحوية.

هذا مما دفع مجموعة من الباحثين من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن لوضع العديد من المحاولات الهادفة إلى تيسير النحو العربي، ومنها: محاولة الشيخ رفاعة الطهطاوي في " التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية " ، ثم توالت بعد ذلك ، فجاءت جهود حفني ناصف وزملائه في كتاب "قواعد اللغة العربية "، ثم كانت جهود على الجارم ومصطفي أمين في "النحو الواضح "، ثم كانت محاولة إبراهيم مصطفى في "إحياء النحو "، ثم جاءت محاولة الدكتور / شوقي ضيف، وهي محاولة بارزة وجريئة، وقد ساعده على تقديم محاولته هذه أن وزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف آنذاك) ألَّفت لجنة علمية للنظر في النحو العربي، ومحاولة تفسيره، وقد قدَّمت اللجنة تقريرًا ضمَّنته مقترحات لتيسير النحو، ودرس مجمع اللغة العربية هذه المقترحات سنة ١٩٤٥م، وأقر بعضها، وألفت بعض الكتب متبنية هذه المقترحات ، ولكن لم تلق كثيرًا من النجاح.

لم يتوقف د. ضيف أمام المقترحات النظرية وحسب، بل عمَّق دراسته لهذا الموضوع في السنوات اللاحقة حتى قَّدم في سنة ١٩٧٧م إلى مجمع اللغة العربية مشروعًا لتيسير النحو، وأقر المجمع في ١٩٧٩م معظم هذا المشروع، ثم توالت كتبه في هذا الإطار بعد ذلك.

نلاحظ أن هذه المحاولات تنوعت بين فردية، وجماعية، ومؤسسية، حاولت وضع تصور يقوم على تبسيط مادة النحو عن طريق الإلغاء وضم بعض الأبواب إلى أخرى، أو تغيير في المصطلح أو التسمية، ويمكن بلورة الرؤية العامة لهذه المحاولات في النقاط التالية:

١- إن هذه المحاولات لم تكن هادمة للنحو العربي، أو منتقصة من قدره وأهميته في صون اللغة، بل كانت بانية له في ثوب جديد يستحسنه المتعلم والنشء؛ لسهولته، وتحقيق هدفه.

٢- هذه المحاولات اكتفت بالنظر في مادة النحو، ولم تعط اهتمامًا كبيرًا للطريقة التي تقدم بها هذه المادة.

٣- اعتمدت هذه المحاولات علي الآثار الأدبية القومية، ولم تربط النحو بواقع الحياة.

٤- الدخول في التفريعات، والمصطلحات الغير مأنوسة للطلاب [كالمسند، والمسند إليه]، وعدم مراعاة الفرق بين دارس اللغة كمتخصص، ومتعلم اللغة كممارس لها في حياته.

٥- يجب توحيد الرؤى والأهداف بالربط بين التطوير والتيسير في المحتوى ، وبين تحديث آليات العرض.

ثالثًا: منطق صياغة الثروة اللغوية وكيفية تحقيقه

اللغة ظاهرة اجتماعية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتغيرات والتحولات التي تجري في الحياة المادية والروحية للمتكلمين، و" هناك أربع طرق يستطيع أن يسلكها المتكلم حين تدعو الحاجة إلى سد النقص في الثروة اللفظية للغة،

ففي إمكانه أن يبتكر كلمات جديدة، أو أن يلجأ إلى إحدى السبل المعروفة في صوغ الكلمات، أو أن يقترض كلمات من لغة أخرى، أو أن يغيِّر في معاني الكلمات الموجودة بالفعل"[١].

ونتيجة لتفاعلية اللغة مع حركية النظام الاجتماعي، قد تحدث تغيرات في النظام اللغوي العام، وتلحظ هذه التغيرات بكثرة وبسرعة في الثروة اللغوية ، ونجد تفسير هذه التغيرات في أسباب غير لغوية بصورة عامة ، وفي أسباب لغوية محضة في عدد صغير من الحالات ، وتجري التغيرات باستمرار في معجم أو متن كل لغة نتيجة التغيرات التي تحدث في الحياة المادية والروحية ، من جراء تطور العلم والتقنية والتقدم الصناعي، والتحولات الدائرة في أسلوب التفكير الذي يتميز به الناس. وفي العصر الحديث ازدادت بصورة ملحوظة سرعة هذه التغيرات والتحولات جميعًا بالمقارنة إلى المراحل السابقة [٢].

إن حركة الحياة في العصر الحاضر تستلزم حركة لغوية مواكبة، تستوعب مستحدثات العلم والتقنية وما يصحبهما من تغيرات اجتماعية، هذا مما دفع دكتور مدكور إلى القول " إن اللغة المثالية هي اللغة التي تنبع من روح عصرها، والتي تستجيب لمقتضياته على أتم صورة "[٣]، وهذا لا يعني

---

(١) دور الكلمة في اللغة ، تأليف / ستيفن أولمان ، ترجمة / د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب ١٩٩٠م ، ص ١٤٩

(٢) ينظر: طرق تنمية وتحديث متن اللغة العربية في العصر الحديث ، نيقولا دوبريشان، مجلة مجمع اللغة العربيةِ بالقاهرة ، العدد ١٠٢ سنة ٢٠٠٤ م ، ص ١٨٦

(٣) اللغة المثالية ، د. إبراهيم مدكور ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٧، ١٩٥٣م

انفلاتًا وتحررًا من الإطار العام وإنَّما استيعابًا واندماجًا داخل محيط هذه اللغة.

لنا في اللغة العربية خير مثال وشاهد على حركية اللغة لمواكبة تطورات العصر، فالعربية لغة قد وصلت حدًّا من النضج أهلها لاستيعاب كتاب الله، ولها تراثها ورصيدها المعجمي قبل الإسلام، ولكن بنزول القرآن الكريم، وانتشارها في الأقطار الجديدة، واحتكاك العرب بأصحاب الحضارات المختلفة، حدث نشاط هائل في اللغة العربية، ومن أبرز مجالاته الاعتناء بالثروة اللغوية، وتمثل في(١):

جمع اللغة وتأليف المعاجم:

فقد جمعت اللغة في القرن الثاني الهجري، ونتج عن ذلك مجموعة من الكتب والرسائل اللغوية، فقد ألَّف الأصمعي ٢١٦هـ في خلْق الإنسان، والإبل، والخيل، والوحش، والنبات، والشجر، وألَّف أبو زيد الأنصاري في اللبن، والمطر، والنبات، والشجر، وبعد فترة من الزمن ظهرت حركة التأليف المعجمي، واتخذت أنماطًا وأطرًا لصياغة مادتها اللغوية ، ومنها:

معاجم الترتيب الصوتي، ورائدها كتاب العين للخليل بن أحمد، والبارع للقالي ٣٥٦هـ ، وتهذيب اللغة للأزهري ٣٧٠هـ.

معاجم الترتيب الهجائي، ومنها جمهرة اللغة لابن دريد ٣٢١هـ، ومقاييس اللغة لابن فارس ٣٩٥هـ.

المعاجم الموسوعية وأشهرها: لسان العرب لابن منظور ٧١١هـ.

---

(١) ينظر: علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص ٩٥- ١١٧

المعاجم الدلالية الخاصة ذات الترتيب الهجائي، ومنها المعاجم التي اعتنت بألفاظ القرآن الكريم كمفردات القرآن للراغب الأصفهاني ٥٠٢هـ، وكتاب المعرب من الكلام الأعجمى للجوليقي٥٤٠ هـ، والتعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ، ٨١٦ هـ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١١٥٨ هـ.

المعاجم الموضوعية وأشهرها ، المخصص لابن سيده ٤٥٨هـ.

كما ظهرت مجموعة من الكتب تعالج موضوعات تخص الثروة اللفظية منها: كتب الأبنية الصرفية، وكتب التثقيف اللغوي ولحن العامة، وكتب الموضوعات الصوتية.

إن المتتبع لحركة اللغة من خلال هذا التراث اللغوي الهائل ، المدون في بطون هذه الكتب ، يلمس مدى حراك اللغة العربية للتفاعل مع مكتسبات الحضارة العربية الإسلامية التي امتدت حدودها من الصين شرقًا إلى الأندلس غربًا ، وتفاعلها المرن في استيعاب علوم الآخر والتأثر به في محيط اللغة ، " وقد تطور متن اللغة العربية عن طريق الاشتقاق أساسًا ، لكن عددًا لا بأس به من الألفاظ الأجنبية دخلت إلى اللغة العربية في هذه الفترة أيضًا ، واستقرت العربية لغة حضارة من كبرى الحضارات في ذلك الوقت، مما دفع الأمم الأخرى إلى التأثر بها ، والنقل عنها، والاقتراض منها، وترجمت عدد من الأعمال العربية في ميادين: الفلسفة، والطب، والرياضيات، والكيمياء، وعلم الفلك، ودخلت إلى اللغة اللاتينية العديد من المفردات العربية الأصل، ثم إلى اللغات الرومانسية المنحدرة منها، وغيرها من اللغات الأوربية، وأصبحت بذلك مصطلحات للمعجم الدولي، ولا تزال تستخدم إلى يومنا هذا

بصفتها هذه"[١].

بعد فترات من الركود والسبات بدأت صحوت الوعي القومي العربي تنهض من جديد من خلال التعليم، ونشر الثقافة العربية ، فظهرت المجامع اللغوية العربية في القرن التاسع عشر، وأولها مجمع دمشق ١٩١٨م، والقاهرة ١٩٣٤م ، وبغداد ١٩٤٧م، ومجموعة من البلدان العربية الأخرى، وهذه المجامع حددت من بين أهدافها الأساسية وضع معاجم من المصطلحات العلمية والحضارية، تتلاءم مع متطلبات العصر الحديث.

وقد وافق الباحثون العرب في مجال اللغويات وسائر الميادين العلمية على استخدام الطرق التالية لإغناء الثروة اللغوية وتحديثها في العصر الحديث[٢].

١- إحياء التراث القديم واستثماره قدر المستطاع.

٢- الاشتقاق.

٣- النحت.

٤- تعريب الألفاظ الأجنبية مع تغيير معاني المفردات الموجودة وإغنائها بمعاني جديدة عن طريق الترجمة.

هناك أمر هام يفسر لنا قدر الصعوبة التي تواجهها اللغة العربية في العصر الحديث تجاه بناء الثروة اللفظية اللازمة لاستيعاب مستحدثات العصر، وتتمثل في أن اللغة العربية مثل غيرها من لغات الأمم النامية ، كانت مجبرة على وضع معاجمها العلمية والتقنية خلال فترة قصيرة جدًا من الزمن،

---

(١) طرق تنمية وتحديث متن اللغة العربية في العصر الحديث ، ص ١٨٧

(٢) ينظر: تنمية وتحديث متن اللغة العربية في العصر الحديث ، ص ١٨٧ وما بعدها.

فيما تكونت معاجم المصطلحات في دول العالم المتقدمة اقتصاديًّا تدريجيًّا على امتداد فترات طويلة من الزمن ، دامت في بعض الأحيان قرونًا متلاحقة في نفس الوقت مع تطور العلوم والتقنية، أما اللغة العربية وغيرها من لغات الأمم التي تمتعت مؤخرًا بمكتسبات العلم والتكنولوجيا، فيتم بها إعداد معاجم المصطلحات في ظروف مختلفة تمامًا، وكان على الإخصائيين واللغويين والمؤسسات المعجمية أن تعد معاجم كاملة خلال فترة قصيرة جدًا، و لم يكن ذلك أمرًا سهلاً اطلاقًا.

ولكن في الفترات الأخيرة حدثت تطورات مرضية ومشجعة في تنسيق نشاط وضع المصطلحات ، وتم إعداد العديد من المعاجم والقواميس الخاصة بشتى ميادين العلم والحضارة الحديثة ، واتفق بين جميع المخططين اللغويين من مؤسسات وأشخاص على ضرورة وأهمية توحيد هذه المصطلحات، وهذا الأمر قد يبدو صعبًا، ولكن أرى أنه ليس مستحيلاً، وخاصة في ظل حركة التنامي بالشعور القومي العربي والرغبة في تحقيق الكيان العربي المؤسسي.

الخاتمة

إن كلاً من ملامح التحديث وآلياته التي عرضت لها في هذا البحث — بلا شك — هامة، ومبهرة لكل ذي بصيرة بمجريات اللغات في العالم، وكيفية تعامل الشعوب بها، ومعها، وكيف أن اللغة العربية كانت مطواعة متفاعلة وفاعلة مع ركب الحضارة في فترات طويلة من حياتها، وصولاً إلى وقتنا الحاضر، مع ما قد يبدو الآن للبعض من تشكك في تواؤميتها مع مستحدثات العصر، وحركة الحياة الراهنة.

أقول: إن اللغة العربية ذات بنية خاصة في أصواتها، وصرفها، وتراكيبها، وطرق صوغ مفرداتها، أهلتها، وتؤهلها الآن، وسوف تؤهلها في المستقبل للتفاعل والانفعال بحركية الحياة في أي زمان ومكان، وكيف لا وهي لغة كتاب الله المجيد القرآن الكريم، المنزل لكل عصر ولكل مكان، وهذه حقيقة غير قابلة للشك أو الانتقاص، رغم ما قد يبدو أحيانا من خفوت لصوت العربية وشأنها، فهذا أمر عارض يأتي من خارجها من جانب المستخدمين لها؛ لعدم إحسان توظيفهم لها، وليس بسبب هيكلها البنائي.

لكن، لكي تؤتي هذه الآليات أكلها على أرض الواقع، لابد من تضافر جهود المهتمين باللغة، والغيورين على نهضة الأمة العربية الإسلامية، وذلك من خلال مجموعة من الضمانات أرى أنها هي المحرك الفاعل لتنفيذ آليات التحديث، وهي:

١-القرار والتوجه السياسي

لابد أن يكون هناك توجيهات سيادية عامة من قبل الحكام، ومتخذي

القرار في كافة قطاعات المجتمع بمدى أهمية واحترام التعامل باللغة العربية.

٢- الإعلام بوسائطه المتعددة

يجب أن يحترم إعلامنا العربي بكافة أشكاله لغته العربية، وأن يدعمها عن طريق استغلال معطياتها بيسر وسهولة.

٣- التعليم وصياغة العقلية العلمية العربية

التعليم عصب الأمة ، وغذاء عقل أبنائها، ولا مانع من أن تكون بعض مكوناته غير عربية ، ولكن لابد أن يكون الغذاء ذو صبغة عربية، عن طريق بلورته باللغة العربية؛ لكي يكون المفرز الفكري، والثقافي، والعملي، بعد ذلك منتميًّا إلى الروح العربية.

٤- تنمية الذات العربية والشعور بالانتماء

هذه هي لب اللباب ومكمن التحول خاصة في أمتنا العربية، فلابد من التركيز على هذا الجانب بدءً من الأفراد؛ وذلك بالارتقاء بهم اقتصاديًّا، وثقافيًّا، واجتماعيًّا؛ لخلق روح الألفة والشعور بالانتماء، اللذان يدفعان إلى التقدم والارتقاء والمحافظة على الهوية العربية.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

– أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر، ١٩٧٤م

– أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، تصحيح / محب الدين بن الخطيب، مطبعة المؤيد ١٣٣٢هـ

– الأصوات، علم اللغة العام، د. كمال بشر ، دار المعارف ١٩٧٠

– أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، ط١ ، ١٩٦٣ م

– الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ط ٦، ١٩٨١ م ، الأنجلو المصرية

– أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

– الأصول دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان ، ط المغرب ، ١٩٨١

– أصول النحو، سعيد الأفغاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، سورية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م

– أصول النحو العربي ، في نظر النحاة ورأي ابن مضاء، في ضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، عالم الكتب ١٩٨٩م

– أمراض الكلام، د. مصطفى فهمي ، ط٤ ، دار مصر للطباعة

– الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، عبد العليم إبراهيم، مكتبة غريب

– الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيقًا دراسة بنيوية، د.

جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٥م

– باب الهجاء للإمام أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي ، (ت ٥٦٩هـ) ، تحقيق / د. فائز فارس، مؤسسة الرسالة بيروت، ودار الأمل الأردن ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م

– بحوث لغوية، د. أحمد مطلوب، ط١، دار الفكر، عمّان، ١٩٨٧ م

– البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر ط ١ ، ١٩٨٨م، عالم الكتب

– الخصائص لابن جني، تحقيق / محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة ١٩٥٣م ، ج١

– الخط والكتابة في الحضارة العربية، د.يحي وهيب الجبوري، ط ١، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

– خطوات متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، د. عفيف دمشقية، بيروت، ١٩٨٠م

– دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

– دور الكلمة في اللغة ، تأليف / ستيفن أولمان، ترجمة / د. كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب ١٩٩٠م

– الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي، تحقيق / د. شوقي ضيف، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٧م

– سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق / السقا وآخرين ، مصطفى

البابي الحلبي ، ط١ ، ١٩٥٤ م

– شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث القاهرة ، ط ٢٠، ١٤٠٠هـــ - ١٩٨٠م ج١

– الصوت اللغوي في القرآن ، محمد حسين علي الصغير ، دار المورخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط ٢٠٠٠

– صور تأليف الكلام عند ابن هشام ، د. محمود نحلة ، ط دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٣ م

– طرق تنمية وتحدِيث متن اللغة العربية في العصر الحديث، نيقولا دوبريشان، مجلة مجمع اللغة العربيةِ بالقاهرة ، العدد ١٠٢ ، سنة ٢٠٠٤ م

– عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ، د. البدراوي زهران ، دار= = المعارف ط ٤ ، ١٩٨٧م

– العربية الفصحى الحديثة، سننكفيتش، ترجمة وتعليق / د.محمد حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي

– علم اللغة العربية ، د. محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع

– علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران ، دار المعارف، ١٩٦٢م ، ص ١٣٦

– فنون التقعيد وعلوم الألسنية، د. ريمون طحان ، د. دنيز طحان، دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، ١٩٨٣

– قراءات معاصرة في تيسير النحو العربي ، مجموعة من الأبحاث، اتحاد الكتاب العربالشبكة العنكبوتية

http:/www.awm.dam.org

– قطر الندي وبل الصدى، شرح وتعليق / طه الزيني، محمد عبدالمنعم خفاجي، ط دار الشعب ، ١٩٦٣

– قواعد الإملاء العربي بين النظرية والتطبيق، د. حسن شـــحـــاته، د. أحمد طاهر حسنين، مكتبة الدار العربية للكتاب

– الكتاب لسيبويه، تحقيق/ عبد السلام هارون ، ج٤

– لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

– اللغة المثالية، د. إبراهيم مدكور، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٧ ، ١٩٥٣م

– معالم الأصوات العربية، د. عبد المنعم عبد الله محمد، د. صلاح الدين محمد قناوي، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية القاهرة، ط١ ، ١٤١٧ هـــ - ١٩٩٧ م

– معجم العين، تـــ /د. عبد الله درويش، ط مطبعة العاني بغداد ١٩٦٧م

– المعجم الوسيط، ط ١٩٨٥

– مغني اللبيب من كتب الأعاريب، تحقيق / محي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية.

– مفتاح العلوم للسكاكي، ط١، البابي الحلبي ١٩٣٧م

– نحو التيسير، د. أحمد عبد الستار، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤م

– النشر في القراءات العشر، صححه وراجعه / علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية ، ج١

فهرس المحتويات

فِطْرَةُ الدِّفَاعِ عَنِ اللُّغَةِ الأُمِّ بَيْنَ التَّفْعِيلِ والتَّعْطِيلِ (وقائعُ ونماذجُ)

إعداد

د . رشيد أحمد بلحبيب

تعتبر اللغة من أهم خصائص الكائن البشري وأشدها ارتباطا به، حتى عُرف في الأدبيات الفلسفية بأنه حيوان ناطق، ومفكر... وكل هذه المهمات التواصلية التي اضطلع بها الإنسان دون سواه من المخلوقات، لا تتم إلا باللغة، وإذا غابت اللغة، بحث عما يُعوّضها لتحقيق التواصل المؤدي إلى الترافد والتعاون، فقد تفنن في أشكال التواصل الشفوي، ووضع الحروف الألفبائية ولغة الإشارة ولغة بريل ولغة مورس...لأنواع التواصل الكتابية والإشارية، وحاول اصطناع (الإسبرانتو)[١] لغة موحدة للجنس البشري... لأنه لا يستطيع أن يعيش دون لغة، كان هذا ديدنه مذ خلقه الله على وجه الأرض.

وقد فطر الله الناسَ على محبة ألسنتهم و خلق فيهم غريزة إجلالها والذود عنها، فاللغة عندهم كالعِرْض، لا يقبلون أن تداس حرمتها وتُنتهك، وقد تَغَنّ الفلاسفة والحكماء والشعراء بلغاتهم: ونسجوا حولها الأساطير، واعتقدوا الصلة بين اللغة والألوهية، وحاولوا أن يثبتوا أن تاريخ الدين هو بمعنى من المعاني تاريخ اللغة نفسه. فقد اعتبر اليونانيون لغتهم لغة الآلهة وأكمل اللغات، وكلُّ ماسواها بَرْبرَاتٌ ورطانات، وكذلك فعل الكنعانيون والعبرانيون...كما اعتبرتِ الكنيسةُ الولاءَ اللغويَّ شأنا من شؤون الإيمان عبر شعارها (من يفقد لغته يفقد إيمانه)[٢].

و لم يكن العربي أقل عشقا للغته، و لم تكن العربية أقل حظا من غيرها

---

١ الإسبرانتو (أو إسپرانتو) (Esperanto) لغة مصطنعة، اخترعها لودفيغ أليعزر زامنهوف مشروعا للغة اتصال دولية عام ١٨٨٧م.

٢ اللغة والاقتصاد ص ١٢٢

عند أهلها، خاصة بعد أن حمّلها الله تعالى شرف الرسالة الخاتمة. بموجب ذلك اعتبرها فريق من العلماء توقيفا، كما اعتبروها من الدين، واعتُبِر الجهلُ بها مدخلا إلى كل الضلالات، والحيادُ عنها نقصا في المروءة، والخطأ فيها مظهرا من مظاهر الضلال (أرشدوا أخاكم فقد ضل)[١].

تعدد اللغات وأصل الفطرة:

طبائع الأمور تقتضي أنْ كانت اللغة واحدة لجميع الجنس البشري الذي كان محدودا في الزمان والمكان، لكنها في مرحلة من مراحل التاريخ البعيدة والغامضة، تعددت وتكاثرت وانفرد كل فريق بلغة طورها بحسب حاجاته، وسواء أكان أصل اللغة محاكاة لأصوات الطبيعة، أم توقيفا (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)[٢] أم اصطلاحيا تواضعيا، أم ذلك كله...

فإن قصة خلق اللغات واختلاف الألسنة ظلت مرتبطة بالدِّين أيّا كان هذا الدّين، وأن المصادر الأولى لاختلاف الألسنة ظلت الكتب المقدسة بامتياز. فقد ورد في سفر التكوين: (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنوهما، وقال الرب:...هلمّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض).[٣]

---

١ حديث: (لحن أحدهم أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضلّ). رواه الحاكم ٢ / ٤٣٩، وقال الألباني في" السلسلة الضعيفة والموضوعة ": إنه ضعيف ٢ / ٣١٥ .

٢ البقرة ٣١

٣ سفر التكوين – الإصحاح ١١ من ١ حتى ٩

إن القصة تجعل سبب اختلاف ألسنة الناس حادثة بابل، وهو المعنى الذي أكده الترجوم اليهودي لـــــ" يوناثان بن عوزييل.Jonathan Benuzziel [١]

ومهما قيل في أصل تبلبل الألسنة واختلافها في القصة الواردة في سفر التكوين، أو فيما حيك حولها من أساطير... تبقى اللغات آية من آيات الله (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ).[٢]

وتبقى محبتها والارتباط بها فطرة بشرية عزيزة عن التفسير. ولحكمة ما - أرادها الله تعالى - كانت المسألة اللغوية حاضرة منذ اللحظة الأولى لخلق الإنسان، فقد كان أولُ تعليم رباني تلقاه الجنس البشري ممثلا في آدم عليه السلام، هو اللغة والبيان، حتى قبلَ أن يتعلم آدم كسبَ قوته، أو عبادة ربه، أو ستر عورته (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)[٣]، (الرَّحمنُ علَّم َالقُرآنَ خَلقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ) [٤]...[٥]

لقد كانت اللغة وما تزال وسيلة الاتصال الأولى بين الشعوب، وهي وسيلة اتصال السماء بالأرض في كل الديانات والرسالات، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين بلسان قومهم ليفهموا عنهم (وَمَا أَرْسَلْنَا

---

١ يقولي وناثان بن عوزييل:"وقال الرب لسبعين من ملائكته الذين كانوا واقفين أمامه، تعالوا لنترل ونبلبل عليهم ألسنتهم..."

٢ الروم ٢٢

٣ البقرة ٣١

٤ الرحمن ١

٥ انظر: نداء من أجل العربية، أحمد الريسوني ص ١٠.

مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)[١].

وقد قويت الصلة بين الأديان ولغاتها، وصاغ أتباع الديانات أساطير حول لغاتهم وجعلوها أفضل اللغات ولغة الخلود، ولسان أهل الجنة... وقد عرض موريس أولندر في كتابه (لغات الجنة) بعض الرؤى المتعلقة بالموضوع[٢].

يقر ماكس ميلر – أحد الذين أبدعوا في بيان هذه العلاقة – أن جميع الأديان تتميز بنفس الحدس، ونفس الوحي، ونفس الحقيقة الربانية التي يُعبّر عنها في اللغات الإنسانية الكثيرة، ومن أجل إيضاح جيّد لهذا الحدس الأصلي الذي لا ينضب، يوضحُ ماكس ميلر المشاهد الدينية للإنسانية، ويتابع بحثه مُزاوجا بين (علمي اللغة والدين)[٣]

فالتطور اللغوي– بالنسبة إليه– مرتبط فعلا، وبصرامة، بتجليات (الفكرة الحدسية للرب)، ويرى أنه بإمكانه أن يحقق هذه العلاقة المتميزة بين اللغة والاعتقاد الديني، عندما يدرك العلاقة التشابهية بين الدين الوحيد لكل شخص ولغته الأم.[٤]

---

١ إبراهيم ٤

٢ لغات الجنة لموريس أولندر، وقد ترجمه جورج سليمان بعنوان لغات الفردوس، المنظمة العربية للترجمة، وقد قمت بترجمة فصلين من الكتاب سترد الإحالة عليهما. وانظر في علاقة اللغة بالدين: تنبيه الألباب على فضائل الإعراب لابن سراج الشنتريني، تحقيق عبد الفتاح الحوز، دار عمار ، الأردن ط١– ١٩٩٥

٣ الأرخبيل ص ٣٠، ترجمة رشيد بلحبيب، مطبعة إنفوبرانت، المغرب ٢٠٠٩م.

٤ المرجع السابق ص ٢٦

لقد عبّر رينان عن تشبث العبريين بلغتهم وانغلاقهم بقوله:(كان العبريون خارج الزمان والمكان عالقين من لغتهم بقدر دون مستقبل)[١] وكان علماء العبرانية يرون: أن لغتهم هي اللغة التي فتق الله بها لسان آدم عليه السلام في ولده شيث، حتى انتهت إلى إبراهيم عن طريق عابر بن سام، ويستدلون على ذلك بعدد من الأسماء الواردة في حديث الخلق وما بعده إلى الطوفان.

وقد نُقلتْ لنا أخبار كثيرة عن سلف هذه الأمة توضح لنا نظرتهم التقديرية إلى اللغة العربية، وإنزالهم إياها منزلة لائقة، فالعربية عندهم لسان الوحي ووجه من وجوه الإعجاز فيه، والاشتغال بها لا يقل أهمية عن الاشتغال بعلوم الشريعة، يقول أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه: (تعلموا العربية كما تتعلمون حفظ القرآن)[٢]

وقد قال عمر بن الخطاب (تعلموا العربية فإنها من دينكم)، وقال الحسين بن علي رضي الله عنه: (تعلموا العربية فإنها لسان الله الذي يخاطب به الناس يوم القيامة)، وقال ابن تيمية: "إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب"... بل وذهب علماء المسلمين إلى رصد تأثير اللغة في المروءة و الخلق، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تفقهوا في العربية فإنها تزيد في العقل، وتثبِّت المروءة)، وكان التابعي الجليل قتادة يقول: (لا أسأل عن عقل رجل لم يدله عقله على أن يتعلم من العربية ما يصلح به لسانه)...

وإذا كانت اللغة لسان المجتمع الفطري، فإن الدين هو حقيقة الخلق

١ خطر الألفاظ المبهمة عند ماكس ميلر، ص١٧ (كتاب الأرخبيل)

٢ رواه ابن أبي شيبة بلفظ (تعلموا اللحن والفرائض فإنها من دينكم) برقم٢٩٩٢٦

الاجتماعي في الأمة، وهو الذي يجعل القلوب كلها طبقة واحدة على اختلاف المظاهر الاجتماعية... فهو بذلك الضمير القانوني للشعب، وبه لا بغيره ثبات الأمة على فضائلها النفسية... ولهذا كان الدين من أقوى الوسائل التي يعول عليه في إيقاظ ضمير الأمة.[١]

كما أن اللغة (تجعل من الأمة الناطقة بها كُلاّ مُتراصا، إنها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان)[٢] وهي: (قومية ووطن روحي يؤوي من حُرِم وطنه على الأرض) على حد تعبير فوسلر.

ومن مبادئ وعي الأمة بذاتها أن تعي لغتها، فهي الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها، ومن أجل ذلك حرصت الديانات والحضارات على لغاتها وجعلتها من أهم مكونات هويتها، وقاتلت دونها الأعداء.

فالناس مجبولون فطريا على عشق لغاتهم مهما كان مستواها، ومهما كانت قدراتها التعبيرية وسعتها المعجمية ومرونتها التركيبية، ويبذلون ما في الوُسع للحفاظ عليها متألقة متداولة، تلك فطرة جبلوا عليها (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)[٣].

---

١ وحي القلم للشيخ مصطفى صادق الرافعي٣/ ٣٣

٢ مقولة للفيلسوف الألماني فخته، وانظر: نحو وعي لغوي، مازن المبارك ص٢٠.
وتقول:المستشرقة الألمانية الدّكتورة أنا ماري شيمل ، التي ترجمت القرآنَ الكريمِ إلى الألمانية:« واللغةُ العربيةُ لغةٌ موسيقيّةٌ للغايةِ، ولا أستطيعُ أن أقول إلاّ أنها لا بُدَّ أنْ تكونَ لغةُ الجنّةِ".

٣ الروم ٣٠

ومحبة الناس الفطرية للغتهم تدفعهم إلى الإبداع في خدمتها والتأليف في أمورها صغارها وكبارها، بل وتدفعهم إلى الحرص على تعميم تداولها وتصديرها، فاللغة الأم دعامة لا يناظرها شيء في تكوين شخصية الإنسان وتفكيره وولائه ومشاعره.

ولذلك سارعت الأمم إلى خدمة لغاتها، والتخطيط للتمكين لها متوسلة بكل غال ونفيس. وأسست لذلك المراكز التي تشرف على التخطيط اللغوي إذ يوجد – على سبيل المثال- أكثر من ١٥٠ مؤسسة على مستوى العالم، منوطا بها التطوير المنهجي والاستخدام الجماعي للغات، أشهرها الأكاديمية الفرنسية وأكاديمية اللغة العبرية، وأكاديمية اللغة الألمانية، ومؤسسات تطوير اللغة الإنجليزية، ومنها في العالم العربي: مجامع اللغة العربية في كل من دمشق والقاهرة وبغداد وعمّان والجزائر وليبيا، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط...

كما خطت الدول المتقدمة خطوات جبارة في مجال تطوير لغاتها وصناعة معاجمها يحدوها عشق كبير ورغبة ملحة في جعلها أكثر تداولا وانتشارا، فقد أورد كليز Claes ١٩٨٠م، قائمة تضم ٣٠٩٢ معجما للألمانية، منها ١١٦٣ معجما وحيد اللغة، و١٢٧٠ معجما ثنائي اللغة، و٦٩٥ معجما متعدد اللغة...وهناك قائمة بمعاجم اللغة اليابانية الموجودة في السوق تحتوى على ١٢٢٤ عنوانا، حوالي النصف منها معاجم وحيدة اللغة، ومن الواضح أن كلا من الألمانية واليابانية قد وظفت فيها استثمارات ضخمة، ومع هذا يخشى " فينوفس" على الألمانية التي يراها مهددة بالإخفاق

في ظل أوضاع حضارية عالية التصنيع![1]

وسأركز في بحثي هذا على نموذجين بذلا في خدمة لغتهما جهودا غير عادية: النموذج الفرنسي والنموذج الإنجليزي، مع مقارنتهما بما بذله العرب ويبذلونه في خدمة لغتهم:

١- فرنسا واللغة الفرنسية:

-عشق الفرنسيين للغتهم وتجلياته:

يفضل السياسيون الفرنسيون التركيز على الأهمية المعنوية للغة الفرنسية، بوصفها اللغة العالمية للوضوح Clarte، والجمال Beaute، والكمال Perfection ، وباختصار للحضارة الأوربية[2].

وعشق الفرنسيين للغتهم هو ما دفعهم إلى دعم اللغة الوطنية والتمكين لها بمحاربة اللهجات الطفيلية التي تعتبر عاملا من عوامل التفكك،فقد جاء في بيان من مجلس الثورة الفرنسية (أيها المواطنون: ليدفع كلا منكم تسابقٌ مقدسٌ للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا، لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عهود الإقطاع والاستعباد).[3]

وقد أدرك الفرنسيون أنه بدون لغة موحدة لن تكون هناك دولة قوية،

---

١ اللغة والاقتصاد ص٩٩

٢ اللغة والاقتصاد ص ١٤٥. ويقول جان لوي كالفي: لقد ظلت الفكرة المركزية لدى الاستعمار أن الفرنسية هي لغة الحضارة ، انظر: تعريب التعليم العالي وتيار الفرنكوفونية بالمغرب ص ٢٩.

٣ نحو وعي لغوي، مازن المبارك ص٢١

ولذلك سعوا إلى تعميم التعليم ورفع المستوى اللغوي لجميع المواطنين... يقول الراهب غريغوار: (إن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظف أمام جميع المواطنين، ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية يؤدي إلى محاذير كبيرة، وأما ترك هؤلاء خارج ميادين الحكم والإرادة فيخالف مبدأ المساواة، فيترتب على الثورة – والحالة هذه – أن تعالج هذه المشكلة معالجة جدية، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية، ونشر اللغة الإفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين).[١]

أ– تأسيس المنظمات لخدمة اللغة الفرنسية والترويج لها:

أحدثت فرنسا عشرات التنظيمات والأجهزة لتضطلع بمهمات الترويج للغة الفرنسية والحفاظ على هيمنتها، وخاصة في المستعمرات القديمة، ومن أشهر بنياتها الرسمية (مع تواريخ تأسيسها):

- اتحاد الجامعاتالناطقة كليا أو جزئيا باللغة الفرنسية .(AUPELF) ١٩٦١م
- فيدرالية الجمعيات للانتشار الفرنسي– ١٩٦٤م
- وكالة التعاون الثقافي والتقني – ١٩٧٠.
- المجلس العالمي للفرنسية– ١٩٧٥م

١المرجع السابق ص٢١ ، ومن المفارقات العجيبة أن ما رضيته فرنسا لوطنها لم ترضه لغيرها، فعلى حين تدعو إلى نبذ اللهجات في وطنها، تدعو إلى دعمها في مستعمراتها السابقة ينظر: دعم فرنسا للعاميات العربية، وللأمازيغية في شمال إفريقيا ، انظر في الموضوع: "الخلفية الاستشراقية للدعوة إلى العامية"، و "البربر بين الشريعة والعرف" رشيد بلحبيب.

- المجلس الأعلى للفرنكوفونية – ١٩٨٤م
- المجلس الأعلى للغة الفرنسية – ١٩٨٩م
- جامعة سينغور في الإسكندريةبمصر–١٩٨٩.
- قناة الفضائية (TV٥)– ١٩٨٥...

فضلا عن عشرات الجمعيات والاتحادات المرتبطة بالكِتاب والإعلام والصحافة والإدارة، مثل: الجمعية العالمية للعمد الفرنكوفونيين، و جمعية عمد البلديات الفرنكوفونية، وبرلمان الدول الفرنكوفونية، كما أصبح لها مؤتمرات دورية ووزراء...

يبلغ عدد أعضاء المنظمة حوالي ٦٨ دولة في مختلفة القارات، وهي تسعى إلى ترقية اللغة والثقافة الفرنسيتين في العالم، وتتستر وراء دعم الشعوب المستقلة حديثا في مجال التربية والتكوين وترقية حقوق الإنسان.[١]

تتحرك الاستراتيجيات الفرنكوفونية على جبهتين:

- جبهة رسمية من خلال ربط هذه الدول بأطر سياسية تشرف عليها باريس.
- جبهة شعبية من خلال تكثيف نشاط المؤسسات الثقافية الفرنكوفونية في هذه المجتمعات... وتشجيع الإنتاج الثقافي باللغة الفرنسية، ودعمه بالحوافز والرعاية المادية والإعلامية.

وتعد (المنظمة الفرنكوفونية العالمية)، و(القمة الفرنسية – الإفريقية) السنوية، و(القمة الفرنكوفونية)، من أبرز الأطر السياسية الجامعة في مضمار سياسة إنتاج وإعادة إنتاج شروط التبعية المتجددة لفرنسا التي تتخذ من اللغة

١ لمزيد من التفاصيل يمكن زيارة الموقع الرسمي لمنظمة الدول الناطقة بالفرنسية: http://www.francophonie.org

الفرنسية وسيلتها الأولى والوحيدة... وهي موجودة لأداء وظيفة تكريس التبعية الثقافية واللغوية من خلال دفع هذه الدول إلى تكريس مركز اللغة الفرنسية في النظام التعليمي وفي الحياة الإدارية فيها.

بهذا المعنى نستطيع أننفهم أسباب الحرص الفرنسي الكبير - ومنذ سنوات الخمسينيات- على إيلاء المشروع الثقافي الفرنكوفوني أهمية استراتيجية في سياسات فرنسا تجاه البلدان التي كانت تشكل جزءا من مستعمراتها.

فحينَ تحتل الفرنسية مركزا حيويا في برامج التعليم فيكثير من هذه البلدان - خاصة الإفريقية منها - وحينَ تكون هذه اللغة هي لغة الإدارة والبحث العلمي ولغة البنوك والمصارف والبورصات والجهاز الدبلوماسي، كما هو حالها في أكثر من ثلاثة أرباع مستعمراتها السابقة، تكون قد اجتمعت سائر الشروط أمام فرنسا لتحقيق سيطرتها المتجددة على هذه الأطراف المستقلة عنها سياسيا. وبهذا المعنى، أيضا نستطيع القول إن فرنسا نجحت في أن تحول الفرنكوفونية إلى رأسمال مادي حقيقي للاستثمار في مجال تنمية مصالحها اللغوية والاقتصادية وتجديد سيطرتها في البلدان التابعة لها.

وقد أسندت مهمة الاشتغال على هذا الصعيد لمراكزها الثقافية التابعة لسفاراتها في هذه البلدان ولمؤسسات ومراكز أبحاث فرنسية (مستقلة) صوريا عن ممثلياتها الرسمية، التي عنيت باستدراج المثقفين والمؤسسات الثقافية من خلال حوافز عدة من قبيل المنح العلمية، والجوائز الثقافية، وتمويل نشر إنتاجاتهم المكتوبة بالفرنسية، أو تمويل ندوات ثقافية تلتقي أهدافها مع أهداف المؤسسات الفرنكوفونية... بهذه الأدوات وبغيرها تخوض فرنسا معركة الإخضاع اللغوي -

الذي يتخذ من الفرنسية سلاحا له– لشعوب العالم، وخاصة لشعوبنا العربية في المغرب العربي وبعض الدول الشرقية. وعلينا الاعتراف بأنها أدوات ضاربة، وأن المعركة معها ما زالت – حتى اليوم – غير متكافئة.[١]

يكشف الباحث الفرنسي لويس جان كالفي في كتابه "لسانيات واستعمار" أن الفرنكوفونية تجسد سياسة فرنسا اللغوية والثقافية التي تخفي وراءها مصالح اقتصادية ورغبة في الهيمنة على الشعوب، يقول:(إن الغرض من هذه السياسة ليس هو نشر اللغة أو الثقافة الفرنسيتين، ولكن هو الوصول عن طريقهما إلى التحكم في عقول ومصير مستعمليهما).[٢]

ب– التشريعات والتخطيط لحماية الفرنسية:

تجد اللغة الفرنسية – التي لا يتجاوز المتحدثون بها ٣٠٠ مليون نسمة، بمن فيهم سكان فرنسا – من الرعاية والحماية ما لا تجده لغة أخرى في العالم.

فمنذ سنة ١٧٩٤، أي منذ عهد الثورة الفرنسية، صدر قانون تعميم استعمال اللغة الفرنسية، ومن ضمن ما جاء في هذا القانون (إن اللغة الفرنسية هي الأمة الفرنسية). كما نص في مادته الثالثة على أنه: (ابتداء من تاريخ يوليو ١٧٩٤ يمنع على كل موظف أو كاتب أو مسؤول التوقيع على أي قرار أو وثيقة بلغة غير اللغة الفرنسة، وإن كل مخالف لذلك يُطرد من

١ينظر ــــ تعريب التعليم العالي وتيار الفرنكوفونية ص ٢٨ – ٢٩.

٢لسانيات واستعمار ص ٣١– ١٤، وانظر: الفرنكوفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب، عبد العلي الودغيري. و انظر: الفرنكوفونية ومأساة أدبنا الفرنسي ، بنسالم حميش.

الخدمة ويسجن ستة أشهر).

وقد أصدرت الدولة الفرنسية - بمناسبة الذكرى المائتين ١٩٩٤ لصدور ذاك القانون- قانونا جديدا لحماية اللغة الفرنسية عرف بـــ(قانون توبون Toubon)، نسبة إلى وزير الثقافة الذي كان وراء صدوره، والذي يكفل للمواطن الفرنسي حق الحصول على كل المعلومات المفيدة في العمل والسوق والإعلام وكل الدوائر الرسمية...باللغة الفرنسية، وأخذت الحكومة الفرنسية تطبقه بصرامة وبلا هوادة.

كما توجد في فرنسا قوانين أخرى تلزم وسائل الإعلام الفرنسية باعتماد اللغة الفرنسية دون اللغات الأخرى إلا في حدود معينة، سواء بالنسبة إلى البرامج العامة أو الأفلام أو البرامج الوثائقية المختلفة.

وفي المجال السمعي البصري، تُقدّم غالبية المسلسلات الأجنبية التي تعرض على الشاشات مدبلجة إلى الفرنسية. وإذا أردت أن تشاهد فيلما سينمائيا باللغة الأصلية، فعليك أن تقصد صالات مخصصة لذلك، وهي الاستثناء، أما القاعدة فهي أن تشاهد الفيلم مدبلجا باللغة الفرنسية.

وفي مجال علوم الحاسب والمعلوميات، تستعمل غالبية المصطلحات بالفرنسية...وبعضها غير مستساغ عند سماعه لأول مرة، فكلمات مثل - e-mail - Chatingspam -:computer... يصر الفرنسيون على وضع مقابلات فرنسية لها...رغم شيوعها عالميا بالإنجليزية.

وأمام الخوف الدائم من تراجع الفرنسية وهيمنة الإنجليزية وشيوعها حديثا، تنامت دعوات إنقاذ الفرنسية من أخطار اختراق اللغة الإنجليزية، وتنامت الجهود

الرسمية لإيقاف هذا الاختراق عن طريق سنّ حزمة من القوانين:

- منذ بداية الثمانينيات صدرت عدة مراسيم من أجل تنقية اللغة الفرنسية من المفردات الدخيلة، باعتبارها تشكل خطرا على وحدة الأمة الفرنسية.
- في ٤ يناير ١٩٧٦ صدر قانون ضرورة استعمال الفرنسية في كل مرافق الحياة العامة.
- وفي ١٠ ديسمبر ١٩٨٠ صدرت توصية تمنع نظام الازدواجية اللغوية، وتفرض أحادية الفرنسية وسيادتها.
- كما رتب الكونغرس الفرنسي مجموعة غرامات مالية على من يستخدم كلمات أجنبية في الاجتماعات الرسمية...

وبسبب التخطيط اللغوي والتدابير القانونية، استطاعت فرنسا الكاثوليكية في كندا أن تحتفظ بموقعها ضد الهجوم الكاسح للإنجليزية البروتستنتية... لأن العلاقة بين هاتين اللغتين تلقي بعض الضوء على المنافسة بين النخبة الاقتصادية للغات العالم.[١]

جـــ- تصدير الفرنسية والقتال من أجل بقائها:

عمدت الحكومات الفرنسية المتتالية إلى نشر الفرنسية بشتى الوسائل

١اللغة والاقتصاد ص ٥٠ ، وبسبب التخطيط أيضا أصبحت العبرية – في ظرف وجيز – أداة إنتاج تستجيب لكل متطلبات الاتصال الحديث، فضلا عن كونها لغة التعليم العالي والبحث العلمي، فالعبرية بالنسبة للمستثمرين المحليين وأيضا بالنسبة لمستعمليها ذات قيمة رأسمالية لغوية عالية.

واستمات قادها في الدفاع عنها عن طريق البعثات، ووسائل الإعلام، وتشجيع الأدب الفرنكوفوني، عبر المناهج ووزارات التربية والثقافة... وقد ظلت الفكرة المركزية لديهم أن الفرنسية هي لغة الحضارة دون منازع، على حد تعبير جان لوي كالفي.

ويتجلى الجانب الإيديولوجي للفرنكوفونية في فرض الفرنسية في الإدارة والثقافة والإعلام، وانتزاع المكان الجغرافي للغة العربية، أو لأي لغة يمكن أن تشكل تهديدا للفرنسية حتى خارج مجالها الجيوسياسي.

كما تنوعت المساعدات الفرنسية للدول الفرنكوفونية، وعلى هذا النحو كانت السياسة الفرنسية وما تزال أكثر سخاء من غيرها، فقد قدرت النفقات الحكومية بما بين ٢٥ إلى ٣٠ بليون فرنك فرنسي، وقد أنفقت هذه المبالغ على تشغيل ١٢٠٠ مكتب للتحالف الفرنسي Alliance Francaise في أكثر من ١٠٠ بلد فرنكوفوني للحفاظ على لغتها في الإدارة والتعليم، كما تنفق فرنسا أموالا طائلة على المجلس الأعلى، وعلى مكتب اللغة الفرنسية الذي أنشئ سنة ١٩٧٣، وعلى لجنة دراسة المصطلحات الفنية الفرنسية التي تأسست سنة ١٩٥٤...[١]

وفي السياق نفسه يأتي إعلان الرئيس الفرنسي ميتران في قمة داكار الفرنكوفونية عام ١٩٨٩ بأن فرنسا سوف تلغي الدَّيْن العام للبلدان الإفريقية الخمسة والثلاثين الأكثر فقرا، والذي يقدر ب ١٦ بليون فرنك

١- اللغة والاقتصاد ص ١٤٥

فرنسي، وفي المقابل ينتظر من هذه البلدان أن تستمر في ضمان الدور المتفوق للغة الفرنسية في الحكومة والتعليم[١]

وهذه بعض صور الدعم المالي للإعلام المغربي الصادر بالفرنسية على سبيل المثال:

- لقد بلغ الغلاف المالي المرصود للصحف الفرنسية بالمغرب حسب إحصاء سنة ٢٠٠٠م، ما قدره: ١٦٩,٤ ألف فرنك فرنسي، من ضمن المساعدات التي تقدمها فرنسا للمغرب في مجال التعاون الثقافي واللغوي، ويستفيد من هذه المبالغ جرائد وطنية: مثل جريدة العلم وشقيقتها الحزبية Lopinion، وجريدة الاتحاد الاشتراكي وشقيقتها الحزبية Liberation، وبيان اليوم وشقيقتها الحزبيةAlbayan...[٢]

-كما تحظى إذاعة (ميدي ١Radio Mediteranie) بعناية خاصة من قبل فرنسا، و "ميدي ١ " مؤسسة إعلامية فرنكوفونية أسستها شركة (سورفارادSorferad:) التي تمتلك فرنسا نسبة ٩٩% من أسهمها. وقد أوكلت هذه الشركة أمر تسييرها إلى أكبر شركة فرنسية (أومنيوم الشمال الإفريقي)، وتتوصل هذه الإذاعة بدعم مالي قدره: ٢٤٨,٤ ألف فرنك فرنسي حسب إحصاء ٢٠٠٠م. [٣] ويستفيد تقنيو هذا القطاع من دعم يقدر بـــ ٤٠٥ ألف فرنك فرنسي، وتحظى أخبارها بمتابعة كثيفة بالقياس

١المرجع السابق ص ١٤٧

٢جريدة التجديد المغربية عدد ١٧٦، يونيو ٢٠٠١م.

٣المرجع السابق.

مع الإذاعة الوطنية، وتقدم موادها الإخبارية والترفيهية باللغة الفرنسية بواقع ٧٠%. ويظهر تغلغل إذاعة "ميدي ١" في إقصائها لكل اللغات الأخرى كالإسبانية والإنجليزية.

ومما لاشك فيه أن فرنسا تجني ثمارا كثيرة من هذا الدعم الذي يهيئ لها تبعية دول شمال إفريقيا ثقافيا ولغويا، ويضمن لها مصالحها، وقد ورد في تقرير (بور تولو) الذي نشره مركز التوثيق الفرنسي: (إن كل فرنك تقدمه فرنسا للمساعدة العمومية تحصل في مقابله على ستة أضعاف).[١]

-كما شكل الإعلام السمعي البصري بالمغرب وعلاقته بالفرنكوفونية محور عدة دراسات، أوضح بعضها أن القناة التلفزيونية المغربية الثانية المسماة بـــ(دوزيم M٢)، التي تم تأسيسها بموجب اتفاقية بين الدولة المغربية وشركة (سورفارادSorferad:) في ٢٠ فبراير ١٩٨٨، تفوق المواد المقدمة فيها بالفرنسية للمغاربة نسبة٧٠% ، وقد ساهمت فرنسا في دعم هذا القطاع الإعلامي الحيوي بـــ ٥٦١,٢ ألف فرنك فرنسي.

وبسبب هذا الدعم، كان هجوم الصحافة الفرنكوفونية المغربية على وزارة النقل المغربية لما قررت إدخال الأبجدية العربية في نظام الترقيم التسلسلي للوحات السيارات داخل المغرب، وكانت صحيفة لكنوميست L economist سبّاقة إلى استنكار إدخال العربية إلى مجالات لم تستعمل فيها هذه اللغة من قبل.[٢]

١الفرنكوفونية في المشهد الإعلامي المغربي ص ٣٨.

٢جريدة L economist ليوم الخميس ٢٠ يناير ٢٠٠٠م.

ولو تتبعنا مواقف هذا الصحافة الصادرة بالفرنسية والمدعومة فرنسيا من القضايا المرتبطة بالعربية وبتعريب التعليم، وببعض القضايا الدينية، لأدركنا أنها تمثل مصالح فرنسا وتتخذ مواقفها نيابة عنها.

د- من مظاهر الاعتزاز بالفرنسية:

يحرص الفرنسيون على التحدث بالفرنسية في المحافل واللقاءات العلمية المحلية والعالمية، وفي المؤسسات العامة والتعليمية، بل وفي الشارع، ولمن زار فرنسا يدرك مدى تشبث الفرنسي بلغته، ولو خاطبته بغير الفرنسية لن يجيبك ولو كان مدركا لحاجتك إلى نصيحته، ويحكي المهاجرون قصصا غريبة عن هذا السلوك...

ومن غرائب الأمور أنْ تعلم أنّ طلاب الجامعة في أي تخصص لا يُقبل منهم كتابة أطاريحهم بغير الفرنسية، ولو كانت الرسائل في تخصص اللغة الإنجليزية أو الإسبانية. الرسائل الجامعية لا تقدم إلا بالفرنسية مهما كان تخصصها.

ويعتبر الرئيس الفرنسي جاك شيراك نموذجا حيا للفرنسي المعتز بلغته الأم ومن أشد المدافعين عن الفرنسية، والمناهضين للإنجليزية التي يعتبرها غازية، ففي أوائل شهر أكتوبر ٢٠٠٤م، في أثناء زيارة له إلى فيتنام، شن هجوما صريحا وعلنيّا على ما وصفه بالثقافة الأنجلوساكسونية التابعة، قال: (في عالم تسود فيه لغة واحدة وثقافة واحدة، ستتقلص قدرتنا على التفكير).

ولعل حادثة انسحابه من مؤتمر قمة الاتحاد الأوروبي في بروكسل خير دليل على هذا التقدير، فعندما قدم رئيس المصرف المركزي الأوروبي الفرنسي (اغيرنستسيليبيرغ) تقريرا اقتصاديا للمؤتمر تحدث فيه باللغة

الإنجليزية، قاطعه الرئيس الفرنسي شيراك بعد أول جملة وقال له: (لماذا بحق السماء تتكلم الإنجليزية؟) فخرج شيراك من قاعة اجتماعات القمة محتجا على ما اعتبره إهانة للفرنسية، وصحبه في الاحتجاج وزير الخارجية الفرنسي فيليب دوستبليزي، ووزير المالية ثيري بريتون.

وفي أعقاب احتجاج الرئيس الفرنسي الواضح في الاجتماع، لوحظ أن رئيس المفوضية الأوروبية خوسيه مانويل باروسو، التزم استخدام اللغة الفرنسية على غير عادته، إذ غالبا مايتنقل بين الإنجليزية والفرنسية خلال الحديث .

لقد تبين بما لا يدع مجالا للشك أن من غايات الفرنكوفونية – منذ تكونت– التوسع العالمي للفرنسية، فهي وسيلة لكسب المنتصرين لهذه اللغة من أبناء المستعمرات القديمة، بعد أن استنفذت جميع إمكاناتها داخل أوربا، ولذلك تجد فرنسا حريصة على أن تساعد، عن طريق " وكالة التعاون الثقافي والتقني" وغيرها من الأجهزة الأخرى، دولا من المجموعة الفرنكوفونية الإفريقية خاصة والآسيوية من أجل تنمية التعليم في بلدانها، لكن بشرطين:

أولهما أن يكون التلقين كليا أو في أغلب الأسلاك باللغة الفرنسية،

وثانيهما أن تكون الفرنسية لغة مصالح الإدارة العمومية، وبفضل ارتباط هذه الدول الفتية اقتصاديا بفضاء الفرنك، تكون الفرنسية أيضا لغة القطاع الخاص العصري بمختلف مؤسساته المالية والإنتاجية والتجارية.[1]

وبواسطة الشُّعَب الكثيرة لجهاز الصحافة الفرنكوفونية يصير للغةِ

١ينظر لمزيد من التفصيل: التعدد اللغوي: انعكاساته على النسيج الاجتماعي، محمد الأوراغي ص ١٣٠

الفرنسية رواجٌ آخر مكمل للقطاعات المسرودة، بحيث يكثر استعمالها في الأسر المتعلمة وفي الحياة العامة لإضفاء الصفة المميزة للطبقة المثقفة في المجتمع. ويثبت انتشار الفرنسية في المجال الاجتماعي باستعمال هذه اللغة في صياغة خطابات إشهارية، وإنتاج برامج إذاعية وتلفزيونية (لأهمية هذا المجال أنشئ المعهد الفرنكفوني للتعاون السمعي البصري) وفي كتابة صحافة وطنية تصدر بأقلام محلية، مع التمسك برفع كوتة البث السمعي البصري للأغاني والأفلام الفرنسية ، يضاف إلى ما سلف تنشيط القراءة بالفرنسية بتنظيم الرابطات الفرنسية ومراكزها الثقافية لسوق الكتاب الفرنسي بأسعار رمزية.[١]

هذه صورة مختصرة لما تبذله فرنسا في سبيل الارتقاء بلغتها، معتبرة المسألة اللغوية مسألة حياة أو موت بالنسبة لفرنسا ومستقبلها اللغوي والثقافي والإشعاعي.

٢- بريطانيا والإنجليزية:

في مملكة النطق البشري، تطمح اللغة الإنكليزية أن تتحول إلى (لغة) بحجم الحضارة، فهي من وجهة نظر المروجين لها لغة المستقبل والتقدم،[٢] ويتوقع لها تستمر في الهيمنة لعقود مقبلة دون منازع.

لا تقل عناية الإنجليزيين بلغتهم عن عناية الفرنسيين، فقد أقامت بريطانيا المجلس البريطاني British Council بميزانية ٢٠٠ مليون جنيه

١ينظر المرجع السابق ص ١٣٠- ١٣١

٢ حرب اللغات والسياسات اللغوية الوجه اللساني للمجتمعات البشرية، لويس جان كالفي ،المنظمة العربية للترجمة تأليف ، ترجمة حسن حمزة.

استرليني، لتنفيذ سياسة تصدير لغتها ونشرها بطريقة فعالة، فضلا عن برامج تعليم اللغة في هيئة الإذاعة البريطانية المدعومة ماليا من القطاع الحكومي، وبرامج سلسلة الإنجليزية من خلال الإذاعة والتلفزة التي تصل إلى جمهور أكبر من جمهور أي برنامج لغة أخرى في العالم[١].

وتنفق بريطانيا وأمريكا على تطوير الإنجليزية أموالا طائلة، فعلى سبيل المثال يوظف معجم: The Random House Dictionary of the English Language هيئة تحرير من ١٣٠ خبيرا دائمين، ويساعد هذه الهيئة أكثر من ١٢٠٠ استشاري.[٢]

أما عن برامج تعليم اللغة الإنجليزية ذات الجودة والحرفية العالية، فملءُ السمع والبصر، مئات البرامج المصورة والناطقة... وتبذل بريطانيا وأمريكا في سبيل تطوير برامجها بسخاء منقطع النظير، فضلا عن تصميم اختبارات قياس المستوى ذات السمعة العالمية مثل التوفل TOEFL: Test Of English as Foreign Language[٣] بنوعيه الورقي والإلكتروني، و(الايلتس) IELTS:International English Language Testing System ، والمعدّيْن، إلى جانب برامج أخرى، لتوسيع دائرة المستعملين بجعلهما ضروريين لكل راغب في الانتساب إلى جامعة أو السفر إلى بلد أو البحث

١ اللغة والاقتصاد ص ١٤٧

٢ المرجع السابق٩٩

٣ المرجع السابق. وانظر: المنظومة اللغوية وتكامل المعرفة، رشيد بلحبيب ص ٨١ وما بعدها.

عن وظيفة...[١]

والتوفل اختبار في اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها أو الذين يستعملونها كلغة ثانية لقياس درجة اتقانهم لها. وهو مطلوب اجتيازه من الطلاب الأجانب في أكثر من ٢٤٠٠ كلية وجامعة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وأماكن أخرى في العالم. يتم صياغة هذا الامتحان بواسطة خدمة الاختبارات التعليمية الأمريكية (EducationalTesting Service) في ولاية نيو جرزي. و يحتوي هذا الاختبار على ١٤٠ سؤالا مقسمة على أربعة أجزاء هي:

١. الإدراك السمعي: Listening Comprehension
٢. البنية اللغوية والتعابير الكتابية: Structure and Written Expression
٣. إدراك القراءة والكلمات: Reading Comprehension and Vocabulary
٤. كتابة مقالة: Essay Writing

فضلا عن مئات البرامج والمواقع التعليمية مثل صوت أمريكا، ومواقع تحتوي على طرق مشوقة تساعد في تعلم اللغة الإنجليزية وتحسين مستواها، مثل:

The British Council
http://www.englishday.com

١ينظر لمزيد من التوسع اختبارات:.. IELTS, TOEFL, TOEIC and the Cambridge ESL exams CPE, CAE, FC, PET KET

http://www.sabri.org
http://www.spellcheck.net
http://www.englishlearner.com

ومواقع تحتوي على تمارين تفاعلية تساعد في حفظ الكلمات وإتقان القراءة وإجادة قواعد اللغة الإنجليزية، مثل:

http://www.webnz.com
http://www.soon.org.uk
http://ccc.commnet.edu
http://www.collegeem.qc.ca
http://www.wsu.edu
http://www.esl-lounge.com

ومواقع تحتوي على العديد من الدروس والاختبارات للتحضير لجميع مستويات التوفل، مثل:

http://www.editenglish.com
http://www.english-vancouver.com
http://www.gettoefl.com
http://www.testbooksonline.com
http://www.testmagic.com
http://www.scholarstuff.com
http://www.testwise.com
http://www.toefl.org

ومن شواهد الحسم في المسألة اللغوية والموقف الصارم من التعدد اللغوي في بريطانيا، تقرير كينغمان (الذي يمثل هجوما شنه المحافظون على مبدأ التعددية اللغوية، ويسلك هذا التقرير ضمن الجهد الرسمي البريطاني لتدعيم سيادة الإنجليزية المعيارية في النظام التعليمي الرسمي، بعد أن انتقصت هيبتها وغدت أجنبية في المنهاج الدراسي، وقد شكلت لجنة كينغمان لإعداد

نموذج للإنجليزية يتخذ قاعدة لتكوين المدرسين...)[١]

وما من شك في أن التعدد اللغوي يهدد الوحدة السياسية والثقافية للولايات المتحدة، ولذلك انتقدت القوانين التي كانت تسمح بالتعدد اللغوي... وبدأت أصوات تنادي بضرورة التوحيد اللغوي وجعل الإنجليزية اللغة الرسمية الوحيدة للأمريكيين تحت عنوان: تنظيم اللغة الإنجليزية الأمريكية، إذ سعى أعضاؤه إلى مضاعفة الامتيازات التي يتمتع بها متكلمو الإنجليزية... [٢].

وقد أصبحت خدمة اللغة الإنجليزية وتصديرها وتعليمها صناعة تدر على بريطانيا وأمريكا مكاسب ثقافية وسياسية واقتصادية ، فضلا عن كونها تعفيها من استثمار أموال طائلة في تعليم لغات قد لا تحتاج إليها، كما تعفيها من الترجمة وتكاليفها لأن العالم أصبح يتكلم الإنجليزية ويكتبها، فصارت من أجل ذلك مصدر ثراء ! [٣]

٣- العرب وفطرة محبة العربية:

---

١ السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها ، جيمس طوليفصون، ص٧٥

٢ المرجع السابق ص ١٤٨

٣ كما أن لوزارة الخارجية الألمانية قسما لترويج لغتها بما يفوق ٥٠% من الميزانية الثقافية لوزارة الخارجية، أي حوالي ٥٠٠ مليون مارك ألماني لإعلان تصدير لغتها وذلك باستعمال هيئات وسيطة لتحقيق هذا الهدف مثل معهد كوته ، والهيئة الألمانية للتبادل الأكاديمي، والمكتب المركزي للمدارس الألمانية في الخارج... ، ولأكثر لغات العالم مؤسسات وميزانيات وجنود لتطويرها والدفاع عنها وحمايتها وتسويقها...

يعتبر تعلق العربي بلغته وتغنيه بها نموذجا لعشقه ومحبته الفطريين لها، حيث تعتبر روائع الشعر العربي الجاهلي مظهرا من مظاهر هذا العشق، وتعتبر تشكيلاته الأسلوبية والبلاغية لوحات فنية في غاية الروعة والجمال، دفعت العربي إلى تعليق روائع شعره على أستار الكعبة تقديرا وتبجيلا، وتزخر كتب الأدب والبلاغة والمعاجم بالنصوص الناطقة بهذا الحب والمعبرة عن هذا السحر والجمال... إذ لم يتردد ابن فارس في وصف العربية باللغة الشريفة، ولا ابن جني بوصفها باللغة الشجاعة، ولا عباس محمود العقاد بوصفها باللغة الشاعرة...[1] ويعتقد العربي إجمالا أن العربية أكمل الألسنة وأوسعها، وأنها لسان أهل الجنة...

كما تزيّنها الدقة ووجازة التعبير، وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز، وإن ما بها من كنايات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى... وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها، يبيّن ذلك أن الصورة العربية لأيّ مثل أجنبيّ أقصر في جميع الحالات، وقد قال الخفاجي عن أبي داود المطران – وهو عارف باللغتين العربية والسريانية– إنه إذا نقلَ الألفاظ الحسنة إلى السرياني قبُحت وخسّت، وإذا نُقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طلاوةً وحسناً، وإن الفارابي على حقّ حين يبرّر مدحه العربية بأنها من كلام أهل الجنّة، وهوالمنزّه بين الألسنة من كل نقيصة، والمعلّى من كل

١ اللغة الشاعرة للعقاد ص٢٠، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، ليبيا.

خسيسة، ولسان العرب أوسط الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً.[١]

تقول المستشرقة الألمانية زيغرد هونكة: (كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمالَ هذه اللغة ومنطقَها السليم وسحرَها الفريد؟، فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغفٍ، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة محمد).[٢]

أ- عناصر تعزيز الفطرة:

لقد تعززت فطرة عشق العربي للغته بنزول الوحي، فأصبح هذا الحدث مصدر فخر للعرب، رفع من شأنهم وشأن لغتهم، وبهرهم بسحر بيانه وعلو كعبه في الفصاحة التي سجد بسببها قومٌ، وآمن قومٌ، وبُهِت قومٌ، وسُحر قومٌ، وأُخْرس آخرون...

هذه اللغة في نضجها الكبير هي التي أوحى الله بها القرآن الكريم، فنقلها نقلة نوعية، من لغة قوم إلى لغة أقوام، من لغة محدودة بحدود أصحابها إلى لغة دعوة جاءت إلى الناس أجمعين، فكانت العربية بذلك لسانَ تلك الدعوة ولغةَ تلك الرسالة التي أكدت معجزة القرآن الكبرى.

إن اللغة العربية هي شعار الإسلام كما يقول شيخ الإسلام ابن تيميه، وهي مظهر رائع لامتزاج الشكل العربي بالمضمون الإسلامي، ولقد كان

---

١ مجلة اللسان العربي ٨٦/٢٤ – والفصحى لغة القرآن ، أنور الجندي ، ص ٣٠١.

٢ شمس العرب تسطع على الغرب، وانظر: مجلة اللسان العربي ٨٦/٢٤ ، والفصحى لغة القرآن ، أنور الجندي ، ص ٣٠١.

للإسلام قوة تحويل جارفة أثرت في الشعوب التي اعتنقته حديثاً، وكان لأسلوب القرآن الكريم أثر عميق في خيال هذه الشعوب فاقتبست آلافاً من الكلمات العربية ازدانت بها لغاتها الأصلية فازدادت قوةً ونماءً.

وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السعة فالأمر فيها واضح، ومن يتّبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية، ويُضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات.[١]

يقول المستشرق الألماني يوهان فك في السياق نفسه: (إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية، لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل، فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية).[٢]

١جوستاف جرونيباوم، المجلة العربية، العدد ٣٣٤، السنة ٢٩، ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥م

٢ المرجع السابق. وقال المستشرق الفرنسي رينان في السياق نفسه:" من أغرب المُدْهِشات أن تنبتَ تلك اللغةُ القوميّةُ وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمّةٍ من الرُحّل ، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرةِ مفرداتها ودقّةِ معانيها وحسنِ نظامِ مبانيها ، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولةٌ ولا شيخوخةٌ ، ولا نكاد نعلم من شأنها =

هذه نصوص مختارة لعلماء ومستشرقين خبروا العربية وأدركوا بحسهم اللغوي العالي وباطلاعهم الواسع أنها لغة راقية، ولذلك لا عجب أن تكون لغةَ الوحي ولسانَ رسالة الإسلام، ولعل خصائص العربية التي أهلتها لتحمّل الوحي واستيعاب معانيه كثيرةٌ جدا، فقد وُفّقت في التعبير عن معاني الشريعة إلى أبعد الحدود، كما وفقت في ترجمة التراث الإنساني في العصر العباسي ونقلته إلى الحضارة الإسلامية ومن ثم إلى الحضارة الغربية، فاجتازت بذلك امتحانين كبيرين بنجاح، امتحان ديني وآخر دنيوي.

ب-تجليات الفطرة:

- **خدمة المسلمين للغة العربية:**

لقد تجلت فطرةُ محبة اللغة العربية في خدمتها خدمةً وصلت درجة العبادة، إذ لم يترك المسلمون صغيرا ولا كبيرا من أمور لغتهم إلا أولوه من العناية الشيء الكثير، فقد أبدعوا في دراسة أصواتهاوبنيات كلماتهاوتراكيب جملها ودلالاتها وبلاغاتها، وقد ألفوا أصنافا من المعاجم تعد إلى الآن ذخيرة لغوية في غاية الأهمية... وليس غائبا عن المتخصص صنيع الخليل في الأصوات والمعجم، ونزوعه الرياضي في إحصاء جذور المفردات العربية، ومنهجه العلمي في ترتيب الحروف ابتداء من الحلق، وتأثره بالموسيقى في ضبطه لأوزان الشعر العربي، كما لا يفوته نزوع الرماني مترعا رياضيا

= إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى ، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة ".

خالصا في تحليله للظاهرة اللغوية، ولجوء ابن جني إلى الامتحان الآلي في تحليل الأصوات اللغوية بتشبيه الحلق بالمزمار، وتطرق ابن خلدون لفكرة الملكة اللغوية وملابساتها التجريبية... [١]حتى كاد تاريخ العربي يتطابق وتاريخ سلطان اللفظ في أمته، ولم تكن معجزة الرسول إليهم إلا من جنس حضارتهم في خصوصيتها النوعية.[٢]

- يقول أوجست فيشر: (وإذا استثنينا الصين فلا يوجدُ شعبٌ آخرُ يحقّ له الفَخارُ بوفرةِ كتبِ علومِ لغتِه ، وبشعورِه المبكرِ بحاجته إلى تنسيقِ مفرداتها بحَسْبِ أصولٍ وقواعدَ غيرَ العرب).[٣]

- ويقول هايوود:(إن العرب في مجال المعجم يحتلّون مكان المركز، سواء في الزمان أو المكان، بالنسبة للعالم القديمِ أو الحديثِ، وبالنسبة للشرقِ أو الغربِ)[٤].

- **التعليم والتصدير:**

لقد حرص العرب في ما مضى على تصدير لغتهم إلى معظم ربوع العالم، وقد أوضح كوستافلوبون (أن العربية أصبحت اللغة العالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب، حيث حلت محل اللهجات التي كانت مستعملة

١ المنظومة اللغوية وتكامل المعرفة، رشيد بلحبيب ص ٨٨

٢ التفكير اللساني في الحضارة العربية ، عبد السلام المسدي ص ٢١

٣ مقدمة المعجم اللغوي التاريخي.

٤ الفصحى لغة القرآن – أنور الجندي ص ٣٠٦.

في تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية)[١] وقد عبر ماسينيون عن الفكرة نفسها حيث قال: (إن المنهاج العلمي قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية في الحضارة الغربية)[٢]

لقد أصبح نفوذ اللغة العربية واسعا حتى أيقن جانب من أوربا بأن اللغة العربية هي (الأداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب، كما أن رجال الكنيسة اضطروا إلى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها في الكنائس الإسبانية، وأن "جون سيفل" وجد نفسه مضطرا إلى أن يحرر بالعربية معارضَ الكتب المقدسة ليفهمها الناس.)[٣]

وقد نقل "دوزي" عن صاحب كتاب (عرب طليطلة) أن العربية ظلت أداة الثقافة والفكر في إسبانيا إلى عام ١٥٧٠م.

ومعلوم أن الجامعة الأوربية كانت عاملا مهما في ذيوع اللغة العربية التي أصبحت في العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون، بل أصبحت لغة دولية للحضارة، عُلّمتْ بها كل العلوم، كما أصبحت شرطا من شروط الانتساب إلى الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي المتحضر.

---

١ حضارة العرب ص ٤٧٣، وانظر المعاجم الحديثة والمتخصصة لعبد العزيز بن عبدالله ص ١١٦.

٢ من بحث للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله عضو أكاديمية المملكة المغربية والأمين العام السابق للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي منشور في مجلة " اللسان العربي " بعنوان: "اللغة العربية وتحديات العصر " بالعدد الصادر في السنة ١٩٧٦ .

٣المرجع السابق.

وقد اتجه اقتباس أوربا من العربية نحو الميدان العلمي فدخلت إلى اللغات الأوربية كثير من المصطلحات العربية...كما استمد الأسبان حسب ما قرر (ليفي بروفنصال) معظم أسماء الرياحين والأزهار من العربية... ومن جبال البرانس انتقلت مصطلحات العلوم الطبيعية إلى فرنسا... وبالجملة فقد استمدت إسبانيا وبواسطتها أمريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا."[1]

ولذلك لا نستغرب بعد هذا أن نجد المجلس الدولي يسهم في إعداد معجم زراعي، بصفته الجهاز المشرف على إشعاع اللغة العربية في العالم، تكون فيه اللغة العربية الطرف الثاني الذي لا تتحرج اللغة الفرنسية... من أن تقتبس منه بعض أسماء النباتات والحيوانات وكل ما يحيط بالأمراض الزراعية والتربية الحيوانية.

وقد كان من الطبيعي أن يزود العرب الذين كانوا قادة المتوسط منذ القرن الثامن الميلادي، كلا من فرنسا وإيطاليا بمعظم مصطلحاتهما البحرية، على أن العربية تركت آثارها في مصطلحات الجيش والإدارة والصيد والعلوم وغيرها.[2]

ج-أسباب تعطيل الفطرة:

- **التراجع الحضاري الشمولي:**

لقد ظلت العربية مسيطرة على أكبر رقعة من العالم الإسلامي، وعلى

---

١ حضارة العرب ص ٤٧٤.

٢ المعاجم الحديثة العامة والمتخصصة لعبد العزيز بن عبد الله ص ١١٨

أعظم مجموعة من العقول البشرية... وكانت لغة التأليف والحكمة والفلسفة، ولغة البحث العلمي والتواصل الحضاري... وقد أخفقت الحكومات الجبارة من اقتلاع هذا الحب من نفوس شعوبها المسلمة وقطع صلتها بها، فقد منعت الحكومة التركية الأذان باللغة العربية أكثر من ربع قرن، وغيرت شعوبٌ كتابة لغتها بالحروف اللاتينية، ومنعت استعمال العربية وغيرت أسماء الشوارع... لكنها لم تستطع تغيير محبة شعوبها للعربية.

إن استعمال القانون الوضعي بدل الشريعة، اتجه بالوضع اللغوي وجهة أخرى امتازت فيها اللغة الأجنبية إلى جانب اللهجات المحلية، إضافة إلى انتشار فكرة القومية القطرية وعناية الشعوب العربية بعامياتها وتشجيع التواصل بها، يضاف إلي ذلك ما نال القرآن من ترجمات محرفة، فلم تعد البلدان الإسلامية غير العربية في حاجة إلى العربية لفهم القرآن الكريم، وقد بدأت تركيا في العودة إلى لغتها، فصارت العربية بمثابة اللغة الأجنبية، وكذلك الأمر في إيران التي طغت عليها موجة اللغة الوطنية وحلت الفارسية مكان العربية، وفي باكستان كان التفوق للغة الإنجليزية وصار وضع العربية في تدهور مستمر، ووقع التحريض على كتابة اللغات المحلية كالأردية والبنغالية، وقد تحمل وزر هذه الدعوات الطبقة المثقفة ثقافة أجنبية عصرية.[١]

- **مخططات محاربة الفطرة اللغوية:**

منذ استيقظ العالم الأوربي لنهضته الحديثة وهو يرى عجباً من حوله، أمم مختلفة الأجناس والألوان والألسنة من قلب روسيا إلى الصين إلى الهند...

---

١ التعريب وتنسيقه في الوطن العربي ص ٦٠٢ (بتصرف)

إلى فارس إلى تركيا إلى بلاد العرب إلى شمال إفريقيا وقلبها وسواحلها إلى قلب أوربا نفسها، تتلو كتاباً واحداً يجمعها، يقرأه من لسانه العربية ومن لسانه غير العربية وتحفظه جمهرة منهم عن ظهر قلب... فكان عجباً أن يكون في الأرض كتاب له هذه القوة الخارقة في تحويل البشر إلى اتجاه واحد متسق على اختلاف الأجناس والألوان والألسنة.[١]

وكان القسيس زويمر يرى أن اللغة العربية هي الرباط الوثيق الذي يجمع ملايين المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، وقد عبر عن هذا بقوله: (إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتي آسيا وإفريقيا الواسعتين، وبث في مائتي مليون من البشر عقائده، وشرائعه، وتقاليده، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية).

حتى عدّ الفرنسي جاك بيرك، أن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية ، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية.[٢]

ومن هنا كان أصحاب النفوس الحاقدة... وراء كل دعوة إلى الفصل

---

١ أباطيل وأسمار ، الشيخ محمود شاكر، ص ١٣٠ ، وانظر: مجلة الرسالة، الخميس ٥ رمضان ١٣٨٤هـ، يقول نولدكه: «إن العربية لم تصر لغة عالمية حقا إلا بسبب القرآن والإسلام».-

٢ ينظر: الفصحى لغة القرآن – أنور الجندي ص ٣٠٤.

بين هاتين القوتين العظيمتين، كانوا دوماً وراء الطعن في إحداهما لأنه طعن مزدوج لا يصيب واحدة منهما إلا أصابهما جميعا.

لقد أدرك الأوربيون هذه الحقيقة، وتمنوا زوال القرآن، فكان بيّناً أنه لا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته، يقول وليم جيفورد بلجراف: (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة (المسيحية) التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه...إنه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين من حيث خطتهم في الهدم، فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم للجهود التي تبذل في سبيل التربية النصرانية، والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوربية)[١].

وهذا التقسيم السياسي الذي يشير إليه شاتليه، لا يمكن أن يكون عنصراً مساعداً على هدم الفكرة الإسلامية إلا إذا قوضت الوحدة اللغوية للأمة، وصارت كيانات متناثرة، وجزراً متباعدة، ولعل هذه هي الخلفية الحقيقية التي كان يتستر وراءها دعاة العاميات من الأوربيين!

ومن هنا كانت الدعوة إلى إثارة اللهجات المحلية، وتشجيع العاميات، وفسح المجال أمام اللغات الاستعمارية.. مع ما صاحب ذلك من احتقار للعربية، وتجنيدٍ لأبناء الجلدة وخلفاءِ الاستعمار حيث (احتل المستعجمون المواقع الحساسة في أجهزة الدولة، وأصبحت لهم سلطة التوجيه والقرار، فظهر العداء للتعريب وتنوعت أساليب محاربته، وانتشرت اللغات الأجنبية

١ أباطيل وأسمار ص ١٢٨.

بصورة مخيفة، وتم إبعاد المعرّبين عن مراكز القرار، وما يزال بعض المستعجمين من أبناء هذه الأمة لا ينتمون إلى الوطن إلا بالجنسية، أجسامهم في الوطن، وولاؤهم وعقولهم وأرواحهم خارج الوطن.)[١]

- **احتقار العربية واقتراح العامية بديلا:**

لقد اتخذت محاولات الطعن في العربية أشكالاً ومظاهر شتى، فهي عند الغربيين وأتباعهم لغة ميتة كاللاتينية، وهي لغة عقيمة وعاجزة عن مواكبة الركب الحضاري، فقيرة من الناحية الاصطلاحية، متحجرة التراكيب والكلمات، عقيمة الكتابة، مشوهة الحروف... يجب دفنها والتفكير في استبدالها واستبدال حروفها، ومصيرها لن يكون أفضل من اللاتينية.

لقد كان الاهتمام بهذا الرأي ونشره قائماً لدى جميع الدول الأوربية التي غزت بلاد العرب والمسلمين، وأقرب ذلك عهداً تقرير (لندبرج الإسوجي) في مجمع اللغويين في ليدن سنة ١٨٨٣م، وتقرير اللورد الإنجليزي دو فرين الذي رفعه إلى وزارة الخارجية البريطانية في شأن اللهجة العامية المصرية.

فبدأت الدعوة إلى فسح المجال أمام الطالب العربي ليستعمل العامية بدل الفصحى، وكان ولككس يرى أن الفصحى من أسباب تخلف الأمة وعائق من عوائق التقدم ، فقد ألقى- سنة ١٨٩٣م – محاضرة في نادي الأزبكية بعنوان: (لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن) ذكر فيها أن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية

---

١ ينظر: تعريب التعليم العالي وتيار الفرنكوفونية بالمغرب، الدكتور عباس ارحيلة ص٢٧ (بتصرف)

الفصحى، وأهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية، لأعان ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها.

وكان يرى أن اللغة العربية لغة مصطنعة يتعلمها أصحابها باعتبارها لغة ثانية، ثقيلة في كل شيء، إن وصلت إلى الرأس فهي لا تصل أبداً إلى القلب... دراستها نوع من السخرية العقلية... قضت على الطلبة النابهين من المصريين والذين كان يرجى منهم نفع كبير... دراستها مضيعة للوقت، وموتها محقق كما ماتت اللاتينية.[١]

ويقول في موضع آخر: (قضيت عشر سنوات حين كنت في خدمة الحكومة المصرية، وأنا أشرف على مدرسة المهندسين وأمتحن طلبتها، وكنت أجد بين الطلبة من يعدون حقا من الأذكياء، ولكنهم كانوا يسيرون في دروسهم ببلادة لأنهم كانوا يقرأون باللغة الفصحى المصطنعة بدل العامية).

لقد تجرد الغربيون لهذه الحرب السياسية التي اتخذت الدعوة إلى العامية سلاحا يراد به تفتيت قوة مجتمعة ، أو تفتيت قوة هي في طريقها إلى التجمع، يقول الشيخ محمود شاكر: (وكل الذين يغفلون عن هذه المعارك ويعدونها معارك أدبية، أي معارك ألفاظ كالدكتور مندور وأشباهه إنما يخاطرون بمستقبل أمم قد ائتمنوا عليها).[٢]

د–من أجل تفعيل فطرة الانتماء إلى العربية:

---

١ أباطيل وأسمار ص ٢٨٢، و ص ٣٠٢ ، وينظر لمزيد من التفصيل: تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر، نفوسة زكريا.

٢ أباطيل وأسمار ص ٣٠٢.

▪ **عالمية الإسلام وعالمية اللغة، من العرق إلى اللسان:**

يمثل تصور الإسلام لـــلمسألة اللغوية تصورا متقدما، يضاف إلى سماحة الإسلام ونظرته المستقبلية وقدرته على الاستقطاب والاستيعاب وفق نظرة عادلة لا تمييز فيها ولا عنصرية.

ومن أصول ذلك، التمييزُ بين عروبة اللسان، وعروبة الجنس، فإذا كان عمر – رضي الله عنه – قد مدح العرب بقوله: "العرب مادة الإسلام"، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسّع من مفهوم العربي، دفعا لتوهم العنصرية والعصبية، ليشمل المسلمَ مطلقا، عربيا كان أو غيرَ عربي فقال (...ليْستِ العربية من أحدكم بأب ولا أم، وإنما العربية اللسان، فمن تحدث العربية فهو عربي)[١]، وربط بذلك اللغة باللسان لا بالعرق، تمهيدا لربطها بالدين باعتبار العلاقة التكاملية بينهما، فلا قرآن بدون العربية، ولا بقاء للعربية بدون إسلام! وبهذا المعنى اندمج في عروبة اللسان أضعاف عرب الأنساب... وبهذا أيضا تخلصت اللغة العربية من أي صفة عرقية أو عنصرية. فاللغة العربية ليست لغة خاصة بعرب النسب، ولكنها لغة من تكلم بها واندمج فيها. فمن فعل هذا فهو العربي، أيا كان نسبه وسلالته.[٢]

إن عالمية الدعوة تقتضي نبذ العرقية والعصبية (دعوها فإنها منتنة) وإدماج المسلمين في بيئة لغوية متماسكة وموحدة... هذه البيئة هي التي خلقت لنا جيشا من العلماء من غير العرب عرقا، كان منهم الفارسي

---

١ الجامع الكبير ، للسيوطي ١/٢٦٧٤٠

٢ انظر: نداء من أجل العربية ص١١

والرومي واليوناني والهندي والقبطي والإغريقي والبربري والإفريقي والكردي والحبشي... شاركوا في هذه الحضارة في مجالات كثيرة، سيبويه في علوم العربية، والزمخشري في التفسير، والبخاري ومسلم في الحديث، وأبو حنيفة النعمان في الفقه، وأبو إسحاق الإصطخري في الجغرافيا،وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي ونور الدين محمود وقطز في ميدان الجهاد والقيادات العسكرية...

ومن هنا كانت قوة هذه الأمة في الإسلام والوحدة الإسلامية ولم يبدأ التفكك والشلل يتسربان إليها إلا بعد أن فقدت الأمة وجهتها وتحزبت طوائف وأعراقا، وابتعدت عن دينها ولغتها فصارت تابعة بعد أن كانت متبوعة...

يقول ابن حزم: (إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم ، وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم ، فمَضْنُون منهم موتُ الخواطر، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم)[١]

- **تعلم العربية سبيل إلى التقدم في الدين وعودة إلى الفطرة:**

قال عمر رضي الله عنه: (تعلموا العربية فإنها من دينكم)، إن إتقان العربية يقود إلى فهم الدين والارتقاء في مدارجه، واللغة من شأنها أن تسهم في تنمية الإنسان المسلم وإمداده بالقدرات الضرورية لفهم مراد الله تعالى،

١ الإحكام في أصول الأحكام: ١ /٣٢.

حتى يكون تدينه مؤسسا تأسيسا علميا، وهذا ما عبر عنه الإمام الشاطبي بقوله:(إن الشريعة عربية، وإن كانت عربية، فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم العربية حق الفهم... فإذا افترضنا مبتدئا في فهم العربية، فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا فهو متوسط في فهم الشريعة، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة)[١].

ولما كانت معرفة اللغة والنحو والتصريف فرض كفاية- كما يقول السيوطي- وكانت معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع، ومعرفة الأحكام دون معرفة أدلتها مستحيلٌ، فلا بد من معرفة أدلتها، والأدلة راجعة إلى الكتاب والسنة، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم، فإذن، توقّفُ العلم بالأحكام على الأدلة، ومعرفة الأدلة تتوقف على معرفة اللغة والنحو والتصريف، وما يتوقف على الواجب المطلق وهو مقدور للمكلف فهو واجب...[٢]

وقد ذهب ابن تيمية أبعد من ذلك حين ربط اللغة بالعقل قال: (اعلم أنّ اعتياد اللغة يؤثر في العقلِ والخلقِ والدينِ تأثيراً قويّاً بيّناً، ويؤثر أيضاً في مشابهةِ صدرِ هذه الأمّةِ من الصحابةِ والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقلَ والدينَ والخلقَ.)[٣]...

---

١ الموافقات " ٤ / ٤٨٥ ، وانظر: " نظرية المقاصد " د. الريسوني ص ٢٣٦.

٢ الإتقان في علوم القرآن ٢١٣/٤

٣ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٢٠٧، ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الحقيقة بقوله: "إن اللغة من الدين ، ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب."

إذن، فنحن مأمورون أمرَ إيجابٍ أن نحفظ القانون العربي، ونُصلح الألسن المائلة عنه، حتى يحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنّة، والاقتداء بالعرب في خطابها.

- **الجهل باللغة تخلف في الدين ومدخل للضلالات:**

إذا كان الجهل باللغة القومية عارا ، فإن الجهل باللغة الدينية خطيئة وضلالة، ولذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام لمن أخطأ بحضرته: (أرشدوا أخاكم فقد ضل)، فتأملْ كيف وصفَ الخطأ في اللغة بوصف يكون عادة في العقيدة، ومما لا أشك فيه أن هذه الكلمة لها - بما أوتي صاحبها عليه الصلاة والسلام من جوامع الكلم، ودقة التعبير المسدد بالوحي- ما نفسر به الضلالات التي نراها في العقائد والملل والأهواء والنحل التي مصدرها الأول الجهل باللغة، إن الجاهل باللغة، كالجاهل بالدين يحتاج كلاهما إلى إرشاد وتوجيه .

ولهذا ذكر الإمام الشافعيِّ أَنّ على الخاصَّة الّتي تقومُ بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم، الاجتهادَ في تعلّم لسان العرب ولغاتها، التي بها تمام التوصُّل إلى معرفة ما في الكتاب والسُّنن والآثار، وأقاويل المفسّرين من الصحابة والتابعين،... فإنّ من جَهِلَ سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها جَهِلَ جُملَ علم الكتاب، ومن علمها، ووقف على مذاهبها، وفَهِم ما تأوّله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الدَّاخلةُ على من

جَهِلَ لسانها من ذوي الأهواءِ والبدع.[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله:(لا بُدّ في تفسير القرآن والحديث من أن يُعرَف ما يدلّ على مراد الله ورسوله من الألفاظ ، وكيف يُفهَم كلامُه ، فمعرفة العربية التي خُوطبنا بها ممّا يُعين على أن نفقه مرادَ اللهِ ورسولِه بكلامِه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني ، فإنّ عامّة ضلال أهم البدع كان بهذا السبب ، فإنّهم صاروا يحملون كلامَ اللهِ ورسولِه على ما يَدّعون أنّه دالٌّ عليه ، ولا يكون الأمر كذلك).[2]

وكان الأصمعي يقول: (تعلموا النحو فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة)[3]

وقد وقعت فرق كثيرة في الضلالات بسبب الجهل المطبق باللغة العربية، كالبهائية والقاديانية والأحمدية والجمهوريين الذين تلاعبوا بألفاظ اللغة العربية جهلا واعتداء، فجاء فهمهم للقرآن سقيما منحطا...

وقد عزا ماكس ميلر الانحراف في الدين والسقوط في الوثنية إلى الظواهر اللغوية، يقول: (قد يحدث للساميين أن يغرقوا في الوثنية، عندما

---

١ وزاد البيهقي في (شعب الإيمان) في باب طلب العلم، عن الواقدي بسنده، عن أبي الزّناد عن أبيه، قال: "ما تزندق بالشرق إلا جهلاء بكلام العرب، وعجمة قلوبهم" - شعب الإيمان للبيهقي، ٢ /٢٦٠. يقول مجاهد:" لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إن لم يكن عالماً بلغات العرب " البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩٢.

٢ مجموع الفتاوى٧/١١٦

٣ معجم الأدباء ١/٧١

تتحول الصفة إلى موصوف، ويمكن أن تخلط السامية – حينئذ – خاصية ربانية فريدة بالموضوع الذي تُطبَّق عليه. فالأسماء المختلفة لكائن واحد، تستطيع أن تتحول إلى تسميات لكائنات متعددة، ومن ثم إلى آلهة متعددة).[١]

- **التذكير بالخصائص وبالقيم التداولية للعربية:**

من أجل دفع الإحساس بالنقص والصغار أمام اللغات الأجنبية، لا بد من التذكير بما تنفرد به اللغة العربية من خصائص صوتية وتركيبية ودلالية، وما تتميز به من وسطية واعتدال وتوازن، ومرونة صرفية ونحوية، إلى جانب غناها المعجمي والتركيي والأسلوبي، ومن مظاهر هذا التميز:

التفرّد بعدد كبير من الحروف الحلقية، وهي: ع، غ، ح، خ، هـــ، ء، وحروف الإطباق كالـــ: ق، ص، ط، ض، ظ، وقيام بناء الكلمة على الحروف الصامتة التي تؤدي المعنى العام،وقيام معظم جذور العربية على ثلاثة أحرف، فضلا عن وجود علامات إعرابية تدل على الموقع الإعرابي أو الحالة التركيبية ... في فقدت أكثراللغات هذه العلامات.[٢]

كما تتسم اللغة العربية بالوسطية والتوازن في معظم مستوياتها اللغوية:

– فعلى مستوى نظام الكتابة:ليست الألفبائية العربية فونيمية صرف كالإسبانية والفلندية والتشيكية، كما أنها ليست مقطعية كاليابانية، فالعربية وسط بين هذه اللغات وتلك.

---

١ الأرخبيل ص ٢٢، ترجمة رشيد بلحبيب. وينظر فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب ص١٨.

٢ ينظر رشيد بلحبيب

-وعلى مستوى الحالات الإعرابية، تمثل العربية بحالاتها الثلاث مركزا وسطا بين قصور الحالات الإعرابية كما في الإنجليزية، وكثرتها كما في اللاتينية (٥ حالات)، والروسية (٦ حالات).

-وعلى مستوى النظام النحوي، تَجمعُ العربية في تركيب المكونات النحوية بين النمطين: (ففامف) و(فافمف) أي بينما يعرف بالجملة الفعلية والجملة الاسمية.

-وعلى مستوى ترتيب مكونات الجملة، تحتل اللغة العربية موقعا وسطا في مرونتها النحوية، بين المرونة المبالغ فيها كما في اليابانية والفلندية، وبين قيود الرتبة الصارمة كما في الإنجليزية والفرنسية.

-وفيما يتعلق بخاصية تكوين الكلمات، تأتي العربية وسطا بين اللغات الإلصاقية كالتركية والفلندية، واللغات العازلة كالصينية واليابانية.

-ومن حيث المطابقة بين الفعل والفاعل، تحتل اللغة العربية مركز الوسط بين اللغات التي لا تلجأ للمطابقة إلا قليلا كالإنجليزية، واللغات المسرفة في المطابقة.

كما تعتبر اللغة العربية من أغنى اللغات: في أصواتها وحروفها، وبنيات كلماتها ونظمها وأساليبها ومعجمها. ولعل هذا ما جعل عددا كبيرا من اللغويين يعبرون عن إعجابهم بهذه اللغة، وبغزارة مادتها، ووفرة معاجمها التي تجاوزت السبعين معجما، وبجميع طرق التصنيف والترتيب الممكنة، فضلا عما تزخر به من تنوع في الدلالة واتساع في المجاز ومراعاة للسياقات، وكثرة في الترادف...

إن تفرد اللغة العربية وتوسطها وغناها هو ما جعلها قادرة على الصمود، ولعل هذا ماجعل الخبراء يصرحون بقابليتها للمعالجة الآلية ومرونتها في ذلك، وقد حققت بسبب هذا إنجازاتٍ مهمة في مجالات لترجمة الآلية، والتوليد الصرفي والنحوي والتصحيح الآلي...[١]

---

١ ينظر: كتاب اللغة العربية والحاسوب، نبيل علي.

خـــــاتمة

إن اللغة العربية لا تشكو من ضعف في مكوناتها وبنياتها، بل تشكو من هوانها على أهلها، وهوان أهلها على أنفسهم وعلى الناس، وتشكو من عقم العقل العربي وعجزه عن الإبداع والإنتاج... إن قضية اللغة العربية يجب أن ترفع إلى مرتبة القضايا السياسية والاستراتيجية الكبرى للأمة. ويجب أن تعتبر قضية حكومات وشعوب لا قضية مهتمين ومتخصصين. لأن اللغة من المسؤوليات المباشرة للدولة، بل ربما تكون اللغة من المحددات الأساسية لبنية الدولة " إن تأخير أو تأجيل تقويم الوضع اللغوي، أو على الأقل حساب فاتورة الخيارات اللغوية أمر ذو كلفة تنموية باهظة، تتمثل في:

- تدني مستويات القراءة المؤدي إلى الهدر المدرسي
- ضعف التواصل بين فئات المجتمع الواحد
- انخفاض المستوى المعرفي لعامة المواطنين
- ضعف في الكفاءة والتأهيل

الأمر الذي يترتب عليه ارتفاع مستويات البطالة والفقر وتدني جودة الخدمات." [1]

وتحقيقا لهذا الأمر أكد غير واحد من المهتمين، أن الجميع مدعوون لوضع مشروع النهوض بلغة الضاد في العصر الرقمي، ودراسة الواقع اللساني وتفاعله مع مختلف الأشكال التعبيرية الجديدة، وإثراء المحتوى الفني وكيفية

---

١ ينظر: ازدواجية اللسان ص١١.

معالجة واقع الترجمة الآلية، وتطويع واختراع واشتقاق المصطلحات التي تمدنا بها المختبرات الدولية تباعا ويوميا...[١]

إن التفرد اللغوي هو الوضعية اللسانية الطبيعية والمناسبة للفطرة[٢]، بحكم أنها تستجيب أكثر من غيرها لفطرة الأفراد، إذ جبلوا على التواصل لاضطرارهم إلى التجاور والتشارك، وعلى الاقتصاد في الجهد فاستغنوا باللغة الواحدة واستنكفوا عن اكتساب غيرها، لأن في اكتساب أداتين من أجل استعمالهما لنفس الوظيفة بذلا لجهد إضافي ونقضا للجبلة"[٣]

إن إنتاج المعرفة وتنميتها واستغلالها وتداولها وتخزينها... كلها عمليات تستلزم تجانس لغة المجتمع... فكيف للطبيب الذي يتحدث لغة لا يجيدها المريض، وقد لا يجيدها الاثنان، أن يرفع من مستوى أدائه؟ وكيف للمهندس الذي ينتصب بينه وبين صاحب المشروع، وبينه وبين المقاول والبناء من جهة أخرى حاجز اللغة أن يستخلص الحلول المثلى لمسائل يصعب الحديث عنها... والأمر نفسه يقال عن كل الإدارات والمؤسسات التي تخاطب مراجعيها بغير لغاتها.

إن التعدد اللغوي -كما يقول الخبير اللغوي محمد الأوراغي- يقلل

---

١ التبعية اللغوية أساس التخلف الشمولي، للدكتور محمد الأوراغي، مقال نشر بجريدة العلم.

٢ لا ينبغي أن يفهم هذا القول على أنه معاداة للغات الأجنبية، بل هو دعم للغة الوطنية، أما غيرها من اللغات فتعلمها وإتقانها واجب لأنه بوابة نطل من خلالها على الإنتاج الفكري والحضاري لغيرنا ، فضلا عن كون من تعلم لغة قوم أمن مكرهم.

٣التعدد اللغوي ص ٩

من تواصل العشائر المؤسسة لغويا، ويقوي طابعها الانغلاقي، فيصعب التصاهر والتثاقف، وتتجذر الشخصية العشائرية، فيُنتقى من عناصر الهوية الوطنية ما يتماشى والنزعة القبلية، وفي هذا مفسدة ظاهرة، وتعثرٌ في طريق التنمية الحقيقة للمجتمع والإنسان[١]، لإنّ تنمية الإنسان يرادفها تنمية لغته الوطنية الفطرية ضرورة، ليصير قادرا على استساغة المعرفة المعاصرة بمفهومها الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي بلسانه لا بألسنة غيره، كما تحتاج التنمية إلى أداة تواصل موحدة ومنظمة، وتحتاج إلى سكان متحررين ومتجانسين، وعلى درجة عالية من التعليم والكفاءة.

ولنا في حرص الفرنسيين والإنجليز والألمان واليهود وباقي شعوب الأرض، على لغاتهم ووحدتهم ، الدرس والمثل، ولنا في جهود المخلصين من العرب مؤسساتٍ وأفراداً القدوة والنبراس، من أجل لغة واعدة وجذابة ورائجة في سوق اللّغات.

والله وليّ التوفيـــقِ

---

[١] المرجع السابق ص ١٢

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم

- أباطيل وأسمار للشيخ محمود شاكر، مطبعة الخانجي،٢٠٠٥م.

- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠هـــ.

- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، دار الآفاق الجديدة – بيروت

- الأرخبيل: مجموعة أبحاث في اللسانيات، ترجمة رشيد بلحبيب، دار إنفوبرانت للطباعة والنشر– سنة ٢٠٠٩ م– المغرب.

- البربر بين الشريعة والعرف رشيد بلحبيب، مجلة المنعطف، العدد٥ سنة ١٩٩٢م — المغرب.

- التبعية اللغوية أساس التخلف الشمولي، للدكتور محمد الأوراغي، مقال نشر بجريدة العلم المغربية

- التعدد اللغوي،انعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب بالربط، سلسلة بحوث ودراسات رقد ٣٦ ، مطبعة النجاح الجديدة، ط١ ، ٢٠٠٢م.

- تعريب التعليم العالي وتيار الفرنكوفونية بالمغرب، الدكتور عباس أرحيلة (انظر: مجلة الفرقان)

- التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، محمد المنجي الصيادي– مركز دراسات الوحدة العربية- سنة١٩٩٣م

- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط٢/ ١٩٨٦

- الجامع الكبير ، للسيوطي،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- جريدة التجديد المغربية عدد ١٧٦، يونيو ٢٠٠١م.

- جريدة L economist ليوم الخميس٢٠ يناير ٢٠٠٠م

- حرب اللغات والسياسات اللغوية ، لويس جان كالفي ،المنظمة العربية للترجمة ، ترجمة حسن حمزة.

- حضارة العرب ،كوستا فلوبون، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٩م

- خطر الألفاظ المبهمة عند ماكس ميلر(ينظر: الأرخبيل)

- الخلفية الاستشراقية والدعوة إلى العامية، رشيد بلحبيب، مجلة الفيصل العدد ٢٥٠ سبتمبر ١٩٩٧م – المملكة العربية السعودية.

- السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها، تأليف جيمس طوليفصون، ترجمة محمد خطابي – مؤسسة الغني ط١ -٢٠٠٧م.

- شمس العرب تسطع على الغرب، المستشرقة الألمانية زيغريدهونكه الترجمة: فاروق بيضون – كمال دسوقي. دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٨ ، ١٩٩٣.

-فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، للشيخ المكي الناصري، الرباط ١٩٩٣م.

- الفرنكوفونية في المشهد الإعلامي المغربي، عبد الله خلافة (انظر: مجلة الفرقان)

- الفرنكوفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب، عبدالعلي الودغيري. الرباط ١٩٩٣م.

- الفرنكوفونية ومأساة أدبنا الفرنسي، بنسالم حميش، سلسلة المعرفة للجميع. الرباط - العدد ٢٣. ٢٠٠٢م.

- الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م

- قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، نهاد الموسى، دار الفكر ، ط١ / ١٩٨٧م

-لسانيات واستعمار لويس جون كالفي، طبع بالفرنسية سنة ١٩٧٤، ضمن منشورات بايو، ترجم فصلا منه عبد العلي الودغيري. (انظر: الفرنكوفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب)

- اللغة الشاعرة لعباس محمود العقاد، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا.

- اللغة والحاسوب للدكتور نبيل علي، الناشر: تعريب ١٩٨٨م. وانظر: العرب و عصر المعلومات ــ سلسلة عالم المعرفة الكويتية ــ العدد ١٨٤ ــ أبريل ١٩٩٤م.

- اللغة والاقتصاد، تأليف فلوريان كولماس، سلسلة عالم المعرفة ٢٦٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، ٢٠٠٠م.

- مجلة الفرقان، عدد خاص بـــ " أسئلة اللغة بالمغرب " العدد ٦٥/ ١٤٣١ — ٢٠١٠.

- المعاجم الحديثة والمتخصصة لعبد العزيز بن عبد الله، ضمن كتاب تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، وزارة الشؤون الثقافية، تونس ١٩٧٨م.

- المنظومة اللغوية وتكامل المعرفة، رشيد بلحبيب، درا العالم العربي للنشر، دبي ط١ سنة ٢٠٠٥

- الموقع الرسمي لمنظمة الدول الناطقة بالفرنسية:

http://www.francophonie.org

- نداء من أجل العربية، أحمد الريسوني(انظر مجلة الفرقان)

- نحو وعي لغوي، مازن المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩م.

- وحي القلم للشيخ مصطفى صادق الرافعي،دار ابن حزم، ١٤٢٩هـ.

فهرس المحتويات

اللغة العربية في عصر العولمة

الأخطار وسبل المواجهة

إعداد

سالم بن كرامة عميران اليمني

المقدمة

كانت اللغة العربية موضع عناية كثير من العلماء والباحثين؛ لما تتمتع به من مزايا دينية وتاريخية وجغرافية واقتصادية عديدة تجعلها تواكب كل التطورات الحديثة، فألفت فيها المؤلفات التي كان لها الأثر في تنقيتها وصيانتها حفاظًا عليها من الخطأ والدخيل.

وفي عصر العولمة عصر الانفتاح والتقدم العلمي والتقني، توالت الصيحات والنداءات التي تنادي بها المؤتمرات والندوات بالتصدي للأخطار التي تواجهها اللغة العربية، وانحسارها في مجالات كثيرة، أهمها: التعليم والإعلام.

إن الاهتمام باللغة العربية على هذا المستوى ، يعكس خطورة الوضع الذي وصلت إليه لغة الضاد، إن وضع اللغة العربية اليوم بات قاب قوسين أو أدنى من الاضمحلال والتلاشي.

ولعلنا نتساءل ! ما مكانة لغة الضاد من بين اللغات العالمية ؟ وما الأخطار التي تواجهها في عصر العولمة ؟ وما مستقبلها في عصر الإنترنت وثورة المعلومات؟ وما دور المؤسسات التعليمية والإعلامية في الحفاظ عليها ؟.

أسئلة كثيرة تستحق الوقوف والتأمل والبحث؛ لعدة اعتبارات، من أهمّها:

- أن اللغة العربية هي التي نقلت الإسلام ونشرته في بقاع الأرض.
- أن للعربية قيمة جوهرية كبرى في حياة الأمة، فهي رمز السيادة والتميّز، وتقيم الروابط بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، وهي الحصن

الحصين ضد الذوبان والتلاشي وفقدان الهوية.

- واللغة العربية هي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، فهي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم، وهي الرافد الرئيسي لتطور العلم والمعرفة.

وسأحاول في هذا البحث إبراز قيمة هذه اللغة والأخطار التي تحيط بها في عصر العولمة وسبل تلافيها، ولعلي أكون قد وفقت إلى ما قصدت إليه ، والله من وراء القصد.

الفصل الأول: مكانة اللغة العربية

مفهوم اللغة:

تشتق كلمة (لغة) من (لَغا يَلْغُو لَغْواً) أي: (تكلم)، وأَصلها (لُغْوة) على وزن (فُعْلةٌ) ككُرةٍ وقُلةٍ وثُبةٍ[١]، واصطلاحًا: عرفها (ابن جني) بأنها:" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[٢]. أما ابن خلدون فيعرفها بقوله: "عبارة المتكلم عن مقصوده ،وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام "[٣] ،والتعريف الذي قاله (ابن جني) نال شهرة واسعة بين اللغويين القدماء والمحدثين. وبعد انتشار وسائل جديدة من وسائل الاتصال الحديثة يمكن أن يقال أيضًا أن اللغة هي:"وسيلة اتصال البشر بعضهم ببعض"[٤].

واللغة العربية الفصحى هي:" تلك اللغة الأدبية المشتركة بين مختلف القبائل العربية والتي سجل بها الشعراء خواطرهم ومظاهر الحياة حولهم ،كما استخدمها الخطباء في محافلهم وأسواقهم الأدبية ،ثم توجها القرآن الكريم

---

١ –(انظر:ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر– الطبعة الأولى) ، ج ١٥ ص٢٥٠).

٢ –(ابن جني، الخصائص تحقيق: محمد علي النجار، (بيروت: عالم الكتب) ،ج ١، ص ٣٣).

٣ –(عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، (مصر: مطبعة التقدم ، ١٣٢٩)، ج ١، ص ٦٢٥.).

٤ –(انظر: هيثم بن جواد الحداد، "العولمة اللغوية "،مجلة البيان،(لندن: العدد ١٧٠، شوال١٤٢٢) ، ص ٥٩.).

فأنزله الله تعالى بأعلى ما تصبو إليه هذه اللغة من مستوى "[١].

أهمية اللغة العربية:

يعد القرآن الكريم أول من ألبس كلمة العرب ثوبها القومي ، فهي تشكل اللغة الأم لكل العرب، وتمثل أسس الانتماء العربي ،وإتقانها يؤدي إلى تماسك الأمة العربية ووحدتها الثقافية المشتركة [٢]،وباتت هذه اللغة لغة مقدسة عند جميع المسلمين عربًا وعجمًا؛لارتباطها بأهم مقدسات المسلمين وهما الكتاب والسنة ،" فهي أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، لهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض "[٣] قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة يوسف، الآية: (٢)، ويذكر محمد الخضر بن الحسين أن هناك ثلاثة أسباب ارتقت بهذه اللغة حتى بلغت أشدها وأخذت زخرفها: أحدها: ما جاء به القرآن الكريم من صورة النظم البديع والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول.

ثانيها: ما تفجر في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من ينابيع الفصاحة ،وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة عن الغرض بدون تكلف ،وثالثها: ما أفاضه

---

١ -(د.رمضان عبدالتواب، بحوث ومقالات في اللغة، (القاهرة: مكتبة الخانجي ،١٤٠٣- ١٩٨٢ ط١)، ص ١٤١).

٢ -(انظر: يوسف الصيداوي، اللغة والناس، (بيروت: دار الفكر المعاصر ط١، ١٤١٦- ١٩٩٦)، ص ٢٦٥).

٣ -(ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٢)، ج٢ - ص٦١٣).

الإسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية وبما نتج عن تعارف الشعوب والقبائل والتئام بعضها ببعض من الأفكار [١].

وبين اللغة العربية والوجود الإسلامي في أي مكان وفي أي زمان تلازم واضح في الماضي والحاضر والمستقبل، فحين يتعرض الإسلام لأنواع الغزوات والنكبات تكون اللغة العربية هي أداة التفكير والتعبير والاتصال؛ تحفظ عليه وجوده الحضاري، وهي التي تساعده على أن يستأنف هذا الوجود بعد كل هجمة أو تعثر.[٢] فاللغة العربية هي لغة التنزيل للنص الإلهي الأخير للبشرية الذي يعتبر من الناحية الوثائقية أقدم وثيقة تاريخية وردت بالتواتر،وهي قادرة على الاستجابة للتطور الحضاري والتعبير عنه ليس العربي أو الإسلامي فقط وإنما العالمي؛لان الرسالة الإسلامية الخاتمة عالمية ،وهذا يعني قدرتها على الاتساع لكل تطورات العصر والتوليد والاستيعاب بل والتعبير عن كل الحالات والأحوال والإجابة عن كل سؤال معلوماتي علمي أو ثقافي أو تجاري أو صناعي أو سياسي أو أدبي..[٣]

---

١ -(انظر:محمد الخضر بن الحسين ،"أطوار اللغة العربية "، مجلة المنار (مصر:الأحد جمادى الثانية ١٣١٩ سبتمبر ١٩٠١)، ج١٣ ص٢٠٧).

٢ -(انظر: عبد الله بن حمد الخثران ،"أهمية اللغة العربية لدارس الكتاب والسنة والمتأمل فيهما"،(لندن:مجلة البيان، العدد، ١٨٢ ص ٦٦)).

٣ -(انظر:عمر عبيد حسنة ، اللغة العربية تواجه التحديات (المقدمة) أ.د. طالب عبدالرحمن، (قطر:كتاب الأمة ، العدد ١١٦ ذو القعدة ١٤٢٧، الطبعة الأولى نوفمبر- ديسمبر ٢٠٠٦م)، ص١٠).

وتحتل اللغة العربية الآن الموقع الثالث في لغات العالم، من حيث عدد الدول التي تقرها لغة رسمية، والسادس، من حيث عدد المتكلمين بها، والثامن من حيث متغير الدخل القومي، في العامل الاقتصادي، وهي إحدى اللغات الست الرسمية في أكبر محفل دولي: منظمة الأمم المتحدة[١].

اللغة العربية والحفاظ على هوية الأمة:

تمتاز اللغة بأنها وعاء للثقافة، والثقافة أساس الحضارة ، والحضارة ترجمة للهوية؛ فاللغة من أهم الأركان التي تعتمد عليها الحضارات، ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة، وكلما كانت اللغة أكثر اتصالاً بثقافة الشعوب كانت أقدر على تشكيل هوية الأمة وحملها[٢].وتعتبر اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، وعليها يجتمعون، وبها يتَّحدون، وعلى أساسها يكون رمز وجودهم؛ إذ بفقدها أو ضعفها يكون الذوبان الأممي، وفقدان الأصالة، وذهاب الشخصية، وضياع التراث، فالرابطة في غاية القوة بين ضعف لغة ما واضمحلالها، وبين ضعف أهلها وتخلفهم؛ ولهذا يعتبر الباحثون في اللغات أن ضياع لغة أمة من الأمم ما هو إلا ضياع ثقافة أهلها، وبالتالي ضياع هويتها؛ إذ اللغة تحمل أهم الملامح المكونة للهوية الذاتية الخاصة بكل أمة حين تشترك مع الدين في تكوين الثقافة والحضارة لأمة ما من الأمم، ومما يدل على

١ –(انظر: د. محمد عبد الحي "اللغة العربية بين الخطر الخارجي والتهميش الداخلي" مركز الجزيرة للدراسات).

٢ – (انظر:هيثم بن جواد الحداد العولمة اللغوية مجلة البيان العدد لندن: مجلة البيان، العدد ص ٦٠ – ٦١).

ذلك ما كان للغة العبرية من دور فعَّال في تواصل الجماعات اليهودية المتفرقة في المنفى، والربط بينها برابط اللغة، رغم تهيئ جميع الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية لضياعهم وذوبانهم في الأمم الأخرى؛ ومازال اليهود يؤكدون على لغتهم العبرية عبر مؤتمراتهم، ويحرصون على نشرها بينهم، فاللغة المعنى هي الجزء المشترك بين أفراد الشعب، وهي الوطن المعنوي لهم، وإن كانوا متفرقين بأجسادهم في البلاد المختلفة[١].

وامتازت اللغة العربية عن سائر اللغات بأنها لغة الحضارة والتاريخ والتفاهم والتواصل والمعرفة والعلم والإعلام وتشكل ذاكرة الأمة ووعاء تفكيرها وطرائق تعبيرها وملامح ثقافتها التراثية والمعاصرة والمستقبلية وتواصل أجيالها..ويجب علينا أن ننظر إليها على أنها وعاء للمعرفة والثقافة بكل جوانبها، ولا تكون مجرد مادة مستقلة بذاتها للدراسة؛ لأن الأمة التي تهمل لغتها أمة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية [٢]. وقد مهّد لها الاستعمار في حملاته الأولى مع عصر النهضة الأوروبية وسيطرته على بلاد العالم العربي و الإسلامي، محاولا طوال قرون عدة الهيمنة على المقدرات الثقافية للأمة، ثم مدّت حركة الاستشراق عمر هذه الهيمنة بكل ما تحمله هذه الحركة من آليات التزوير والتزييف والاختراق و النفاذ إلى الهوية ومسخها، وبالأخص " الهوية اللغوية "، التي هي أخطر عناصر تشكيل " الهوية الثقافية " لأي أمة من الأمم بل هي نواة

---

١ – (د. عدنان باحارث موقع المسلم).

٢ –(عبد الله بن حمد الخثران" أهمية اللغة العربية لدارس الكتاب والسنة والمتأمل فيهما"(لندن: مجلة البيان العدد١٨٢، ص ٦٦).

الهوية [١]. وللحفاظ على الهوية الاجتماعية والقومية والسياسية للبلد لابد من وضع تخطيط لغوي في الدول العربية ، لأن البلدان المتقدمة تنظر إلى مسألة التخطيط نظرتها إلى مسألة الأمن القومي وخاصة على المدى البعيد [٢]،فوجوده يعني استشعار القيمين على تلك الدول بأهمية وجود نمط لغوي واحد يصبح جزء من الكيان القومي للبلد ومن ثم كان تعلمنا للفصحى وتفهمنا لها هو الذي يوفر لنا هذا السلم [٣].

اللغة العربية والفكر:

تتميز اللغة بأنها أداة للتفكير وصلة بين الإنسان والفكر والعلم والأدب؛إذ تتكون الأفكار في عقل الإنسان فيعبر عنها باللغة ثم يتوصل في تفكيره إلى مرحلة الإبداع، فهي الوجه الآخر للتفكير، يقول (فنك): "لا يجب أن ننظر إلى اللغات إلا بوصفها آثار معبرة عن عقل الشعوب ولكي نقوم بدراسة دقيقة ينبغي ألا نبدأ باللغة التي ليست إلا نتيجة من العقل الذي يخلق اللغة "[٤].

---

١ –(نجيب بن خيرة،" اللغة العربية واختراق الهوية في عصر العولمة: مقاربة ثقافية"، الملتقى الفكري للإبداع).

٢ –(التخطيط اللغوي: هو قيام الدولة بالإشراف على نوع اللغة التي تدرس في المدارس وتستخدم في القضاء والجيش والتجارة).

٣ – (اللغة العربية تواجه التحديات أ.د. طالب عبدالرحمن، كتاب الأمة (قطر: العدد ١١٦، ط١ –٢٠٠٦م) ،ص٩٦).

٤ –(د. جمعة سيد يوسف ،سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، عالم المعرفة =

ولما كانت اللغة العربية لغة أمة ذات رسالة وحضارة استطاعت أن تقوم بوظيفتها في سائر الميادين العلمية والطبية ، ولما انهارت إلى المستوى الذي تبع تلك العصور الذهبية انحط كذلك قدر اللغة في نفوس الأعداء والخصوم وأصبح القصور الفكري وضعف الشخصية الاجتماعية هو مسألة المسائل وصارت اللغة سجينة نطاق ضيق في استعمالها الأدبي والفقهي والتاريخي وفي بعض العلوم كالحساب البسيط والنجوم وهلم جرا [١]. وقد ذكر د.(برنارد لويس):"أنه بعد أن استعاد النصارى سيادتهم على أسبانيا دخلت العلوم العربية مزدهرة مدة من الزمن ،وكان من الملوك النصارى من يتكلم العربية ويؤازر علماء العرب؛فقد كان النصارى الذين يتكلمون العربية من أهل أسبانيا يتمتعون بنفوذ قوي " [٢]. وفطن جورج الثاني ملك انجلترا والسويد والنرويج عندما بعث إلى خليفة المسلمين في الأندلس هشام الثالث بعثة من فتيات الأشراف الانجليزيات ليتعلمن العربية في بلاطه ، الذي قال ملكهم:إن الجهل كان يحيط بها من أركانها الأربعة[٣]. وقد أورد د.(غوستاف لوبون) ، في كتابه (حضارة العرب) عددا من الألفاظ التي

= (الكويت:—١٤١٠- ١٩٩٩)، ص ١٥٨).

١ -(د. المهدي بن عبود ، "ارتسامات حول اللغة العربية وفعاليتها في الحقل العلمي "، مجلة دعوة الحق (الرباط: العدد (٣) ١٣٨٤- ١٩٦٥م)ص ٣٤- ٣٥).

٢ -(د.برنارد لويس ، تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية ، ط٢ ، ص ٤).

٣ -(محمد أمين توفيق، "اللغة العربية مسموعة ومرئية"، مجلة الأدب الإسلامي، (العدد (١٤) ١٤١٧)، ص ٦٥).

أخذها الغرب في عصر تخلفه من العربية،مثل: الاصطلاحات البحرية والحربية ،والإدارية، والطب والفلك والكيمياء وغيرها [١]،فلما وصلت الأمة العربية إلى درجة التخلف كانت الشعوب العربية أحط مستوى من لغتهم المحفوظة في الذخائر العلمية والأدبية والفقهية وخصوصًا في القرآن الكريم، فقيمة اللغة هي صورة لقيمة الأمة وحياهّا تابعة لوعي الفكر في المجتمع وموهّا نتيجة لموت الأمة.

اللغة العربية واستيعابها للحضارة:

تعدّ اللغة العربية أقدم لغة حية مستعملة طيلة قرون طويلة ،"حيث قامت أطول حضارة علمية عرفها العالم، استمرت أكثر من ستة قرون ، لدرجة أن (بيكون) كان يقول: "من لا يعرف العربية لا يعرف العلم "فهي ثرية علميّا، واشتقاقية يمكنها توليد المصطلحات بسهولة أكثر من اللغات الإلصاقية التي يتم إضافة حروف لكلماهّا مثل اللغتين الإنجليزية والفرنسية،[٢] فأي كلمة نتداولها الآن فيما نتداوله ظلت تتناقل عبر آلاف السنين تكتسب من كل جيل حرارة وطاقة جديدة من الاستخدام اليومي وجزء من روح الناس المتعاملين بها، فمهما بلغت شيخوخة العربية فان ذلك يكسبها الكثير

---

١ -(انظر:غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (بيروت: مطبعة البابي الحلبي)، ص ٤٤١-٤٤٢. وانظر أيضًا: كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة (زيغريد هونكة).

٢ -(د. محمد الحملاوي ، مجلة الوعي الإسلامي(الكويت: العدد ٥١٦) ص ٢٧).

من الخبرات الحيوية والفنية مالم يتمثل ويكتشف في لغة أخرى [١]. وتتميز اللغة العربية بخصائص تميزها عن غيرها من اللغات الأخرى ،ولقد عقد القدامى من علماء العربية فصولا مستفيضة في مصنفاهم تبحث موضوع نمو اللغة والوسائل التي تجعلها قادرة على مواكبة كل عصر وما يجد فيه مظاهر الحياة الجديدة والحضارة المتطورة ،فلم تقف لذلك عاجزة عن تلك الحيوية ولا بدت عليها يومًا علامات الشيخوخة أو الاكتهال بل كانت –وما زالت – حية متطورة متميزة [٢]، فهي لغة واسعة تتفاعل مع حركة الحياة وتساير الزمان في تطوره في كل عصر لأنها تحتوي على مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة مثل: القياس و الاشتقاق والنحت والارتجال والإيجاز وغيرها ،حتى نفت عن نفسها كل كلمة أجنبية مالم تخضع لأوزانها وقوانينها، فما لا تزنه هذه الأوزان؛ فهو أجنبي؛ ولهذا بقيت على الدهر المتطاول نقية، وهذا هو السر الذي يجعلنا ألا نقيس العربية الفصحى بما يحدث في اللغات الحية المعاصرة، فإن أقصى عمر هذه اللغات في شكلها الحاضر لا يتعدى قرنين من الزمان؛ فالعربية دائمة التطور والتغير والتفاعل مع اللغات المجاورة[٣].

---

١ –(توفيق القباطي، مجلة الحكمة يصدرها اتحاد الأدباء و الكتاب اليمنيين، العدد ١٦٤ص ٥٦–٥٧ سبتمبر١٩٨٩م).

٢ –(انظر:كاصد ياسر الزيدي، فقه اللغة العربية، (عمّان: دار الفرقان، ط ١، ٢٠٠٤)، ص٧٢).

٣ –(د.رمضان عبدالتواب، مرجع سابق، ص ١٨٠).

الفصل الثاني: عصر العولمة

ما هي العولمة؟

من الاصطلاحات الحديثة في هذا العصر مصطلح (العولمة)، وهناك غموض في معنى هذا المصطلح، ولكن هناك توكيد واسع الانتشار يفيد أننا نعيش في حقبة يتحدد فيها الشطر الأعظم من الحياة الاجتماعية بفعل صيرورات كونية تذوب فيها الثقافات والاقتصاديات والحدود القومية [١]، أي: أن تحليل الكلمة بالمعنى اللغوي: "تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله أي: اصطباغ عالم الأرض بصبغة واحدة شاملة لجميع من يعيش فيه، وتوحيد أنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات، والجنسيات والأعراق "[٢]. ويرى الدكتور عبدالكريم بكار بأنها "ظاهرة من الظواهر الكبرى وأنه يصعب وصف هذه الظاهرة ذات الأبعاد والتجليات المتعددة "[٣]. ويمكن أن يقال في تعريف العولمة أنها:" صياغة إيديولوجية للحضارة الغربية من فكر وثقافة واقتصاد وسياسة للسيطرة على العالم أجمع باستخدام الوسائل الإعلامية ، والشركات الرأسمالية

---

١ -(انظر: بول هيرست وجراهام طوميسون، ما العولمة.. الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم، ترجمة د. فالح عبدالجبار، (الكويت: عالم المعرفة–جمادى الآخرة ١٤٢٢ سبتمبر ٢٠٠١م) ص ٩.

٢ -(أ. د ناصر بن سليمان العمر، " توطئة حول العولمة"، موقع المسلم).

٣ -(د. عبدالكريم بكار، العولمة طبيعتها –وسائلها– تحدياتها – التعامل معها، (عمان: دار الأعلام للنشر والتوزيع ط ٢ ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١ م) ص (١١)).

الكبرى لتطبيق هذه الحضارة وتعميمها على العالم"[١]. وهذه الوحدة اليوم مؤسسة من قبل الأمريكان واللوبي الصهيوني وقادة دولة الصهاينة وهي قائمة أكثر من أيّ وقت مضى على وحدة الهدف الذي هو محاربة الإسلام وآسيا اللذين هما أهم عقبتين في وجه هيمنة عالمية أمريكية صهيونية [٢].

عولمة اللغة:

تعرضت اللغة العربية عبر العصور إلى هجمة شرسة، فقد حاول الاستعمار وأذنابه القضاء عليها بشتى الوسائل والطرق لأنها الوسيلة التي تحمل لواء الإسلام فكانوا يريدون هدم الإسلام عن طريق هدم اللغة العربية، ومع ظهور ما يسمى بعصر العولمة بات من الواضح أن العولمة تخترق الهويات المختلفة ليس عن طريق لي الذراع أو إشعال لحروب، فهذا الأسلوب لم يعد حضاريا، وإنما تعمد إلى المفاهيم العقدية والسياسية والثقافية فتهمشها، ثم تبذر محلها مفاهيم اقتصادية مادية استهلاكية ، واللغة العربية هي الأداة التي تقوم عليها ثقافتنا فأضحت هذه اللغة التي سودنا في بيان مآثرها ألوف الصفحات كالذبيح بين فكي كماشة اللغة الانجليزية بوصفها لغة العلم والحضارة والعولمة واللهجات العامية بوصفها رمزا للانخلاع من الانتماء الأرحب للأمة.."٣؛فالهدف الأبرز للعولمة هو القضاء على اللغة

---

١ -(مبارك عامر بقنه "مفهوم العولمة ونشأتها "موقع صيد الفوائد).

٢ -(انظر:رجاء جارودي، العولمة المزعومة: الواقع –الجذور– البدائل، تعريب د.محمد السبيطلي (صنعاء: دار الشوكاني ١٩٩٨م)، ص ٢١٤).

٣ -(د. عبدالكريم بكار ، مرجع سابق ،ص٦٩).

العربية أو إدخال ما ليس منها من تراكيب وكلمات فتذوب في لغة أجنبية أخرى ،يقول (فلومان كولماس):" إن تحويل لغة إلى وسيط مناسب للاتصال تتخذ شكلا من الأشكال الآتية: إما تبني لغة غربية ،أو تطويع لغة محلية لنموذج اللغة المشتركة عن طريق إدخال كلمات وتراكيب وأنماط من اللغات الغربية ،أوتطويع المفاهيم الغربية بوضعها في تعبيرات محلية وبشكل خاص الترجمات[١].

فالمتأمل في هذا العصر يجد أن اللغة الإنجليزية أصبحت اللغة الثانية في أكثر بلاد العالم –لا سيما العربية– ،حتى أصبحت لغة الإنترنت؛وقد أظهرت دراسة قام بها أحد الباحثين أن (٨٨%) من المادة المعروضة فيها باللغة الانجليزية وحدها و(٩%) بالألمانية و(٢%) بالفرنسية و(١%) على باقي اللغات![٢]، وفي دراسة عن لغات العالم تشرف اليونسكو على إعدادها منذ (٩) سنوات، أن (٥٥٠٠) لغة من أصل(٦٧٠٣)، ستختفي خلال قرن[٣]. وتشير الدلائل إلى أن اللغات المتوقع بقاؤها، لن تكون إلا من ضمن لغات الأمم القوية، وخاصة منها اللغات العالمية، وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية، تليها الفرنسية، ثم اللغات الأربع الباقية: العربية، الأسبانية،

---

١ –(فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة:أحمد عوض، مراجعة: عبدالسلام رضوان، سلسة عالم المعرفة (الكويت: شعبان– نوفمبر١٤٢١/٢٠٠٠م) ص٧٣).

٢ –(د. عبدالكريم بكار،مرجع سابق،ص٢٦).

٣ –(محمد عبد الحي ،"اللغة العربية بين الخطر الخارجي والتهميش الداخلي" ، مركز الجزيرة للدراسات).

الصينية، الروسية بمنازل متقاربة، أما حوالي(٦٥٠٠)لغة، أي حوالي ٩٦% من لغات العالم، فهي تتآكل باستمرار وتتقهقر أمام غزو اللغات القوية، وخاصة منها اللغة الإنجليزية، فمن المحتمل ، أن تبتلع لوحدها هذا الكم الهائل من اللغات،ويرجح (جون دانييل)أن هناك ثلاث لغات ستقتسم العالم في حدود(٢٢٠٠) ، هي الإنجليزية والعربية والصينية، وأن الحركة اللغوية التي يدفعها تساقط قلاع الحدود اللغوية اليوم أمام مد الثورة الإعلامية والمعلوماتية، تجعلنا نعيش مجزرة لغوية[١].ومما يؤيد ذلك شعور كثير من الأمم بهذا الخطر الداهم ،مثل فرنسا فقد دعا رئيسها السابق (جاك شيراك)إلى مقاومة هيمنة الثقافة الأمريكية.[٢]

فكل المؤشرات تشهد أن هناك خطرا فعليا يهدد وجود الكثير من لغات العالم ،علمًا أن اللغة العربية، ظلت عبر تاريخها تستند في قدرتها على البقاء، إلى العامل الديني والقومي، وهاتان الدعامتان الآن، مستهدفتان من قبل نظام العولمة.

---

١ -(انظر: المرجع نفسه).

٢ -(انظر:هيثم بن جواد الحداد "العولمة اللغوية "، مجلة البيان (لندن: العدد ١٧٠ شوال ١٤٢٢)، ص ٦٢)

الفصل الثالث: الأخطار التي تواجهها اللغة العربية في عصر العولمة

تواجه اللغة العربية في هذا العصر أخطارًا كثيرة لعلها لم تواجه مثيلا لها من قبل؛حيث تعرضت إلى هجمة شرسة من قبل جهات كثيرة تستهدف هوية الأمة، في إطار الاستعمار الجديد للعالم،سعياً نحو أمية لغوية عامة في العالم الإسلامي تعزل المجتمع عن تراثه الإسلامي الأصيل١. وهذه الأخطار يظهر تأثيرها بعد فترات طويلة، يقول جرجي زيدان: "إذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من ظواهر الأمة كالآداب أو اللغة أو الشرائع أو غيرها باعتبار ما مر بها من الأحوال أثناء نموها وارتقائها وتفرعها رأيتها تسير في نموها سيرًا خفيًا لا يشعر به المرء إلا بعد انقضاء الزمن الطويل، ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة؛ فتغير الشؤون تغييرًا ظاهرًا فتتحاك الأفكار، وتتمازج الطباع فتتنوع العادات والأخلاق والأديان واللغة تابعة لكل ذلك.."[٢]

وهناك عوامل كثيرة ساعدت على ظهور هذه الأخطار أهمها:القنوات الفضائية التي باتت اليوم مكوّنا أساسيا من مكونات قوى التحول اللغوية، وشبكة الإنترنت ،و العمالة الوافدة ، و ارتفاع نسبة الأمية في الوطن العربي

١ –(د. فريد الأنصاري "إصلاح التعليم وأزمة اللغة العربية "(مجلة البيان العدد ٢٠٦) ص٥٢– ٥٣).

٢ –(جرجي زيدان، تاريخ اللغة العربية، تقديم عصام نور الدين، (مصر: دار الحداثة الطبعة الأولى١٩٨٠) ص ٣٥١)

ولا يعني هذا الحديث عن الأمية الحاسوبية، وظاهرة تقليد الغربيين في لغتهم وملبسهم ومأكلهم ونتج عنه ازدواج في الفكر والقيم. وهناك نوعان من الأخطار التي تواجهها اللغة العربية في هذا العصر:

-الأخطار الداخلية:

وهي الأخطار التي تسبب فيها أبناء العربية، وهي من أشد الهجمات التي تواجهها اللغة وتتمثل في: الدعوة إلى اللغة العامية، وحرف الناس عن الأدب العربي الفصيح، والتخلي عن بعض أسس وقواعد العربية ،وانتشار الأخطاء الكتابية والإملائية، وإقصاء الفصحى عن وسائل الإعلام.

-الأخطار الخارجية:

وهي التي ساهمت في ظهورها عوامل خارجية، يمكن التغلب عليها بالمحافظة على اللغة والاعتزاز بها، وتتمثل في: انتشار التعليم الأجنبي، وانتشار الألفاظ الأجنبية، وإقصاء اللغة العربية عن التواصل مع الشعوب والأمم المختلفة. وسنتكلم بالتفصيل عن هذه الأخطار وسبل تلافيها كما سيأتي.

أولاً الأخطار الداخلية:

الخطر الأول: الدعوة إلى العامية:

تعرف اللغة العامية بأنها اللغة اليومية التي يتحدث بها الناس في حياتهم اليومية المعتادة للتعبير عن شؤونهم المختلفة، وهي ظاهرة شائعة في معظم اللغات العالمية [١]." والعامية ليست صفة من صفات العربية كاللهجة ولكنها لغة ثانية تعيش على حساب الفصحى وتزاحمها احتلت مكانها على ألسن الكثيرين ويراد لها أن تحتل مكانها على الأقلام، وإن من أكبر المغالطات وأخطرها أن يدافع عن اللهجات وهي صفات بصدد الدفاع عن العامية وإقناع الناس بها ودعوتهم إليها وهي لغات واللهجة عندنا لا تعني اللغة ولا تشكل خطرا على اللغة وإنما هي صفة أوصفات صوتية تتصف بها لغة منطقة من المناطق"[٢]، أما العامية فهي خليط من الألفاظ، بعضها فصيح الأصل عربي النسب ولكنه تغيرت مخارج حروفه أو لعبت به ألسن العوام فحرفته، وبعضها غريب دخيل، ومازال في العربية راسبا من رواسب لغات امتزج أهلها بالعرب فترة من فترات التاريخ.

والدعوة إلى العامية دعوة قديمة " بدأت برفاعة رافع الطَّهْطَاوي وهو

١ –(انظر: جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٩) ص١٦٨).

٢ – (انظر: د.مازن المبارك، نحو وعي لغوي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩) ص ٤٠-٤١).

أول من دعا إلى استعمال العامية وتدوين قواعد لها"[١]، وهي من أشد الأخطار التي تعصف بلغتنا إلى الآن، حيث أدت إلى قطع أوجه الاتصال بين المسلمين وتدمير أهم مقومات وحدتها، فقد كاد الغرب للمسلمين فطُبق التقسيم السياسي، وحاولوا الآن تطبيق التقسيم اللغوي والتاريخي، فروَّجوا لهذه الدعوة لينعزل كل جزءٍ في محيطهم بلغتهم العامية[٢]. وهي كما يقول (كاصد الزيدي) "لا تخلوا من الغرض السياسي الديني؛ وهو محاولة عزل الأقطار العربية بعضها عن بعض..،وهذه لاشك دعوة هدامة غرضها تفتيت وحدة الأمة العربية "[٣]. ويرى د. محمد رفعت زنجير "إن الأمة العربية ـــ بسبب الدعوة إلى العامية ـــ مرشحة لتمزق ثقافي قد يكون أشد إيلاماً من تمزق وحدتها السياسية"٤والدليل على ذلك صعوبة حصر جميع اللهجات في الدولة الواحدة، فإذا كان عدد الدول العربية اثنتين وعشرين دولة، فإن لدينا اثنتين وعشرين لهجة عامة، تتفرع عنها لهجات بلدية تتميز كل منها عن الأخرى ببعض الخواص الصوتية..فأي عبء على دارس العربية أكبر من هذا، وهو أن يلم بلهجات الأمة العربية من المحيط إلى الخليج والعاميات التي فيها؟ ثم إن العاميات مختلفة من بلد إلى آخر ومن زمن إلى آخر. فكيف

---

١ –(إبراهيم بن سعد الحقيل (الهَجْمةُ على اللُّغةِ العربيّةِ) مجلة البيان، العدد ١٤٧ ذو القعدة ١٤٢٠ص ٤٧ – ٤٩).

٢ –(د. عبد الصبور شاهين، مرجع سابق).

٣ –(كاصد ياسر الزيدي، مرجع سابق، ص٣٨٥).

٤ –(محمد رفعت زنجير شبكة أهل التأويل للقرآن والحديث واللغة).

نختار منها ما نريد؟ وما مقياس الاختيار؟ أليست العودة إلى الفصحى هي الأفضل من التشتت وراء العاميات واللهجات الشائعة في الأقطار العربية؟ فحركة المجتمع العربي هي في غير صالح العامية، ولا حيلة لنا في ذلك على الرغم من أن العامية هي اليوم أقرب إلى حياة الناس العاملين وألصق بوجودهم الاجتماعي من الفصحى"[١].

ويا للأسف الشديد! وجدت جامعات ودور نشر ومؤسسات ثقافية وأكاديمية تتبنى مشاريع دمج الفصحى بالعامية، من خلال تبني الشعر العامي وعقد دراسات وندوات ومؤتمرات حوله، وانتشار ما يسمى بالفكر الفلكلوري، أو التراثي من خلال نشر الكتابات العامية، والتهاون في استخدام العامية في الإعلام المرئي والمسموع والمقروء؛ في بعض البرامج الحوارية، والإعلانات، وبرامج الأطفال من مسلسلات وأناشيد، وإقحام العامي مع الفصيح في معجم واحد، واستخدام بعض الخطباء والوعاظ والمعلمين العامية في دروسهم وخطبهم، وأخطر من ذلك استخدام اللغة العامية في علوم العربية والنحو بالأخص، فاللغة العربية تسهل التفاهم بين أقطار العروبة، وكافة الجاليات والأقليات العربية والإسلامية حول العالم، وهي اللغة التي يتعلمها ملايين المسلمين في البلاد التي تنطق بغير العربية، فكيف نفسد صفاءها بإقحام العاميات معها.

---

١ –(محمد مبارك، مواقف في اللغة والأدب والفكر،(بغداد:مكتبة النهضة، بيروت: دار الفارابي ١٩٧٤) ص ١٧٤ – ١٧٦).

سبل تلافي هذا الخطر:

- التوعية الإعلامية بخطر العامية على التمسك بالإسلام وفهمه وعلى وحدة العالم العربي[١].

- التقريب بين الفصحى والعامية وعدم التحرج من استعمال الألفاظ الفصيحة التي تجري على ألسنة العوام والتسامح في التخفف من الحركات الإعرابية بالتسكين على أواخر الكلمات في لغة الحديث اليومي ما لم يتسبب ذلك في تغيير دلالي أو تشويه صوتي وهو ما يلقى قبولا وتأييدا من كافة المثقفين [٢].يقول: كاصد الزيدي: "والذي نراه ويراه كل عربي مخلص لقومه وتاريخه وللعلم والأدب أنه يجب الاعتصام باللغة العربية المعربة في التدوين والإذاعة والنشر وأن يتخذوا من اللغة الوسطى أداة للتفاهم بين أهل المعرفة من أبناء العروبة "[٣].

- أن تكون اللغة العربية الفصحى المبسطة لغة التعليم من بداية التعليم النظامي أي مرحلة الحضانة ،وإلزام المعلمين بها في كل ممارستهم التربوية

١- (ويمكن أن يدلل على ذلك بأن العامية أصبحت في بعض البلاد، إذا ما قورنت بعامية أخرى، كلغة غير عربية؛ فلو أنك جمعت رجلاً من أقحاح قلب الجزيرة العربية، كالقصيم، ورجلاً من أقحاح بلاد الشام، كلبنان، وثالثاً من الجزائر لاحتاجوا إلى مترجم يساعدهم في التخاطب فيما بينهم).

٢ -(ولا يعني ذلك أن ندعو إلى (الفصعمية) بأن نأخذ من العامية والفصحى ليتم الاقتراب بينهما، وتنشأ عن ذلك لغة (فصعمية)، أي:خليط من الفصحى والعامية).

٣ -(كاصد ياسر الزيدي، مرجع سابق ، ص ٣٩٣)

والتعليمية المتعلقة بالطالب في المدرسة يقول: د. عبد الله الدنان:" أستغرب أن تكون الكتب في المدارس بالفصحى، وأن تكون المناقشات بين المدرس والطالب بالعامية!"[١].

والمدرس سواء أكان مدرسًا للغة العربية أو لغيرها مطالب بأن يلتزم الفصحى في درسه لأن التزامه إياها هو بمترلة تطبيق يستفيد منه الطلاب وحبب إليهم أيضًا هذه اللغة.فلا نجد عذرا لمن يستخدم العامية من المدرسين في لغة تدريسهم وإذا كان السبب عجزهم عن الفصحى فهناك أكثر من طريقة للعلاج مثل التعليم الذاتي [٢].

-وضع كتب ميسرة تقي الطلاب من الوقوع في شرك الألفاظ العامية بصورة ميسرة من خلال نظام الجداول بوضع اللفظ الخاطئ وتصويبه مع شاهد له من القرآن الكريم أو الشعر.

- إشاعة الفصحى في الفنون المسرحية والتمثيلية في الإذاعة والتلفاز والخطابة المدرسية، وتوجيه الأغاني توجيهًا أدبيا رفيعًا وإخضاعها لخدمة قومية مثمرة يجعلها تعتمد على المختار من فصيح الكلام الذي تتذوقه النفوس ويسمو بالأخلاق للقضاء على الثنائية اللسانية (الفصحى والعامية) لأنها معطل يحول دون نهوض برامج تهدف للارتقاء بالعربية، فالشاعر

---

١ -(انظر د. عبد الله الدنان (يذكر تجربته الرائدة في تعليم الفصحى) موقع طريق الدعوة).

٢ -(ويثير العجب في ميدان التدريس أن نرى المدرس يعد الدروس في دفتره باللغة الفصحى ويكتب عنوان الدرس على السبورة بلغة فصحى فإذا ما أخذ يشرح الدرس استخدم العامية ثم إذا رجع إلى الكتاب قرأ بالفصحى!)

الموهوب غير المتقن للعربية إذا ما قدر لموهبته الشعرية الظهور سيقول شعرا عاميًا أو فصيحا ساذجا لأن موهبته الشعرية في مجال الشعر الفصيح ستطمر ،وسنخسر شاعرًا فحلا يخدم العربية وأهلها، فاللغة أداة الإبداع شعرًا ونثرًا فلا نتوقع من الأديب أن يبدع إلا إذا أتقن لغته.

الخطر الثاني: حرف الناس عن أدبهم العربي الفصيح:

لما عجز أعداء العربية عن فرض العامية، لجئوا إلى إفساد الذوق السليم لكي يعدمَ العربي ذوقه الذي اعتاد عليه في الاستمتاع بما كتب به كتاب ربه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتراثه الأصيل، وحاضرهُ الزاخر، فانفتح الباب على كل عربي قارئ للآداب بمذاهب لا يعرف منها إلا اسمها سلخت من بلاد الغرب وزُجَّ بها في ساحة العربيةِ، وطُوِّعت وسائل الإعلام المختلفة لكي تمتلئ بهذه المذاهب التي تهدمُ الدينَ وتحاربُ العربيةَ وتُفسِدُ الأخلاق،وخرج علينا دعاة الحداثة ودعوا إلى تحطيم الشعر، حتى صار الشعرُ طلاسم وأحاجي لا يفهمها حتى كاتبها، وشجعت الآداب الشعبية لحرف الناس عن أدبهم الفصيح.

والحداثة كمصلح عند دعاتها "اتجاه أو مترع ينتهي إلى قطيعة شاملة مع التراث، تنطوي على تحقير هذا التراث والتهوين من شأنه وقطع صلة الأمة بماضيها لتبدأ من الصفر وقد سلب منها كل مقومات هويتها، وتصبح مستعدة لأن تصاغ كما يريد الآخرون"[١]. ومن مظاهر هذه الحداثة التمرد

١ –(د. إبراهيـــم الخولي "ندوة سقطة الحداثة والخصوصية الغربية" (لندن:مجلة البيان، العدد ١٩٠ جمادى الآخرة لعام٢٠٠٣)) ص٤٧.

على الإسلام والأخلاق الحميدة وتأليه الجسد واللذة الجنسية والغموض في الأدب والتفاهة في موضوعاته فظهرت أعمال قصصية وروائية تهاجم الدين والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع العربي والإسلامي بدعوى الحرية والعصرنة مثل: روايات (شيكاغو) للكاتب المصري علاء الأسواني، ورواية (وليمة لأعشاب البحر)، للكاتب السوري حيدر حيدر، و(المتعة المحرمة).. والحداثة هي الملاذ الآمن للعولمة "فالحداثة تضع الأسس التي تخلع الناس من الثوابت أما العولمة فتعمل على إيجاد الظروف التي تجعل فكر الحداثة وما بعد الحداثة منطقيًا ومقبولاً"[١].

١ -(د. عبدالكريم بكار ،مرجع سابق ، ص٥٢).

سبل تلافي هذا الخطر:

- تشجيع الأدب الذي يدعو إلى التطور والإبداع الذي من شأنه تيسير الحياة ، وتذليل مصاعبها والتعمق في فهم الأشياء ،وتذوق لذاتها التي كانت خافية عن العين والقلب ،"فالأديب العربي لا يمكن أن يكون أديبًا عربيًا حقًا إلا إذا تمرس وعاش بأصالة وعمق كل جوانب وموجود المجتمع العربي ،ولن يتأتى له ذلك إلا من خلال وعبر التصاقه بتراث الأجداد.. ووقوفه حسًّا ذكيًّا وفكرًا ناقدًا متفحصًا على مأتى وحقيقة كل أو معظم مفردات العربية الحية وتراكيبها المتداولة.." [١].

- أن تكون النصوص الأدبية المدرسية متنوعة؛ تربي في النشء كافة الجوانب في النفس الإنسانية ،والالتزام بالقيم التربوية للأمة.

- غرس حب الفصحى وحب الأدب العربي في الناشئة ،ومساعدتهم على تذوقه وتشجيع الموهوبين في مجال الشعر والقصة والمقال ،والخطابة باللغة العربية الفصحى.

الخطر الثالث: التخلي عن بعض أسس وقواعد العربية:

وهي دعوة هدفها هدم أسس وقواعد الفصحى، بحجة أن اللغة العربية الفصحى لغة معقدة، وأنها لغة صحراء وسيف وناقة ولا تصلح إلا للتغزل بالحبيبة والوقوف على الديار، ولا تصلح للعلوم الحديثة، وأنها لغة متخلفة متحجرة، ولم تعد تواكب روح العصر، وتلك تهمة قديمة تبناها أقوام من المستشرقين ومن تأثر بهم في الوطن العربي ،حيث اتهموا اللغة

---

١ -(**محمد مبارك، مرجع سابق، ص ٦٦**).

العربية بالصعوبة والتعقيد وأخذوا يشككون أهلها في مقدرة لغتهم على مجاراة العصر والاتساع للتعبير عن مستحدثات الحضارة[١]، ودعوا إلى إلغاء الإعراب وأنه من باب الترف اللفظي، وإلى إلغاء جمع التكسير والمثنى؛ بحجة عدم وجودهما في اللغات الأخرى، ودعوا أيضًا إلى إصلاح قواعد الكتابة الإملائية بدعوى التيسير ومواكبة العصر.

وبسبب هذه التهم عزلت اللغة العربية في هذا العصر عن العلوم والتقنية الحديثة حتى أصبحت مقصورة في بعض الدول على ممارسة الشعائر الدينية ،وأصبحت في بعض الأوساط محل ازدراء وسخرية وينظر إليها على أنها لغة التخلف، وكثير منها قائم على الموازنات باللغات الأوربية ٢، ويرد عليها:بأن الإعراب – مثلاً- لا تنفرد به العربية وحدها، وإنما هي حالة موجودة في عدد من اللغات، فالحركات الضمة والفتحة والكسرة إنما هي أحرف رئيسية وجدت لتسهيل عملية النطق ببقية الحروف الصامتة مهموسة أم متفجرة من الأبجدية ولتسهيل تركيب الجمل أو النطق بالكلمات مجتمعة ولم يكن ليوجدها فرد أو أفراد معينون وإنما هي طبيعة لغتنا..[٣] ولو رجعنا إلى اللغات الأخرى نجد أن اللغة العربية وسط بين اللغات الأخرى وهي أسهل من تلك التي يتشدق بها القوم، فاللغة الألمانية – مثلاً- تقسم أسماءها إلى مذكر ومؤنث وجنس ثالث لا تعرفه العربية وهو المحايد ،وتضع لكل

١ –(انظر: د.رمضان عبدالتواب، مرجع سابق ، ص ١٦٤).

٢ –(طالب عبدالرحمن، مرجع سابق، ص ١١٩- ١٢٠).

٣ –(محمد مبارك، مرجع سابق، ص ١٧٣).

واحد من هذه الأجناس الثلاثة أربع حالات إعرابية هي حالات الفاعلية والمفعولية والإضافة والقابلية والأخيرة لا تعرفها العربية وهي إعراب المفعول الثاني.ومن يشكو من كثرة جموع التكسير سيحمد للعربية الاطراد النسبي لهذه القواعد إذا درس اللغة الألمانية ورأى كثرة صيغ الجموع فيها إلى درجة أن كل كتاب في تعليم قواعد الألمانية تبدأ صفحاته الأولى بهذه العبارة (احفظ مع كل اسم أداة تعريفية وصيغة جمعه؛ لأنه ليست هناك قاعدة لذلك[١].واللغة الانجليزية التي أصبحت حجة أولئك الذين يدعون إلى إلغاء القواعد تنطوي على قواعد صعبة في الاستعمال، وقد يضيق بها حتى أبناؤها ! فليس ثمة لغة في الأرض دون قواعد، ولا يمكن أن توجد تلك اللغة المتحررة من أيما ضابط أو قاعدة؛ إذ هي في هذه الحال تنتفي أن تكون لغة وتكف عن أداء مهامها في تسهيل وإيجاد التفاهم. فكيف يستطيع هؤلاء أن يقرؤوا أو يكتبوا من غير قواعد وأسس؟ فمن لا يقرأ بالعربية الفصحى، لا يمكنه أن يقرأ بالدارجة المكتوبة؛ لأنها تستعير حروفَها من العربية الفُصحى[٢]. والجامعي الذي يخشى سطوة الإعراب فيكف عن الكتابة بالفصحى يتعين عليه أن يتعلم قواعد اللغة ،وهو لن يستطيع أن يكتب إذا لم يقف على مقومات اللغة وقواعدها وإمكاناتها التعبيرية [٣].

---

١ –(انظر:د.رمضان عبدالتواب، مرجع سابق ، ص١٦٦– ١٦٧).

٢ –(صلاح بوسريف ،"هل العربية، عندنا، لُغَةٌ رسمية؟"، صحيفة القدس العربي، ٢٠١٠/٣/١٩).

٣ –(محمد مبارك ، مرجع سابق، ص ١٧٣).

ويرى (سميح أبو مغلي) أن تلك التهم صادرة عن عامل نفسي فقد ظن كثير من أولئك المنهزمين أن اللغة العربية صعبة معقدة كثيرة القواعد وهذا العامل النفسي له دور كبير في تفشي الضعف في اللغة العربية[١]، فليست صعوبة الفصحى سببا في الدعوة إلى هجرانها أو إطراحها فلا ينهض حجة على صحة تلك الدعوى فالحضارة الإنسانية لم تبن إلا بالجهد والعرق و لم تبن بمنطق الكسالى والمتهاونين..[٢]

سبل تلافي هذا الخطر:

- عرض قواعد اللغة للصفوف الأولى بطرق جميلة وشيقة تعتمد على التحليل والمحاورة و السماع، ليكتشف الطفل بنفسه جمال هذه الفصحى، فكلما أسمعنا الطفل اللغة الفصحى اعتاد عليها وتداولها[٣].

---

١ -(انظر: سميح أبو مغلي، التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس (عمان: دار الفكر، ١٤١٨-١٩٩٧) ،ص٨- ٩).

٢ -(طالب عبدالرحمن، مرجع سابق، ص٨١).

٣ -(وهناك دراسة قام بها أحد الباحثين حول عدد حصص اللغة العربية وما يتعلق بها في بعض الدول العربية ، من الصف الأول المتوسط وحتى الثالث الثانوي ، وعدد حصص اللغة الإنجليزية في بريطانيا في الفترة ذاتها؛ فوجد أن عددها في الدول العربية يتراوح بين (١٠٥٠) و(١٢٥٠)حصة؛ بينما لا يزيد عددها عن (٥٨٠) حصة في بريطانيا؛ بما يعادل ثلاث ساعات أسبوعياً ، على مدى ست سنوات يقضيها الطفل العربي في تعلم قواعد لغته والتعرف على مبادئها؛ بينما تتاح للطفل الإنجليزي يقضيها في تحليل النصوص ،واستخلاص الأفكار الأساسية وأساليب التعبير وغيرها" انظر:د. معن عبدالقادر ، (مجلة البيان العدد ١٦٩) ، =

– تخليص قواعد النحو من الحشو والاستطراد من خلال الابتعاد عن الحشو الذي لا طائل وراءه، والمماحكات اللفظية وعدم الخلط بين الواقع اللغوي والمنطق العقلي، والوقوف على الأصول اللغوية والنحوية وترك التفاصيل الدقيقة والخلافات بين أقطاب المدارس النحوية للمتخصصين فقط ،"حيث يمكن أن تستخلص القواعد الأساسية لنحو اللغة العربية في صفحات قليلة مصفاة "[١] فاللغة العربية قد مرت بمراحل وأثرت فيها عوامل داخلية وخارجية وأدى ذلك إلى تطور ألفاظها ودلالاتها؛ مما دعا إلى مبدأ تنقية اللغة مما أصابها من لحن العوام والخواص على السواء.[٢] فتحتاج إلى مراجعة مستمرة تستهدف اكتشاف التحولات التي تطرأ على برامجها وأنظمتها المختلفة بهدف رصد استجاباتها، واتخاذ التدابير اللسانية الكفيلة بمواجهة المخاطر التي تجابهها "حيث تشير بعض الدراسات أن بعض اللغات تواجه مصيرا غامضا في نهاية القرن الحادي و العشرين نتيجة الثورة الاتصالية ذات الطبيعة الرقمية ، ونتيجة تقدم الصورة وحلولها محل اللغة ، إضافة إلى زوال الحواجز أمام قنوات الاتصال حيث ألغيت حدود المكان واختزلت أبعاد الزمان "[٣].

– الاهتمام بما يسمى النحو التطبيقي من خلال قراءة النصوص الأدبية

= ص٥٨-٥٩).

١ –(د.رمضان عبدالتواب، مرجع سابق ، ص١٦٧).

٢ –(انظر:د. محمد بدوي المختون، تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه، (القاهرة: مطابع الأهرام ١٩٩٨)، ص٧).

٣ –(نجيب بن خيرة اللغة العربية واختراق الهوية في عصر العولمة: مقاربة ثقافية الملتقى الفكري للإبداع).

الرفيعة وحفظها حيث يكتسب الطلاب المهارات الإعرابية المتنوعة من خلال الضبط الإعرابي وإعراب الشواهد الشعرية التطبيقية وربط الدرس اللغوي بالدرس النحوي في جميع المراحل التعليمية ، ولعل صعوبة النحو تعود إلى طريقة عرض النحويين لقواعدها وابتعادهم عن وصف الواقع.

-الاهتمام بالملصقات التي توضح الأخطاء الإملائية والنحوية بأسلوب ميسر، وتعلق على جدران الفصول المدرسية وفي الممرات، وفي كل مكان يجتمع فيه التلاميذ في المدرسة.

– الاستفادة من المنجزات المعاصرة في تعليم قواعد اللغة العربية ، وقد قام كثير من الباحثين بخطوات جادة في ذلك وتطبيقها في ميدان التعليم حيث أسفرت عن نتائج جيدة.

الخطر الرابع: انتشار الأخطاء الكتابية والإملائية:

تزداد في الجيل الأخير ظاهرة الضعف في الكتابة والإملاء، وهذا الضعف ليس مقصورًا – كما كان في الجيل القديم – على البراعم الصغيرة من أبنائنا في مراحلهم التعليمية الأولى؛ بل وصل الأمر حتى إلى أعلى المستويات العلمية وتحول الخط إلى قدر من العجمة والألغاز ،وربما وقف المعلم أمام خط الطالب برهة من الزمن ليستبين كلمة ما، ولعل سبب ذلك يعود إلى الضعف في الصفوف الأولى، والخط العربي الذي نكتب به لغتنا الجميلة منذ مئات السنين لا شك أنه خط مبرأ من العيوب والدليل على ذلك عدم وجود هذه الظاهرة في الأجيال القديمة. وإن كانت هناك بعض الصعوبات فإن الخط العربي ليس بدعًا بين الخطوط في مشاكله إذا قورن بلغات أخرى كالصينية التي يصل حروف أحد كلماتها إلى أربعين حرفًا والفرنسية يصل عدد حروف إحدى كلماتها إلى عشرة أحرف ولا ينطق منها إلا حرفان أو ثلاثة..[١] والإملاء ليس صعبًا ولا معقدًا، ويتميز بالاختزال وعدم التشابه بين حروفه، فكل حرف مميز عن الأحرف؛ فالذي يكتب بالعربية في سطر يكتب بالانجليزية في سطرين أو ثلاثة.

سبل تلافي هذا الخطر:

-تسهيل قواعد الإملاء، والاستفادة من بعض الرخص في كتابة الهمزة مثل قرار مجمع اللغة العربية أن الهمزة في وسط الكلمة إذا كان ما قبلها

---

١ –(د.سيد أحمد أبو حطب، بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، ط ١٤١٨–١٩٩٧ (الرياض:جامعة الإمام محمد بن سعود،ج ١ص ١٧٨).

ساكناً وكان هذا الساكن حرف مد، رسمت مفردة.[١]

-كتابة الكلمات التي يكثر فيها الخطأ وتصحيحها بخط عريض لكل مجموعة من اللوافت تعلق على جدران الفصول المدرسية وفي الممرات وفي كل مكان يجتمع فيه التلاميذ في المدرسة، وتنتهي بقاعدة سهلة أو مجموعة سهلة من القواعد يمكن تطبيقها عليها.

الخطر الخامس: إقصاء الفصحى عن وسائل الإعلام:

لقد أصبحت وسائل الإعلام في العصر الحديث سلاحاً أشد قوة وفتكاً من السلاح العسكري، وأدرك الغرب أهميتها؛ فهناك حوالي (١٣٠) وكالة إعلام دولية في العالم منها (٣٠) وكالة أمريكية لها قرابة (٢٠٠) فرع توكيل في العالم العربي وميزانية هذه الوكالات وحدها تعادل الميزانية المخصصة في البلاد العربية، والإعلام الغربي يمثل أكثر من ٩٠ % من الإعلام العالمي، أما المسلسلات والبرامج الدرامية في القنوات العربية ٧٠% تقريبًا منها أمريكية علمًا أن القنوات الأمريكية لا تعرض أكثر من ٢% فقط من المسلسلات والبرامج غير الأمريكية، وفي مجال الانترنت أصبحت ثورة المعلومات تكرس ثقافة الغرب ولغته فتقريبًا ٨٨% من المادة المعروضة فيها باللغة الإنجليزية وحدها و٩% بالألمانية و٢% بالفرنسية فأين نصيب اللغة العربية !؟[٢].

---

١ -(انظر:فتحي الخولي، دليل الإملاء وقواعد الكتابة العربية، ص١٥٠).

٢ -(د.ماهر عباس جلال، الاستعمار النفسي في ثوبه الجديد (الرياض: البيان، العدد ١٦٣ربيع الأول ١٤٢٢)،ص ١٢١- ١٢٧).

إن ما وصلت إليه اللغة العربية في وسائل الإعلام المختلفة (المقروءة والمسموعة والمرئية)شيء مخزٍ ومؤسف، فأصبح الخطاب الإعلامي العربي يضرّ باللغة العربية أكثر مما يخدمها، ويتربى النشء والمشاهد العربي على التخلي عن أصالته العربية السليمة، وسنذكر بالتفصيل أهم هذه الوسائل وأثرها على اللغة ذلك كما يأتي:

أولا: الصحف والمجلاّت:

كانت الصحافة قديمًا تتحرى الدقة في كل ما يصدر عنها من مقالات وأخبار، وأصبحت الصحيفة أو المجلة مدرسة قائمة بذاتها تنتسب إليها أقلام وأجيال. وفي عصر العولمة بلغت الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية والأسلوبية لا حد لها في الصحف والمجلات، وأصبحت من الكثرة بحيث لم تعد تشد النظر ، وباتت اللغة العربية في هذه الوسائل كلأ مباحًا للكثيرين !وتأتي الطامة الكبرى في أن تكون عناوين بعض المقالات في الصحف والمجلات والنشرات باللغة الأجنبية في هذا تكريساً لثقافة الغرب ولغته.

ثانيًا: الوسائل المسموعة والمرئية:

وهي التي تعتمد على حاستي السمع والبصر مثل التلفاز والحاسوب والمذياع والتسجيل الصوتي وأهمها التلفاز والإنترنت، وباتت هذه الوسائل اليوم مكوّنا أساسيا من مكونات قوى التحول اللغوية التي تملك القدرة على فرض استجابات وتوجهات في عقول المشاهدين وسلوكهم ومواقفهم.

وقد أثبتت الأبحاث والدراسات أن بعض التلاميذ في البلاد العربية عندما يتخرج من الثانوية العامة يكون قد أمضى أمام التلفاز (١٥,٠٠٠)

ساعة، بينما لم يقض في حجرات الدراسة أكثر من (١٠,٨٠٠) ساعة على أقصى تقدير)[١].مع أن هذه الإحصائيات كانت في وقت لا يشاهد التلميذ فيه إلا قناة أو قناتين، فكيف وقد أتيحت لهم مشاهدة عدة قنوات، دون حسيب أو رقيب؟ وكيف بعد دخول الإنترنت، وقد فتحت الأبواب لوسائل العولمة الثقافية الأخرى على مصراعيها؟ فصرف كثير من الناس عن القراءة النافعة الجادة بسبب الجلوس أمام التلفاز ساعات طويلة ، وفسد الذوق والشعور وضياع مكانة اللغة العربية وهوية الأمة بسبب هبوط لغة الأغاني وسقوط أسلوبها،والقصص التي تمتلئ بمشاهد الانحراف وتشد الناس إليها عن طريق ما تتضمنه من خلاعة ومجون ،فتتخلى عن لغتها بدعوى الواقعية والترفيه وتعتمد دغدغة العواطف من خلال الأدب الرخيص المبتذل العبارة الساقط الصورة وحلت العاميات على تعددها وتنوعها محل الفصحى في برامج الأطفال، والبرامج الحوارية، ورصدت الجوائز الضخمة لأشكال الأدب العامي، تحت مسميات مختلفة والمبرر هو أن العامية بسيطة ومفهومة لدى الجميع، حتى أصبح الأطفال يحفظون من مفردات العامية أكثر مما يحفظون من مفردات الفصحى، وشاعت ظاهرة التسكين بدلا من التشكيل في نشرات الأخبار وذلك مع ظهور الإذاعات التجارية ،والخبر عند هؤلاء المذيعين والمذيعات لا يعدو أن يكون مجموعة من الكلمات الساكنة الأواخر تماما كما هو الحال في اللغات الأوربية وحسب هؤلاء أن في هذا تخفيف

---

١ –(د. ناصر العمر آثار أخرى للعولمة الثقافية موقع المسلم من دراسة قام بها د. حمود البدر).

على المستمع.والواقع أن العكس تماما هو الذي يحدث فالتشكيل للكلمات ومخارجها هو الذي يكسبها مدلولاتها الصحيحة [١].

ومن الآثار الخطيرة لهذه الوسائل ظهور أعمال مسرحية يتعمد الممثلون فيها إضحاك الجماهير عن طريق تحريف العربية أو السخرية من معلميها، وأن يوضع المتحدث باللغة الفصحى موضع التندر.

ثالثًا:الإعلانات:

أصبحت الإعلانات في وسائل الإعلام سوق رائجة،وقد اتخذت الإعلانات في العصر الحديث أكثر من شكل، ومن آثارها في اللغة:

– إن كثيرا منها باللغة العامية الهابطة وبعضها باللغة الأجنبية وفي هذا ترويج للعامية واللغات الأجنبية.

– إن المفردات والتراكيب اللغوية التي تنقل إلى الجمهور من خلال هذه الإعلانات هي تراكيب ركيكة مملوءة بالأخطاء اللغوية والنحوية وفي هذا ترويج لهذه الأخطاء.

– إفساد الذوق الأدبي واللغوي والترويج لعادات نطقية غير صحيحة في لغة الإعلانات حيث تشد المشاهدين والمستمعين الحركات والتراكيب الهابطة ولا يهم الشركات والمؤسسات المعلنة إلا الربح السريع

سبل تلافي هذا الخطر:

– أن يكون لنا –نحن العرب– موقعنا الإعلامي المستند إلى لغتنا

١ –(د. محمد أمين توفيق ،" اللغة العربية مسموعة ومرئية "، مجلة الأدب الاسلامي العدد ١٤ شوال ذو القعدة ذو الحجة ١٤١٧ فبراير مارس إبريل ١٩٩٧ ص٦٦)

القومية وتراثنا الحضاري، سواءً أكان ذلك بالمطبوعات أم بالفضائيات أم بتوحيد الجهود في كل مجالات الإعلام[١].

-أن تكون اللغة العربية الفصحى لغة الأعمال الأدبية والصحافة والأخبار والمسرح، بحيث تغدو لغة مفهومة لدى كل المواطنين العرب ومن المفارقات العجيبة أن نجد اهتمامًا باللغة العربية في الإذاعات الموجهة باللغة العربية من العالم الخارجي.

- الدقة في اختيار المذيعين والصحفيين والمراجعين والمحررين، فلا يختار إلا من يجتاز عدة امتحانات في الإلقاء والنحو والإبداع الإنشائي كتابة مقال أو خاطرة والتأكد من صلاحيته علما وخلقا ودينا ومظهرا[٢].

- تهذيب الإعلانات واستغلالها كوسيلة إيجابية هادفة لتصحيح وتعميق المفاهيم اللغوية الصحيحة بالعربية الفصحى حتى ينشأ الطفل وقد تكونت في ذهنه ثروة لغوية صحيحة.

- أن يراعى في الإعلانات المسجلة والمصورة الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية وهيمنة الطابع العربي والوطني وتجنب ما يخدش الحياء.

- تشجيع الإنتاج التعليمي والترفيهي الموجَّه للأطفال لتوسيع

---

١ -(وهذا لا يعني أن نقوم بشن حرب على اللهجات الدارجة ولكن يعني عدم الاتكاء الشديد على المحليات الضيقة وتجاهل الفصحى التي هي لغة مئات الملايين من العرب).

٢ -(ولو أمعنا النظر في بعض المذيعين والصحفيين لوجدنا الغالبية منهم تخرج من كليات لا تتناسب مع العمل الإعلامي).

مداركهم في اللغة العربية عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وعرض تلك المواد بطريقة جذابة وشائقة باللغة العربية الميسرة.

- توجيه برامج إذاعية وتلفزيونية لتعليم أصول اللغة العربية ومناقشة القضايا الثقافية والتراثية.

- إن تخصص كليات الإعلام ساعات كثيرة لتعليم اللغة العربية كما هو مطبق في كليات اللغة العربية.

- دعوة الكتاب والأدباء إلى كتابة مواد باللغة العربية الفصحى لبرامج وتمثيليات وأخبار ومنوعات في القنوات الفضائية الناطقة بالعربية حيث تشتد الحاجة الآن مع انتشار هذه القنوات إلى غير أن النسبة الغالبة من لغة الكتابة في التمثيليات والحوار والمنوعات هي العامية وليست الفصحى[١].

- إنشاء نظام للمراقبة اللغوية في وسائل الإعلام وقد ذكر د. محمد أمين توفيق أن محطة تلفزيون الشرق الأوسط سباقة في ذلك فابتدعت نظام الإشراف اللغوي الذي يتم بمقتضاه بين مذيع أو مذيعة الخبر وبين المشرف اللغوي بحيث يتم إدخال التشكيل بحركاته..وفضلا عن ذلك يوصي تباعا بالنطق الصحيح مما يعرض أو يستجد من كلمات وبنيات لفظية٢.

- تعزيز مشروع الرصيد اللغوي العربي الموحد الذي أنجزته الجامعة العربية عام ١٩٨٥ بتحديد حصيلة لغوية مشتركة من الألفاظ الفصيحة بين

---

١ -(د. محمد أمين توفيق، مرجع سابق، ص ٦٥.).

٢ -((المرجع نفسه، ص٦٦).

تلاميذ المرحلة الابتدائية ليفيد منها تعلمًا وتأليفًا [١]

- سن عقوبات على الشركات والمؤسسات والمحلات التي تستعمل غير العربية في إعلاناتها كما فعلت الحكومة الفرنسية التي اتخذت قرارًا في مايو(١٩٩٤)م يقضي بالعقوبة سجنًا أو تغريمًا ماليًا يصل إلى ما يعادل ألفي دولار بحق كل من تثبت عليه جريمة استخدام غير الفرنسية في الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئية وكافة مكاتبات الشركات العاملة على الأرض الفرنسية وخاصة المحلات التجارية والأفلام الدعائية التي تبث عبر الإذاعة والتلفاز ، وقد جاء هذا القرار لمواجهة هجمة اللغة الانجليزية التي أوصلتها الأقمار الصناعية إلى البيوت الفرنسية[٢].

ثانيًا: الأخطار الخارجية:

الخطر الأول: انتشار التعليم باللغات الأجنبية:

يعد التعليم الأجنبي من أكبر الأخطار الخارجية على اللغة العربية بسبب انتشار مؤسسات التعليم الأجنبية في البلدان العربية، ويدل على ذلك ما كشفه (روبرت ساتلوف) مدير قسم السياسة والتخطيط في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى النقاب عن وجود (١٨٥) نوعا من المدارس الأمريكية منتشرة في (١٣٢) دولة، من بينها (٥٠) مدرسة (بفروعها) في البلدان العربية والإسلامية، وأنها تخضع مباشرة لإشراف وزارة

١ -(د.أبو السعود الفخراني ، من آثار العامية في العربية وأبنائها ، ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية ،(الرياض:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٨-١٩٩٧)،ج ١ص٣٠٨).

٢ -((مجلة البيان العدد ١٦٦) ص١٢٧نقلا عن صحيفة الخليج الإمارتية العدد ٥٥٠٢)).

الخارجية الأمريكية من خلال مكتب خاص يسمى (مكتب المدارس الأمريكية عبر البحار) ![١] ففي مصر مثلاً وصل عدد الجامعات الأجنبية فيها إلى(٥) جامعات بدءا من الجامعة الأمريكية وانتهاء بالبريطانية والفرنسية والألمانية وحتى الكندية.[٢]

ومن آثار استفحال هذا الخطر منها: هجرة الأدمغة العربية إلى البلدان الأجنبية، وقد كشفت بعض الدراسات عن وجود علاقة قوية، وجاذبية خاصة: بين هجرة الأدمغة العربية إلى أوروبا وأمريكا وبين استخدامهم اللغة الأجنبية التي تتحدث بها هذه البلدان الغربية[٣] ويرى د. أحمد عكاشة، رئيس الجمعية الدولية للطب النفسي، أن الأطفال العرب الذين يتلقّون تعليمهم في مدارس أجنبية أو بمناهج أجنبية يميلون إلى الشعور بالنقص واحتقار الأهل والشعور بالاغتراب الثقافي في بلدانهم، وأن هذا النوع من الاغتراب هو أهم أسباب هجرة الأدمغة من بلداننا إلى الغرب.[٤]. وظهرت فئات وشرائح ومؤسسات تعمل كوكيل للثقافة الغربية، وذلك بتقديم المساعدات المالية لمشاريع أبحاثها وعقد الندوات واللقاءات والدورات تحت غطاء تطوير التعليم للهيمنة على المناهج والخطط التربوية والتعليمية في هذه البلدان، وهناك مراكز

---

١ -(انظر: د. ليلى بيومي ، (المدارس الأجنبية في بلادنا... غزو آن له أن ينتهي)، موقع المسلم).

٢ -(ندوة اللغة العربية وتحديات العولمة إسلام أون لاين.نت).

٣ -(د.عدنان باحارث، مرجع سابق).

٤ -(مؤتمر " لغة الطفل العربي في عصر العولمة"، المجلس العربي للطفولة والتنمية).

ومؤسسات تنصيرية تحت غطاء الأعمال الخيرية ،ويتمثل دورها في التأثير الفكري والتربوي واللغوي على الأطفال، وفرض مناهجها وأفكارها وتخريج أجيال ليس لها صلة بماضيها وتراثها وثقافتها العربي والإسلامي.

ومن آثار هذا الخطر على اللغة: ضعف قضية الولاء الديني واللغوي لدى خريجي المدارس والجامعات الأجنبية، حيث توظف مناهج هذه المدارس وتدرس بلغة بلدها الأصلي، وتعرض تاريخه وتطوره وثقافته ومشكلاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية؛ ومن ثم تتجذر قضية الهوية المغايرة في شعور الطالب دون أن يستطيع فهم طبيعة مشكلات مجتمعه هو ولا ينشغل بقضاياه، وتصبح اللغة الأجنبية لديه لغة العلم والحضارة والتحدث. واللغة حين تنتقل بتعبيراتها ومضامينها إلى الطالب يتشرب تلك المضامين دون وعي منه[١]، وفي ذلك يقول (روبرت ساتلوف) مدير قسم السياسة والتخطيط في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى: "المدارس الأمريكية في البلاد العربية والإسلامية ليست مجرد صروح تعليمية رفيعة المستوى، بل هي سلاحنا السري في معركة أمريكا الأيديولوجية لأمركة المجتمعات العربية والإسلامية " [٢] "فتعليم اللغات الأجنبية في حضانات أطفال المسلمين العرب خبيثة الهدف فلا يحدث في حضانات الدول الغربية مثل ذلك وهي عملية لإرهاق لعقل صغير "[٣]. ومن الشواهد

---

١ -(مهيمن عبدالجبار ، (مجلة البيان العدد ١٧٤ شهر ربيع الأول) ص ٩ — ١٠).

٢ -(انظر: د. ليلى بيومي (المدارس الأجنبية في بلادنا... غزو آن له أن ينتهي)، موقع المسلم).

٣ -(خالد محمد خلاوي ، (التعليم وضياع الهوية) ، مجلة منار الإسلام ، العدد (٦) ديسمبر١٩٩٢م ، ص ٩٦).

التي تدل على ذلك الضعف ما جاء في مؤتمر " لغة الطفل العربي في عصر العولمة" الذي أقامه (المجلس العربي للطفولة والتنمية) حيث قالت إحدى المشاركات: "أن ابنتها التي تبلغ الخامسة من العمر وتتعلّم العربية والفرنسية في روضة الأطفال، ترفض مراجعة دروس اللغة العربية معها وتقول لها بالفرنسية: "أنا أكره العربية، لنقرأ الفرنسية."[١]. وقد قال اللواء منير شاش أحد أكبر قادة حرب أكتوبر ١٩٧٣ ومحافظ شمال سيناء الأسبق محذرا من اهتزاز الانتماء لدى الأجيال الجديدة بسبب التوسع في انتشار المدارس الأجنبية بمصر: "فوجئت بأن أحفادي يتحدثون معي بلغة خليط من العربية والألمانية لأنهم يتعلمون في مدارس ألمانية، والأخطر عندما تقام مباريات بين مصر وفريق ألماني يشجع الأطفال الفرق الألمانية".[٢]

ومن آثار هذا الخطر على اللغة أيضًا: ظهور الثنائية اللغوية٣ لدى الأطفال الذين يتلقّون تعليمهم في مدارس أجنبية ،وقد أثبتت الدراسات أن "تعليم اللغات الأجنبية للأطفال دون سن الثانية عشرة يؤدي إلى حدوث التشويش اللغوي لديهم فتختلف عليهم الحروف العربية والحروف الأجنبية"[٤]، وفي هذا خطر على هوية الطفل وانتمائه الحضاري، وتؤكد هذه الدراسات على ضرورة أن يتعلم الطفل في بدايات حياته باللغة العربية حتى

١ –(المجلس العربي للطفولة والتنمية).

٢ –(انظر: ندوة اللغة العربية وتحديات العولمة إسلام أون لاين).

٣ –((الازدواج اللغوي هو وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة أما الثنائية فتدل على التقابل بين اللغات المختلفة)).

٤ –(انظر: محمد الحملاوي ، (مجلة الوعي الإسلامي العدد ٥١٦) ، ص ٢٨).

إذا أتقنها اتقانًا تامًّا نبدأ في تعليمه اللغات الأجنبية؛ لكيلا يُعاني الازدواج اللغوي[1]، وقد أثبتت جميع الدراسات والأبحاث النفسية والاجتماعية والتربوية أنه لا يجوز تدريس مطلق علم من العلوم بغير اللسان القومي؛ لكي لا تضاف عقبة فهم اللغة غير القومية على عقبة فهم المادة الفكرية.[2] فالإنسان لا يستوعب العلم ولا يستطيع أن يُبدع إلا من خلال لغته القومية، والدليل على ذلك أن أشهر العلماء والمفكرين والأدباء قديمًا وحديثًا كانوا يكتبون ويفكرون بلغة واحدة رغم احتمال معرفة الكثير منهم بلغات أخرى "فهل عرف (كونفشيوس) بغير لغته الصينية ؟ و(سقراط) و(أرسطو) و(أفلاطون) بغير اللغة اليونانية ؟ وابن رشد وابن تيمية وابن خلدون بغير اللغة العربية ؟وفي العصور الحديثة:هل عرف (كاخط) و(ماكس فيبر) بغير الألمانية ؟ و(ديكارت) و(روسو) بغير الفرنسية؟ و(باكون) و(وليام جيمس) و(جورج اوريل) بغير الانجليزية؟.."[3]

سبل تلافي هذا الخطر:

- الحد من التوسع في التعليم الأجنبي ،ومما يؤسف له أن بعض البلاد العربية نشرت التعليم الأجنبي في مراحل التعليم المختلفة بدءاً من التعليم الابتدائي على الرغم من المخاطر الكثيرة منه.

---

١ -(ليلى بيومي ، مرجع سابق).

٢ -(د.عبدالرحمن القعود ، مرجع سابق ،ج ١ص٢٤٤).

٣ -(انظر: خميس بن عاشور ، "الازدواجية اللغوية..والمرض الثقافي" (لندن: مجلة البيان، العدد١٥٨،ص١١٦- ١١٧)).

– ترجمة آداب الأمم المتقدمة وعلومها للاستفادة منها في آدابنا حيث أثبتت التجارب العملية أن الترجمة إلى العربية لها آثار إيجابية واسعة النطاق؛ حيث يزداد التحصيل العلمي لمن يتعلم بلغته الأم، ناهيك عما تؤدي إليه هذه الترجمة من تحفيز الجهود لأعمال عربية مماثلة لتلك التي تترجم.

– اعتبار التعريب قضية قومية وربطها بالخطط الشاملة للتنمية، وإعطاء الأولوية لتعريب التعليم والإدارات والمؤسسات الاقتصادية والمالية، والاستفادة من التجارب السابقة في التعريب، فمثلاً جامعة السوربون عندما أُسِّسَتْ دَرَّست الطبَّ باللغة العربية عام ١٢٥٨م، وفي ١٨٧٠م أسست الجامعة الأمريكية في بيروت وبقيت تدرس الطب باللغة العربية لمدة ١٢ سنة. وعندما بدأ (محمد علي) إصلاحاته في مصر، وأسَّس الكلِّيَّات (مدرسة الهندسة والطب والعلوم) بقيت تدرس العلوم كلها ٥٠ عامًا بالعربية حتى ١٨٨٢م، وقد أَلَّفَ المصريون ٢٥٠٠ كتاب بالعربية في الطب وحده![1] فتعليم العلوم الطبيعية وغيرها من العلوم البحتة باللغة العربية يعطي نتائج أحسن وفوائد أكثر، لأن المتعلم لا يواجه إلا قضية واحدة هي قضية فهم المادة فقط.وفي تجربة سوريا خير مثال؛فالذين نالوا الشهادات العليا فيها قد برهنوا على تفوقهم على غيرهم في مناسبات شتى، وميادين علمية مختلفة.[2] ومن الأمثلة الأخرى (اليابان) التي لم تستعمل لغة أجنبية وسيلة للتعليم وبدلاً من ذلك فإن كل ما ينتجه الغرب يترجم إلى لغة البلاد، حتى صارت اليابان

١ –(انظر د. عبد الله الدنان، مرجع سابق).

٢ –(د. فريد الأنصاري، "إصلاح التعليم وأزمة اللغة العربية"، مجلة البيان:العدد٢٠٦ ص٥٦).

من أرقى الدول في التقدم العلمي، وهذا النموذج لا يمكن أن يحتذي به إلا إذا كانت هناك لغة ملائمة لاستيعاب المعرفة وقادرة على التعبير عنها وهذا التحديث له آثاره في كل المجالات، ولا يترك آثاره على اللغة بوصفها رصيدًا ثقافيًا فحسب؛ بل إضافة لهذا بوصفها واقعًا اجتماعيًا ذا منافع اقتصادية وسياسية أيضًا.[١]

وقد ذكر د. محمد الحملاوي عدة دراسات تشير إلى كفاءة التعليم باللغة العربية، فسرعة القراءة بالعربية تزيد عن سرعة قراءة نفس المادة بالإنجليزية بنسبة ٤٣%، وتشير أيضًا إلى أن مدى استيعاب نص عربي يزيد عن استيعاب نفس النص بالإنجليزية بنسبة ١٥%، وهذا يعني أن التحسن في التحصيل العلمي في حالة الدراسة بالعربية يزيد عن التحسن في حالة الدراسة بالإنجليزية بنسبة ٦٦%، و أن الدعوة لاستخدام لغة أخرى تكون دعوة لإهدار وقت وجهد المتعلم العربي ". وأشار أيضا إلى أن ١٠% فقط من الطلاب استطاعوا التعبير عن أنفسهم بشكل جيد في أوراق الإجابة باللغة الإنجليزية، وأن ٢٥% لم يفهموا المعلومات، وهذا يعني أننا نهدر كفاءة العملية التعليمية)[٢] ويدل على ذلك أيضًا تقرير الأمم المتحدة حول التعليم والبحث العلمي:" أن هناك (١٩) دولة في صدارة العالم تقنياً يتراوح عدد سكانها بين (٣، ٨) مليون و(٢٩١)مليون يسير فيها التعليم والبحث العلمي بلغاتها القومية، ولا توجد دولة عربية واحدة ضمن هذه المجموعة !"

---

١ -(بول هيرست وجراهام طوميسون، مرجع سابق، ص ٦٨-٦٩).

٢ - (د. محمد الحملاوي، مجلة الوعي الاسلامي(الكويت: العدد ٥١٦) ص ٢٨).

وتشير دراسة حديثة حول أفضل (٥٠٠)جامعة عالمياً إلى أن تلك الجامعات توجد في (٣٥)دولة يتراوح عدد سكانها بين (٣,٨)و(٢٧٢) مليونا تدرس جميعها وتجري بحوثها بلغاتها القومية، ولا توجد جامعة عربية واحدة بين هذه الجامعات!

و في براءات الاختراع، حيث أشارت تلك الدراسات، أن فنلندة التي يبلغ عدد سكانها (٥،٢)مليون عدد البراءات لكل مليون مواطن فيها هو(١٨٧) براءة، و السويد (٨، ٩) مليون لديها (٢٧١) براءة لكل مليون مواطن..، أما على مستوى الدول الكبرى؛ فإن أمريكا (٢٩١) مليونا، تصل نسبة البراءات فيها إلى (٢٨٩)براءة لكل مليون مواطن، واليابان (١٢٧،٥)مليون، فيها (٩٧٤) براءة لكل مليون مواطن. أما إسرائيل (٦،٣) مليون فعدد البراءات (٧٤) براءة لكل مليون مواطن، وفي المقابل نجد أن مصر (٧٠،٥) مليون لا يتعدى عدد البراءات فيها براءة واحدة لكل مليون مواطن، وسوريا (١٧،٤)مليون، (٣) براءات لكل مليون محتلّ.."فإذا كانت الدعوة لاستخدام اللغة القومية أفرزت خريجين في كل هذه الدول على هذا المستوى الرائع وفي مختلف التخصصات، فلماذا يحاول البعض إيهامنا بأن التعليم باللغات الأجنبية أفضل ؟ "! [١].

الخطر الثاني: انتشار الألفاظ الأجنبية:

وفدت علينا في العصر الحديث ألفاظ كثيرة دخيلة انتشرت بين الخاصة والعامة من الناس، وباتت تلك المفردات تطارد الكلمات الفصحى في كل

---

١ -(محمد الحملاوي، مرجع سابق ص ٢٨).

ميدان: في المأكل والملبس والألعاب والأدوات والأسواق والشوارع والميادين العامة، ومن أمثلة هذه الألفاظ الدخيلة مما يدور على ألسنة كثير من الناس حتى يظن أنها ألفاظ عربية أصيلة: (سلطة، شوكولاتة،كيك، ايس كريم، بنطلون، شوورت، بطانية، موكيت، موبيليا. أستوديو، سوبرماركت، صالون، بوفية، كورنيش، مول، سيتي، كارنون، كاونتر، كتالوج، كربون. بلاستيك، سكرتير، كنترول، ميكانيك، فيلم، فولكور، ميدالية، الجول، الكورنر باكيت، بيجر، تلكس، فاكس، فلتر، فيديو، ميكروفون، تلفون، التليفزيون، بودرة، ديكور، شامبو،كلينكس، مكيياج، أكزما، فيروس، كبسولة، كولستول، هستريا).

ومن آثار هذا الخطر على العربية: ازدراء اللغة العربية والاستهانة بها،والعدوان عليها في وطنها وخنقها في عقر دارها من خلال تشويه نطق الحروف والكلمات والتراكيب العربية إذا اختلطت مع كلمات أعجمية يقول الشيخ أحمد شاكر:"وإن شئت أن ترى هذا الخطر مصورًا مجسمًا مهددًا بتدمير النطق العربي الفصيح؛فاستمع إلى قراءة شبابنا في هذا العصر ،إذا ما قرؤوا كلامًا عربيًا فيه أعلام أجنبية ،تسمع العجب حروفًا عربية غير مستقيمة ولا فصيحة، وقواعد مهلهلة، ولحنًا مستفيضًا، ثم أعلامًا أجنبية تعوجّ بها الألسنة، وتميل الأشداق ،وتؤكل فيها الحروف.." [١] فنحن إذن أمام خطر حقيقي من محاصرة هذه الألفاظ للغة العربية.

---

١ -(منصور الجواليقي ،المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد شاكر (القاهرة: مطبعة دار الكتب ١٤٢٣) ص ١٩)

سبل تلافي هذا الخطر:

من أهم السبل لتلافي هذا الخطر اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور، فيظهر شعار الإسلام وأهله؛ فالأمم القوية تسعى لفرض ثقافتها على الأمم الضعيفة المغلوبة ، وإنما يعبر ذلك كله على جسد اللغة. ولغات الأمصار تكون عادة بلسان الأمة الغالبة عليها، ولما كان المسلمون غالبين على غيرهم من الأمم صارت اللغة العربية هي لغة التخاطب في كثير من البلاد التي هي في أصلها أعجمية[١].

وقد بيّن د. رمضان عبدالتواب مسألة تعريب الألفاظ الأعجمية بيانًا وافيًا فقال:"ما استخدمه المولدون في مختلف العصور وما أدخله بعض المحدثين في العصر الحاضر أو يرى إدخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات أو بالمصطلحات العلمية والفنية فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله لأن في اللغة العربية غنية عنه ولأن في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة الحسنة النغم والجرس الكثيرة الاشتقاق مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة بدون حدوث اشتراك"، وجوز المجمع أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم؛ لأن اللغة لا تفسد بالدخيل بل حياتها في هضم هذا الدخيل فمقدرة لغة ما على تمثل الكلام الأجنبي تعد مزية وخصيصة لها هي صاغته على أوزانها وصبته في قوالبها ونفخت فيه من روحها. ويضيف

١ -(عبد الرحمن آل عثمان أحكام الرطانة مجلة البيان العدد ١٥٢ ص ١٤-١٥ شهر ربيع الآخر لعام١٤٢١)

أيضًا: "أن مشكلة تعريب ألفاظ العلم ومستحدثات الحضارة هي مشكلتنا الحقيقية في العصر الحديث ومجامعنا العلمية لم تستطع حتى الآن معالجة هذه المشكلة معالجة حاسمة فإنها تنتظر حتى يشيع اللفظ الأجنبي على كل لسان وتستخدمه العامة والخاصة وتنشره وسائل الإعلام المختلفة ثم تسعى بعد فوات الأوان إلى محاربته والبحث عن بديل له عند العرب القدماء ،وبذلك يولد هذا اللفظ ميتًا لاشتهار اللفظ الأعجمي وشيوعه على الألسنة وكم من ألفاظ وضعتها المجامع اللغوية لمستحدثات الحضارة غير أنها لم تتجاوز أبواب المجامع ،ولو أننا سمينا مستحدثات الحضارة بأسماء عربية عند أول ظهورها وعملت وسائل الإعلام على ذيوعه وانتشاره لارتبط في أذهان الناس بمسماه وقضينا على هذه المشكلة من أساسها[١]. والاشتقاق مذهب من مذاهب العربية يجدد شبابها على مر الزمن والعربية الفصحى تحمل في طبيعة تكوينها عنصر التجدد والحياة "فلا حجر على أي مستخدم للفصحى يصوغ جملا عربية تشبه في نظامها جمل العرب في موقع مفرداتها وأبنية كلماتها ودلالة ألفاظها وإن لم تكن الجمل بعينها مما قاله العرب.."[٢].

وترى د. مها خير بك ناصر: " ألا خوف على لغتنا من زحف هذه الألفاظ، كونها لغةً حيّة، محصَّنة بقوانين تشكلها الداخلي والتي تساعدها على استيعاب ما تنتجه العولمة، وما تقدمه من مصطلحات، يمكن تطويعها ومنحها بعضاً من خصائص اللغة الذاتية، وإكسابها هوية عربية، فتضاف بذلك ألفاظٌ

---

١ -(انظر: د.رمضان عبدالتواب، مرجع سابق ،ص١٨٦- ١٨٧).

٢ -(المرجع نفسه ،ص١٨١).

جديدة إلى العائلة اللغوية العربية، وتنمو المفردات، وتتطوَّر الدلالة اللفظية، فينحسر الخوف من المصطلحات الجديدة بالتداول والاستخدام ، واللغة العربية أثبتت عبر تاريخها بأنها قادرة على استيعاب العلوم بألفاظٍ عربية بأسلوب علمي قائم على القياس فما جاء قابلاً للقياس دخل في حقل التداول المعجمي العربي."[١]
ومما يؤيد هذا الرأي أن المفردات التي تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات أو برزوا فيها وامتازوا بإنتاجها أو كثرة استخدامها فمعظم ما انتقل إلى العربية من المفردات الفارسية أو اليونانية يتصل بنواح مادية أو فكرية امتازوا بها الفرس واليونان وأخذها عنهم العرب وهكذا نرى أنه من العبث إنكار وقوع المعرب في العربية الفصحى والقرآن الكريم.."[٢،٣]،وقد ذكر ذلك ابن جني في الخصائص "أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب..وما أعرب من الأجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها"[٤].

الخطر الثالث: إقصاء اللغة العربية عن التواصل مع الشعوب والأمم المختلفة:

كانت اللغة العربية في صدر الإسلام لغة الدولة الإسلامية الممتدة دون انقطاع من الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً، وأصبح أكثر من ربع سكان

---

١ -(د. مها خير بك ناصر، مرجع سابق).

٢ -(د.رمضان عبدالتواب،مرجع سابق ،ص١٨٥).

٣ -(كاصد ياسر الزيدي ، مرجع سابق، ص ٣١٢).

٤ -(ابن جني، مرجع سابق ، ج١ص٣٥٧).

العالم يدينون بالإسلام الذي جاء كتابه بلسان عربي مبين،ومرت على الشعوب الإسلامية قرون لا تعرف لها لساناً تتخاطب به غير العربية ، وقد شهد التاريخ إبان الفتح الإسلامي لأقطار آسيا ، جهوداً بذلها الفاتحون الذين حملوا الإسلام إلى تلكم الأقطار، ونشروا راية القرآن، وعلموا تلك الشعوب خصائص اللسان العربي، حتى استبدلته بلغاتها الأصلية، وبرزت جماعات العلماء من أبناء تلكم الأقطار البعيدة، وقد نبغوا في فنون العربية، وصاروا من أئمتها، الذين يفتون في مشكلاتها، كسيبويه، وابن سينا، والفارابي، والبيروني، والرازي وغيرهم، آلاف من العلماء العباقرة، تنطق آثارهم بعظمة ما استكن في قلوبهم من حب للعربية، وولاء للقرآن[١].

وفي العصر الحديث تراجعت اللغة العربية عن دورها العالمي، وصارت في بعض الدول الإسلامية –حتى التي تقرها لغة رسمية– مقصورة على العلوم الدينية والأدبية ، وحوربت في بعض الدول الإسلامية ،وأحييت اللغات القومية في البلدان الإسلامية كالأردية، والأفغانية، والتركستانية والإندونيسية، وغيرها. وألغي تدريس الفصحى في بعض الجامعات الغربية واستبدل عنها اللهجات العامية العربية، وقد اتجهت منظمة الأمم المتحدة إلى إلغاء العربية من بين اللغات العالمية الرسمية في المنظمة وهي: الإنجليزية، الإسبانية، الفرنسية، الروسية، الصينية، العربية؛ وذلك لعدم استعمال ممثلي الدول "العربية" اللغة العربية، وعدم وجود مترجمين عرب أكفاء يجيدون اللغة العربية وعدم إيفاء معظم الدول العربية بالتزاماتها المتعلّقة بدفع نفقات استعمال العربية في المنظمة[٢].

---

١ –(انظر:د. عبد الصبور شاهين ، مرجع سابق.).

٢ –(انظر:مؤتمر الطفل العربي ،مرجع سابق).

سبل تلافي هذا الخطر:

- طرح مشروع أن تكون العربية هي اللغة الأولى في الدول العربية على المؤسسات الكبرى، كمنظمة المؤتمر الإسلامي، والجامعة العربية، والمنظمة الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي[١].

- تشجيع المكاتب والدور والزوايا والخلاوي الموجودة في بعض الدول الإسلامية التي تهدف إلى تعليم القرآن الكريم واللغة العربية، حيث كانت السياج المنيع الذي حافظ على عروبة هذه الدول، والعمل على تطويرها ودعمها لتواكب العصر –مثلما فعلت حكومة السودان–[٢].

- أن تتضافر الجهود على نشر العربية ودعمها بكل وسيلة ممكنة حتى تكون هي لغة التخاطب بين العرب وغيرهم كما كان عليه الأمر في الأزمنة التي كانت فيها القوة والغلبة للمسلمين.

---

١ –(يقول د.عبد الصبور شاهين "وهذه الفكرة لم تطرح قط، مع أنها هي طوق النجاة في أي سعي إلى خلق وحدة إسلامية، تحمل الهموم الإستراتيجية" (د.عبد الصبور شاهين ، مرجع سابق)..

٢ –(ناقشت الندوة العالمية المتخصصة حول (قضايا الدعوة الإسلامية في السودان) التي عقدت بالخرطوم مطلع العام ٢٠٠٨م، والتي أكدت على تفعيل الجهود الشعبية والجماهيرية لدعم الجهود الدعوية في سبيل تقوية الاستقرار المجتمعي، ومن ضمن تلك الجهود السعي لتحويل الخلاوي المنتشرة بربوع البلاد إلى خلاوي نموذجية تأخذ بمقتضيات العلم الحديث) (الخلاوي مكتز العروبة والإسلام في السودان " ، (الوعي الإسلامي العدد٥١٧)).

توصيات ومقترحات للنهوض باللغة العربية في عصر العولمة

أولاً: في المجال التربوي والتعليمي:

- وضع إستراتيجية علمية متكاملة لتعليم اللغة العربية في المدرسة الابتدائية العربية يبدأ بمرحلة ما قبل هذه المدرسة، وإدخال التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية للمبتدئين وتوفير المعاجم العصرية وتزويدها باللوحات والرسوم التوضيحية.

- إعداد برامج خاصة لإعادة تأهيل معلمي الصفوف الأولى في اللغة العربية وفي مهارات التدريس، وإعادة النظر في معاهد إعداد معلمي العربية في جميع مراحل التعليم العام والاهتمام بمعلمي الأطفال مادياً ومعنويًا، وتقليل نصابهم الأسبوعي من الحصص ليؤدوا رسالتهم على أكمل وجه.

- الاهتمام بإنشاء مكتبات للأطفال في المدارس ، وتخصيص حصة في اليوم الدراسي للقراءة الحرة في المكتبة، لما في ذلك من فوائد في إكساب الأطفال ملكة اللغة و في إكسابهم سليقة الفصاحة والبيان.

- إقامة أسبوع سنوي باسم أسبوع اللغة الفصحى -فليست اللغة العربية أقل شأنًا من أسبوع المرور أو الشجرة بأن تقام فيه مهرجانات وندوات في المدارس والجامعات ووسائل الإعلام تبين فيه أهمية اللغة العربية، وخصائصها التي امتازت بها، ودور الأمة نحوها.

ثانيًا: في المجال الإعلامي:

-تكثيف المؤتمرات والندوات العلمية الدورية في الأقطار العربية لبحث أجدى الوسائل في رفع مستوى اللغة في وسائل الإعلام ،ووضع أسس موضوعية لسياسة لغوية عربية موحدة، تمكن أجهزة الإعلام من تحقيق التقارب بين مستويات التعبير اللغوي في البلدان العربية.

– التوعية الإعلامية بأهمية ومكانة اللغة العربية وارتباطها بوجودهم وكيانهم، و بمحاربة الأعداء لها بطريقة ميسرة تلائم العصر ووضع برامج تخاطب العقل العربي المعاصر بما يعزز من شخصيته الحضارية ، وتأكيد هويته ،وعدم الانجراف مع تيار العولمة ،وأن يغرس في النشء الاعتزاز بالفصحى والغيرة على ثوابته وأصالته وحبّه لجذوره.

– مطالبة الدول العربية بسن قانون يمنع استخدام غير اللغة العربية في الإعلانات بجميع أشكالها، وإعادة النظر في كل الإعلانات التي تقدمها القنوات العربية، وفرض الرقابة اللغوية على المنتجات الثقافية المصورة والمذاعة والمطبوعة للطفل العربي.

– إلزام كافة الأجهزة والمرافق والمؤسسات باستعمال اللغة العربية الفصحى، في أسماء الشوارع والمحلات التجارية ومراقبة اللافتات والإعلانات في الأسواق والتلفاز وألا يسمح باستعمال الكلمات الأجنبية فيها.

– تشكيل هيئة للرقابة اللغوية من ذوي الأهلية، يتابعون نشرات الأخبار والبرامج والأعمال المترجمة، من أجل تصويب ما يرد فيها من أغلاط ولفت أنظار المسؤولين إليها.

– إنشاء قنوات فضائية تعليمية تخصص للنحو والصرف والإملاء وما يستعمله الناس في حياتهم وربطها بالتراث لمختلف الأعمار بوسائل عصرية من قبل متخصصين في اللغة العربية وعلم النفس والتربية.

– إنشاء مواقع على شبكة الإنترنت تنسق مع مجامع اللغة العربية لإفادة المواطن العربي بكل ما هو جديد في مجال اللغة لمواجهة تحديات العولمة ،والاستفادة من مواقع تعليمية للغات الأخرى.

– اعتماد العربية المبسطة في كتابة حوار التمثيليات والمواد الحوارية التي تكتب بالعامية ،وتعميم استعمالها في جميع مواد البرامج الإذاعية والتلفازية، وبث برامج وتمثيليات تدريبية للآباء والأمهات لتشجيعهم على استعمالها داخل الأسرة.

الخاتمة

بعد هذه العرض للأخطار التي تعصف بلغتنا الجميلة في عصر العولمة ،نجد أن اللغة العربية قادرة على مواكبة عصر العولمة ، والاستجابة للتطور الحضاري فيه والتعبير عنه وما يجد فيه من مظاهر جديدة؛وذلك لما تتمتع به من خصائص ووسائل نمو تساعدها على ذلك مثل القياس والاشتقاق.

ووجدنا أن للعولمة دوراً واضحًا في الانحسار الذي باتت تعرفه اللغة العربية، في مختلف المجالات وبالأخص التعليم الذي أثر بدوره في تراجع اللغة العربية في مجالات أخرى أهمها وسائل الإعلام مسموعة ومقروءة ومرئية.

إن تلك الأخطار التي تحيط باللغة العربية في عصر العولمة لا يمكن التغلب عليها إلا من خلال رفع مستوى اللغة في مختلف مجالات المعرفة والبحث العلمي من حالة الضعف والتردي إلى النمو والحياة وتبسيط قواعدها ،وأدوات استعمالها، وفتح طرقٍ للانتشار، والامتداد، من خلال تطوير وسائلها، وصيغ تعبيراتها المختلفة.

إن النهوض باللغة العربية في عصر العولمة لا يتحقق إلا من خلال وضع إستراتيجية لغوية متكاملة وموحدة على مستوى الوطن العربي تساهم فيها المجامع العربية، وعلماء في اللغة والتربية والإعلام وعلم النفس والاجتماع ،والحاسوب وغيرهم تقوم على أساس المنهج الفطري وتكوين الملكة اللغوية لفهم أساسيات اللغة العربية الفصحى في مراحل التعليم المختلفة.

وأخيرًا نقول: إن قضية اللغة العربية هي قضية أمة وتتلخص في كلمة واحدة هي (الإرادة) فلابد من وجودها في كافة أبناء الأمة من خلال: الاعتزاز باللغة العربية الفصحى، والحفاظ عليها، ومواكبتها للتقنية الحديثة؛ لتكون في مصاف اللغات العالمية.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١- القرآن الكريم.

٢- ابن جني، عثمان.الخصائص تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

٣- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٣٢٩هـ.

٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة، بيروت.١٤٢٢ هـ

٥- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

٦- أبو مغلي، سميح، التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس دار الفكر، عمان ط١ ١٩٩٧

٧- بكار، عبدالكريم. العولمة: طبيعتها –وسائلها– تحدياتها – التعامل معها، دار الأعلام للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، الأردن– عمان (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م).

٨- بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، ط ١٤١٨-١٩٩٧ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٩- جارودي، رجاء، العولمة المزعومة: الواقع – الجذور– البدائل، تعريب د. محمد السبيطلي، دار الشوكاني صنعاء ١٩٩٨

١٠- الجواليقي، منصور. المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢/١٤٢٣).

١١- زيدان، جرجي. تاريخ اللغة العربية، تقديم عصام نور الدين، دار الحداثة الطبعة الأولى، (١٩٨٠).

١٢- الزيدي، كاصد ياسر. فقه اللغة العربية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان / الأردن، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ /٢٠٠٤ م).

١٣- شاهين، عبد الصبور. التحديات التي تواجه اللغة العربية ،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "ايسيسكو".

١٤- الصيداوي، يوسف، اللغة والناس، دار الفكر المعاصر ط١بيروت (١٤١٦- ١٩٩٦)

١٥- عبدالتواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي – القاهرة —دار الرفاعي بالرياض ط١، ١٤٠٣- ١٩٨٢

١٦- عبدالرحمن، طالب. اللغة العربية تواجه التحديات، كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد ١١٦، قطر، (ذو القعدة ١٤٢٧، نوفمبر- ديسمبر ٢٠٠٦م)

١٧- عبدالنور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت – ط١، ١٩٧٩

١٨- كولماس، فلوريان. اللغة والاقتصاد، ترجمة د. أحمد عوض، مراجعة عبدالسلام رضوان، سلسة عالم المعرفة، الكويت. (١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م).

١٩- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – بيروت.

٢٠- لويس، برنارد، تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية، ست مقالات نشرت لأول مرة في المستمع العربي، ط٢.

٢١- مبارك، محمد. مواقف في اللغة والأدب والفكر. مكتبة النهضة، بغداد، دار الفارابي، بيروت (١٩٧٤).

٢٢- المبارك مازن، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧٩

٢٣- المختون محمد بدوي. تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه. مطابع الأهرام ، القاهرة، (١٤١٩ – ١٩٩٨).

٢٤- هيرست، بول و طوميسون، جراهام. ما لعولمة.. الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم، ترجمة د. فالح عبدالجبار، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

٢٥- يوسف، جمعة سيد. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي. سلسلة عالم المعرفة: سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، (١٤١٠هـ /١٩٩٩م).

ثانيًا: الدوريات:

١- مجلة المنار، محمد رشيد رضا، ج ١٣، الأحد جمادى الثانية ١٣١٩- سبتمبر ١٩٠١) ، مصر.

٢- مجلة دعوة الحق ، تصدرها وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، العدد (٣) رمضان ١٣٨٤- ١٩٦٥م.

٣- توفيق القباطي، مجلة الحكمة يصدرها اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين (العدد ١٦٤ ،ص ٥٦-٥٧ سبتمبر١٩٨٩م)

٤- مجلة البيان. مجلة شهرية، تصدر عن المنتدى الإسلامي، لندن، الأعداد: الأعداد: (١٤٧، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٢، ١٩٩، ٢٠٦).

٥- مجلة الأدب الإسلامي، تصدرها رابطة الأدب العالمية (العدد (١٤) شوال/ ذو القعدة / ذو الحجة ١٤١٧ فبراير / مارس/ إبريل ١٩٩٧).

٦- مجلة الوعي الإسلامي. مجلة شهرية، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت الأعداد: (٥١٦، ٤٥٦، ٥١٧).

٨- صحيفة القدس العربي. ١٩/٣/٢٠١٠ صحيفة عربية يومية، تصدر في لندن.

٩- مجلة منار الإسلام، تصدرها وزارة الأوقاف في دولة الإمارات العدد (٦) ديسمبر١٩٩٢م.

فهرس المحتويات

التّحدّيات الّتي تواجه اللّغة العربيّة في غرب إفريقيا في العصر الرّاهن

إعداد

أ.د. عبد الغني عبد السّلام أولا دوشو

١ - المقدّمة

تتمتّع اللّغة العربيّة بمكانة مرموقة، لا تقلّ عن مكانة اللّغات العالميّة الأخرى، وذلك لما تمتاز بها من الأهميّة التّاريخيّة والحضاريّة والثّقافيّة والعلميّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والدّبلوماسيّة.[١] فهي إحدى وسائل التّفاهم في المحافل والمؤتمرات والملتقيات والنّدوات الدّوليّة، جنباً إلى جنب مع اللّغات العالميّة الرّئيسة الأخرى. وهي قبل ذلك، كانت الوعاء الّذي حافظ على ما جادت به الحضارات القديمة من المنطق، والطّبيعة، والكيمياء، والطّب، والصّيدلة، والزّراعة، والحساب، والجبر، والهندسة، والفلك، والتّنجيم، والجغرافيا، والرّياضيات، وغيرها من العلوم الّتي نقلت إلى العربيّة من الفارسيّة، واليونانيّة، واللاّتينيّة، ثم ترجمت هذه العلوم من العربيّة إلى اللّغات الأوروبيّة.[٢]

يضاف إلى ما سبق أنّ العربيّة هي اللّغة الرّسميّة في جميع الدّول العربيّة، وهي لغة التّخاطب والتّفاهم بين شعوبها، ووسيلة التّعليم في جميع مدارسها ومعاهدها ومعظم كلّيّاتها الجامعيّة. وهي أيضا لغة الإذاعة، والصّحافة، والتّلفزة، والقضاء، والتّأليف في هذه الأقطار.[٣]

ويضاف إلى ذلك أنّ العربيّة هي اللّغة الدّينيّة الإسلاميّة الوحيدة في العالم الإسلاميّ، ويعني ذلك أنّها اللّغة الوحيدة الصّالحة لأداء الصّلوات المفروضة وإقامة الشّعائر الإسلاميّة الواجبة. ومن المعروف طبعاً أنّ المسلمين خارج البلاد العربيّة بما فيها دول غرب إفريقيا غيورون على اللّغة العربيّة، وحريصون على حرمتها، فهم يتعلّمونها على حسابهم وعلى الرّغم من حكوماتهم، ويكابدون في سبيل ذلك شتى أنواع الصّعوبات والمشكلات

والتّحدّيات، ومن هنا تأتي موضوعيّة هذا المؤتمر الدّوليّ وجدارته ومناسبته وأهمّيّته وصلته بالواقع الّذي تتعرّض له وتعيشه دول غرب إفريقيا. وفيما يلي نُبَذٌ ذاتُ رباطٍ بكلّ قطر من أقطار غرب إفريقيا.

٢ - نُبذ عن دول غرب أفريقيا

تقع دول غرب إفريقيا في الإقليم الغربيّ من القارة وجنوبي الصّحراء الكبرى، ويحتلّ مساحة أرضيّة شاسعة الأطراف ممتدّة من كاميرون شرقاً، ومنتهيّة إلى موريتانيا غرباً. ويتكوّن من سبع عشرة دولةً مستقلّة هي:

١ - **جمهورية الكاميرون** Cameroon وعاصمتها يائندي Yaounde. وكانت مستعمرة برتغاليّة وألمانيّة وبريطانيّة. ويزيد تعدادها على ثمانيّة عشر مليوناً من النّاس. أمّا لغة الدّولة الرّسميّة فهما اللّغتان الإنجليزيّة والفرنسيّة. أما اللّغات المحليّة السّائدة فهي متعدّدة تعدّد القبائل الّتي لا تقلّ عن مائتي قبيلة، وأكثر هذه اللّغات انتشاراً بانتو Albantu، وفلاتي Fulfude، ويمثّل المسلمون واحداً وعشرين في المائة من السّكان.[٤]

٢ - **جمهورية نيجيريا الفدراليّة:** وعاصمتها أبوجا، وكانت مستعمرة بريطانيّة. يزيد تعدادها على مائة وخمسين مليون نسمة حسب إحصاء عام ٢٠٠٨م. أمّا لغة الدّولة الرّسميّة، فهي اللّغة الإنجليزيّة. وأمّا اللّغات المحليّة فهي هوسا Hausa، وإيجو Igbo، ويوربا Yoruba، وفلفودى Fufude، وغيرها. ويمثّل المسلمون سبعين في المائة تقريبا من السّكان.[٥]

٣ - **جمهورية بنين** Benin وعاصمتها كوتونو Cotonou، وكانت مستعمرة فرنسيّة. يزيد تعدادها على ثمانية ملايين بناء على إحصاء

عام ٢٠٠٨. أما لغة الدّولة الرّسميّة فهي اللّغة الفرنسيّة. ومن اللّغات المحليّة السّائدة سومبا Somba، وباربا Bariba، وفون Fon،

ويوربا Yoruba، وغيرها. ويمثّل المسلمون عشرين في المائة من السّكان.[٦]

٤ - **جمهورية توغو** Togo، وعاصمتها لومى Lome. وكانت مستعمرة فرنسيّة وتعدادها ستة ملايين نسمة تقريباً حسب إحصاء عام ٢٠٠٨. أمّا اللّغة الرّسميّة للدّولة فهي اللّغة الفرنسيّة، ومن اللّغات المحليّة السّائدة إِيْوِىْ Ewe، وكَبْرِى Kabre، ومينا Mina، وداغُمْبَا Dagomba، وغيرها. ويمثّل المسلمون تسعة عشر في المائة من السّكان.[٧]

٥ - **جمهورية غانا** Ghana، وعاصمتها أكرا Accra، كانت مستعمرة بريطانيّة. ويزيد سكانها على ثلاثة وعشرين مليوناً، ويمثّل المسلمون بها عشرين في المائة.

أمّا لغة الدّولة الرّسميّة فهي اللّغة الإنجليزيّة.

أمّا اللّغات المحليّة السّائدة فهي Twi، Fante، Dagbane، وغيرها.

٦ - **جمهورية كوت ديفوار (ساحل العاج)** Ivory Coast، وعاصمتها أبيجان Abidjan ويزيد تعدادها على ثمانية عشر مليوناً حسب إحصاء عام ٢٠٠٨. ولغة الدّولة الرّسميّة هي اللّغة الفرنسيّة، ويمثل المسلمون سبعة وثلاثين في المائة من السّكان.[٩]

٧ - **جمهورية ليبيريا** وعاصمتها منروفيا وكانت تشتمل على ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف نسمة. أمّا لغة الدّولة الرّسميّة فهي اللّغة الإنجليزيّة. أما اللّغات الأخرى فهي Mande، Kru – Bassa، وغيرها دون اللّغة العربيّة.

أمّا نسبة المسلمين في البلاد، فهي ستّة عشر في المائة.[١٠]

٨ - **جمهورية سراليون** وعاصمتها فريتاون، وتعدادها أكثر من ستّة ملايين، واللّغة الرّسميّة للدّولة هي اللّغة الإنجليزيّة. أمّا اللّغات الأخرى السّائدة في البلاد، فهي Temne، Krio،Mende. أمّا الأديان السّائدة، فهي الإسلام؛ حيث يمثّل المسلمون ستة وأربعين فى المائة من السّكان.[١١]

٩ - **جمهورية غينيا بيساو** Republic of Guinea Bissau، وعاصمتها بيساو Bissau، وتعدادها مليون ونصف نسمة، ولغتها الرّسميّة هي اللّغة البرتغاليّة Portuguese. أمّا اللّغات الأخرى للبلاد فهي Creule، واللّغة الفرنسيّة واللّغات الأفريقيّة.[١٢]

١٠- **جمهورية غينيا**: وعاصمتها كوناكري Conakry وبها من السّكان ما هو أكثر من عشرة ملايين نسمة. أمّا اللّغات السّائدة فهي اللّغة الفرنسيّة الّتي هي اللّغة الرّسميّة. واللّغات المحليّة Fulani، Mandinka، Susu وغيرها. ويمثّل المسلمون ٦٧٪ ويمثّل أصحاب المعتقدات المحليّة ٢٨٪ كما يمثل المسيحيّون ٤٪.

١١- **جمهورية غامبيا**: عاصمتها بنجول Banjul يزيد عدد سكانها على مليون ونصف، وأغلبية السّكان من المسلمين، و لم نجد في ما عثرنا عليه ما يذكر لنا بالتّحديد النّسبة الحقيقيّة لعدد مسلميها. أمّا لغة الدّولة، فهي اللّغة الإنجليزيّة.[١٤]

١٢ **جمهوريّة السّنغال**: عاصمتها داكار Dakar، يزيد عدد سكانها على اثني عشر مليوناً. تبلغ نسبة المسلمين فيها سبعاً وثمانين في المائة، ولغة

الدّولة الرّسميّة هي الفرنسيّة؛ إذ كانت مستعمرة فرنسيّة.

١٣- **جمهورية موريتانيا الإسلاميّة**: وعاصمتها نواكتشوط Nouakchott، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين ونسبة المسلمين فيها ٩٩٪ وثقافتها ثقافة إسلاميّة، واللّغة الرّسميّة للدّولة هي العربيّة. أمّا اللّغات المحليّة فهي فلفودي، وسونيكى، وولوف، والفرنسيّة.[١٦]

١٤- **جمهورية تشاد** Chad، عاصمتها انجمينا Njamena، كانت مستعمرة فرنسيّة. يزيد تعدادها على عشرة ملايين. أمّا لغة الدّولة الرّسميّة فهي الفرنسيّة والعربيّة. أمّا اللّغات المحليّة، فهي هوسا واللّغات التشاديّة. يمثّل المسلمون تسعة وخمسين في المائة من النّسمة.[١٧]

١٥- **جمهورية النّيجر**: Niger Republic، وعاصمتها نيامين. كانت مستعمرة فرنسيّة. يزيد تعدادها على ثلاثة عشر مليوناً. أمّا لغة الدّولة الرّسميّة فهي اللّغة الفرنسيّة، وأما اللّغات السّائدة الأخرى فتشمل العربيّة والهوسا وBoudouma وDjerma وفلفودى، وكانوري وغيرها. ويمثّل المسلمون تسعين في المائة من السّكان.[١٨]

١٦ - **جمهورية بوركينافاسو** Burkina Faso عاصمتها Ouagadogou كانت مستعمرة فرنسيّة يزيد تعدادها على خمسة ملايين نسمة قبل الاستقلال. أمّا اللّغة الرّسميّة فهي الفرنسيّة. و لم نحصل على أيّ خبر عن نسبة المسلمين، ونسبة أصحاب الأديان الأخرى في البلاد[١٩].

١٧- **جمهورية مالي** Mali. عاصمتها باماكو، وكانت مستعمرة فرنسيّة يزيد تعدادها على اثني عشر مليوناً، ولغة الدّولة الرّسميّة هي

الفرنسيّة. أمّا اللّغات المحليّة الأخرى فمنها Bambara و Fulfude والهوسا وغيرها. يمثّل المسلمون واحداً وثمانين في المائة[٢٠].

٣ - ملاحظات على تلك النّبذ

ويبدو جليا من هذه النّبذ أنّ البذور الّتي نبتت وتفرّعت منها تحدّيات اللّغة العربيّة في غرب إفريقيا، إنّما تكمن تارة في ماضي دول هذه المنطقة، وفي تاريخها العريق. فكون هذه الدّول مستعمرات فرنسيّة وبريطانيّة وبرتغاليّة دلائل مؤكّدة بأنّ الاستعمار الغاشم عامل أساسيّ من العوامل المسؤولة عن هذه التّحدّيات. وسنخوض في تفاصيل هذه الحقيقة لدى الحديث عنها من قريب.

هذا، وقد قامت اللّغة العربيّة بدور حيويّ ملموس في نمو كلّ دولة من هذه الدّول وفي تطوّرها سواء كان ذلك في ماضيها العريق، أو في حاضرها المجيد. فالممالك والإمبراطوريات الّتي قامت في غرب إفريقيا قبل الاستعمار البريطانيّ والفرنسيّ والبرتغاليّ كانت قوامها اللّغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة؛ إذ أنّ هذه الإمبراطوريات والممالك اعتمدت على اللّغة العربيّة كوسيلة رسميّة للتّخاطب والتّعامل مع الدّول العربيّة المجاورة لها في شمال أفريقيا. وتشمل هذه الدّول ما يعرف الآن بجمهورية مصر العربيّة، والجماهيرية الليبيّة الشّعبيّة الاشتراكيّة الإسلاميّة العظمى، والجمهورية الجزائريّة والمملكة المغربيّة والجمهورية التّونسيّة.

ومن الممالك والإمبراطوريات الّتي رفرفت ألويتها وراجت أسواقها في غرب أفريقيا قبل الاستعمار إمبراطورية غانا وإمبراطورية مالي، وإمبراطورية

صنغاي، وإمبراطورية كانم – برنو[٢١]، وإمارات صوكوتو وإلورن وغيرها. وقد تركت اللّغة العربيّة والثقافة الإسلاميّة بصماها على هذه الممالك والإمبراطوريات من حيث نموها الدّينيّ والرّوحيّ والسّياسيّ والاقتصاديّ واللّغويّ والأدبيّ والاجتماعيّ، وغير ذلك من نواحي النّمو والتّطوّر.

وتفيد الرّوايات الّتي عثرنا عليها بأنّ المصادر التّاريخيّة لهذه الإمبراطوريات كانت تنقسم إلى قسمين رئيسيين. أمّا القسم الأول، فكانت تعتمد على المؤرّخين المحليّين المتخصّصين الّذين كانوا يروون سيرة هذه الإمبراطوريات رواية شفهيّة تشمل سير الآباء والأجداد والأنساب، وأصل الممالك خاصّة في ما قبل الإسلام. وأمّا القسم الثّاني من المصادر التّاريخيّة لهذه الإمبراطوريات فكانت مدوّنة باللّغة العربيّة من قبل المؤرّخين العرب، وعلماء الجغرافيا؛ أمثال المسعوديّ والبكريّ، وابن بطوطة وابن خلدون. ومنهم المؤرّخون المسلمون الأفارقة الّذين دوّنوا تاريخ هذه الإمبراطوريات مثل عبد الرّحمن السّعديّ الّذي ألّف كتاب "تاريخ السّودان" ومحمود كعتى. وكانت غاية هؤلاء الكُتّاب المسلمين تدوين تاريخ العالم الإسلاميّ بما في ذلك بلاد السّودان.[٢٢]

ولا غرابة ولا عجب في أن تلعب اللّغة العربيّة هذا الدّور الإيجابيّ في تاريخ ممالك غرب إفريقيا وإمبراطورياها، وقد سبق أن قام بالدّور نفسه عبر العصور الغابرة، والقرون الماضية. وهذا موضوع الجزء التّالي من هذا البحث.

٤ – دور اللّغة العربيّة عبر العصور

٤,١– في العصر الجاهليّ

إذا تتبّعنا تاريخ الأدب العربيّ وتطوّر اللّغة العربيّة وجدنا لهذه اللّغة بصمات إيجابيّة واضحة في كلّ عصر من عصورها الأدبيّة. فكانت في العصر الجاهليّ أداة الشّعر والنّثر الفنّيّ والأمثال والقصص والألغاز والأحاجي. وإذا عرفنا أنّ الشّعر هو ديوان العرب أدركنا مدى أهمّيّة اللّغة العربيّة في تسجيل تاريخهم ومجدهم وأيامهم وحروبهم ومسراتهم وأحزانهم وتقاليدهم وعاداتهم ودياناتهم. فهذه هي اللّغة الّتي عبّر بها أصحاب المعلّقات عن أحاسيسَ دقيقة، ومشاعرَ رفيعة، ومعانٍ عميقة، فشرّق صيتهم وغرّب، واشتهر امرؤ القيس، وطــرفة بن العبد البكريّ، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد العبسيّ، والنّابغة الذّبيانيّ، ولبــيد ابن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، والأعشى بن قيس البكريّ، والحارث بن حلزة، وعبــيد بن الأبرص. كما اشتهر شعراء آخرون في الجاهليّة غير أصحاب المعلّقات، أمثال الشّنفرى، والمهلهل، وتأبّط شرا، ودريد بن الصّمة، وحاتم الطّائيّ، وعلقمة الفحل وغيرهم.[٢٣] واشتهر غيرهم في الخطابة والكتابة وسجع الكهان.

٢,٤- في صدر الإسلام

وهي ذات اللّغة الّتي نجحت في صدر الإسلام في ضبط ما كان يتنزّل من آي الذّكر الحكيم، وما كان الرّسول -صلى الله عليه وسلم- يدلي به من شرح لهذا الذّكر، فأمست اللّغة العربيّة الوعاء الّذي احتوى القرآن الكريم، واحتوى كذلك التّفسير والحديث والتّشريع والتّاريخ والسّير والمغازي، فاشتهر الخلفاء الرّاشدون والصّحابة أمثال عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبيّ بن كعب، وحسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير[٢٤]، وغيرهم

من أعلام اللّغة والأدب والتّفسير والحديث والتّأويل[٢٥]. ونستنتج من ذلك أنّه لولا اللّغة العربيّة ما كان قرآنٌ ولا تفسير ولا حديث، ولولاها ما اشتهر عبد الله بن مسعود، ولا عبد الله بن عباس.

٣,٤- في العصر الأمويّ

وتتكرّر الحقيقة نفسها في العصر الأمويّ حين كانت العربيّة أداة للحفاظ على التّراث العلميّ والدّينيّ والأخلاقيّ واللّغويّ والأدبيّ في المملكة الإسلاميّة، فاشتهر حين ذلك الفرزدق وجرير والأخطل التّغلبيّ، وعمر ابن أبي ربيعة، وعبد الله بن قيس، والعديل بن الفرخ العجليّ، وأعشى همذان، وجميل بثينة، والوليد بن يزيد، وغيرهم.[٢٦]

٤,٤- في العصر العباسيّ

وإذا تتبّعنا الأحداث في العصر العباسيّ وجدنا امتزاج العرب مع العجم على نحو لم يسبق له مثيل، وكانت النّتيجة المباشرة لهذا الاختلاط تأثّر اللّغة العربيّة في ألفاظها وأساليبها ومعانيها وشعرها ونثرها وكتابتها وتأليفها، فنبغ داود بن عليّ في الخطابة، وابن مقلة في الخطّ، وابن المقفع وأبو بكر الخوارزميّ، وبديع الزّمان الهمذانيّ في البلاغة وكتابة الرّسائل الأدبيّة، والجاحظ والحريريّ في الأدب، والخليل بن أحمد، وسيبويه والكسائيّ في النّحو وغيره من علوم اللّغة. كما تفوّق الإمام البخاريّ في رواية الحديث، والإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام الشّافعيّ والإمام أحمد بن حنبل في الفقه الإسلاميّ.[٢٧]

أمّا الشّعر فقد تفوّق فيه بشّار بن برد، وأبو نواس، ومسلم بن الوليد، وأبو العتاهية، وأبو تمام، والبحتريّ، وابن الرّوميّ، وابن المعتزّ،

والمتنبّي، وابن هانئ الأندلسيّ، وأبو العلاء المعريّ، وغيرهم من عمالقة الشّعر في العصر العباسيّ.

هذا ولم يقتصر توسّع العربيّة في العصر العباسيّ على جانب الشّعر والنّثر الفنّيّ فقط، وإنّما تعدّى ذلك؛ فشمل ترجمة أمّهات الكتب اليونانيّة، والفارسيّة، والهنديّة، والرّومانيّة في الطّب، والفلك، والسّياسة، والمنطق، والفلسفة، والطّبيعة، والرّياضة، والكيمياء، والصّيدلة، والجبر، والهندسة، والجغرافيا، والتّنجيم، وغير ذلك من العلوم.[٢٨]

٥,٤- في عصر المماليك التّركيّة

وفي عصر المماليك التّركيّة، وفتنة التّتار أصاب اللّغة العربيّة جمود وركود وانحطاط نتيجة انتشار العاميّة واللّهجات الدّارجة والمفردات العجميّة واختلاطها باللّغة العربيّة الفصحى، ومع ذلك استعادت العربيّة مجدها على أيدي العلماء المتنبّهين أمثال ابن خلكان وابن خلـــدون وجلال الدّين السّيوطيّ وغيرهم.[٢٩]

٦,٤- في عصر النّهضة الحديثة

وفي عصر النّهضة الحديثة من سنة ١٢٢٠هـــ - ١٧٩٨م إلى يومنا هذا، حصل انقلاب لغويّ رهيب في الأدب العربيّ واللّغة العربيّة نتيجة البعثات العلميّة إلى مختلف البلاد الأوروبيّة من بعض الدّول العربيّة وعلى رأسها دولة مصر. وقد انكبت هذه البعثات على التّبحّر في سائر العلوم والفنون مع ترجمتها إلى اللّغة العربيّة، وأسفر عن هذه الحركة إثراء العربيّة بالمصطلحات الحديثة والمفردات العلميّة العديدة.

وممّا ساعد على الانقلاب اللّغوي في هذا العصر سعة التّعليم، وانتشار آلات الطّباعة، وإنشاء المكتبات، وحركة الصّحافة، وإنشاء الجمعيات الأدبيّة والمجامع اللّغويّة، وانتشار المسرحيّة والاستشراق.[٣٢]

٧,٤- في غرب أفريقيا

هذا وقد ظهر في غرب أفريقيا جهابذة من العلماء الّذين أَثْرَوْا العربيّة إثراءً لغويّاً فائقاً، وذلك عن طريق الدّعوة والإرشاد وعن طريق الكتابة والتّأليف، وعن طريق إنشاء المدارس والمعاهد اللّغويّة العربيّة الإسلاميّة.

وجملة القول إنّ اللّغة العربيّة ظلّت عبر العصور مرفرفة ألويتها دون أن تعجز عن أداء دورها ومهمّتها. فما هذه التّحدّيات الّتي تهدّدها في غرب إفريقيا في العصر الرّاهن وهذا ما سنحاول الإجابة عليه فيما يلي.

٥ - التّحدّيات الّتي تواجه اللّغة العربيّة في غرب إفريقيا في العصر الرّاهن:

أمّا التّحدّيات الّتي تواجه اللّغة العربيّة في غرب إفريقيا، فهي متعدّدة ومختلفة، وأجلها الّتي تخصّ العصر الرّاهن هي:

١- هذه العولمة الّتي اكتسحت مشارق الأرض ومغاربها فافتتن بها المسلمون دون حماية لغتهم العربيّة. ونعني بالعولمة السّيطرة الغربيّة الرّهيبة والمحكمة على الاقتصاد الدّوليّ وثقافته عن طريق الهيمنة على التّقنيّة وعلى شبكات الاتّصال العالميّ.

٢- هذه الحضارة الغازيّة الّتي عمت بلواها كبار الأمّة وصغارها وأنستهم واجبهم تجاه اللّغة العربيّة.

٣- طغيان اللّغة الإنجليزيّة الّتي تزاحم اللّغة العربيّة في غرب إفريقيا، بل في وكرها البلدان العربيّة.

٤- سلطان اللّغة الفرنسيّة الّتي تباري اللّغة العربيّة وتضايقها في أنحاء العالم.

٥- إغراء الشّباب المسلمين بأسباب التّرف الّتي تلهيهم عن الاهتمام بدينهم وبلغة هذا الدّين الحنيف.

٦- هذا الفقر المدقع الّذي يمثّل عقبة تصدّ معظم أبناء المسلمين عن التّعلّم عموما، وعن التّعليم العربيّ خصوصاً؛ إذ تدلّ الإحصائيات الواردة على أنّ عدد الأشخاص المسجّلين في المؤسّسات التّعليميّة أقلّ بكثير من عدد الأفراد العاجزين عن التّسجيل، ولربّما كانت نسبة المسلمين من العاجزين تمثّل نصيب الأسد في المجموع الكلّيّ لهذا العدد.

٧- هذه الأمراض الفتّاكة الّتي تجعل من المسلمين ضحاياها فتعرقلهم عن التّعلم عموماً، وعن التّعليم العربيّ خصوصاً.

٨- هذا التّشجيع الرّهيب الّذي تتمتّع بها اللّغات الأوروبيّة وثقافتها ضدّ اللّغة العربيّة.

٩- هذه الحروب الباردة والسّاخنة الّتي يشنّها الاستعمار الجديد ضدّ الثّقافة العربيّة.

١٠- هذه المؤامرة الدّوليّة والدّعايّة العالميّة الصّاخبة ضدّ المدارس العربيّة، خاصّة بعد أحداث ١١ من سبتمبر.

١١- عدم الاهتمام بتعليم البنات في غرب إفريقيا وفي معظم الأقطار الإسلاميّة.

١٢- التّفرقة التّعليميّة القائمة ضدّ معظم خريجي المدارس العربيّة؛ حيث يعامَلون معاملة مخالفة للمعاملة الّتي يتمتّع بها خريجو المدارس الإنجليزيّة.

١٣- منع المدارس العربيّة من الحصول على المساعدات الماديّة من خارج الدّولة بدعوى أن هذه المدارس مراكز لإعداد الإرهابيّين.

١٤- تمسّك معظم المدارس العربيّة بالمناهج التّعليميّة القديمة، ممّا يجعل خريجيها بحاجة دائمة إلى سدّ الثّغور النّاشئة من هذه المناهج.

١٥- اعتبار اللّغة العربيّة لغة دينيّة محضة، على الرّغم ممّا تمتاز به من الامتيازات التّاريخيّة والعلميّة والعقليّة والاقتصاديّة والثّقافيّة والحضاريّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والدّبلوماسيّة، وغير ذلك من الامتيازات.

١٦- هذا الغزو الإعلاميّ الدّوليّ الرّهيب ضدّ اللّغة العربيّة في المرئيات والمسموعات والمطبوعات والمنشورات.

١٧- استعمال الحرف اللاّتيني لكتابة اللّغة العربيّة، وهو نوع من الغزو الثّقافيّ ضدّ العربيّة.

١٨- إهمال الحكومات لواجبها تجاه التّعليم العربيّ والمدارس العربيّة في غرب إفريقيا.

١٩- هذا التّدهور الملحوظ في مستوى الطّلبة بوجه عام، وفي مستوى طلبة اللّغة العربيّة بوجه خاص، فإنّ نتائج امتحانات الثّانويّة العامّة المنشورة في الآونة الأخيرة تدلّ على أنّ نسبة الطّلبة النّاجحين فيها أقلّ من اثنين في المائة، وتلك مأساة لا تبشّر بخير لمستقبل التّعليم في هذه الدّيار.

٢٠- هذه القلّة في عدد المدرّسين المؤهّلين لتدريس اللّغة العربيّة واستعمال أحدث طرق التّدريس في جميع المراحل الدّراسيّة.

٢١- هذه القلّة في عدد المراجع والمصادر والكتب العربيّة في المدارس والجامعات والمكتبات.

٢٢- بُعْدُ المسافة بين معظم دول غرب إفريقيا والأقطار العربيّة وما يلي ذلك من قلّة التّخاطب اليوميّ بين شعوب هذه الدّول والأقطار.

٢٣- هذه المرتبة الوضيعة الّتي تحتلّها اللّغة العربيّة بين الموادّ الدّراسيّة الأخرى في منهج المدارس الثّانويّة الحكوميّة عبر دول غرب إفريقيا؛ حيث تعدّ اللّغة العربيّة من الموادّ الإضافيّة، بدلاً من أن تكون مادّة أساسيّة.

٢٤- هذا العجز الواضح في استعمال الآلات الإلكترونيّة وأجهزة كمبيوتر، وفي اقتنائها في معظم المدارس العربيّة.

٢٥- هذه القلة في فرص العمل والتّوظّف لخريجي المدارس العربيّة؛ إذ إنّ معظمهم يعانون من البطالة بلا رجاء.

٢٦- هذا الربط الأليم بين المدارس العربيّة وعادات التّسوّل والشّعوذة والسّحر.

٢٧- هذه الحماسة الوطنيّة في صالح اللّغات الوطنيّة وضد اللّغات الأخرى.

٢٨- هذه القلّة في عدد الطّلاب الرّاغبين في تعلّم اللّغة العربيّة، وهذه القلّة في عدد المؤهّلين لدراستها. وتتجلّى هذه الحقيقة في الجداول الآتيّة:

الجدول الرّقم الأوّل

عدد الطّلاب المقبولين في قسم اللّغة العربيّة وقسم اللّغة الإنجليزيّة في جامعة حكوميّة نيجيريّة *

الرّقم المسلسل	العام الدّراسيّ	قسم اللّغة العربيّة	٪	قسم اللّغة الإنجليزيّة	٪	المجموع الكلّيّ لطلاب العربيّة والإنجليزيّة
١	١٩٩٩ / ٢٠٠٠	٣٥	٣٦,٨٤٪	٦٠	٦٣,١٦٪	٩٥
٢	٢٠٠٠ / ٢٠٠١	٣٠	٢٧,٠٣٪	٨١	٧٢,٩٦٪	١١١
٣	٢٠٠١ / ٢٠٠٢	٣٨	٢٨,٣٦٪	٩٦	٧١,٦٤٪	١٣٤
٤	٢٠٠٢ / ٢٠٠٣	٤٠	٣٣,٣٣٪	٨٠	٦٦,٦٧٪	١٢٠
٥	٢٠٠٣ / ٢٠٠٤	٥٠	٣١,٢٥٪	١١٠	٦٨,٧٥٪	١٦٠
٦	٢٠٠٤ / ٢٠٠٥	٦٧	٣٦,٨١٪	١١٥	٦٣,١٩٪	١٨٢
٧	٢٠٠٥ / ٢٠٠٦	٤٨	٢٢,٦٤٪	١٦٤	٧٧,٣٦٪	٢١٢
٨	٢٠٠٦ / ٢٠٠٧	٤٥	٣٨,١٤٪	٧٣	٦١,٨٦٪	١١٨
٩	٢٠٠٧ / ٢٠٠٨	٣٨	٢١,٣٥٪	١٤٠	٧٨,٦٥٪	١٧٨
١٠	٢٠٠٨ / ٢٠٠٩	٥٥	٣٧,٩٣٪	٩٠	٦٢,٠٧٪	١٤٥
		٤٤٦	٣٠,٦٥٪	١٠٠٩	٦٩,٣٥٪	١٤٥٥

* لم تحدّد أسماء المؤسّسات التّعليميّة المستعملة في هذا البحث احتراماً لحق كتمان الهويّة وضمان السّرّيّة.

الجدول الرقم الثاني

عدد الطّلاب المقبولين في قسم اللّغة العربيّة وقسم اللّغة الإنجليزيّة في كليّة تربويّة حكوميّة نيجيريّة *

الرّقم المسلسل	العام الدّراسيّ	قسم اللّغة العربيّة	٪	قسم اللّغة الإنجليزيّة	٪	المجموع الكلّيّ لطلاب العربيّة والإنجليزيّة
١	١٩٩٩ / ٢٠٠٠	٥	٦,٩٤٪	٦٧	٩٣,٠٦٪	٧٢
٢	٢٠٠٠ / ٢٠٠١	١٠	١٥,١٥٪	٥٦	٨٤,٨٥٪	٦٦
٣	٢٠٠١ / ٢٠٠٢	٢٢	٢٠,٣٧٪	٨٦	٧٩,٦٣٪	١٠٨
٤	٢٠٠٢ / ٢٠٠٣	١٥	٢٠,٥٥٪	٥٨	٦٩,٤٥٪	٧٣
٥	٢٠٠٣ / ٢٠٠٤	٦	٧,٧٩٪	٧١	٩٢,٢١٪	٧٧
٦	٢٠٠٤ / ٢٠٠٥	٢٩	٢٣,٢٠٪	٩٦	٧٦,٨٠٪	١٢٥
٧	٢٠٠٥ / ٢٠٠٦	٣١	١٥,٥٨٪	١٦٨	٨٤,٤٢٪	١٩٩
٨	٢٠٠٦ / ٢٠٠٧	٢١	٢٣,٦٠٪	٦٨	٧٦,٤٠٪	٨٩

الرّقم المسلسل	العام الدّراسيّ	قسم اللّغة العربيّة	٪	قسم اللّغة الإنجليزيّة	٪	المجموع الكلّيّ لطلاب العربيّة والإنجليزيّة
٩	٢٠٠٧ / ٢٠٠٨	١٢	١٣,٦٤٪	٧٦	٨٦,٣٤٪	٨٨
١٠	٢٠٠٨ / ٢٠٠٩	١٣	١٨,٥٧٪	٥٧	٨١,٤٣٪	٧٠
		١٦٤	١٦,٩٦٪	٨٠٣	٨٣,٠٤٪	٩٦٧

الجدول الرقم الثالث

عدد الطّلاب المقبولين في قسم اللّغة العربيّة وقسم اللّغة الإنجليزيّة في كليّة تربويّة حكوميّة نيجيريّة *

الرّقم المسلسل	العام الدّراسيّ	قسم اللّغة العربيّة	٪	قسم اللّغة الإنجليزيّة	٪	المجموع الكلّيّ لطلاب العربيّة والإنجليزيّة
١	١٩٩٩ / ٢٠٠٠	٢٦	٧١,٨١٪	١٢٠	٨٢,١٩٪	١٤٦
٢	٢٠٠٠ / ٢٠٠١	٢٢	٢١,٥٧٪	٨٠	٧٨,٤٣٪	١٠٢
٣	٢٠٠١ / ٢٠٠٢	٨٨	٥٦,٧٧٪	٦٧	٤٣,٢٢٪	١٥٥
٤	٢٠٠٢ / ٢٠٠٣	١٢٤	٥٧,٩٤٪	٩٠	٤٢,٠٥٪	٢١٤
٥	٢٠٠٣ / ٢٠٠٤	١٥٠	٥٥,٥٦٪	١٢٠	٤٤,٤٤٪	٢٧٠
٦	٢٠٠٤ / ٢٠٠٥	٦٧	٢٥,٠٩٪	٢٠٠	٧٤,٩١٪	٢٦٧
٧	٢٠٠٥ / ٢٠٠٦	٦٢	٢١,١٦٪	٢٣١	٧٨,٨٤٪	٢٩٣
٨	٢٠٠٦ / ٢٠٠٧	٣١	١١,٣٩٪	٢٤١	٨٨,٦٠٪	٢٧٢

٩	٢٠٠٧ / ٢٠٠٨	٣٣	٪١١,٦٦	٢٥٠	٪٨٨,٣٤	٢٨٣
١٠	٢٠٠٨ / ٢٠٠٩	٨٠	٪٢٦,٢٣	٢٢٥	٪٧٣,٧٧	٣٠٥
		٦٨٣	٪٢٩,٦٠	١٦٢٤	٪٧٠,٣٩	٢٣٠٧

*لم تحدّد أسماء المؤسّسات التّعليميّة المستعملة في هذا البحث احتراما لحق كتمان الهويّة وضمان السّريّة.

٦- مناقشة الحقائق الواردة في الجداول السابقة

إنّ الحقائق الواردة في الجداول السّابقة تؤكّد ما أشرنا إليه آنفاً من قلّة أعداد الطّلاب الرّاغبين في التّعليم العربيّ خاصّة في المؤسّسات التّعليميّة الحكوميّة، فبالاطلاع على الجدول الرّقم الأوّل يتجلّى أنّ نسب عدد الطّلاب المقيّدين للتّعليم العربيّ خلال السّنوات العشر الموضّحة في الجدول تتراوح بين ٢١,٣٥٪ و ٣٨,١٤٪. وهذا بعكس ما يُلاحظ في عدد الطّلاب المقيّدين للتّعليم الإنجليزيّ؛ حيث تتراوح النّسبة المئويّة لعددهم خلال السّنوات العشر الموضّحة في نفس الجدول بين ٦١,٨٦٪ و ٧٨,٦٥٪. وبالفحص الدّقيق لذات الجدول نرى أنّ مجموع عدد الطّلاب المقيّدين للتّعليم العربيّ خلال السّنوات العشر الموضّحة كان أقلّ من ٥٠٠، في حينٍ أنّ مجموع عدد الطّلاب المقيّدين للتّعليم الإنجليزيّ كان أكثر من ألف طالب. ومن الجدير بالذّكر أنّ هذه الحقائق صادقة بالنّسبة لجامعةٍ حكوميّةٍ نيجيريّةٍ معيّنةٍ إلاّ أنّ الحقائق الواردة في الجدولَيْن الأخيرَيْن ليست

بأحسنَ ممّا ورد في الجدول الأوّل، ففي الجدول الثّاني كان مجموع عدد الطّلاب المقيّدين للتّعليم العربيّ خلال السّنوات العشر ١٦٤، وكانت النّسبة المئويّة لهذا العدد ١٦,٩٦٪ وهذا أيضا بخلاف ما عهدناه في مجموع عدد الطّلاب المقيّدين للتّعليم الإنجليزيّ الّذي كان ٨٠٣ في نفس الفترة وكانت النّسبة المئويّة لهذا العدد ٨٣,٠٤٪. وهذه الحقائق صادقة في حقّ كلّيّة تربويّة حكوميّة نيجيريّة.

على أنّ الحقائق الواردة في الجدول الثّالث لا تقلّ بشاعة عمّا ألفناه في الجدولَيْن الأوّلَيْن، ففيه يتبلور أنّ مجموع عدد الطّلاب المقيّدين للتّعليم العربيّ كان ٦٨٣ طالب، وكانت النّسبة المئويّة لهذا العدد ٢٩,٦٠٪ كما يتجلّى في ذات الجدول أنّ مجموع عدد الطّلاب المقيّدين للتّعليم الإنجليزيّ في تلك الفترة كان ١٦٢٤ طالب. وكانت النّسبة المئويّة لهذا العدد ٧٠,٣٩٪.

ويتلخّص من هذه التّحليلات كلّها أنّ التّعليم العربيّ يواجه مزاحمة خطيرة من قبل اللّغة الإنجليزيّة في الدّيار النّيجيريّة. على أنّ ما يجرى في نيجيريا إنّما هو صورة موضّحة لما هو جار في معظم أقطار غرب إفريقيا، بل فيها كلّها، وذلك مأساة ناتجة من العولمة، ومن غيرها من الحروب الباردة والسّاخنة الّتي تواجهها اللّغة العربيّة والدّراسات الإسلاميّة في أنحاء العالم بوجه عام، وفي غرب إفريقيا بوجه خاصّ، الأمر الّذي يدعو إلى القيام بمبادرة إنقاذيّة فوريّة لحماية هذه اللّغة والذّود عن ثقافتها وأدبها. وفيما يلي التّوصيات اللاّزمة في هذا الصّدد.

٧ - التّوصيات

بناء على الملاحظات السّابقة، وعلى ضوء الحقائق المذكورة آنفاً نوصي بالآتي:

أولاً - يجب توحيد المناهج الدّراسيّة للمدارس العربيّة، وإعادة النّظر في محتوياتها في كلّ دولة على حدة، ثمّ عبر غرب إفريقيا بأسرها. ويستلزم ذلك تكوين لجان ذات أهداف مشتركة لتحقيق غايات هذه المدارس ومآربها. ويجب مراعاة السّياسة التّربويّة لكلّ دولة؛ حتى تتضمّن هذه المناهج متطلبات الحكومة الرّسميّة، بالإضافة إلى المتطلبات الخاصّة بالدّراسات العربيّة. وبناء على تيار العصر الرّاهن يجب على طلاب الدّراسات العربيّة إجادة اللّغة الإنجليزيّة والفرنسيّة بالإضافة إلى إجادة اللّغة العربيّة، وذلك ليتمكّنوا من المشاركة الفعّالة مع خريجي المدارس الحكوميّة، وللتّغلّب على عقدة النّقص الّتي تصاب بها معظم خريجي المدارس العربيّة العاجزين عن التّعبير باللّغة الإنجليزيّة أو الفرنسيّة عند اللّزوم.

وتقع على عاتق اللّجان المكوّنة مسؤوليّة تحديد الكتب المقرّرة ومؤهّلات المدرّسين، والمدّة الدّراسيّة لكلّ مرحلة من مراحل التّعليم الابتدائيّ والإعداديّ والثّانويّ، وشروط قبول الطّلاب في كلّ مرحلة بما في ذلك الأعمار المحدّدة لكلّ مرحلة. وتقع على عاتق هذه اللّجان أيضا مسؤوليّة إمعان النّظر في مستقبل خريجي هذه المدارس وفرص توظيفهم أو مواصلتهم للدّراسات الجامعيّة.

واعتقادنا أنّ تطبيق هذه التّوصيّة من شأنه أن يمهّد الطّريق للتّغلّب على

بعض التّحدّيات الأخرى. فالطّلاب المقبولون في المدارس العربيّة، أو الرّاغبون فيها، أو المؤهّلون لها سيزدادون ازديادا مطّردا بمجرّد إعادة النّظر الشّامل في مناهج هذه المدارس، وبمجرّد ضمان المستقبل الرّائع لخريجيها. وتحقيق هذه الغاية من شأنه أن يضع حدّا لطغيان اللّغة الإنجليزيّة، ولسلطان اللّغة الفرنسيّة.

وإذا التحق الطّلاب بالمدارس العربيّة عن رغبة حقيقيّة جادّة، وعن حافز داخليّ صادق، زالت ما بهم من العقد النّفسيّة، فلم يبالوا بالمرتبة الوضيعة الّتي تحتلّها اللّغة العربيّة بين قائمة الموادّ المقرّرة للشّهادة الثّانويّة بالمدارس الحكوميّة، و لم يحفلوا كذلك بالمواقف السّلبيّة الّتي تتّخذها الحكومة والمجتمع وبعض الأفراد إزاء اللّغة العربيّة. وإذا زالت العقد النّفسيّة لدى الطّلاب كان ذلك فتحاً مبيناً لتحسين فهمهم واستيعابهم، والرّفع من مستواهم العلميّ، وبذلك تزول التّفرقة التّعليميّة القائمة ضدّهم.

ثانياً – تقع على عاتق كلّ حكومة من حكومات غرب إفريقيا مسؤوليّة النّهوض بواجبها تجاه المدارس العربيّة وتأييدها بالإمدادات الماديّة والمعنويّة والبشريّة؛ إذ من واجبها تقدير جميع النّشاطات التّعليميّة حقّ قدرها؛ لأنّ بها تحقيق آمال الأمم والشّعوب في التّنميّة والارتقاء. وإذا تمتّعت المدارس العربيّة بدعم حكوميّ مستمرّ فإنّ ما بها من الفاقة تزول بين عشية وضحاها، فتتمكّن من توظيف المدرّسين المؤهّلين، ومن دفع رواتبهم وحقوقهم الماليّة الأخرى، ومن بناء الفصول واستيراد المراجع والمصادر والكتب الدّراسيّة اللاّزمة، وإقامة المختبرات اللّغويّة، واقتناء آلات كمبيوتر

والمطابع العربيّة بالأعداد المناسبة عبر دول غرب إفريقيا.

ثالثًا – وللتّغلّب على تحدّيات العولمة والحضارة وإغراء الشّباب المسلمين يجب تحذير أفراد الأمّة والمجتمع من آفات هذه التّحدّيات، مع توعية هؤلاء الأفراد توعية ثقافيّة إسلاميّة بالغة تَقِيهم من ردود الفعل السّلبيّة المنوطة بهذه التّحدّيات، وتنبههم إلى مواطن الخطر الكامنة فيها. ولا مانع في أن تكون هذه التّوعية مبرمجة في الدّروس المقرّرة على طلاب المدارس العربيّة، وفي برامج الإذاعة والتّلفزة والجرائد والصّحف اليوميّة والمجلات، وضمن المحاضرات الّتي تلقى في جلسات الدّعوة والإرشاد وفي خطب الجمعة والأعياد وعند الحفلات والمناسبات الإسلاميّة الأخرى. ولا بدّ من تكوين لجنة لمتابعة تحقيق هذه الأهداف.

رابعًا– ولمواجهة المؤامرة الدّوليّة والدّعائيّة العالميّة الصّاخبة والغزو الإعلامي والحروب الباردة والسّاخنة ضدّ اللّغة العربيّة ونظام تعلّمها وتعليمها يمكن تبنّي أسلوب التّوعيّة المبرمجة المذكورة في الفقرة السّابقة، بحيث تقوم فئة من المسؤولين بصدّ هجمات المتآمرين، بالتّحذير والتّنبيه عن طريق الوسائل الإعلاميّة المشار إليها آنفاً. وينفع الأسلوب نفسه في نفي الدّعاية الخاصّة بكون اللّغة العربيّة لغة دينيّة محضة، وأنّ مدارسها إنّما هي مدارس إرهابيّة.

خامسًا– نوصي بتعليم البنات ونحذّر من مغبة إهمالهنّ؛ لأنّ إهمالهنّ إهمال لنصف المجتمع قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [سورة الحجرات، ١٣]

سادسًا– ونوصي مدرّسي اللّغة العربيّة بتشجيع الطّلاب على استعمال هذه اللّغة للتّخاطب والتّعامل فيما بينهم داخـــل المدرسة وخارجها قدر الإمكان؛ لأنّ المهارات اللّغويّة لا تكتسب عن طريق النّظريات فحسب، وإنّما بالممارسة الدّائمة. كما نوصي المدرّسين أنفسهم باستعمال العربيّة فيما بينهم، وفيما بينهم وبين تلاميذهم. ونضيف إلى ذلك ضرورة تنفيذ برنامج قرية اللّغة العربيّة بإنغالا في نيجيريا لطلاب العربيّة في الجامعات النّيجيريّة، كما نوصي الطّلاب في الدّول الأخرى في إفريقيا الغربيّة بزيارة الدّول العربيّة والإقامة بين أهاليها لفترة محدودة أثناء دراستهم الجامعيّة. ومن شأن هذه التّوصيّة أن تساعد في حلّ مشكلة مواقع دول غرب إفريقيا البعيدة عن الدّول العربيّة.

سابعًا– أمّا استعمال الحرف اللاّتيني لكتابة اللّغة العربيّة فيجب تركه.

ثامنًا– يرجى استغلال إيجابيات العولمة لصدّ سلبياتها وتحدّياتها باستخدام أجهزة الإنترنيت والإنترانت وسائر الوسائل الإلكترونيّة ليس فقط في تعليم اللّغة العربيّة وتعلّمها، بل وفي تعزيز العلاقات الثّنائيّة الاقتصاديّة والدّبلوماسيّة والسّياسيّة والتّربويّة والثّقافيّة بين الدّول الإسلاميّة، وفي تأهيل العربيّة لمكانة لغة الحلف اللّغويّ الإسلاميّ على المستوى الدّوليّ.[٣٥]

تاسعًا– نوصي بتشكيل لجنة المتابعة الّتي تقوم بالإشراف على تطبيق جميع التّوصيات الّتي ينتهي إليها هذا المؤتمر الدّوليّ حتى لا تمسي هذه الجهود كلّها هباء منثورا، والعياذ بالله.

وتختتم قائمة التّوصيات بالتّعبير عن جزيل شكرنا وعظيم تقديرنا للدّول العربيّة الّتي تساعد دول غرب إفريقيا والعالم الإسلاميّ وتشجّع

المسلمين نحو تعليم اللّغة العربيّة، وعلى رأس هذه الدّول المملكة العربيّة السعوديّة، وجمهورية مصر العربيّة، والجماهير اللّيبيّة والجمهورية السّودانيّة، ودولة الكويت، وغيرها من الدّول العربيّة. ونحن إذ نسجّل عرفاننا بجمائل هذه الدّول، نوجّه دعوة عامّة إلى الدّول المذكورة وإلى غيرها من الدّول الباقية طالبين بكلّ تواضع مزيداً من الدّعم الماديّ للمدارس العربيّة في غرب إفريقيا، ومؤكّدين حاجة هذه المدارس إلى المدرّسين المؤهّلين لتدريس اللّغة العربيّة لغير النّاطقين بها، وإلى تزويدها بالآلات الإلكترونيّة، وبأجهزة كمبيوتر، وبأمّهات الكتب والمصادر والمراجع العربيّة، وإلى تمويل مشاريع بناء المكتبات والمختبرات اللّغويّة لهذه المدارس علماً بأنّ المتآمرين في غرب إفريقيا وفي العالم الإسلاميّ لا ينفكّون عن التّآمر وهم دائماً بالمرصاد.

٨- الخاتمة

إنّ العولمة هي الطّامة الكبرى الّتي تعرقل نمو اللّغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة في غرب إفريقيا وفي غيرها من أنحاء العالم، وهي الخطر الدّاهم الّذي يهدّد كيان هذه اللّغة وأدبها وثقافتها ليس في هذا العصر فحسب، بل في العصور العديدة القادمة، وذلك لما يرتبط بها من المعلّقات والرّمال والأمواج والآثار والانعكاسات المذكورة آنفا.

وخليق بنا نحن معاشر الأساتذة وحراس اللّغة العربيّة وحماة ثقافتها أن نهبّ جادّين لصدّ الهجمات الّتي تتعرّض لها لغتنا الحبيبة وثقافتنا العريقة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاتّحاد والتّعاون والتّفاني والتّضحية والجود وإخلاص العمل والقضاء على سائر الانقسامات الطّائفيّة والمصالح الشّخصيّة، وأن

يقوم جميع المعنيين والمسؤولين بواجبهم: فعلى حكومات غرب إفريقيا أن تقوم بواجبها نحو اللّغة العربيّة بمساندة مدارسها المحليّة بعد الاعتراف بها، وأن يقوم الآباء والأمّهات بواجبهم التّعليميّ تجاه بنيهم وبناهم، وأن تقوم الدّول العربيّة بواجبها تجاه اللّغة العربيّة في العالم الإسلاميّ وفي جميع العوالم، خاصّة في إفريقيا الغربيّة الّتي هي نصب عين هذا البحث.

وأخيراً أتقدّم بأسمى معاني الشّكر والتّقدير والعرفان بالجمائل إلى الجامعة الإسلاميّة الّتي شرفتني بدعوتي لحضور هذا المؤتمر، فقد كانت دعوة مباركة ملهمةً لي ومحركة. فجزاكم الله عنّي كلّ خير. وكلّ عام وأنتم بخير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١- Federal Ministry of Education(١٩٨٥) National Curriculum for Junior Secondary Schools, volume ٤, Other languages, pp١١١.

٢- أحمد الهاشمي (بدون تاريخ) جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب:

نشأة العلوم الكونيّة المنقولة وترجمتها. بيروت: مؤسّسة المعارف. ج٢/ ص ١٨٤-١٨٥.

٣- عبد العليم إبراهيم (١٩٧٣) الموجّه الفنّيّ لمدرّسي اللّغة العربيّة. القاهرة: دار المعارف بمصر. ص٤٨.

٤- "Cameroons". Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

٥- "Nigeria". Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

٦- "Benin". Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

٧- "Togo". Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

٨- Ghana. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

٩- “Cote deVoire”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١٠- “Liberia”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١١- “Sierra Leone”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١٢- “Guinea” Bissau. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١٣- “Guinea”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١٤- “Gambia”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١٥- “Senegal”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١٦- “Muritania”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١٧- “Chad”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١٨- “Niger”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

١٩- “Burkina Faso”, Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

٢٠- “Mali”. Encarta, ٢٠٠٩, (DVD), Redmond, WA.

٢١- Awe, Bolanle (١٩٨١). Empires of the Western Sudan: Ghana, Mali and Songhai: in J.F. Ade Ajayi and Ian Espie: A *Thousand Years of West African History*. Ibadan: University Press, p٥٥.

٢٢- المرجع السّابق

٢٣- أحمد الهاشميّ (بدون تاريخ) جواهر الأدب: شعراء الجاهليّة، ج٢،ص٢٨-٩٩.

٢٤- أحمد أمين (١٩٣٢) فجر الإسلام. القاهرة: مكتبة النّهضة المصريّة. ص ٢٠٢

٢٥- زكريا إدريس حسين (٢٠٠٠) المأدبة الأدبيّة لطلاب العربيّة فى إفريقيا الغربيّة، أوتشي– نيجيريا، دار النور، ص ٥٥.

٢٦- أحمد الهاشميّ (بدون تاريخ) جواهر الأدب، عصر الدّولة العباسيّة، ج ٢، ص ١٥٥- ٢٠٢

٢٧- المرجع نفسه، نشأة العلوم الكونيّة، ج٢، ص ١٨٤-١٨٥

٢٨- المرجع نفسه، عصر المماليك التّركيّة، ج٢ ، ص٢٠٣-٢١١

٢٩- المرجع نفسه، عصر المماليك التّركيّة، ج٢ ، ص٢٠٣-٢١١

٣٠- المرجع نفسه، عصر النّهضة الحديثة، ج٢، ص٢١١-٢٥١

٣١- زكريا حسين (٢٠٠٠). المأدبة الأدبيّة لطلاب العربيّة فى إفريقيا الغربيّة. ص١٥٧-١٦٥

٣٢- المرجع نفسه، ص ١٤٣- ١٤٧

٣٣- المرجع نفسه، ص١٧٧

٣٤- المرجع نفسه، ص ١٧٩

٣٥- أحمد شيخ عبد السّلام (٢٠٠٨). العولمة اللّغويّة: تبعات حضاريّة للغة العربيّة. كوالالمبور، ماليزيا: الجامعة الإسلاميّة، ص ١٣٩-١٤٦

المراجع

-القرآن الكريم.

-أحمد أمين (١٩٣٢). فجر الإسلام. القاهرة: مكتبة النهضة إبراهيم

ليرى أمين (٢٠٠٩). "مشكلات تدريس اللّغة العربيّة فى الجامعات النّيجيريّة الخصوصيّة" مقالة مقدمة في الملتقى الأول للجامعات الإفريقيّة المعنيّة بتدريس اللّغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة في الدّول الناطقة بغير العربيّة، المقام بالجامعة الأسمريّة للعلوم الإسلاميّة فى الفترة ٢٢-٢٤/١٢/٢٠٠٩م.

أحمد الهاشمي (بدون تاريخ). جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، بيروت: مكتبة المعارف.

-أحمد شيخ عبد السّلام (٢٠٠٨). العولمة اللغويّة: تبعات حضاريّة للغة العربيّة. كوالالمبور، ماليزيا: الجامعة الإسلاميّة.

-آدم عبد الله الألوريّ (١٩٦٤). الإسلام وتقاليد الجاهليّة. القاهرة: مطبعة المدني.

-توفيق محمد شاهين (١٤٠٠هـــ ١٩٨٠م). عوامل تنمية اللّغة العربيّة. القاهرة: مكتبة وهبة.

-رمضان عبد التّواب (١٩٧٣). فصول فى فقه العربيّة. القاهرة: مكتبة الخانجي.

-زكريا حسين (٢٠٠٠). المأدبة الأدبيّة لطلاب العربيّة في إفريقيا الغربيّة. أوتشى، نيجيريا: دار النور.

-سراج الدين آدم أديبايو (٢٠٠٩). "مشاكل التّعليم العربيّ فى

كلّيات القانون بجامعة ولايّة كوغى- نيجيريا". مقالة مقدمة فى الملتقى الأول للجامعات الإفريقيّة المعنيّة بتدريس اللّغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة في الدّول الناطقة بغير العربيّة، المقام بالجامعة الأسمريّة للعلوم الإسلاميّة فى الفترة ٢٢-٢٤/١٢/٢٠٠٩م.

-شوقى ضيف (١٩٧٩). المدارس النّحويّة. القاهرة: دار المعارف.

-شيخو أحمد غلادنث (١٤١٤هـ ١٩٩٣م) حركة اللّغة العربيّة وآدابها فى نيجيريا. المكتبة الأفريقيّة.

-عبد الباقي شعيب أغاكا (٢٠٠٩). رؤيّة عربيّة فى تحديات العام العاشر بعد ألفين. كلمة مقدمة فى مؤتمر تنال التاسع بكليّة التربيّة- الفيدراليّة أبوحا، ٢٠٠٩م.

-عبد الحميد شعيب أغاكا (١٩٨٣). مشاكل اللّغة العربيّة لدى الطالب النّيجيريّ، كانو: Tiumph Publishing Company

-عثمان عبد السّلام الثّقافيّ (١٩٩٣). الإسلام فى غرب إفريقيا. إلورن: مطبعة مدرسة سراج العلوم الإسلاميّة.

-محمد المصباح إبراهيم الزّيتونىّ (١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م). مشاكل التّعليم العربيّ فى بلاد يوربا. لاجوس: شركة دار النور للطباعة.

-مشهود محمود جمبا (٢٠٠٩). "مشكلات التّعليم العربيّ فى الجامعات النّيجيريّة وحلولها: جامعة ولاية كوغى نموجاً" مقالة مقدمة فى الملتقى الأول للجامعات الإفريقيّة المعنيّة بتدريس اللّغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة في الدّول الناطقة بغير العربيّة، المقام بالجامعة الأسمريّة للعلوم

الإسلاميّة فى الفترة ٢٢-٢٤/١٢/٢٠٠٩م.

-مشهود محمود جمبا (١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م). من إلورن إلى تمبكتو. إيوو: المركز النّيجيريّ للبحوث العربيّة.

-يوهان فك (١٤٠٠هـ ١٩٨٠م). العربيّة دراسات فى اللّغة واللهجات والأساليب. القاهرة: مكتبة الخانجى بمصر.

Hitti, P.K. (١٩٧٠). *Islam: A way of life. South Bend*, Indiana: Regnery \ Gateway,
inc. Schacht, J. and Bosworth, C.E (Eds) (١٩٧٩). Oxford University Press.

فهرس المحتويات

اللغة العربية والتنمية المستدامة

(جدلية العلاقة وسبل النهوض)

إعداد

الأستاذ / عبد القادر بوشيبة

توطئة:

مع مرور الزمن تزداد التحديات أمام اللغة العربية الفصحى في إثبات وجودها ومقاومة التهميش والتجاهل اللذين يلاحقانها، وفي خلال القرنين الماضيين هيّأ الله للعربية من ينافح عنها، ويتفرغ لقضيتها حتى عادت للواجهة بعد قرون من الركود والمراوحة.

أمّا اليوم فإنّ التحدي عظيم، والصّراع يزداد ضراوة؛ لأنها تواجه عصر العولمة بكل ما تحمله من وسائل الهيمنة في المجالات الاقتصادية والثقافية والإعلامية والتكنولوجية.

إنّ العربية في ظل هذا الوضع الراهن تواجه تحديات اكتساح اللغة الأجنبية لمناطق نفوذها وتحدي اتساع العامية في منابر كانت للعربية، ممّا أدى إلى تهميشها ونعتها بالتخلف والركود، وتعالت صيحات تنادي بإبعادها عن مجالات التنمية وإحلال اللغة الأجنبية محلها، إلاّ أننا نحن العرب لا ينبغي أن نسلم ونقبل بهذا الوضع ولا أن نهون من شأنه، لأنه يتعلق باللغة العربية التي هي عنوان هويتنا، وثابت شخصيتنا، ومستودع حضارتنا ومعارفنا وتراثنا، وهي فوق كل ذلك لغة ديننا وحاملة قرآننا.

لذلك فإن كل جهد يؤدي إلى التمكين للعربية وتبويئها المكانة اللائقة بها في وطننا العربي غدا جهدا لا يستغنى عنه، ولا يمكن التقليل من شأنه.

إنه لا سبيل إلاّ أن تكون العربية هي لغة التعليم والعلوم واكتساب المعارف ولغة الاقتصاد والإدارة والإعلام ولغة الصناعة والتكنولوجيا وتقنيات المعلومات والاتصال، وتلك هي مجالات التنمية المستدامة والشاملة.

فإلى أي مدى تساهم اللغة العربية في تحقيق التنمية الشاملة في الوطن العربي؟

ثم من حيث هي كذلك كيف ينعكس ذلك على نمو اللغة وتطويرها وعصرنتها؟

إنّ هذا البحث يبحث في هذه العلاقة الجدلية والتلازمية بين التنمية واللغة، وسنتعرض لذلك من خلال عناصر ثلاث:

التعريف بالعربية وتحديد خصائصها والتنويه بعبقريتها وأهميتها ووصف واقعها.

دور اللغة العربية في تحقيق التنمية المستدامة في الوطن العربي.

١- دور التنمية الشاملة المحمَلة باللغة العربية في تنمية اللغة العربية وتطويرها.

أولا: التعريف بالعربية وتحديد خصائصها والتنويه بعبقريتها وأهميتها ووصف واقعها:

١) التعريف بالعربية وتحديد خصائصها:

إنّ اللغة العربية التي نتحدث عنها، والتي ننافح عنها في كل المنابر، والتي نقصدها في هذا البحث، هي العربية الفصحى، وهي المتمثلة في نصوص التراث العربي في العصر الجاهلي السابق على الإسلام، وقد شهد أعلام الشعراء الجاهليين ومن داناهم، وكذلك بعد الإسلام، والعربية الفصحى هي التي نزل بها القرآن الكريم[١]، وهي كذلك اللغة المشتركة النموذجية والتي اصطنعت في الأمور الجدية[٢].

(١) -"في اللهجات العربية"، إبراهيم أنيس، د.ط، الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٢٧.

(٢) -"علم الدلالة العربي"،فايز الداية، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨، ص ١١٦.

والعربية بهذا الوصف السابق هي تلك التي تتميز بخصائص تجعلها تتميز عن العامية، وتتميز كذلك عن لهجات القبائل العربية الأخرى أو لهجات لبلدان من الوطن العربي المترامي الأطراف، فهي العربية التي تتميّز خاصة بخاصيتي الإعراب والاشتقاق، وكل هذا لا يعني أننا لا نأخذ في الحسبان سنة التطور التي تصيب كل لغات العالم والعربية من بينها، وما العامية واللهجات العربية إلا مظهر أو نتيجة لتطور الفصحى، أمّا التطور الذي أصاب الفصحى في الألفاظ ومعانيها، فهو أمر مقبول، وهو مناط سيرورة العربية وحيويتها وتجددها، فهي تتطوّر حسب المستجدات والمتطلبات مع مرور الزمن، ولكن الخصائص الهامة في العربية الفصحى والتي ذكرت آنفا فينبغي ألا تسقط عن العربية الفصحى اليوم في العربية الفصحى المعاصرة لأيّ داع من الدواعي أو حاجة من الحاجيات.

والإعراب هو أوّل خاصية تحتل مرتبة الشرف ونعني به تلك العلامات التي في أواخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه[1]، وهو الفارق في المعاني المتكافئة في اللفظ[2].

أمّا الاشتقاق فهو توليد الألفاظ من بعض والرجوع بها لأصل واحد[3]، وعلى هذه الخاصية يقوم أكبر قسم من متن اللغة العربية[4]، وهو

---

(١)-"فقه اللغة العربية"، صالح بلعيد، دار هومة، د.ط، الجزائر، ١٩٩٨، ص ٦٩.
(٢)-"المزهر"، السيوطي، المكتبة العصرية، ط٣، بيروت، ١٩٨٦، ٣٢١/١.
(٣)-"دراسات في فقه اللغة"، صبحي صالح، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠، ص ١٧٤.
(٤) -"مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء"، أحمد بن نعمان، ط١، الجزائر، ١٩٩٨، ص٢٦٠.

يمدّ اللغة بأسباب الحياة والنمو[(١)]، ويطبعها بمرونة أقدرتها على استيعاب التطورات الحضارية عبر التاريخ الإنساني[(٢)].

٢) أهمية اللغة العربية لدينا كعرب ومسلمين:

إنّ اللغة هي الأساس الصلد الذي تقوم عليه قصة الأمة[(٣)]، والعربية هي وعاء ثقافتنا وعنوان هويتنا كأمة عربية إسلامية، والمحافظة عليها تعدّ محافظة على الذات والوجود[(٤)].

إنها اللغة العربية التي اختارها الله تعالى لتكون وعاء لكتابه الخالد وهو القرآن الكريم، ولاشكّ في أنها بذلك تتربّع على عرش الألسنة واللغات[(٥)].

وتلك مفخرة لنا نحن العرب غبطنا عليها أهل الفكر والثقافات، شرقيين وغربيين[(٦)].

---

(١)-"التنمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها"، شحادة الخوري، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، عدد٢٩، ١٩٨٧، ص١١

(٢)-"الاشتقاق وتنمية الألفاظ"، حامد صادق القنيبي، مجلة اللسان العربي، عدد ٣٤، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ١٩٩٠، ص ٧٩.

(٣)"اللغة والهوية" تأليف جون جوزيف، ترجمة د. عبد النور خراقي، ، سلسلة عالم المعرفة، أوت ٢٠٠٧، ص ٠٨.

(٤)- "مستقبل اللغة العربية في عالم متغير"، عبد العزيز التويجري ، بحث ألقي في الدورة ٧٤ لمؤتمر مجمع اللغة العربية، القاهرة في ٢٨ أبريل ٢٠٠٨

(٥)- "فقه اللغة"، عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، د.ت، ص ٢٤١ وما بعدها.

(٦)- نفسه، ص ٢٤٥.

واللغة العربية الفصيحة هي رمز لكياننا القومي وعنوان شخصيتنا العربية، ومستودع لتراث أمتنا، وبطريقها يتعرف الأبناء والأحفاد على ما خلفه لهم الآباء والأجداد في مختلف ميادين المعرفة، فيزدادون اعتزازا بحضارة أمّتهم وتقديرا لأسلافهم، وما أسهموا به في مسيرة الحضارة الإنسانية، فتكون معرفة الماضي عاملا حافزا لهم إلى الأمام.

ولغتنا العربية الفصيحة هي لغتنا الأمّ التي وحّدت بين العرب في ماضي الحقب بطريق القرآن الكريم، وما تزال هي الرابطة الموحّدة والموحَّدة(١).

وهي الآن وسيلتنا للتعبير عن مشاعرنا وعواطفنا وأفكارنا ووسيلتنا لقضاء حوائجنا وتحقيق متطلباتنا في التواصل مع أفراد مجتمعنا ووسيلتنا للتحكم في بيئتنا لأنها أداة التفكير وثمرته، وهي رمز لكياننا وثقافتنا والقلعة الحصينة للذود عن هويتنا وذاتيتنا الثقافية ووحدتنا القومية(٢).

وإذا كانت لغتنا العربية بهذا القدر والأهمية في تحقيق ذاتنا والمحافظة على هويتنا وشخصيتنا فإننا إذا لم نولها الأهمية التي تليق بها، فإنّنا بلا شك نقضي على وجودنا في خارطة الهويات والقوميات، وفي هذا يقول الأستاذ الرافعي رحمه الله: "...وإذا كانت اللغة العربية بهذه المنزلة كانت أمتها حريصة عليها ناهضة بها متسعة فيها، مكبرة بشأنها...فأمّا إذا كان من شعبها التراخي والإهمال وترك اللغة للطبيعة السوقية، وإصغار أمرها،

---

(١)- "نحو النهوض بالعربية"، محمد بلاسي، عدد ٦٣/٦٤ ، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، ديسمبر ٢٠٠٩، ص ٣٢٦.

(٢)- نفسه، ص ٣٢٧.

وبتهوين خطرها، وإيثار غيرها بالحبّ والإكبار، فهذا شعب خادم لا مخدوم، تابع لا متبوع، ضعيف عن تكاليف السيادة، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه، مجتزئ ببعض حقه..." (١).

٣) عبقرية اللغة العربية:

إنّ من درس العربية وتعمق في أسرارها وخصائصها، واطلع على آدابها وبيانها، لاشكّ أنه سيقر ويسلم بعبقرية هذه اللغة العظيمة، ولن ندرج هنا أراء أهل اللغة من العرب، فهم بلا شك مدركون لهذا الأمر، ولكننا سنسوق آراء بعض المستشرقين الذين احتكوا بالعربية وأقروا بعبقريتها وكفاءتها، وقد سلبت عقولهم وألبابهم، حيث يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: "وباستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التي تحمل سموّ الفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له"(٢).

ويقول مرة أخرى: إنّ اللغة العربية لغة وعي وشهادة وينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية، وإن في اللفظ العربي جرسا موسيقيا لا أجده في لغتي الفرنسية حسب تعبيره"(٣).

ويقول المستشرق الأمريكي كوهيل: "قلّ منا نحن الغربيين من يقدر اللغة العربية حق قدرها من حيث أهميتها وغناها، فهي بفضل تاريخ الأقوام

---

(١)- "وحي القلم"، مصطفى صادق الرافعي، د.ط، دار المعارف، د.ت، ٣٢/٣.

(٢)- "فقه اللغة"، علي عبد الواحد وافي، ص ٢٤٥.

(٣)- "التمكين للغة العربية آفاق وحلول"، محمود السيد، مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق، ج٢، مجلد ٨٣، ربيع الأول، سنة ١٤٢٩، ص ٣٠٩."

التي نطقت بها، وبداعي انتشارها في أقاليم كثيرة واحتكاكها بمدنيات مختلفة قد نمت إلى أن أصبحت لغة مدنية بأسرها بعد أن كانت لغة قبلية، لقد كان للعربية ماضي مجيد، وفي تقديري سيكون لها مستقبل زاهر"[(١)].

ويتحدث المستشرق الأمريكي وليم ورل عن مرونة العربية وحيويتها فيقول: "إنّ اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكناها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أيّ لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي"[(٢)].

أمّا العالم الألماني فرينباغ فيقول: "ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التّأليف بها لا يمكن حصرهم، وإن اختلافهم عنّا في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجابا لا نتبين ما وراءه إلاّ بصعوبة"[(٣)].

هذا غيض من فيض شهادات وإقرار لبعض المستشرقين أدركوا بحق عبقرية العربية وجمالها وحيويتها وديناميتها، وليس غريبا عن العربية أن تكون بهذا الوصف، لأنها لغة حملت كتاب الله تعالى، وهذا ما يؤهلها لأن تبقى خالدة وقادرة على تخطي كل الصعاب.

٤) واقع اللغة العربية اليوم:

بالرغم من كل ما قلناه في الصفحات السابقة عن العربية الفصحى

(١)- نفسه، ص ٣٠٨.

(٢)- نفسه، ص ٣٠٩.

(٣)- نفسه، ص ٣٠٩.

في تعريفها وتحديد خصائصها والتنويه بعبقريتها وبأهميتها لدينا نحن العرب والمسلمين، فإنّ من يرى حال اللغة العربية اليوم بين أهلها وفي أوطانها، فإنه يجزم بالقطع بأنها تعامل كأنها لغة أجنبية في أوطانها وبين أهلها، وذلك نظراً لما تلاقيه من تهميش وتقصير في حقها(١)، وهذا الوضع الموصوف يشذ به العرب اليوم عن العديد من المجتمعات والأمم في العالم المعاصر(٢).

وإن أوجز توصيف يمكن أن نخصه للعربية وحالها في الوطن العربي في أنها تعاني من تحديين كبيرين يتمثلا في:

١- زحف العامية واحتلالها مساحات في حياة العرب.

٢- مزاحمة اللغات الأجنبية للفصحى في ميادين التعليم وفي مجالات حيوية في الإدارات وقطاع الاقتصاد وبعض المناحي الاجتماعية، وفي مواقف الجد من الكلام، وتزداد اللغات الأجنبية مصارعة للعربية في أوطانها بسبب الهجمة الشرسة للعولمة بوسائلها التقنية التي يتمثل أهمها في وسائل الإعلام والاتصال والرقمنة والإنترنت.

وكل هذا أدّى إلى انحسار خطير للعربية الفصحى عن الحياة اليومية للمواطن العربي، وأدّى هذا الوضع إلى تبني رؤى وتصورات وإطلاق نداءات هنا وهناك اقتنع بها أصحاب القرار والمثقفون تدعو إلى تهميش العربية عن مواطن التنمية لأنها في نظرهم تعاني الركود والتخلف وليست لغة العصر والعلم والمعلوماتية.

---

(١)- ينظر "اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم"، كمال بشر، د.ط، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٧.

(٢)- "مستقبل اللغة العربية"، أحمد بن نعمان، ص ١٧.

وكل تلك التحديات أدت إلى واقع مؤرق ومؤلم بالنسبة للمشتغلين بقضايا اللغة العربية تنظيرا وتطبيقا ممّا استدعى دق ناقوس الخطر[(١)].

وإذا كنا بالنسبة للتحديين الأولين المتعلقين بالعامية وباللغة الأجنبية نحمل فيه المسؤولية من قبل الاستعمار بوسائله وأساليبه وخططه لإدراكه أنّ العربية الفصحى هي وجدان وهوية العرب، فضرب الفصحى هو ضرب لهذه الهوية، فإننا نحمل أنفسنا اليوم كل المسؤولية في تحديات العربية مع العولمة، وذلك لأننا بتقصيرنا عمدا أو تهاونا في التمكين للعربية في مختلف شؤون الحياة ننفذ بأيدينا ما عجز الاستعمار عن تنفيذه بالأمس في فرض لغته وإبعاد لغتنا.

وعلى كل حال فإنّ التوصيف السابق لا ينفي جهود خيرة أبناء هذه الأمة في العمل بكل ما أوتوا من قوة وعلم وبكل إخلاص من أجل التمكين للعربية وإخراجها من واقعها المؤسف.

ثانيا: دور اللغة العربية في تحقيق التنمية المستدامة في الوطن العربي:

١) تعريف التنمية المستدامة:

تتعدّد تعريفات التنمية بشكل يصعب حصره في تعريف محدّد، وقد عرّفها البعض بأنّها مجموعة التبادلات التي تحدث في مجتمع يسعى لتحقيق نمو يعتمد على الإمكانيات الذاتية في فترة قصيرة من الزمن، وبمعنى آخر فإنّ

---

(١)- "ندوة مرصد اللغة العربية وآفاق التعريب"،كلمة افتتاحية لمحمود السيد، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، عدد ٦٦، ديسمبر ٢٠١٠، الرباط، ص ١٢ وما بعدها.

التنمية هي التغيّر النوعي المخطط في جميع القطاعات وهي المعيار الذي تقاس به درجات التقدم، ولا يمكن تحقيق هذه التنمية دون الاعتماد على المعرفة العلمية والبحث العلمي في الدراسة والتخطيط والتنفيذ[(١)].

ولكن عموما فإنّ التعريف الذي يميل إليه أغلب الباحثين هو ذلك التعريف الذي يضع في الحساب كل مناحي الحياة ولا يحصرها في عامل واحد، ولذا فإنّ التنمية لن تكون حقيقية ومستدامة حتى تشمل جميع جوانب البناء النسقي لها، فلا يحصر في كونها إسعاد الفرد والمجتمع عن طريق الزيادة في الدخل القومي والرفع من مستوى معيشة السكان مع تقليل التفاوت في الدخول، والقضاء على مظاهر الإسراف والتبذير، وإنما هي في جوهرها بالإضافة إلى ما تقدّم تنمية الإنسان على أساس مرجعية الاستخلاف تنمية ذاتية تغييرية تستهدف القضاء على الوهن المعنوي والمادي[(٢)].

وبهذا فإنّ مفهوم التنمية يطرأ عليه من حين لآخر تغيير حسب المجالات التي تغطيها التنمية وهذا تبعا ونتيجة لتطور حياة الإنسان وتقدمها.

وتكون التنمية شاملة أو موسعة، إذا عملت على "التغيير الإيجابي في حياة المواطنين بصورة عامة لا من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فحسب، ولكن أيضا من الجوانب التربوية والثقافية، وما يتصل بهما من بناء الشخصية الفردية والمجتمعية المتحررة من قيود التخلف والتبعية للمستعمر القديم"[(٣)].

---

(١)- "وجة نظر حول دور البحث العلمي في التنمية"، نضال محمد الريس، مجلة التعريب، عدد ٣، يونيو ١٩٩٢، ص ٩١.

(٢)- "اللغة والتنمية الثقافية أية علاقة؟"، عبد الرحمن العضراوي، مجلة كلية الآداب، بني ملال، المغرب، العدد ٠٤، سنة٢٠٠١، ص ٢٣٦.

(٣)- "اللغة العربية والتنمية الشاملة في المغرب العربي بين المبدأ والتطبيق، تونس =

وفي هذا العصر الذي نعيش فيه المتميز بانفجار مدوي لتقنيات الاتصال وتكنولوجيا المعلومات في العالم كله تشهد الحياة تغيرا متسارعا نحو تحقيق مجتمع المعرفة التي تساهم في تشكيله سرعة تنقل المعلومات والمعارف عبر شبكة الانترنت ووسائل الإعلام والاتصال، وهذا المجتمع يلعب دورا حاسما في تحقيق التنمية، وذلك من خلال تعزيز أنشطة البحث والتطوير لتعزيز التكنولوجيا، وتحسين أداء المؤسسات الخاصة وتعزيز بناء القدرات في العلوم والتكنولوجيا والابتكار، وتساعد هذه التقنيات على التغييرات الاجتماعية والاقتصادية، وتساهم في الربط بين الباحثين ورجال التعليم والمرشدين ومجموعات المنتجين ببعضها البعض وبمصادر المعلومات العالمية(١).

٢) واقـــع التنمية في الوطن العربـــي:

إنّ رصد واقع التنمية في الوطن العربي لا يحتاج إلى جهد كبير، بل هو واقع ماثل أمامنا يعيشه كل فرد عربي، وإنّ المطلع على تقارير التنمية الإنسانية العربية التي تصدر سنويا ويعدها خبراء في مختلف المجالات ومن عدة جهات، فإنه سيقف على هذا الواقع بالأرقام والإحصائيات التي تعكس مدى الفجوة الكبيرة التي يعاني منها الوطن العربي في التنمية، فرغم أنّ بعض الأقطار العربية تملك دخلا معتبرا نتيجة للثروات الكبيرة التي تزخر بها الأرض العربية كالبترول والثروات المعدنية إلاّ أنها تعاني من تخلف كبير في

= نموذجا" عبد اللطيف عبيد، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، العدد ٦٦، ديسمبر ٢٠١٠، ص ٢٨٣.

(١)- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشابكة: http:/ar.wikipedia.org.

مجالات التنمية المحددة في معايير التنمية[١].

إذ تشير الإحصائيات إلى أن نسبة الأمية في الوطن العربي تتعدّى ٤٠% ومستوى الخدمات الطبية متدنية، وأنّ أكثر من ٥٠% من سكان الوطن العربي يعاني من سوء التغذية وأنّ أكثر من ٥٠% من حاجات الوطن العربي الغذائية مستوردة من الخارج، ومتوسط دخل الفرد منخفض لا يفي بأكثر حاجاته الضرورية، كما يعاني معظم سكان البلدان العربية من سوء السكن واكتظاظه، ويشار إلى اليد العاملة العربية عموما بتدني مهاراتها فأكثر من ٤٠% منها هي عمالة غير مؤهّلة.

في مقابل هذا كله نرى دولا صغيرة كسنغافورة وهونغ كونغ التي لا تملك ثروات تذكر وبدأت من لا شيء باستثناء ميناء بحري، قد وصلت إلى معدلات قياسية في التنمية، وهذا باعتمادها على القوة الذاتية المتمثلة في علمائها ومهن سبيها[٢].

إنّ هذا الواقع التنموي العربي الموصوف سلفا حادث بالرغم من وجود سياسات تنموية تقوم بها الحكومات العربية منذ قيامها ومنذ حصولها على الاستقلال، وهي برامج جبارة بلا شك سعت إلى تحقيق التنمية في الوطن العربي.

أمّا فيما يتعلّق بالجانب التعليمي والعلمي والمعرفي وما يتعلق بالتكنولوجيا، وهو الأمر المحوري في مسألة التنمية، فإنّ السياسة التي اتبعتها

(١)- ينظر تقارير التنمية الإنسانية العربية منذ نشأتها سنة ١٩٩٠ إلى سنة ٢٠١٠.

(٢)- "تعريب العلوم ودوره في التنمية في الوطن العربي"،سعيد كناي، مجلة اللغة العربية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد ٠٣، ٢٠٠٠، ص ٦٢-٦٣.

معظم الأقطار العربية للحصول على التنمية لم تعط النتائج المرجوة منها، فمثلا بناء المعامل الجاهزة على طريقة المفتاح في اليد أو شراء التجهيزات العصرية لم يؤد إلى نقل حقيقي للتكنولوجيا، وحتى إرسال البعثات العلمية أدّى إلى زيادة هجرة الأدمغة إلى البلدان المتقدمة بدل زيادة الكفاءات العلمية في الوطن العربي، وأمّا الاعتماد على الخبرات الأجنبية في أكثر من ٨٠% من الاستثمارات الإجمالية فلم يساعد في الحصول على التقنيات العالمية(١).

ويعرف العالم العربي اليوم تبعية رهيبة في تكنولوجيا الإعلام والاتصال والمعلومات والتبعية هنا قد لا تكون مقتصرة على جانب التحويل لكنها مرتبطة بالتصميم والإنشاء والمراقبة والصيانة وما سواها، وهذه التبعية مصدرها الأساس هو كثافة المعرفة المتضمنة في هذه التكنولوجيات والمستوى شديد التعقد الذي يطبع برامجها ونظم التحكم فيها، ويأتي مصدرها كذلك بسبب ضعف البنى التحتية المستقبلة وهشاشتها، وتدنّي القدرة لديها على موطنة هذه التكنولوجيا ودمجها في النسيج الاقتصادي والاجتماعي لبلدانها(٢).

إنّ الجهود المبذولة في سبيل تحقيق تنمية شاملة في الوطن العربي هي جهود كبيرة ولا ريب في ذلك، ولكنها لم يكتب لها النجاح، كما نجحت بلدان كانت بالأمس القريب تعاني التخلف والتبعية، ولكن سياستها التنموية المنتهجة بإخلاص قد مكّنها من تحقيق نتائج قياسية في التنمية، فغدت نموذجا

---

(١) نفسه، ص ٦٣.

(٢)"العرب وشبكات المعرفة"، يحيى اليحياوي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٩.

يحتذى والأمثلة كثيرة في هذا المجال كبعض الدول الأسيوية.

إنّ التحدي الخطير الذي يواجه العرب اليوم أكثر من ذي قبل هو الفجوة الكبيرة في امتلاك التكنولوجيا وتوطينها خاصة منها تكنولوجيا الاتصال والمعلومات التي أصبح المعول عليها في تحقيق مجتمع المعرفة الذي يؤدّي بتحقيقه إلى تحقيق تنمية شاملة ومستديمة في مختلف مجالات الحياة(١).

٣) موقع اللغة العربية والتعريب في برامج التنمية العربية:

لقد كانت المسألة اللغوية حاضرة في أدبيات الحركات التحررية في الوطن العربي حتى حصلت على الاستقلال الوطني، وقد وعى هؤلاء السياسيون أهمية اللغة في تشكيل الهوية العربية في مقابل سياسة التغريب التي انتهجها المستعمر لفرض هيمنة على الشعوب العربية المستعمرة، فقد أدرك أهمية اللغة في الصراع الدائر بينه وبين الشعوب المستعمرة(٢).

واستمر الاعتداد بأهمية اللغة العربية ودورها في بناء الشخصية العربية في برامج التنمية العربية بعد حصول العرب على استقلالهم من مستعمريهم خاصة تلك البلدان التي خضعت للاستعمار الفرنسي، وإنه بإلقاء النظرة الخاطفة على خطابات زعماء الدول وساستها، أو في مواثيقها الوطنية نستطيع أن نلمس مدى الوعي العميق بأهمية اللغة العربية في النهوض القومي العربي، وهذا في العقود التالية للاستقلال ، فعلى سبيل المثال جاء في الميثاق

(١)- "تقرير التنمية الإنسانية العربية"، سنة ٢٠٠٣، ص ١٢٤ وما بعدها.

(٢)- "اللغة والاقتصاد" تأليف فلوريان كولماس، ترجمة أحمد عوض، مراجعة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر٢٠٠٠، ص ٦٢.

الوطني الجزائري: "أنّ الخيار بين اللغة العربية الوطنية ولغة أجنبية أمر غير وارد البتة، ولا رجعة في ذلك، ولا يمكن أن يجري النقاش حول التعريب بعد الآن إلاّ فيما يتعلّق بالمحتوى والوسائل والمناهج والمراحل"(١).

ولقد كان العمل في تلك السنوات في برامج الحكومة على التمكين للغة العربية وإحلالها المكانة اللائقة بها وجعلها وسيلة للنهوض العلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري ككل، وقد أنشأت لأجل ذلك هيآت ومراكز شغلها الشاغل وضع خطط وسياسات لغوية لتطوير العربية ولتعتني بالمصطلحات وترجمتها وتعريبها، وهذا لتكون العربية هي لغة التعليم في كل مراحله وفي مختلف فروع التكوين والتعليم، وكذلك تعريب المصالح الإدارية والوزارات وغيرها(٢).

ولكن الوضع لم يبق على ما كان عليه في إعطاء وإيلاء العربية الأهمية والمكانة التي تليق بها، حيث شهدت سياسات التعريب انتكاسة كبيرة في أواخر الثمانينات، وعاد من جديد التساؤل عن مدى صلاحية اللغة العربية للتعليم الجامعي وخاصة في المواد العلمية.

ولذلك فإن الإصلاحات التي مسّت المنظومة التربوية والتعليم الجامعي في السنوات الأخيرة قد عملت على الانتقاص من العربية وإعادة اللغة الأجنبية إلى ما كانت عليه في الأيام الأولى للاستقلال، وتراجع التعريب الجامعي ولم يبلغ الهدف

(١)- ينظر الميثاق الوطني الجزائري، ١٩٧٦، ص ٩٤.

(٢)- "مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء"، أحمد بن نعمان، ص ٢٤ وما بعدها.

المسطر له من قبل، وهكذا عاشت البلدان العربية خاصة المغاربية منها ازدواجية لغوية انعكست آثارها على حال التنمية، وتكونت في هذه الأقطار ظاهرة النخبة، وأعطي التمكين لأصحاب الثقافة باللغة الأجنبية منها، ممّا عرقل أي اتجاه ونهوض للمشروع التعريـــبي وعملت على نشر آراء وتصورات من شأنها أن تشكّك في مدى صلاحية العربية لتكون لغة العلوم والتقنية، ومن ثمّ أن تكون لغة حاملة لمظاهر التنمية.

كل هذه المعوقات التي عرفتها أغلب الدول العربية أمام التمكين للغة العربية رغم الجهود التي بذلت والميزانيات التي رصدت في سياسات التعريب والترجمة، قد أدت إلى مزيد من التبعية العربية للغرب في الجوانب الاقتصادية، وأدّى إلى تقهقر التعليم وجودته إلى نسب قياسية، وهذا الوضع هو الذي أدّى في الأخير إلى حدوث فجوة معرفية بين بلداننا العربية وبلدان العالم المتطور وأهمها تلك الفجوة الرقمية المرعبة في نظم المعلوماتية والاتصال والتقانة(١).

لقد أثّر هذا الوضع على وضع العربية الفصحى وأدّى إلى إحلال اللغة الأجنبية في مواضع لا تليق إلاّ باللغة العربية ومزاحمة العامية لها في منابر عديدة.

وأدّى هذا الوقع إلى واقع آخر وملازم له يتمثّل في:

- الإمعان في الاعتقاد بأنّ التنمية لا يمكن أن تحدث بالعربية، بل باللغات الأجنبية التي لها مقومات العصرنة والعلمية.

- الإمعان في تهميش العربية مهما يؤدّي إلى ركود العربية وتوقفها عن النماء والتطور ومواكبة العصر.

---

(١) "اللغة العربية والتنمية الشاملة في المغرب بين البلدان والتطبيق تونس نموذجا "، عبد اللطيف عبيد، ص ٢٩٠ وما بعدها.

٤) علاقة اللغة الأمّ بالتنمية:

استقطب أمر علاقة اللغة الأم بإحداث التنمية في بلادها اهتمام العلماء والباحثين في العقود الأخيرة، وإن استغرب كثيرون أمر هذه العلاقة لاعتقادهم أنّ التنمية لا يؤدّي إليها إلاّ العناصر المادية المتمثلة في رؤوس الأموال ووجود الشركات والمصانع والمواد الطاقوية والمعدنية، فهل توجد فعلاً علاقة ما بين اللغة والتنمية؟ وكيف تتمظهر هذه العلاقة؟.

إننا نجد الإجابة على هذه التساؤلات في آراء علماء شغلت بالهم الظاهرة اللغوية ومسألة التنمية، وعندما نطلع على هذه الآراء والبحوث والتقارير في مؤلفاتهم، وفي تقارير التنمية، ودراسة الحالات لنماذج معيّنة لدول حققت التنمية المنشودة، فإننا نجدها تدلل على وجود هذه العلاقة من خلال أمرين حاسمين وهما:

– **الأمر الأول**: وهو كون اللغة الأم هي المحرك الأساسي لكل إبداع وابتكار، وأن لا نهضة قامت على وجه الأرض وكانت بعيدة عن اللغة الأم، أو أنها قامت بلغة أجنبية عن هذه الأمة.

– **الأمر الثاني**: وهو أنه في مفهوم التنمية المعاصرة التي ترتبط بتكوين مجتمع المعرفة فإنّ اللغة الأم تلعب دورا حاسما في تشكيل هذا المجتمع الذي يؤدّي حتما على تنمية مستدامة وشاملة، وفيما يلي تفصيل لهذين الأمرين:

أ) من حيث كون اللغة الأمّ هي المحرّك الأساسي لكل إبداع وابتكار:

في بداية التنظير لأمر التنمية في بدايات القرن العشرين لم يكن أحد من المعنيين بالتنمية عناية نظرية وتطبيقية يعتقد أن التنمية الفاعلة ممكنة من دون تراكم رأس المال والتصنيع وقوة العمل والعلاقات المؤسسية الطابع بين

رأس المال والعمال وسوق حرة نوعا ما[١].

ولكن بعد النّظر العميق في الخلفيات الواقعة وراء حدوث التنمية فإنه أصبح واضحا أنّ التنمية الاقتصادية لا يمكن أن تكون أو تتواصل مستقلة عن التغيرات الاجتماعية السياسية والثقافية[٢].

هذا الكلام هو ما أقرّه العالم الكبير فلوريان كولماس، وهو يحاول أن يربط العلاقة بين اللغة والاقتصاد، وقد استشهد في حكمه هذا بأقوال بعض فلاسفة ومفكري العصر الحديث، حيث يقول: إنّ غاندي[٣]. على الرغم من أنه عزا أهمية عظيمة لمسألة اللغة القومية لأنها رمز سياسي قبل كل شيء، فقد أشار مرارا إلى الجوانب الاقتصادية لهذه القضية، فقد أعلن منذ وقت مبكر في العام ١٩٢٠م أنّ: "الأمة قد عانت معاناة شديدة بسبب إجراءات سير العمل في الكونغرس التي تدار بشكل كامل تقريبا باللغة الإنجليزية، وقبل الاستقلال بسنوات قليلة كان غاندي أكثر تحديدا: "علينا أن نفكر في الوقت والجهد الذين بذلهما شبابنا في تعلم اللغة الانجليزية كما لو كانت لغة أمّ لنا، وأن نحسب بعملية حسابية بسيطة عدد السنوات ومقدار الجهد الثمين الذين يضيعان على الأمة"[٤].

إنّ هذا الكلام يوضّح المرارة التي شعر بها غاندي حيال الوضع

---

(١) نفسه، ص ٦٠.

(٢) نفسه، ص ٦٢.

(٣) سياسي بارز وزعيم روحي للهند خلال حركة استقلال الهند.

(٤) "اللغة والاقتصاد"، ص ٦٣.

اللغوي الذي ساد الهند بسبب خضوعها للاستعمار الإنجليزي، حيث حلت اللغة الإنجليزية محل اللغة الهندية في عملية التعليم.

وفي موضوع آخر، نجد "غاندي" يغبط اليابانيين على وضعهم إزاء لغتهم، فهو يعدّ اليابان النموذج الذي يجب أن يحتذى لأنه كما هو معروف فإنّ اليابان عكس الهند لم تكن تستعمل فيه لغة أجنبية وسيلة للتعليم، وبدلا من ذلك فإنّ كل ما ينتجه الغرب يترجم إلى لغة البلاد، وبهذا الجهد اقتصد اليابانيون في جهدهم، وهو يضيف في مكان آخر: "هؤلاء الذين يرغبون في تعلم لغات أجنبية إنما يقومون بهذا من أجل إغناء الثقافة اليابانية بالفكر والمعرفة التي لا يمكن أن ينتجها إلاّ الغرب وحده، وهم حريصون على أن يترجموا إلى اليابانية كل ما هو جدير بأن يؤخذ من الغرب...والمعرفة المتحصل عليها تصبح عندئذ ملكية قومية"(١).

إنّ هذا موقف أحد الزعماء الروحيين والمصلحين الاجتماعيين في الهند، وهو يرى أنه لا يوجد أصلح من الاعتماد على اللغة الأم في النهوض بالتنمية، ولا يوجد أسوأ عليها من اعتماد اللغة الأجنبية في ذلك.

فاللغة الأم أو اللغة الوطنية أو القومية وهي عندنا اللغة العربية الفصحى، هي أهمّ عوامل النهوض بالجانب العلمي والمعرفي الذي من شأنه أن يؤدّي إلى إحراز النهوض المنشود وما التنمية إلاّ وجها لهذا النهوض، ويوضّح عثمان سعدي ذلك بقوله: "إنّ أسباب تدنّي مستوى التعليم والبحث العلمي كثيرة ومنها قلة الموارد البشرية والمالية وضعف التخطيط، لكن لا يمكن أن نغفل أنّ للغة التعليم أثرا كبيرا على مستوى التحصيل العلمي للطلاب ومدى استيعابهم للدروس التي

---

(١) سفير جزائري سابق، ورئيس الجمعية الوطنية للدفاع عن اللغة العربية بالجزائر.

يتلقونها، وهو ما يفسر كون دول العالم تفرض اللغة الوطنية كلغة أساسية في التعليم ذلك أنّ توظيف التكنولوجيا لا يكون إلا باللغة الوطنية لجعلها متداولة على مستوى الناس العاديين[١].

ويؤكّد هذا الكلام عبد الله النفيسي[٢]. بل ويزيده وضوحا بقوله: "إنّ تجاوز مرحلة التخلف التي تعيشها الأمة العربية حاليا لا يمكن أن يحدث إلاّ إذا تمكنت من ولوج مرحلة الإبداع والكف عن ملاحقة النموذج الغربي وتقليده وتمثيله ومعاناة كل ما يفرزه ذلك التقليد والتمثيل، واستعمال اللغات الأجنبية لا يقودنا إلى مرحلة الإبداع، وبالتالي لا يمكن أن يحررنا من تخلفنا الاقتصادي والاجتماعي، وإنّ استعمال اللغات الأجنبية لا يساعد على خدمة مصالحنا، وإنّما يساعد الدول الأجنبية على بقائنا حيث نحن في حالة من التبعية العلمية والفكرية للعالم الغربي، وهو وضع لا يمكن أن يخدم هدف التخلف أو التغلب عليه تدريجيا"[٣].

ولا يمكن أن نغفل في هذا السياق كلام اللساني البارز في العالم العربي عبد السلام المسدي[٤]، في هذا الشأن حيث قال: "إنّ من له قدر من

(١) تعريب العلوم والتكنولوجيا وتوطينها"،عثمان سعدي، يومية المساء الجزائرية، العدد الصادر يوم ١٥/١٠/١٩٩٩.

(٢) مستشار سياسي، مجلس الأمة الكويتي.

(٣) "البعد السياسي لقضية اللغة العربية"، عبد الله النفيسي، ضمن كتاب اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، سلسلة كتب المستقبل العربي، عدد ٤٦، مركز دراسات الوحدة العربية، أكتوبر ٢٠٠٥، بيروت، ص ٦٣.

(٤) لساني تونسي، عضو مجمع اللغة العربية في تونس وطرابلس ودمشق وبغداد، وزير =

الحصانة يعرف أنه من المعتذر عن أي مجتمع أن يؤسس منظومة معرفية دون أن يمتلك منظومة لغوية تكون شاملة مشتركة متجذرة، حمالة للأبعاد المتنوعة فكرا وروحا وإبداعا، فاللغة هي الحامل الضروري المحايث لكل إنجاز تنموي، والذي له ذلك القدر الأدنى من الروية والرجحان عليه أن يعرف أنّ اللغة بما هي موضوع للتعليم وللبحث والإنتاج ركن أساسي في كل مشروع اقتصادي...ثم متى يسلم أصحاب الأمر أنّ السيادة السياسية مستحيلة بدون سيادة ثقافية لغوية وأنّ امتلاك لغة الآخر وليس له اعتبار تقديري في السياسة والاقتصاد والثقافة إلا إذا استند إلى مرجعية لغوية قومية تعين الأنا على أن يقف ندّا للآخر؟، ولكننا في كل ما هو باد على السطح الدولي أمّة بلا مشروع لغوي، نحن مجتمع يريد أن يبني منظومة تنموية وهو يغمض العين عن مأزقه اللغوي المكين"(١).

وهذا إبراهيم السامرائي(٢) في معرض ردّه على الفريق الذي يرى في اللغة الأجنبية الدافع لإحداث التنمية متهما العربية بالقصور والتخلف حيث يقول: "لقد جهل هذا الفريق ذو الحماسة إلى اللغة الأجنبية أنّ إيصال العلم بالعربية تفرضه عملية التنمية الواسعة ذات البرامج المعدة للنهوض بالفرد

= وسفير سابق.

(١) "العرب والانتحار اللغوي"،عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، يناير ٢٠١١، بيروت، ص ٢١-٢٢.

(٢) لغوي عراقي، عضو في المجمع اللغوي بالقاهرة والأردن وفي المجمع الهندي، وفي الجمعية اللغوية الفرنسية.

وكيانه وشخصيته وبنائه بناء سليما مزودا بالعلم ذا صحة وكمال في الجسم والعقل، وجملة ذلك تهيئته للانطلاق في مناحي الحياة الإنسانية المعاصرة في الزراعة والصناعة وسائر متطلبات العصر، وهذه الأشتات التي لابدّ منها تؤلّف البنية الأساسية في عملية التنمية التي تفرض على القائمين بها أن يعملوا على تكوين الهوية الوطنية والقومية لبلدهم إذا كان هذا هو النظر السّديد الذي اتفق عليه ذوو العقول الراجحة، فهل ترانا نقبل أن تؤدّي هذه الحضارة المعاصرة ومتطلباتها الكثيرة بلغة أجنبية؟"[(١)].

لقد أدّى تعليم العلوم باللغات الأجنبية في جامعات الدول العربية، بل وإلى استعمالها في كثير من مجالات الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية إلى حدوث ازدواجية لغوية مقيتة أدّت إلى تشكيل نخبتين مثقفتين بلغتين مختلفتين، فئة مثقفة باللغة العربية، وهي بلا شكّ فئة أصيلة، وأخرى مثقفة باللغة الأجنبية ممّا أدّى إلى خلخلة كبيرة في عملية التعليم وأنتجت مجتمعا غير متوازن بل مضطربا فكريا وثقافيا، وهذا بطبيعة الحال قد أثّر على العملية التنموية بشكل دائم وعطلها إلى أجل لا يعلم مداه إلاّ الله، وفي هذا يقول أحمد بن نعمان[(٢)]: "...إنّ ما يحدث في الوقت الراهن في البلدان العربية من ازدواجية لغوية ومن صراع بين البلدان الأصيلة ومظاهر الحضارة

---

(١) "في شعاب العربية"، إبراهيم السامرائي، ط١ ،دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠، ص ٣٢٨.

(٢) مفكر جزائري، عضو في المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، ومدير عام للدراسات والبحوث بالمعهد الوطني للدراسات الإستراتيجية الشاملة بالجزائر.

المادية المستوردة يجعل شخصية هذه البلدان مخلخلة، كما يجعل ثقافتها غير مكتملة العناصر وغير متجانسة بين العقل والعاطفة، وهو أكبر حائل دون تحقيق التقدم الحضاري الذي يرقى إلى مستوى الحضارات التي حققتها المجتمعات المتقدمة في عصرنا الحاضر على أساس الانسجام الكامل بين اللغة والثقافة والحضارة"(١).

فاستعمال اللغة الأم أو اللغة الوطنية في مجال المعرفة والعلم والتكوين الجامعي والتقني سيؤدّي حتما إلى الإبداع بهذه اللغة والابتكار، ويؤدّي كذلك إلى امتلاك التكنولوجيا وتوطينها، وعلى هذا الأساس فإنه يتوجّب على الدول العربية كما يقول ابن نعمان التخطيط المستقبلي لتجاوز مرحلة الاستيراد الجاهز إلى مرحلة الخلق والإبداع الذاتي لتلك الآلات والأجهزة العلمية وإضافة اختراعات جديدة تحسب للحضارة العربية الإسلامية، وهو أمر لا يتم للعرب إلاّ بلغتهم وفي مناخ ثقافتهم الأصلية ذات التاريخ المديد، وذلك لأنّ الرقي الثقافي والحضاري لأيّ مجتمع من المجتمعات في العالم لا يتحقق بمعزل عن الرقي اللغوي الذي ينمو ويتطوّر فيه وبه فكر الأفراد"(٢).

لم يقتصر أمر التدليل على وجود علاقة وطيدة بين اللغة الأم والتنمية الشاملة على العلماء والباحثين السابقين وغيرهم، بل إنّ المؤسسات والهيآت ذات الطابع الاقتصادي والإنمائي في تقاريرها تؤكّد على وجود هذه العلاقة بل وتنوّه بأهميتها، والتقارير التنموية هي تقارير ميدانية تعتمد على

---

(١) "مستقبل اللغة العربية"، أحمد بن نعمان، ص ١٠٨.

(٢)"مستقبل اللغة العربية"، أحمد بن نعمان، ص ١٠٩.

الإحصائيات والأرقام ودراسة الحالات.

فعندما ننظر في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣م نجده في بداية حديثة يؤكّد على أهمية اللغة الأمّ وضرورتها في الرقي والنهوض حيث يقول: "لعلّ اللغة هي أبرز سمات المجتمع الإنساني، وما من حضارة إنسانية إلاّ وصاحبتها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلاّ ويبطن في جوفه صراعا لغويا، واللغة هي الأداة التي تصنع من المجتمع واقعا..." (١).

ولا تشذّ العربية عن هذا الوصف خاصة وأنها لغة حملت دينا عظيما هو الإسلام ممّا جعلها لغة عالمية، وهُيئت بذلك لاحتضان علوم الأمم السابقة لها في الحضارة من إغريق وهنود وفرس، هذه العلوم التي انتقلت بدورها إلى الأوروبيين في عصر النهضة.

وفي تقرير أعدّته لجنة من خبراء اليونسكو كلفت بدراسة مسألة الحفاظ على اللغات الوطنية للشعوب النامية وتطورها والتدابير التي يمكن اتخاذها للتعجيل باستعمالها في التعليم استجابة لرغبات هذه الشعوب وعلى أساس التجارب المعروفة في البلدان الأخرى أكدّت لجنة اليونسكو هذه أنه لا يوجد أي عائق في نظام لغة ما يحول بينها وبين جعلها لغة حضارية حديثة، وترى هذه اللجنة أنه إذا كانت اللغة الأم كفيلة بأن تكون لغة للتعليم الجامعي والتقني فإنّه يجب استعمالها لهذا الغرض(٢).

---

(١) "تقرير التنمية العربية الإنسانية لعام ٢٠٠٣"، ص ١٣٢.

(٢) "دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية"، إدريس كتاني، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، المجلد ١٠، =

وفي سنة ١٩٦٣م طلبت الحكومة المغربية من البنك الدولي للبناء والتنمية بدراسة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب، فجاء موقفه متفقا مع موقف اليونسكو السابق، حيث إنه في التقرير الذي أعدته بعثة البنك، وبعد أن قضت في المغرب شهرا في الدراسة والبحث نصحت الحكومة المغربية ومن وجهة نظر اقتصادية بحتة بأن تضع حدّا للتعليم باللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية توفيرا لــ٣٠% من وقت التلاميذ والمعلمين، وتوفيرا لنحو ٧٠ ملايير من الفرنك التي تنفق بدون طائل في هذا المجال، وتخفيض هذا المبلغ الضخم في طبع الكتب وتكوين المعلمين، بالإضافة إلى نصائح أخرى في التقرير تتعلق بتخطيط سياسة وطنية ملائمة لحاجة المغرب ومصالحه[١].

وزيادة على هذه التقارير، يفيدنا في هذا البحث كذلك أن ندرج نموذجا لدراسة أكاديمية علمية أنجزت لأجل هذا الموضوع، حيث تناول صاحبها نموذجا وتجربة في التنمية يشار إليها بالبنان، يتمثّل في النموذج الكوري، وكان هذا البحث موسوما بــ"التعليم والتنمية الشاملة دراسة في النموذج الكوري"، فبعد أن ذكر أنّ الكوريين يتحدثون ويكتبون لغة واحدة هي اللغة الكورية والتي هي الركيزة الأساسية لهوية الأمة الكورية[٢]،

= الجزء١، يناير ١٩٧٣، ص ٣٨-٣٩.

(١) "دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية"، إدريس كتاني، مقال سابق، ص ٣٩.

(٢) "التعليم والتنمية الشاملة دراسة في النموذج الكوري"، عبد الناصر محمد رشاد، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٩.

خلص في آخر بحثه إلى أنّ: على كل مجتمع من المجتمعات النامية إن أراد لنفسه التقدم وتحقيق الرخاء أن يدمج ما بين قيمه الثقافية والسلوكية المعبرة عن طابعه القومي وعقيدته التي يعتنقها من ناحية وممارساته السلوكية والحياتية من ناحية أخرى، ومن ثمّ من خلال تفعيل تلك العقيدة يمكن إحراز قدر كبير من التنمية والتقدم، وعلى ذلك فالتنمية الحقيقية هي بنت بيئتها ووليدة الظروف المجتمعية، وبالتالي فإنّ استيراد نماذج تنموية من الخارج يفقد هذه العملية مصداقيتها"(١).

ولاشكّ فإنّ اللغة القومية هي أهمّ عامل مشكل ومكوّن للقيم الثقافية والسلوكية لأي مجتمع، فالمجتمع الكوري حسب هذه الدراسة قد حقّق نجاحا في التنمية يعترف بها الجميع، وقد كانت لغته هي لغة التعليم في كل المراحل والمواد الدراسية، وقد انفتح على العالم الخارجي بتعليم أبنائه لغات أجنبية كذلك، وهو لم يستورد النموذج الغربي ثمّ حاول تطبيقه كما تفعل كثير من الدول.

فإذا كان هذا هو حال المجتمع الكوري، فما الذي يمنع العرب من النهوض مستفيدين من هذه التجربة، خاصة وأننا نُعرف بقيمنا وحضارتنا التي تعطينا الثقة في نفوسنا دائما، وهي التي تدفعنا إلى أن نأمل ونطمح لأن نسترجعها في يوم ما.

ولا يقتصر الأمر على النموذج الكوري، بل يعد اليابان نموذجا في اعتماده على قيمه وخاصة لغته في تحقيق نهضته وتنميته، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، ويذكر لنا أحمد بن نعمان قصة طريفة للأستاذ أحمد بهاء الدين تؤكّد ما ذهبنا إليه، حيث أنه تعرف على الملحق الصحفي الشاب بسفارة اليابان بالقاهرة، وعرف عنه

---

(١) نفسه، ص ٢٤٦.

مواظبته الشديدة لتعلم اللغة العربية بشكل دقيق، وعندما سأله عن سبب ذلك، أخبره بأنه مكلف بمهمة أخرى محدّدة زيادة على العمل الدبلوماسي وهي دراسة اللغة العربية دراسة دقيقة وعميقة، تمكّنه من أداء غاية معيّنة بعد سنوات وهي ترجمة كتاب مقدمة ابن خلدون إلى اللغة اليابانية(١).

ويستفاد من هذه القصة أنّ اليابان وهو يسعى إلى تحقيق نهضة حضارية بعد الحرب العالمية التي خرج منها مدمرا، حيث أعاد بناء نفسه من الصفر ليحقق بعد سنوات قياسية نهضة صناعية وقاعدة تكنولوجية بديعة، وقد أدرك أنّ النهضة الصناعية لا تتمّ بعيدا عن الجانب الثقافي واللغوي، فكان يهتم بترجمة كل المعارف الإنسانية إلى لغته القومية، وها هو يسعى إلى ترجمة كتاب ابن خلدون، ونحن نعرف أهمية هذا الكتاب وقيمته في فلسفة علم الاجتماع اليوم.

إنّ هذه المعاني كلها لخصها لنا أحمد بيرم في قولة شهيرة وهي: "إذا علمت شخصا بلغته فقد نقلت العلم إلى تلك اللغة، أمّا إذا علمته بلغة أخرى فلم تزد على أنّك نقلت ذلك الشخص إليها"(٢).

في نهاية هذا العنصر الذي خصصناه لذكر العديد من الآراء لعلماء وخبراء ومضامين لتقارير تنموية عالمية وإقليمية، وخلاصات لأبحاث علمية أكاديمية كلها تؤكّد على أن اللغة القومية، وهي هنا اللغة العربية الفصحى، نظرا لأنها لغة الهوية واللغة المشتركة للعرب، فهي اللغة المفترض فيها أن

---

(١) "مستقبل اللغة العربية"، أحمد بن نعمان، ص ١٠٩.

(٢)- "اللغة العربية والتنمية الشاملة بين المبدأ والتطبيق تونس نموذجا "، عبد اللطيف عبيد، مقال سابق، ص ٢٩١.

تحقق الإبداع والابتكار، وهي الدافع المهم وراء تحقيق التنمية المستدامة للبلدان العربية وإن اللغة الأجنبية لا يمكنها أبدا أن تنقلنا إلى عتبة التقدم ولا يمكنها أن تحقق التنمية المنشودة، وهي لن تقوم إلاّ بتكريس التبعية الثقافية والعلمية والتبعية لدول هذه اللغات وتؤدّي إلى تكريس ظاهرة نقل التكنولوجيا وليس توطينها.

ب) من حيث كون اللغة الوطنية هي العامل الحاسم في تشكيل مجتمع المعرفة المؤدّي إلى حدوث تنمية شاملة:

يتجه الفكر التنموي والاقتصادي الجديد اليوم إلى الاهتمام بفكرة مجتمع المعرفة الذي يؤدّي إلى حدوث تنمية شاملة، وإنّ مجتمع المعرفة في تحققه يحتاج إلى عدة وسائل منها إغناء المحتوى الرقمي لكل المعارف والعلوم، وفي كل هذا لابدّ أن تكون المعرفة منتشرة بشكل واسع في المجتمع، وتلعب اللغة الأم الدور الحاسم في كلّ ذلك، فما هو تعريف مجتمع المعرفة؟ وكيف تكون اللغة عاملا في إنشاء مجتمع المعرفة؟.

١- مفهوم مجتمع المعرفة:

يقصد بمجتمع المعرفة أو مجتمع المعلومات التحول من مجتمع صناعي تكون فيه المعلومات أكثر اتساعا وتنوعا، وهي القوة المسيطرة، المجتمع الذي يشتغل معظم أفراده بإنتاج المعلومات أو جمعها أو اختزانها بكميات ضخمة وتنوع بشكل ضخم، وتصبح لها قوة التأثير على اقتصاد المجتمع الذي يقوم أساسا على المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي كما أن مجتمع المعلومات يرتكز أساسا على إنتاج المعلومة والحصول

عليها، واستغلالها في خدمة أهداف التنمية والتطوير.

وبالنسبة للدول النامية فالدخول في مجتمع المعلومات يتطلب ضرورة نقل وتوطين التقنيات المعلوماتية وبالتالي توفير بنى أساسية من أجل الاستثمار لتنمية صناعة الاتصالات والمعلومات، ويتطلب كذلك تخطّي الحاجز اللغوي في تقنيات المعلومات والاتصالات(١)، وإغناء المحتوى الرقمي والذي هو نتاج معالجة البيانات، وعلى المعارف وهي الخبرات والتجارب البشرية عبر التاريخ والحضارات والأجيال، ووسائطه في ذلك شبكة المعلومات المتمثلة في الإنترنت ومختلف الثقافات التابعة لها، وكلّما تقدّم المجتمع في استعمال الثقافة يعدّ ذلك مؤشرا على دخوله مجتمع الموضة، وثمة قياسات ومؤشرات محددة يتطلبها تقديم مجتمع المعرفة في بلدها، ومن هذه المؤشرات مثلا عدد الباحثين والمهندسين المعلوماتيين، وعدد المنتجات البحثية والتعليمية ونسبة مستخدمي الشابكة ودرجة انتشار الشابكة في مختلف مناطق البلد وقياسات أمية الحاسوب ومؤشرات استخدام الرموز واللغة القومية، ومؤشرات الترجمة المعلوماتية(٢).

---

(١) ينظر موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: http:/ar.wikipedia.org

(٢)- "مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي"، علي محمد رحومة، ط١، الجامعة المغاربية، طرابلس، ٢٠٠٧، ص ٤٤.

٢- دور اللغة العربية في تشكيل مجتمع المعرفة في الوطن العربي وعوائد ذلك على اقتصاد المعرفة وتحقيق التنمية:

يرى نبيل علي[١] أنّ دور اللغة يشهد تعاظما في مجتمع المعرفة، ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة منها، محورية الثقافة في مجتمع المعرفة، وهي المحور الأساسي للتنمية المجتمعية الشاملة، حيث تزداد علاقة اللغة توثيقا مع جميع فروع المعرفة على اختلاف أنواعها فلسفة وعلوما وفنونا[٢].

وتؤدّي اللغة دورا أساسيا في اقتصاد المعرفة، ومن المنتظر أن يتعاظم هذا الدور مع اتساع مجالات المعلوماتية في تطبيقاتها التعليمية والثقافية، ومن هنا يعدّ التخلف اللغوي تنظيرا وتعلما واستخداما ومعالجة آلية بواسطة الحاسوب من الأسباب الرئيسية للفجوة الرقمية، وهذا يفسّر ما تبديه شعوب العالم حاليا من اهتمام شديد بلغاتها القومية فيما يتعلق بالشابكة، وتكمن الفرصة الرئيسية لتطوير المحتوى الرقمي العربي في وحدة اللغة بين البلاد العربية وفي التواصل الثقافي والاجتماعي بين أقطارها، إذ إنّ وحدة اللغة تتيح فرصا لإيجاد سوق واسعة تضمّ في الحاضر ما يزيد عن ٣٥٠ مليون نسمة من مجالات الإعلام والترفيه والأعمال والتجارة، والتفاعل الثقافي والاجتماعي يخلق حافزا للمقارنة والمنافسة بين البلدان

---

(١)- مفكر مصري بارز وخبير في المعلوماتية، يعمل حاليا مدير لمؤسسة النظم المتقدمة متعددة اللغات.

(٢)- "الإنترنت ونقل المعرفة في الوطن العربي"، نبيل علي، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي، دمشق، جوان ٢٠٠٩، وينظر كذلك تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنة ٢٠٠٣، ص ١٣٣.

العربية في كل المجالات[١].

فالحديث عن مجتمع المعرفة لا يعزل عن الحديث عن المحتوى الرقمي وكلاهما لا يمكن أن يكون إلاّ باللغة العربية في الوطن العربي لأنّ من خصائص مجتمع المعرفة أن تكون المعرفة منتشرة بشكل موسع وليس مقصورة على فئة معيّنة ولذلك لم يطلق تسمية نخبة المعرفة، بل يفترض فيه أن يساهم كل أفراد المجتمع في صياغة هذا المجتمع، ووسيلته في ذلك حتما هو تقنيات الاتصال الحديثة الرقمية وأهمها هو الشابكة.

فبتزايد التحول نحو مجتمع المعرفة والتحول نحو الرقمنة على الشابكة برزت إلى السطح أهمية استخدام اللغات الوطنية للحدّ من الاعتماد الكامل على اللغة الإنجليزية بالخصوص، وهذه اللغة (الإنجليزية) لا يمكنها أن تشكّل مجتمع المعرفة بأي حال من الأحوال في الوطن العرب[٢].

ويوصف المحتوى الرقمي العربي بأنه ضئيل جدا أمام المحتويات الرقمية باللغات الأخرى، ومن الشواهد على هذا الضعف أنّ محتوى الموسوعة العربية الحرة من حيث الحجم لا من حيث المضمون يماثل تقريبا ربع مستوى مقابلتها السويدية، علما أنّ متكلمي السويدية لا يزيد عن تسعة ملايين في حين أنّ متكلمي العربية يزيدون على ٣٠٠ مليون، وحتى عام

(١) "المحتوى الرقمي العربي"، أبو السعود إبراهيم، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي، دمشق، جوان ٢٠٠٩.

(٢) "واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير"، محمود السيد، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، عدد ٦٦، ديسمبر ٢٠١٠، ص ٦٠.

٢٠٠٨ كان عدد المقالات المنشورة على الموسوعة العربية الحرة ٧٧٠٠٠ مقالا تقريبا، وفي اللغة السويدية نحو ٢٩٠٠٠٠ مقال[١].

ومع اتجاه العالم إلى اقتصاد مبني على المعرفة وتبين مدى الدّور الذي تلعبه اللغة الوطنية من أجل إرسائه وتبلوره، ظهرت في الآونة الأخيرة نظريات اقتصادية تصف وتوضح وتفسر هذا التوجه، وأهمّ هذه النظريات نظرية النمو الجديدة، التي تبيّن أهمية المعرفة العلمية والتكنولوجية في النمو المستدام، وبالتالي في توليد فرص العمل وزيادة دخل الفرد وفي التنويع الاقتصادي.

وبهذا فإنّ تمكين اللغة العربية بتعريب العلوم والتكنولوجيا بهدف استعمال القوى العاملة العربية هذه اللغة أصبحت الضرورة ملحة وجوهرية لتلعب دورا فاعلا في النمو الحقيق للاقتصاد العربي، وفي تحوله من اقتصاد ريعي متواكل علميا وتكنولوجيا إلى اقتصاد ينمو نموا مستداما مع إحراز قيمة مضافة عالية[٢].

ويقدم لنا الخبير العالمي في شؤون الاقتصاد والتكنولوجيا محمد المراياتي[٣] شرحا مهمّا لبعض النظريات العالمية المعاصرة لعلماء اقتصاد كبار

---

(١) "المحتوى الرقمي العربي صورة لحقيقة"،نور الدين شيخ عيد، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي، دمشق، جوان ٢٠٠٩.

(٢) أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي"، محمد المراياتي، ضمن كتاب أسئلة اللغة لمجموعة من المؤلفين، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، يوليو ٢٠٠٢، ص ٠٩.

(٣) مستشار العلم والتكنولوجيا لدى الأسكوا اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا.

يربطون فيها اللغة بإنتاج اقتصاد المعرفة.

فقد أدخل "سولو"، عالم الاقتصاد المعروف والحائز على جائزة نوبل، عامل التقدم التقاني على النظرية الكلاسيكية للنمو الاقتصادي، أمّا "بول رومر" من جامعة ستانفورد والمرشح لجائزة نوبل لإنتاجه نظرية سميت ""بنظرية النمو الجديدة"[(١)].

وتتلخص هذه النظرية فيما يلي:

١- أنّ اللغة هي وعاء المعرفة العلمية والتكنولوجية، فمعدل النمو الاقتصادي يتناسب مع معدل النمو التكنولوجي ومع المستوى التكنولوجي، ويدخل في المستوى التكنولوجي المستوى المعرفي للقوى العاملة أو رأس المال البشري، وهذا كله لا يمكن أن يحدث بعيدا عن تعميق التعليم باللغة الوطنية.

٢- وتؤثّر اللغة العلمية والتكنولوجية الحاصلة بلغة الأم في التكامل الاقتصاد والاجتماعي للأمة حسب رأي العديد من الاقتصاديين انطلاقا من وظائفها الاقتصادية المختلفة.

٣- إنّ تعلم اللغة العلمية والتكنولوجية هو خيار اقتصادي فردي وحكومي يجب ألا يترك لقانون السوق حسب رأي بعض الاقتصاديين.

إنّ إتقان لغة العلم والتكنولوجيا من قبل أفراد المجتمع وبالتالي كسب رأس مال بشري له عائد اقتصادي، هذا العائد يزداد كلّما أتقن الفرد استعمال لغة العلم والتكنولوجيا، وهذا الإتقان يتأثر بجودة اللغة من قبل الأساتذة وجودة المناهج والطرق المستعملة في التعليم.

---

(١) "أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي"، محمد المراياتي، ص ١٢.

- أمّا "نموذج العائدات المتأتية من التشبيك" فيعني عند أصحابه أن تعلم اللغة العلمية والتكنولوجية من قبل الفرد يشكّل زيادة في عدد الأفراد الذين يعرفونها وبالتالي فائدة اقتصادية للجميع، ويشبه هذا النموذج حالة الهاتف أو الفاكس والإنترنت، فكلّما زاد عدد المشتركين عليها وفيها كلّما استفاد الجميع وكلّما كان عائدها أكبر للجميع.

- وإنّ ترجمة وتعلم العلوم والتكنولوجيا للغة الأم وبلغة الأم يعمّم الفائدة على المجتمع ككل، وعدم نشر لغة العلم والتكنولوجيا في المجتمع يؤدّي إلى خسارة المجتمع ككل(١).

- وإنّ تعلم وتعليم العلوم بلغة أجنبية وعدم نقلها إلى القوى العاملة له مردود وعائد اقتصادي إيجابي على الفرد المتعلم ولكنه يضرّ المجتمع ككل.

ويؤدّي تعليم العلوم والتكنولوجيا بغير اللغة العربية إلى ما يلي:

- إضعاف الطلب على الترجمة العلمية والتكنولوجية، وهذا هو الجاري في العالم العربي اليوم.

حصر المعرفة العلمية والتكنولوجية لدى نخبة الأمة وعدم ترجمتها إلى المجتمع وقواه العاملة العريضة، وبالتالي عدم تكلم القوى العاملة لغة العلم والتكنولوجيا، وقد شبّه أحد الباحثين في اقتصاد اللغة هذه الحالة بأنّ الأمة تصبح رؤوسا بلا أجساد، وأجساد بلا رؤوس(٢).

وأخيرا فإنّ استفادة العالم العربي من الفرص التي سيتيحها اقتصاد

(١)- "أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي"، محمد المراياتي، ص ٢٩.

(٢)- نفسه، ص ٣٣-٣٤.

المعرفة، وأخذ حصته منه، وتجنب مخاطر عدم مواءمته مع التحديات التي سيأتي بها هذا الاقتصاد، فهذا يتطلب من العالم العربي التمكين للغة العربية، وهذا يكون بما يلي:

١- تعليم العلوم بالعربية وهذا يساعد في توطين المعرفة.

٢- الاهتمام بالترجمة إلى العربية وهذا يساعد في نقل المعرفة.

٣- الاهتمام بنشر الثقافة الحاسوبية للمساهمة في نشر وتشبيك المعرفة والاستثمار فيها كذلك.

٤- تعلم اللغة الأجنبية خاصة اللغة الإنجليزية لكونها توفّر القدر الأكبر من المعرفة حاليا[(١)].

هذه هي أهم النظريات الحديثة في اقتصاد المعرفة التي تعطي للمعرفة بعدا اقتصاديا، ولا ينكر دور اللغة الوطنية في اكتساب المعرفة وتوليدها ونشرها واستثمارها.

ثالثا: دور التنمية المستدامة المحملة باللغة العربية في تنمية هذه اللغة وتطويرها:

لقد كنا في المبحث السابق نكثر الحديث عن أثر اللغة العربية في إحداث التنمية الشاملة المستدامة، ورأينا بكلّ الأدلة المساقة، أنّ التنمية المستدامة لن تحدث بعيدة عن اللغة الوطنية في البلدان العربية، وأنّ الاعتقاد

---

(١)- "اقتصاد المعرفة وتكنولوجيا المعلومات والتعريب"، محمد المراياتي، الأسكوا، بيروت، بحث بصبغة ب د ف على الشابكة، ص ٤/٥.

بأنّ اللغة الأجنبية التي تقوم بهذا الدور في وطننا العربي ما هو إلاّ حديث مزعوم، وهو في الحقيقة لن يؤدّي إلى حدوث التنمية المنشودة، بل في الحقيقة لن يكرّس إلا التبعية والتخلف.

وفي هذا المبحث نريد أن نقلب هذه التلازمية لنرى الآن دور التنمية التي تكون بلغة الأم في تنمية هذه اللغة وتطويرها.

١)- مفهوم التنمية اللغوية:

إنّ التنمية اللغوية هي عملية واعية هادفة إلى إحداث تغيرات منشودة وليست مجرد رصد لتغيرات لغوية(١).

ولقد شغل اللغويون المعاصرون بقضية التنمية اللغوية في إطار الاهتمام المتزايد ببحث القضايا اللغوية في الدول النامية، وثمة قضايا مهمّة تدخل في شأن هذا المصطلح والموضوع وهي تعدّد اللغات داخل الدولة، سياسات لغة التعليم، اللغات بوصفها رموزا لذاتية الجماعة، ومنها كذلك قضية المصطلحات والكتابة، والرصيد اللغوي وغيرها(٢).

وتعدّ التنمية اللغوية ضرورة دائمة، فالحياة متغيرة ومن ثمّ يتطلب التعبير عنها توسيعا متجدّدا لمفرداها، ويتطلّب أيضا تقنين هذا الجديد وتدوينه على نحو يحظى بالقبول بين أبناء اللغة(٣).

---

(١)- "اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات"، محمود فهمي حجازي، د.ط، دار قباء، ١٩٩٨، ص ١١٤.

(٢)- "اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات"، محمود فهمي حجازي، ص ١١٥.

(٣) نفسه، ص ١١٥.

وتتضمن فكرة التنمية أيضا عملية التحديث والمقصود بها جعل اللغة المعنية على قدم المساواة مع اللغات الراقية بوصفها أداة للاتصال، وذلك من خلال اكتساب السمات التقنية والثقافية التي يعتقد أنها توجد في اللغات المشار إليها، والتي قد أصبحت حديثة، وعملية التحديث هي عملية اللحاق بالجماعة العالمية من اللغات التي يزيد النقل بينها والمعترف بها بوصفها أدوات مناسبة للأشكال الحديثة من الحوار[١].

٢)- نصيب اللغة العربية من التنمية والتطوير:

منذ أن فتح العرب أعينهم على الحضارة الحديثة باحتكاكهم بالعالم الغربي في بدايات عصر النهضة، وسؤال تنمية العربية وتطويرها لا ينفكّ عن التوقف من طرف المشتغلين بأمر النهضة والتطوير واللحاق بركب العالم المعاصر، والجهود في سبيل ذلك كبيرة ولا تنكر، ولا يمكننا في هذه الورقة أن نلمّ بكل تلك الجهود على تنوعها من جهود فردية وجماعية رسمية وغيرها، ولكن لا بأس أن نشير إلى بعضها في اختصار واقتضاب شديدين:

١- جهود العلماء والزعماء والمصلحين من خلال النشاط المعجمي المعروف، وإعادة إحياء التراث والعلوم اللغوية، وكذلك محاولات وضع المصطلحات والألفاظ الجديدة للمنتجات والمخترعات الحديثة[٢].

---

(١) نفسه، ص ١١٧.

(٢) "التعريب والقومية العربية في المغرب العربي"، نازلي معوض أحمد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٣ وما بعدها.

٢- مجامع اللغة العربية فقد كان لها دور كبير في مجال تطوير وتنمية اللغة العربية، وتسيير قواعد النحو والإملاء من أجل أهداف تعليمية وتربوية، ووضع المصطلحات، والنظر كذلك في الأصول اللازمة لتقنين جميع هذه المصطلحات[١].

٣- مراكز التعريب والترجمة، بما أقدمت عليه من نشاط معتبر في وضع المصطلحات العلمية والتقنية القادمة إلينا من الغرب، ونذكر على سبيل المثال مكتب تنسيق التعريب في الرباط التابع للمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم والذي يقوم بتنسيق الجهود بين جميع المجامع العربية[٢].

٤- التأليف في الكتب والمجلات المتخصصة والعامة في كل المجالات الثقافية والعلمية والتربوية والدينية وحتى الترفيهية والرياضية وغيرها.

٥- التعليم العام والجامعي، وعقد المؤتمرات لتطوير التعليم وأهمية استعمال اللغة العربية فيه[٣]. [٤].

٦- الإعلام بكل أشكاله المقروء والمسموع والمرئي، فقد كان له الدّور العظيم في تكوين آلاف الكلمات الجديدة وألفاظ الحياة العصرية[٤].

---

(١) - "تقويم تجربة التعريب في المشرق العربي"، صبحي صالح، ضمن كتاب التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، مكتب دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ص

(٢)- "مؤسسات التعريب في الوطن العربي"، عبد العزيز بن عبد الله، عرض وتحليل وتقويم نقدي، ضمن كتاب التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، مكتب دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ص ١١٣.

(٣) "مدخل إلى علم اللغة"، محمود فهمي حجازي، مرجع السابق، ص ٣٠.

(٤) "اللغة ووسائل الإعلام الجماهيرية"، محمد جميل شلس، ضمن كتاب اللغة العربية =

٧- دور الإنترنت واستخدام الحاسوب والمحتوى الرقمي على الشابكة[١].

وإنه رغم هذه الإمكانيات والجهود المبذولة في سبيل التمكين للغة العربية بعد تنميتها وتطويرها، فإنّ العربية هي دائما في مواجهة تحديات المواكبة، مواكبة عصر العولمة لتكون لغة العلوم والتقنية ولغة التعليم كله ولغة الإعلام والمحتوى الرقمي والحاسوب والتقنيات المعلوماتية الحديثة.

ومن الطبيعي أن يبقى هذا التحدي ماثلا، لسبب واضح هو في نظري ونظر الكثيرين لأنّ العربية همشت وأبعدت عن كل تفعيل وتقويم وتمكين.

فمن جهة نسعى إلى التمكين لها بكل الوسائل سواء على المستوى الرسمي أو على المستوى العملي، ولكن من جهة أخرى، تهمَش وتبعد عن مواطن التنمية والاستعمال، لأنها في اعتقادهم ليست مؤهلة لتحقيق المعرفة العلمية وليست قادرة على غزو مناطق المعلوماتية كالشابكة ووسائل الاتصال الأخرى.

إنّنا بهذا ظلمنا العربية مرتين، مرة لأننا نعتناها بالتخلف والقصور، وهي في حقيقتها غير ذلك، ومرة أخرى لأنّنا بهذا الاعتقاد سنبعدها عن الاستعمال والتفعيل، فتزيد تهميشا وركودا.

= والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت ١٩٨٦، ص ٩٢.

(١) "العرب وعصر المعلومات"، نبيل علي، عالم المعرفة، الكويت، أبريل ١٩٩٤، ص ١٨٤، وينظر "الثقافة العربية وعصر المعلومات"، نبيل علي، عالم المعرفة، الكويت، يناير ٢٠٠١، ص ٢٦٥، وينظر "اللغة العربية والحاسوب"، نبيل علي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨.

إنّ إبعاد اللغة عن مواضع التنمية يعني التضييق من دائرة استعمالها، وبمرور الزمن وتطاوله تذوي وتضعف ويصيبها الركود ثمّ ربّما يؤدّي بما إلى الموت، وقد وقع هذا الأمر مع العديد من اللغات القديمة والتي سادت في يوم من الأيام مثل اللغات السامية، واللغات الرومانية واللاتينية واليونانية.

فتحميل مظاهر التنمية ووسائلها باللغة العربية يؤدّي حتما إلى تفعيل وتنمية اللغة وتطويرها لأنها ستكون بذلك لغة الاستعمال ولغة التفكير ولغة الحياة ككل، والعكس صحيح كذلك، فإبعاد اللغة عن مجالات التنمية يجعل منها لغة منزوية، وهذا يؤدّي إلى ركودها وتخلفها ويحول دون حيويتها وتنميتها ولن تكون بذلك لغة العصر ومتطلباته.

إنّ عدم الزجّ بالعربية في أتون التجربة التنموية هو الذي يعطل جهود التعريب الكبيرة ويجعل من هذه المراكز والمؤسسات هياكل بلا عمل، ويعطل كذلك من سيرورة السياسات اللغوية المنتهجة في سبيل تنمية وتطوير العربية.

أمّا إذا أخضعنا لغتنا للتجربة التنموية وكنا صادقين ومخلصين في ذلك، وكنا مقتنعين بأنها لغة الماضي والحاضر والمستقبل، وأنها دافع مهمّ لإنجاح التقنية ولكل نهوض، ووفرنا لها كل سبل التمكين فإنها بلا شك ستكون لغة التنمية والنهوض المنشودين، وإنّنا بلا ريب سنحقق ذاتنا وننتج ونبدع ونساهم كغيرنا في إنتاج المعارف والعلوم العالمية(١)، وستنتعش اللغة العربية بذلك وتنمو وتتطور.

---

(١)– "ندوة مرصد اللغة العربية وآفاق التعريب"، كلمة افتتاحية لمحمود السيد، مجلة اللسان العربي لمكتب التنسيق التعريب، بالرباط، عدد ٦٦، ديسمبر ٢٠٠١، ص ١٣ وما بعدها.

فاللغة العربية هي عامل مهمّ في إحداث التنمية في الوطن العربي، والتنمية كذلك تساهم بل لها الدّور الحاسم في جعل اللغة حية متفاعلة ومتطورة.

فالعلاقة هي علاقة جدلية وتلازمية، وهما في تفاعل متبادل ومستمر، وهذا ما يؤكّده كل المشتغلين في حقل التعريب والترجمة وتطوير العربية، وكل المهتمين بمسألة المحتوى الرقمي العربي وتوطين التكنولوجيا والثقافة الرقمية(١).

إنّنا لو نظرنا إلى تاريخ حضارتنا وتأملنا مليا في عملية النهوض الحضاري للعرب والمسلمين خاصة فيما يتعلق بتعريب العلوم وحركة الترجمة في نقل المعارف إلى اللغة العربية، لرأينا بأنّ العملية لم تحتج إلى كثير من الفلسفة والتنظير، فطالما شعر العرب بذواتهم وتفتقت مواهبهم، وشعروا بحاجاتهم إلى نقل العلوم من اللغات الأخرى إلى العربية، فلم يتساءلوا عن طرق التعريب ومناهجه وسياساته، ولم يقولوا بأنّ العربية هي غير قادرة على نقل هذه المعارف والعلوم، ولم يقولوا بأنّ العربية هي لغة شعر وأدب ولغة أهل البادية، بل إنهم قاموا بعملية الترجمة والتعريب بعفوية شديدة مقتنعين بأنّ للعربية عبقريتها ولا تقل شأنا عن باقي اللغات، وبعد وقت ليس بالطّويل ترجموا كل ما وقع بأيديهم من كتب مفيدة وبدون صعوبات تذكر(٢).

وهذا كله حدث في اعتقادي لأنّ اللغة العربية لها عبقريتها التي تجعل منها لغة وافية وكافية لكل ترجمة وتأليف ونقل للمعارف لخصائصها

---

(١) نفسه، ص ١٣.

(٢) "اللغة العربية في التعليم العالي"، مازن المبارك، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٠/١١.

المعروفة فيها، ولأنّ الإرادة قد توفرت عند صاحب القرار السياسي(١).

فتولدت بذلك ألفاظ جديدة بكل طرق التعريب إمّا بالنقل والترجمة، وهذا يكون بوسائل العربية المعروفة كالاشتقاق، وهكذا حفلت العربية بالعديد من ألفاظ الحضارة في العصرين الأموي والعباسي، وقد أدّى هذا كله إلى تشكل لغة جديدة هي العربية الجديدة التي كان يطلق عليها لغة المولدين..

وبعد هذا كله نستنتج أنّ التنمية عندما تحمل بلغة ما فإنّه سيؤدّي حتما إلى تفعيل هذه اللغة وتنميتها وتطويرها وجعلها لغة طيعة حيّة ومواكبة للعصر، والعكس صحيح، فإنّ اللغة لا تستطيع أن تنمو وتتطور وتواكب الجديد وهي مغيبة عن مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، فاللغة تحيى وتنمو وتتطوّر بالاستعمال وبالزج بها في أتون التنمية الشاملة.

(١)- "اللغة العربية لغة العلوم والتقنية"، عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، مصر، ص ٦٤ وما بعدها.

خاتمة:

في هذا العرض الذي يبحث في العلاقة بين اللغة العربية والتنمية المستدامة في الوطن العربي، وقد سقنا فيه آراء العلماء والمختصين والمتتبعين للمسألة، وتقارير لمنظمات دولية تهتم بالتنمية، وبعض البحوث الأكاديمية التي قدمت لنا نماذج ناجحة ورائدة في التنمية، أجمعت كلها بالأدلة والبراهين على جدلية وتلازمية العلاقة بين اللغة والتنمية المستدامة فكل منها يؤدي إلى الآخر، ولا يمكن أن يحدث أحد منها بعيدا عن الآخر، فإنه يستحسن بنا أن نلخص أهم ما جاء في البحث في النقاط التالية:

* إن اللغة الأم أو اللغة المشتركة لبلد أو مجتمع ما، والعربية من بينها، خاصة تلك التي لها إرث وحضارة وذخيرة تشكلت لها عبر الزمن، تساهم في إحداث التنمية في بلدها من حيث أنها:

١- لغة الهوية وإثبات الذات، ولغة الماضي والحاضر والمستقبل، فإنها تكون محفزا ودافعا للإبداع والابتكار والنهوض، متى امتلكت الأمة الإرادة والعزيمة في ذلك.

٢- إن اللغة الأم لكونها لغة المجتمع العريض، ولغة كل أفراده، وهي ليست لغة نخبة معينة، فإنها عامل مهم لنشر المعرفة بشكل موسع ، مما يساهم في تشكيل مجتمع المعرفة في هذا العصر الذي يبشر له بإحداث التنمية الشاملة والمستديمة.

٣- إن مجتمع المعرفة الحادث بلغة الأم سيؤدي إلى ازدهار كبير لاقتصاد المعرفة الذي يستقطب اهتمام الكثيرين لكونه الاقتصاد البديل

للعالم الصناعي في المستقبل القريب، وتلعب اللغة دورا حاسما في نجاحه وازدهاره، وهذا حسب نظريتا النمو الجديدة، ونظرية نموذج العائدات المتأتية من التشبيك.

ويشترط لتكون اللغة عاملا مهما لإحداث التنمية في الوطن العربي ما يلي:

١ – ضرورة أن يقتنع أصحاب والإرادة السياسية في الوطن العربي بدور اللغة العربية في إحلال التنمية.

٢- أن يمكَن للغة العربية بكل الوسائل والسبل لتصبح لغة التعامل ولغة التعليم في كل مراحله ولغة العلوم بكل فروعها في الجامعة والتكوين التقني، ولغة الإعلام والمعلوماتية، ولغة الإدارة والاقتصاد وكل مجالات الحياة.

٣- بذل المزيد من الجهد لتنمية وتطوير اللغة العربية.

*إن تحميل التنمية باللغة العربية سيؤدي حتما إلى تنمية اللغة العربية وتطويرها لأنها ستكون لغة حيوية وديناميكية ولغة عصرية، والعكس صحيح كذلك فإبعاد اللغة العربية عن مواطن التنمية وإحلال اللغة الأجنبية محلها سيؤدي حتما إلى تهميش اللغة العربية ومن ثمة ركودها وتخلفا عن مواكبة العصر.

*إن التنمية لا يمكنها أن تحدث باللغة الأجنبية، وإن تجارب البلدان العربية في ذلك قد أثبتت فشلها في جلب التنمية، بل إن استعمال اللغة الأجنبية في التعليم الجامعي والتقني لم يؤد إلا للتبعية في البحث العلمي والاقتصاد والتكنولوجيا حيث لم تتمكن من توطين التكنولوجيا.

*ونستخلص كذلك في هذا البحث أن العولمة التي تبشر بهيمنة اللغة الانجليزية واتساع نطاقها على حساب اللغات القومية للبلدان النامية، هي التي تدعو إلى الاعتناء باللغات القومية وجعلها لغة التعليم والتنمية.

مراجع البحث:

١) الكتب:

١- اقتصاد المعرفة وتكنولوجيا المعلومات والتعريب، محمد المراياتي، الأسكوا، بيروت، كتاب بصيغة ب د ف على الشابكة.

٢- التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، نازل معوض أحمد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦.

٣- تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنة٢٠٠٣.

٤- التعليم والتنمية الشاملة، دراسة في النموذج الكوري، عبد الناصر محمد رشاد، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٢.

٥- الثقافة العربية وعصر المعلومات، نبيل علي، عالم المعرفة، الكويت، أبريل، ١٩٩٤.

٦- دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠.

٧- العرب والانتحار اللغوي، عبد السلام المسدي، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، يناير ٢٠١١.

٨- العرب وشبكات المعرفة، يحيى اليحياوي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.

٩- العرب وعصر المعلوماتية، نبيل علي، عالم المعرفة، الكويت، أبريل ١٩٩٤.

١٠- علم الدلالة العربي، فايز الداية، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨.

١١- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، دت.

١٢- فقه الغة العربية، صالح بلعيد، دط، دارهومة، الجزائر، ١٩٩٨.

١٣- في شعاب العربية، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠.

١٤- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، دط، الأنجلو المصرية، القاهرة، دت.

١٥- اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، كمال بشر، دط، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩.

١٦- اللغة العربية في التعليم العالي، مازن المبارك، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٨.

١٧- اللغة العربية في العصر الحديث، قضايا ومشكلات، محمود فهمي حجازي، دط، دار قباء، ١٩٩٨.

١٨- اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، مصر، دت.

١٩- اللغة العربية والحاسوب، نبيل علي، دار غريب للنشر، القاهر، ١٩٩٨.

٢٠- اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ترجمة أحمد عوض، مراجعة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر ٢٠٠٠.

٢١- اللغة والهوية، جون جوزيف، ترجمة عبد النور خراقي، سلسلة عالم المعرفة، أوت ٢٠٠٧.

٢٢- مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي، علة محمد رحومة، ط١، الجامعة المغاربية، طرابلس٢٠٠٧.

٢٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ط٣، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٥.

٢٤- مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء، أحمد بن نعمان، ط١، الجزائر، ١٩٩٨.

٢٥- الميثاق الوطني الجزائري ، ١٩٧٦.

٢٦- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دط، دار المعارف، دت.

٢) المقالات في الكتب والمجلات:

٢٧- أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي، محمد المراياتي، ضمن كتاب أسئلة اللغة لمجموعة من المؤلفين، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، يوليو ٢٠٠٢.

٢٨- الاشتقاق وتنمية الألفاظ، حمد صادق القنيبي، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالراط، عدد٣٤، سنة ١٩٩٠.

٢٩- البعد السياسي لقضية اللغة العربية، عبد اللطيف النفيسي، ضمن كتاب اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل لمجموعة من المؤلفين، سلسلة كتب المستقبل العربي، عدد٤٦، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أكتوبر ٢٠٠٥.

٣٠- تعريب العلوم ودوره في التنمية في الوطن العربي، سعيد كناي، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، عدد٣، الجزائر، ٢٠٠٠.

٣١- تعريب العلوم والتكنولوجيا وتوطينها، عثمان سعدي، يومية المساء الجزائرية، العدد الصادر يوم ١٥/١٠/١٩٩٠.

٣٢- تقويم تجربة التعريب في المشرق العربي، صبحي صالح، ضمن كتاب التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، مكتب دراسات الوحدة العربية لمجموعة من المؤلفين، ط٢، مكتب دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٨٦.

٣٣- التمكين للغة العربية آفاق وحلول، محمود السيد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٢، مجلد٣٣، ربيع الأول سنة ١٤٢٩.

٣٤- التنمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها، شحادة الخوري، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، المجلد ١٠، الجزء١، ١٩٧٣.

٣٥- دور اللغة العربية في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية، إدريس الكتاني، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، المجلد ١٠، الجزء ١، يناير ١٩٧٣.

٣٦- اللغة العربية والتنمية الشاملة في المغرب العربي بين المبدأ والتطبيق، تونس نموذجا، عبد اللطيف عبيد، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، عدد٦٦، ديسمبر.٢٠١٠

٣٧- اللغة والتنمية الثقافية أية علاقة؟ عبد الرحمان العضراوي، مجلة كلية الآداب ببني ملال، المغرب، عدد٤، سنة ٢٠٠١.

٣٨- اللغة ووسائل الإعلام الجماهيرية، محمد جميل شلس، ضمن كتاب اللغة العربية والوعي القومي لمجموعة من المؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٨٦.

٣٩- مؤسسسات التعريب في الوطن العربي، عرض وتحليل وتقويم نقدي، عبد العزيز بن عبد الله، ضمن كتاب التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربية والوحدة العربية لمجموعة من المؤلفين، مركز دراسات الوحدة

العربية، ط٢، بيروت، ١٩٨٦.

٤٠- مرصد اللغة العربية وآفاق التعريب، محمود السيد في كلمة افتتاحية، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، عدد٦٦،.٢٠١٠

٤١- نحو النهوض بالعربية، محمد بلاسي، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، عدد٦٣/٦٤، ديسمبر ٢٠٠٩.

٤٢- وجهة نظر حول دور البحث العلمي في التنمية، نضال محمد الريس، مجلة التعريب، عدد٣، يونيو ١٩٩٢.

٣) المداخلات في المؤتمرات:

٤٣- الإنترنت ونقل المعرفة في الوطن العربي، نبيل علي، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي، دمشق، جوان ٢٠٠٩.

٤٤- المحتوى الرقمي صورة لحقيقة، نور الدين شيخ عيد، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي، دمشق، جوان ٢٠٠٩.

٤٥- المحتوى الرقمي العربي، أبو السعود أحمد إبراهيم، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي، دمشق، جوان ٢٠٠٩.

٤٦- مستقبل اللغة العربية في عالم متغير، عبد العزيز التويجري، بحث ألقي في الدورة ٧٤ لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢٨ أبريل ٢٠٠٨.

٤) مواقع على الشابكة:

٤٧)- http/ ar-wikipedia.org

فهرس الموضوعات

اللغة العربية واستراتيجيّة رسم السياسات اللغويّة

إعداد

الدكتور / عبد المجيد عيساني

بسم الله الرحمن الرحيم

إن المتأمل في حالة البلاد العربية يلاحظ أننا مهددون في أمننا اللغوي، نظرا لضيق الممارسات الفعلية التي نعتبرها الرافد الحقيقي للمحافظة على رواج السلعة اللغوية. فإذا كانت عملة التجارة هي الدينار والدرهم والدولار واليورو بلغة أهل الاقتصاد، فإن عملتنا اللغوية هي الكلمة العربية الفصيحة الأصلية. ونظرا لضيق سوقنا اللغوي في حياتنا الخاصة والعامة، بل وفي جل الميادين الحيوية الحساسة، أصبحت الكلمة العربية الصحيحة الفصيحة غريبة في ديارها بعيدة عن متناول أبنائها، ولا ينبئ هذا الأمر إلا على الوضع الصعب الذي تتجرعه اللغة العربية يوما بعد يوم، وما لم نفكر في الآليات الضرورية اللغوية وغير اللغوية لتقويمها والترويج لها وفتح مجالات تعليمها وتطبيقها في أسواق اجتماعية أوسع، إذا لم يحصل هذا في القريب العاجل، سيزداد أمرها سوءا بين أهلها وذويها. ولهذا فإن التفكير في مستقبل اللغة العربية قضية بالغة الأهمية في فكرنا العربي اللغوي المعاصر، لما للقضية من صلة وثيقة بسيادة الأمة العربية الإسلامية وعلى ثقافتها وفكرها، وعلى كيانها الحضاري، وبالتالي على حاضرها ومستقبلها، وليست مجرد قضية لغوية وأدبية وثقافية. لذلك، يشكّل التفكير في المسألة اللغوية أحد أهم الانشغالات التي تستقطب اهتمام كثير من الباحثين. وقد كانت عنايتي بهذه القضية، منذ أن شعرت وقرأت عن الهجمة الشرسة التي يشنها أعداء اللغة العربية على هذا اللسان العربي المبين، وما كتابي الذي أنهيت به رسالة

الدكتوراه[١] إلا جزء من ذلك الاهتمام.

أولا: بين يدي الموضوع:

إن الموضوع الذي بين أيدينا ينبني على مصطلحين هامين، هما: "**الإستراتيجية**" و"**السياسة اللغوية**". ومصطلح "الإستراتيجية" وإن كان يعود في الأصل إلى المفهوم المستخدم في الحروب،[٢] فإنها عرّفت علميا بأنّها منهج العمل الشامل المتكامل الذي يأخذ في الحسبان كافة العوامل والمؤثرات والمتغيرات البيئية المؤثرة على المؤسسة بالسلب والإيجاب. أما التخطيط الإستراتيجي فهو العملية التي تتضمن اتخاذ قرارات بشأن تحديد رسالة المؤسسة وأهدافها.[٣] وليست اللغات أقل شأنا من الحروب العسكرية، فاللغات تشكل اليوم في العالم معسكرات متصارعة، تحتل بعضها بعضا، وتؤثر في بعضها البعض، وقد تقتل بعضها بعضا أحيانا. لذلك فهي في حاجة إلى إستراتيجية محكمة.

أما السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي، فمسألة إستراتيجية، موضوعها

---

(١) النحو العربي بين الأصالة والتجديد،(رسالة دكتوراه)، عبد المجيد عيساني، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٨

(٢) ينظر: مفهوم الإستراتيجية، صباح الشرقي، موقع الملتقى التربوي. أخذ الموضوع بتاريخ: ١٢- ٠٤- ٢٠١١

(٣) ينظر: التخطيط الإستراتيجي، محاضرة للأستاذ: ضاحي بن صالح الدرعي "ماجستير في إدارة الأعمال"، الملتقى التربوي، أخذ الموضوع بتاريخ: ١٢- ٠٤- ٢٠١١

السعي والتفكير في حل المشكلات اللغوية على مستوى الدولة والمواطنين، وذلك بالتفكير في تقديم خطط علمية محكمة وواضحة ومحددة الأهداف للتصدي للمشكلات ذات الطابع اللغوي، واقتراح الحلول العلمية والعملية لذلك، وفق برنامج زمني محدد، وذلك من خلال كل الدراسات اللغوية ذات الصلة بالموضوع، مثل: اللهجات العامية وعلاقتها بالفصحى والمستوى اللغوي الذي ينبغي على الحكام والوزراء والقادة استعماله، أو الذي ينبغي على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة الالتزام به... وعادة ما يقوم بهذا مجلس على مستوى الوطن.[١] وتُعرَّف السياسة اللغوية بأنّها نشاط تضطلع به الدولة وتنتج عنه خُطّة تصادق عليها مجالسها التشريعية. ويُنَصّ عن السياسة اللغوية للدولة في دستورها أو قوانينها أو أنظمتها أو مجالسها المتخصصة أو هيئات استشارية. وأحياناً لا توجد نصوصُ قانونية متعلّقة بالسياسة اللغوية، فتُستشَفّ تلك السياسة من الممارسات الفعلية. ويكون الهدف دائما هو حماية اللّغة القومية منَ التّحدياتِ المُحدقةِ بها.[٢]

والفرق بين المصطلحين، أن "السياسة اللغوية" عمل نظري سابق على "التخطيط"، أما هذا الأخير فهو تطبيق للسياسة اللغوية، يهتم بالبحث في

---

(١) ينظر: التخطيط اللغوي، حلمي خليل، صحيفة "التخطيط التربوي في البلاد العربية"، عدد١٠ بيروت، ٢٠٠٤ كما ينظر: موقع الكتروني تحت شعار "معا نصنع الحياة" لمحمد المحمدي الماضي، المقال: مفهوم التخطيط ما هو؟، وهو: أستاذ إدارة الأعمال بكلية التجارة، جامعة القاهرة. الموقع: almohamady@almohamady.com

(٢) ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الالكسو، تونس ٢٨ فيفري ٢٠١١

الأهداف ذات البعد اللغوي، وبصفة مجملة فإن التخطيط هو مجموعة التدابير المعتمدة والموجهة بالقرارات والإجراءات العلمية الكفيلة بتحقيق الأهداف المسطرة لاستشراف المستقبل، لذلك فهو تشريع مستقبلي بما ينبغي أن يكون عليه المنهاج اللغوي في التربية والتعليم، وما ينبغي أن يكون عليه الإعلام والمؤسسات الرسمية للدولة، أو لكل ما يرمز للأمة، مع مراعاة التغيرات الطارئة والتجديد والمراجعات المستمرة تماشيا مع مستجدات الحياة وتطلعات المستقبل، وعملا على مواكبة الأفضل الذي يرشد إليه البحث وعملية تنبؤ بالمستقبل، والتنبؤ باتجاهاته باستعمال معطيات الحاضر والماضي في ضوء الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة، من استغلال للموارد البشرية والطبيعية والفنية المتاحة إلى أقصى حد ممكن، وتحقيق أهدافه من خلال اختيار بين البدائل المختلفة دفعا للنقائص ولإحداث التغيير المنشود.[١] ونظرا للحاجة إليه فإن جميع الأمم الراشدة تتبنى التخطيط وتأخذ به باعتباره عملية أساسية لا غنى عنها لتحقيق أهداف التنمية البشرية. تلك هي الصورة التي ينبغي أن يكون عليها الوجه العملي للتخطيط. ولنا في تاريخ الشعوب عبرة في العديد من دول العالم، من ذلك: ما فعلته فرنسا عندما أصدرت نظاما لحماية اللغة الفرنسية من المفردات والمصطلحات الدخيلة، وما فعله أتاتورك حين غير حروف اللغة التركية من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية، أو ما حد ث في اليابان، وروسيا، وكوريا، والصين، وفيتنام، عندما عملت على إحلال اللغات القومية محل اللغات

---

(١) ينظر: موقع الملتقى التربوي: www.arab.mms.com مفهوم التخطيط التربوي، خالد"محمد حلمي" البكري.

الأجنبية في التعليم. وتدافع كل الدول عن مترلة لغاهّا لتصبح لغة علم وعمل وطنية أو دولية أو إقليمية في المنظمات الدولية. وأبرز مثال على هذا التطبيق استماتة فرنسا لتكون الفرنسية لغة للاتحاد الأوروبي أو لغة رسمية ضمن لغات أخرى للاتحاد.١ كل هذه صور ونماذج تمثل السياسة اللغوية والتخطيط لها لتصبح ذات أبعاد في المجتمع.

ثانيا: أسباب التخبط اللغوي: المتأمل للواقع اللغوي في البلاد العربية لا يشك لحظة أنّ أمره غير محكم، وأن سياسته غير واضحة المعالم، إن لم يكن الأمر نظريا فإنّ هذه الصورة تتراءى لك واقعيا. ولهذا الأمر –لاشك- أسباب وظروف، سنعرضها بشيء من الإيضاح. وينحصر الأمر في رأيي في سببين:

٠١- **الهزيمة النفسية:** إن الحديث عن الهزيمة النفسية لأبناء البلاد العربية مسألة خطيرة، بل ليس هناك خطر أكبر على الإنسان في حياته وعلى المجتمع في إدارة قضاياه وفي تحقيق مقاصده كالهزيمة النفسية التي قد يمنى بها في حال من الأحوال، لأن الهزيمة النفسية إحساس بالضعف واستصغار وهوان أمام الآخرين، وذلك حين يشعر الفرد أنّه أقلّ شأنا منهم، ويحس بعقدة التصاغر تجاه اللغات الأجنبية. وهي حالة نفسية إذا أصيب بها أفراد المجتمع تخور قواه في جميع ميادين الحياة الأخرى. والأزمة التي تعاني منها اللغة العربية اليوم هي أزمة في نفوس أهلها لا في اللغة ذاهّا، لأن اللغة وسيلة تقوى بقوة المجتمع، وتضعف بضعفه، لذلك يذكّر القرآن الكريم المسلمين بضرورة طرد الهواجس السيئة التي تنخر النفوس

(١) ينظر: السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي في العالم العربي، عبد الله الشمري، صحيفة الاقتصادية الألكترونية، عدد ٥٨٨٨، بتاريخ: ٢٤ _نوفمبر ٢٠٠٩

وتحبطها،"وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ."[١] وسبب هذه الهزيمة النفسية أو العائق النفسي هو ضعف الإيمان بأهمية اللغة العربية ومكانتها في بناء الشخصية العربية الإسلامية، وتصوير اللغة العربية كلغة لا وظيفة لها في الحياة، ولا نصيب لها في تكوين شخصية الفرد وتنمية تفكيره وترقيته في عمله الوظيفي، كما هو الشأن مع اللغات الأجنبية الأخرى التي قد يحظى أصحابها بالمراتب الراقية نسبيا. ولذلك، إن إدراكنا وإيماننا بأن اللغة العربية مقوم من مقومات شخصيتنا ومصدر من مصادر الدخل الفردي والاجتماعي والقومي، يجعل اللغة العربية تحظى بالمكانة المرموقة في النفوس أولا، فإذا واجهنا التحديات الكبرى التي تعد من الصعوبات الطبيعية والاجتماعية التي تولدها أحداث الزمن باستراتيجيه مستقبلية حكيمة وبتخطيط لغوي رصين وواضح، بيّن الأهداف والوسائل، في خطة لغوية محكمة قابلة للتطبيق، حينها نكون قد نجحنا في رسم طريق الحل للأزمة اللغوية القائمة ثانيا وأخيرا. إن الحروب اليوم والحروب القادمة تتعدد أشكالها، ومن ذلك الحروب اللغوية، وبالرغم من أن اللغة العربية ليست مهددة بالانقراض أو الموت بالنظر إلى معيار العدد الذي يُعْتَمَدُ عليه أساساً في تقدير اللغة أو اندثارها، ولكن مع كل هذه المعطيات التي نذكرها، فإن مستقبل اللغة العربية مرتبط بمستقبل العرب والمسلمين، لأن الوضع الذي تعيشه اللغة العربية اليوم هو من فضل القرآن الكريم الذي حافظ عليها منذ نزوله إلى اليوم، ولو لم يكن الأمر كذلك، لاندثرت هذه اللغة منذ قرون، كما اندثرت لغات أخرى في العالم، لذلك فإن الأمر يتطلب جهدا بشريا، يجعل منها تؤدي رسالتها العالمية على أكمل وجه. لذلك يذكّر الباحث التونسي "عبد

---

(١) الآية ١٣٩ سورة آل عمران.

السلام المسدي" بضرورة أن يقدم العرب من المعطيات والجهود ما يساعد على أن تكون اللغة العربية واحدة من اللغات العالمية التي سيكتب لها البقاء، فهي اللغة القومية لحوالي ٢٧٠ مليوناً، ومرجعية اعتبارية لأكثر من٨٥٠ مليون مسلم غير عربي، واللسان الطبيعي الذي عمر حوالي سبعة عشر قرناً محتفظا بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية، واللسان العربي حامل التراث، وناقل المعرفة، وشاهد حيٌّ على الجذور التي استلهم منها الغرب نهضته الحديثة في كل العلوم النظرية والطبية والفلسفية،[١] هذه هي لغتنا كما يراها الغربيون في المستقبل، فالأولى بنا أن نعمل جاهدينا لنحقق ما يمكن تحقيقه وأن ندع اليأس جانبا وأن ننظر للمستقبل بعيون متفائلة. إن المفكر الفيلسوف صموئيل هنتنغتون[٢] صاحب كتاب "صدام الحضارات" أشار في مؤلفه إلى مسألة اللغة، وخص هامشا منه ليبين بأن اللغة عنصر مهم من عناصر الصراع، ولمّا كان الرجل يتحدث عن الصراع الحضاري على التعميم، فإنه كان يعني الصراع اللغوي على نحو أخص، وقد تبين لهنتنغتون أن ثمة انخفاضا ملموسا على مستوى العالم في عدد الناطقين باللغات الحية "الإنجليزية

---

(١) ينظر: العولمة والعولمة المضادة عبد السلام المسدي، كتاب سطور (٦) ،١٩٩٩.
كما ينظر: موقع العربية بين اللغات البشرية، رشيد عبد الرحمان العبيدي، مجلة المجلس الأعلى، الجزائر٢٠٠١، ص١٥١.

(٢) صموئيل هنتنغتون أستاذ جامعي، ولد سنة ١٩٢٧ في نيويورك، خريج جامعة ييل، نال الدكتوراه من جامعة هارفارد وعمره ثلاث وعشرون سنة. وقد توفي الباحث هنتنغتون في السنوات الأخيرة، صاحب كتاب «صراع الحضارات» الذي صدر سنة ١٩٩٦، وأثار نقاشاً كثيراً داخل وخارج أمريكا.

والفرنسية والألمانية والروسية واليابانية"، وأن هذا الانخفاض تقابله زيادة ملموسة في عدد من اللغات الأخرى ومنها اللغة العربية، والنتيجة عنده أن نسبة الناطقين بالإنجليزية قد هبطت على مستوى العالم.[١] ويفسر الباحث ظاهرة "استخدام الإنجليزية في المجتمعات غير الغربية بشكل متزايد في أوساط النخب لأسباب ضيقة خاصة، تتصل برغبتها في تميز نفسها ولتسهيل اتصالها بالغرب أو الحصول على عمل في خضم المنافسة العالمية على رأس المال البشري. لكنه ينبّه في المقابل على أنّ تزايد الضغوط الاجتماعية والسياسية وتزايد المؤسسات الديمقراطية ونسبة مشاركة الناس العاديين في هذه المؤسسات، يؤدي غالبا إلى انهيار اللغات الغربية وسيادة

---

(١) انظر: صدام الحضارات، صمويل هنتنغتون، ترجمة طلعت الشايب، كتاب سطور، ط٢، ١٩٩٩. وصموئيل هنتنغتون، مقال: مستقبل اللغة العربية في ظل صراع الحضارات، غسان عبد الخالق (باحث وأكاديمي من الأردن)، موقع الكتروني حول: صدام الحضارات.

_ Smauel P. Hantington: The Clash of Civilisations: in Foreign Affairs, Vol. ٧٢, No.٣ summer, ١٩٩٣.

وقد وسّع المؤلف مقالته وأخرجها في كتاب حمل عنوان:

- Smauel P. Hantington: The Clash of Civilisations an the Remarking of World order. Simon & Schuster. New York ١٩٩٦.

وقد ترجم إلى العربية بعنوان: صاموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه، دار سطو، القاهرة ١٩٩٨م.

اللغات القومية[١].

٠٢- إهمال رسم وتخطيط السياسات اللغوية:

من أهم وأبرز التحديات التي تواجه اللغة العربية في عقر دارها "إهمال رسم وتخطيط السياسات اللغوية". ويقودنا هذا الحديث إلى قراءة الواقع بتأن. وهو واقع لا يوحي بحال عن تحكم دقيق في المسألة اللغوية، سواء من حيث نتائج المتعلمين للغات عامة أو من حيث التعاملات اللغوية في مختلف مجالات الحياة اليومية. والكل يعرف أن الواقع اللغوي في البلاد العربية عامة يتسم بالتعددية أو الازدواجية اللغوية، ولا أحد ينكر ما لهذه العوامل من أثر في الاكتساب والتحصيل اللغويين، وتأخر في مسايرة ظهور المصطلح العلمي والتعبير عن المفاهيم العلمية والمعاني الحضارية. هذا التأخر مرجعه مجملا وبالدرجة الأولى إلى ضعف العزيمة، وعدم توفير الوسائل والبرامج الضرورية لذلك، يضاف إلى ذلك تركة الاستعمار وسياسته التي همشت اللغة العربية بإدخاله اللغة الأجنبية في الإدارة والتعليم.

ثالثا: وضع اللغة في البلاد العربية

أغلب البلاد العربية تعاني نقصا كبيرا في مجال رسم السياسة اللغوية وغياب التخطيط اللغوي ولكن على تفاوت، وبالرغم من أن كل الدول العربية نصت دساتيرها على أنها دول عربية إسلامية ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ومصدر تشريعها كتاب الله تعالى، وأن لغتها هي اللغة العربية. ولكن عندما نتساءل عن

(١) – السابق: مستقبل اللغة العربية في ظل صراع الحضارات، غسان عبد الخالق.

السياسة اللغوية التي تتبعها الأقطار العربية نجد أن بعض عناصرها واضحة مسطرة في دساتيرها، كأن تنص جميع دساتيرها تقريباً على "أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد." ولكن أغلب هذه الدول لم يتبع هذا النص بإجراءات عملية وتخطيط لغوي محكم يجسد المادة المذكورة واقعا ملموسا. وبما أن الأمر أصبح مفضوحا، وظل الضعف هو سيد الوضع اللغوي العربي الراهن، وبمناسبة ما يعرف باحتفال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الالكسو) بيوم اللغة العربية الذي يصادف يوم مارس، وفق شعار "يوم اللغة العربية" دعت المنظمة كافة الدول العربية إلى إيجاد الحلول الكفيلة بدعم مكانة اللغة العربية وتقوية حضورها[١] وأصدرت المنظمة في نشرتها "أصداء الالكسو" بيانا دعت فيه كل العرب دولا ومنظمات وأفرادا إلى مواصلة البحث عن الحلول الكفيلة بمزيد دعم مكانة اللغة العربية وتقوية حضورها وتمكينها من أداء وظيفتها على النحو الأمثل في مختلف المجالات. وذلك بالحرص على التمسك باللغة العربية وصيانتها من الضعف والاندثار لأنها تكاد تكون آخر قلعة من قلاع الهوية يحتمي بها المواطن العربي من خطر فقدان شخصيته وذوبانه في إحدى الثقافات. مشيرا إلى المخاطر التي تهدد اللغة العربية الفصيحة والمتمثلة خاصة في مواصلة الاعتماد على اللغتين الفرنسية والانكليزية في تدريس العلوم الصحيحة والتقنية في أكثر الجامعات العربية إلى جانب مزاحمة استعمال اللهجات العامية في معظم البرامج الإذاعية والتلفزية وهو ما يوثر تأثيرا سلبيا في لغة الطلبة وحتى المدرسين مما ينعكس على المستوى التعليمي العام[٢]. وفي هذه المداخلة سأعرج على

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الالكسو)، تونس ٢٨ فيفري ٢٠١١ (وات)

(٢) صحيفة ألكترونية، "أخبار في تونس" بتاريخ: ٢٨ فيفري ٢٠١١، المنظمة العربية =

عدد من البلدان العربية من مختلف الأرجاء مشرقا ومغربا ومن قلب الجزيرة العربية، لإعطاء صورة واقعية عن الوضع اللغوي القائم.

ففي المملكة العربية السعودية صدرت بعض البنود ما يمكن إدراجه ضمن سياسة لغوية على شكل بنود مختصرة ولكنها واضحة، وهذا أمر مهم، وخطوة مفيدة ومشجعة، تدل على وعي المسؤولين بمكانة اللغة العربية في ديار العرب والمسلمين، إلا أن تلك القرارات غير ملزمة، وينقصها ما يجعل منها واقعية ملموسة، وتلك هي اللبنة التي تتطلب جهدا آخر لاستكمال المشروع. ومما ورد في هذا الشأن أن "المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، ولغتها هي اللغة العربية". كما صدر على سبيل التأكيد أن "اللغة العربية هي لغة التعليم في الجامعات، ويجوز عند الاقتضاء التدريس بلغة أخرى بقرار من مجلس الجامعة المختص"، وأن "تنمية القدرة اللغوية ينبغي أن تكون بشتى الوسائل التي تغذي اللغة العربية، وتساعد على تذوقها وإدراك نواحي الجمال فيها أسلوبا وفكرة"، وأكد على ضرورة" تزويد الطلاب بلغة أخرى من اللغات الحية على الأقل، بجانب لغتهم الأصلية، للتزود من العلوم والمعارف والفنون والابتكارات النافعة، والعمل على نقل علومنا ومعارفنا إلى المجتمعات الأخرى وإسهاما في نشر الإسلام وخدمة الإنسانية"، وضرورة "ترجمة العلوم وفنون المعرفة النافعة إلى لغة القرآن وتنمية ثروة اللغة العربية من المصطلحات، بما يسد حاجة

= للتربية والثقافة والعلوم (الالكسو)

التعريب ويجعل المعرفة في متناول أكبر عدد ممكن من المواطنين.١ وبالتالي تكون المملكة قد وضعت بصورة جلية سياسة لغوية واضحة، وهو العمل النظري الذي لا بدّ منه لحسم الموقف قانونيا. ولكن غياب التخطيط كخطوة عملية، لنظام محدد وشامل وملزم للجميع، وغياب مؤسسات متخصصة لتنفيذ القرارات اللغوية ولمتابعة تجسيد تلك السياسة النظرية، أدى إلى تعثر المشروع، وترك الأمر مهملا دون رعاية.

وفي الجمهورية المصرية: على الرغم من الاقتراح الذي تقدمت به لوضع مخطط تُلزم به الأقطار العربية، وفي مقدمتها دول الاتّحاد سابقا لنشر العربية الفصيحة الميسّرة وتعميم استعمالها في المؤسسات التعليمية والثقافية ومؤسسات الاتصال الجماهيري، ولكن غياب التَّخطيط والاقتصار على النوايا الحسنة، والقرار السياسي وحده لا يثمر شيئا، ولا "قيمة للمصطلحات إذا لم تُستخدم في المجالات التي أُعدَّت لها، وفي الوقت نفسه ينبغي أن تكون التّوعية اللغوية مكوّنة للمناخ المناسب لتلقي هذه المصطلحات..."(٢). لذلك تتجاهل السياسة التعليمية في مصر تماماً اللغة العربية، وتسقطها من قائمة الأولويات، والبلاد على اتساعها تشهد توسعا

(١) انظر: رسم السياسة اللغوية في المملكة وغياب التخطيط اللغوي لتنفيذها، عبد الله الشمري، صحيفة الاقتصادية الالكترونية، عدد ٥٨٩٥، الصادرة بتاريخ: ٠١ ديسمبر ٢٠٠٩، المملكة العربية السعودية.

(٢) ينظر: الأسس اللغوية لعلم المصطلح حجازي محمود فهمي، مكتبة غريب، طبعة ١٩٩٣ القاهرة. ص ١٩٧، ١٩٨.

في تأسيس المدارس والجامعات الأجنبية، وأغلبها لا يقوم بتدريس اللغة العربية، لأن كل دولة تفرض برامجها التعليمية، بما فيها اللغة العربية. في مصر هناك مدارس أمريكية وإنجليزية وكندية وفرنسية وألمانية كلها تعتبر لغاتها الأصلية اللغة هي الأساس، وحينها تجد البلاد نفسها أمام أجيال لا تعرف لغتها ولا تعرف شيئاً عن تاريخها أو جذورها، وبعدها يضيع الانتماء.

وفي الجمهورية العربية السورية التي تتميز عربيا باهتمامها بالمسألة اللغوية من نظرة قومية، وتعدها من أبرز قضايا الأمة أهمية، حيث يشهد واقعها التعليمي في مختلف مراحله، وأنشطتها الثقافية على اختلافها الاهتمام الجيد بأهمية اللغة العربية في حياة الأمة، فالسياسة اللغوية في سوريا، تهدف إلى إعلاء شأن اللغة العربية بوصفها عنواناً للهوية والانتماء، والحفاظ عليها باعتبارها أداة ضرورية للتقدم والارتقاء. وترمي السياسة اللغوية التعليمية إلى تعليم مواد المعرفة كافة باللغة القومية، وهي اللغة العربية الفصيحة، وتأمين مستلزمات هذا التعليم، إنْ لأبنائها، وإنْ للناطقين بغيرها من اللغات الأخرى، وسواء داخل الوطن العربي أو في خارجه.كما ترمي سياستها اللغوية إلى تحديد موقع اللغات الأجنبية في نسق النظام التعليمي، وتحديد موقع المدارس الخاصة والجامعات الخاصة والمدارس الأجنبية وفروع الجامعات الأجنبية في داخل الوطن العربي. وفي خارج نطاق العملية التعليمية، ترمي السياسة اللغوية إلى تحديد الموقف من اللهجات التجارية والمؤسسات الخدمية والسياحية والمراسلات بين البنوك والغرف الصناعية والتجارية، وجعل اللغة مطلباً أساسياً للالتحاق بالوظائف الحكومية

والخاصة، واعتمادها لغة رسمية في المؤتمرات والندوات التي تعقد في الوطن العربي، واستعمالها في المحافل الدولية، والتزام ممثلي الدول العربية بهذا الاستعمال في جمعية الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها. وخير شاهد على هذه السياسة تدريس مختلف أصناف العلوم في جامعات القطر السوري والكليات العسكرية باللغة العربية.١، كما أنّ لنا مثالاً في لغات أقل انتشارا من العربية تُدرّس بها العلوم المختلفة في مدارسها وجامعاتها وتستخدمها في كل جوانب حياتها، كما هو في بولندا والمجر والدنمارك ورومانيا والسويد والنرويج وبلغاريا...[٢]

وقد قدم المجمع اللغوي السوري كعادته في السنوات الأخيرة عددا من الأعمال في هذا المجال من ذلك: "ندوة حول اللغة العربية وأفاق التعريب" في مجمع اللغة العربية بدمشق.[٣] وقد طرحت العديد من الحلول في سبيل الارتقاء بواقع اللغة العربية، حيث تبيّن أنّ هناك قصوراً في مجال استخدام التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية، وركز على واقع اللغة العربية وآفاق تطويرها من خلال التعامل مع التقنيات الحديثة، وحدّدت أهم الصعوبات

(١) ينظر: اللغة العربية وعلوم العصر، مسعود بوبو، مقال في مجلة الفكر العربي، العدد ٦٠ سنة ١٩٩٠ ص٦٤.

(٢) ينظر: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، حجازي محمود فهمي، مكتبة غريب، ١٩٩٣ القاهرة، ص١٨٩-١٩٢.

(٣) ندوة قدمها الدكتور "محمود السيد" نائب رئيس مجمع اللغة العربية، بتاريخ: ٢٧ كانون أول ٢٠١٠

التي تعترضها وطرق تجاوزها. ومن التحديات التي ذكرت "غياب السياسة اللغوية، والتخطيط اللغوي"، ووجود الفجوة بين دساتير الدول العربية، وعدم توفير الحوافز المادية والمهنية لمعلمي اللغة العربية، وسيطرة اللهجات المحلية، والدور السلبي للعمالة الأجنبية والألعاب الإلكترونية، وهي القضايا نفسها التي تعاني منها أغلب أقطار البلاد العربية. ومن الحلول التي تساعد في النهوض باللغة العربية احترام ما تنص عليه دساتير الدول العربية من حيث اعتماد اللغة العربية الفصيحة كلغة رسمية، والتخطيط اللغوي الجيّد على المستوى القومي والإقليمي والخاص، ودعم حركات التأليف والنشر باللغة العربية، وتبني النظرة الحديثة للمنهج وتجريبه قبل تعميمه.[١]

وقد بادرت القيادة السورية بطرح مشروع كبير للنهوض باللغة العربية على مستوى الدّول العربية، بناء على القرار الجمهوري رقم(٤) لعام ٢٠٠٧ بمناسبة ما دعا إليه رئيس الدولة لتأسيس لجنة "التمكين للغة العربية". وقد حظيت هذه المبادرة باهتمام عربي كبير على الأقل نظريا، في قمة دمشق ٢٠٠٨. وتشير وثيقة المشروع على صعيد الاستراتيجيات إلى التركيز على تحديث مناهج تعليم اللغة العربية، واستخدام تقانة المعلومات والاتصالات باللغة العربية، واعتماد مبدأ التعلم مدى الحياة، وتعريب العلوم والتقانات وتوطينها، مع الاهتمام باللغات الأجنبية والاهتمام بالبحوث

(١) بيان مجمع اللغة العربية السوري، مجلة مجمع اللغة العربية- دمشق، وذلك في: ٠٩ جوان ٢٠١٠ ردا على الآراء المختلفة التي تداولتها الصحف السورية حول موضوع اللغة المحكية وعلاقتها باللغة الفصحى

اللغوية. وأكدت على ضرورة وضع السياسات والخطط والإجراءات اللازمة لتنفيذ هذه الاستراتيجيات. وذلك من خلال الوزارات المعنية في الدول العربية. مؤكدة أن النجاح يظل رهن الإرادة والمتابعة، وهذا الذي ينقص ما تنص عليه دساتير الدول العربية. ويشير الدكتور "محمود السيد" الذي شغل منصب وزير التربية عن تقييمه لمستوى تعليم اللغة العربية في سورية، إلى أن اللغة العربية في سورية تبقى أفضل من بقية الدول العربية، ولكن سورية رغم حرصها على سيرورة اللغة العربية الفصيحة وانتشارها على الألسنة والأقلام في جميع شؤون الحياة ومرافق المجتمع، فإن الصيرورة التي تنشدها لم تتحقق بالصورة المنشودة. وقد قامت "لجنة التمكين" بوضع خطة عمل وطنية ومتابعة تنفيذ بنود هذه الخطة، ومن ذلك: وضع تسميات عربية مقابل الأسماء الأجنبية على واجهات المحال التجارية والخدمية والإعلانات، وإجراء دورات تدريبية للعاملين في بعض الوزارات والمحافظات لتدريبهم على استعمال اللغة السليمة. وإصدار تعاليم على المدارس والمعاهد التابعة لها تلزم المعلمين بالتحدث باللغة العربية السليمة والإكثار من الأناشيد والأغاني المؤداة باللغة الفصيحة، وإجراء مسابقات بين الصفوف في المدرسة الواحدة، ومن ثم بين المدارس في المنطقة الواحدة، وبين المحافظات، وتخصيص جوائز لأفضل مدرسة يتحدث طلابها بلغة عربية فصيحة، والالتزام باللغة العربية الفصحى في محاضراتهم والحكم على رسائل الماجستير والدكتوراه وإلزام خطباء المساجد بالتحدث باللغة العربية السليمة، والابتعاد عن العامية أثناء إلقاء خطبهم ودروسهم. وهي قضايا وإجراءات وإن كانت بسيطة إلا أنها

تسهم إلى حد ما في معالجة المشكلة.١ ومن شواهد النشاطات في هذا الميدان، ندوة المشروع النهضوي العربي في اللاذقية تتناول جوانب ومشكلات النهضة العربية الراهنة٢ ندوة عن "اللغة العربية وهمومها: التي أقيمت في ثقافي كفرسوسة على أهمية اللغة العربية وظروفنا.[٣]

وأما **دول المغرب العربي** أعني "تونس والجزائر والمغرب" فعندما تحررت وحصلت على استقلالها من الاستعمار الفرنسي أعلنت تلك الدول أن "الإسلام هو دين الدولة وأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية فيها". ومع ذلك، وبعد مرور عدة سنوات على الاستقلال، نجد أن اللغة الفرنسية تستعمل على نطاق واسع في الإدارات الحكومية لتلك الدول الثلاث، ونجد أن اللغة الفرنسية هي اللغة العملية في الواقع، ليس لأداء المهام الحكومية واستقبالها فحسب ولكن إلى الحد الذي تبين فيه أنه في كثير من الإدارات الرسمية ترفض قبول طلبات أو ملء استمارات مكتوبة باللغة العربية، وأن

---

(١) مشروع للنهوض باللغة العربية على المستوى القومي، موقع منتديات المفتاح بتاريخ: ٠٨-١٤-

(٢) المشروع النهضوي العربي"اللغة مرتكزاً، لجنة تمكين اللغة العربية بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب، الندوة التي أقامتها بمدينة اللاذقية، بتاريخ: ٢٩ آذار ٢٠١٠، في إطار احتفالية تمكين اللغة العربية وعيد الشعر.

(٣) ندوة مخطوطة عقدها منطقة سانا بدمشق خلال شهر جانفي ٢٠١٠ قدمها السادة الأساتذة: الدكتور عبد النبي اصطيف، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمد خير شيخ موسى.

كثيرا من المكاتب الحكومية تصر على ملء نماذج البيانات الثنائية اللغة باللغة الفرنسية أولاً، واعتبارها اللغة العربية ثانيا إن وجدت. وما زالت اللغة العربية إلى هذا الوقت لمّا تصل بعد إلى مرحلة السيادة التامة في كافة المعاملات. ونلاحظ أن الواقع اللغوي في دول المغرب العربي يتسم بالازدواجية اللغوية وأحيانا بالتعددية في كثير من المناطق، ولا أحد ينكر ما لهذه العوامل من أثر في الاكتساب والتحصيل اللغويين، وتأخر العربية خاصة في مسايرة ظهور المصطلح العلمي والتعبير عن المفاهيم العلمية والمعاني الحضارية. هذا التأخر مرجعه بالدرجة الأولى إلينا بضعف العزيمة، وعدم توفير الوسائل والبرامج الضرورية لذلك، وإلى تركة الاستعمار وسياسته التي همشت اللغة العربية بإدخاله اللغة الأجنبية في الإدارة والتعليم، ولكي ننهض بالعربية ونعيد لها مكانتها اللائقة بها وجب التخطيط لوضع سياسة لغوية تتكفل بهذا الدور كوضع المصطلحات، والتخطيط لوضع اللغة القومية لغة التدريس بدلا من لغة أجنبية.

ففي تونس الشقيقة أشار العالم الاجتماعي "الدكتور محمود الذوادي" في موقعه الالكتروني[١] وهو أن الأسباب التي أدت إلى عجز المجتمع التونسي عن تطبيع علاقته الكاملة مع اللغة العربية يعود إلى الغياب الفعلي والمستمر لتخطيط ورسم خريطة طريق جدية وذات كفاءة عالية عن القيادات السياسية لهذا المجتمع، وصولا إلى تطبيع سليم وشامل في كل القطاعات

(١) الموقع الالكتروني، محمود الذوادي

www.romuz.comm.thawad@yahoo.ca بتاريخ٠٦جوان٢٠١٠

للعلاقة مع اللغة الوطنية لهذا المجتمع، ألا وهي اللغة العربية[١]. وقد شبه وضع اللغة العربية الحالي بوضع القضية الفلسطينية، والجامع بينهما عدم وجود خريطة طريق حقيقية وفعلية لهذا المجتمع بعد الاستقلال، للوصول إلى حالة سليمة تسترجع من خلالها اللغة العربية حقوقها المسلوبة، منذ أكثر من خمسة عقود من الاستقلال، وهو أن تصبح للغة العربية المكانة الطبيعية الأولى في قلوب وعقول واستعمالات التونسيين وفي مؤسسات مجتمعهم.

وفي الجزائر نظريا تعد المنطلقات الأساسية لمعالم السياسة اللغوية مستخلصة من المبادئ العامة التي ترتكز عليها معالم السياسة التربوية العامة في البلاد، متمثلة في المنطلقات التاريخية والتشريعية من خلال مسيرة التاريخ كمنطلقات أساسية، كبيان أول نوفمبر ١٩٥٤ الذي نص على أن من أهدافه "تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي" ولا عروبة حتما إلا باحترام اللغة العربية وعلومها. ووثيقة مؤتمر الصومام ١٩٥٦.(نسبة إلى منطقة الصومام بالشرق الجزائري) والمنطلقات التشريعية الأساسية المتمثلة في الميثاق الوطني الذي ينص على "أن الخيار بين اللغة العربية ولغة أجنبية أمر غير وارد البتة ولا رجعة في ذلك، ولا يمكن أن يجري النقاش حول التعريب بعد الآن، إلا فيما يتعلق بالمحتوى والمناهج والمراحل"[٢]. والدستور المعدل سنة ١٩٩٦ الذي ينص على أن "اللغة العربية

(١) المصدر السابق. والتاريخ نفسه.

(٢) الميثاق الوطني الجزائري ١٩٨٦، ص ١٤.

هي اللغة الوطنية والرسمية... وتمازيغت هي كذلك لغة وطنية"[١] وبرنامج طرابلس جوان ١٩٦٢ الذي نص على العروبة والأمازيغية في الآن نفسه. إضافة إلى المرسوم الرئاسي رقم ١٠١/٩٦ المنشئ للمجلس الأعلى للتربية. من كل هذه الأسس تستلهم التوجيهات العامة للمنظومة التربوية بكل محتوياتها اللغوية وغير اللغوية. كما تبنى السياسة التربوية في الجزائر على جملة من الأبعاد المعروفة بالبعد الوطني والديمقراطي والعالمي والعصري، وبناء على ذلك فإن الشخصية الجزائرية هي شخصية أمازيغية عربها الإسلام،[٢] وبذلك تتضح معالم ومقومات الشخصية الجزائرية في المقومات التالية: الإسلام، العروبة، الأمازيغية[٣]. وباعتبار أن الأمازيغية هي أحد العناصر الثلاثة للهوية الوطنية، أسّست المحافظة السامية للأمازيغية في جوان ١٩٩٥ بهدف ترقية اللغة الأمازيغية مع اختلاف لهجاتها وإدخالها تدريجيا في المنظومة التربوية، وإن لم تحظ بالعناية الكاملة في المجال التطبيقي. وذلك بأن تتكفل وزارة التربية الوطنية باللغة الأمازيغية وإدراجها في السنة الرابعة في عدة ولايات عبر الوطن. ولكن مما يبين انعدام التخطيط الجيد، وضعف الإرادة السياسية ما يرد على لسان المسئولين أنفسهم، وما ينبئ عنه الواقع المعيشي. ففي

---

(١) المادة ٣ من دستور ١٩٩٦.

(٢) ينظر: التربية والشخصية الوطنية، رابح تركي، المجلة الجزائرية للتربية، وزارة التربية الوطنية، العدد الأول، السنة الأولى، نوفمبر ١٩٩٤، ص ٣٥.

(٣) ينظر: الجريدة الرسمية، نص مشروع تعديل الدستور، استفتاء ١٩٩٦/١١/٢٨، العدد ٦١، السنة ٣٥، تاريخ الصدور ١٦/١٠/ ١٩٩٦.

كلمة السيد رئيس الجمهورية في حفل تنصيب المجلس الأعلى للغة العربية الذي وجد ليسهر على تطوير اللغة العربية ما نصه: "إذا كانت اللغة العربية قد استعادت مكانتها الاجتماعية والإدارية والمؤسساتية...فإن ترقيتها وتطويرها يبقى يطبعه تباطؤ حاد وأحيانا مثير للانشغال، في غياب طرح منهجي ومدروس وسليم لمسألة تطويرها وتعميم استعمالها..."[١]. من خلال هذا البيان الصادر عن أعلى هرم الدولة تشعر بالقلق الذي يساور مشاعر رئيس الدولة، الذي ينبغي أن يشكى إليه، إزاء وضع اللغة العربية في بلد عربي نال استقلاله منذ خمسين سنة. وهذا ما ينبئ عن ضعف في التخطيط اللغوي السليم. لأن التحرير الثقافي يبدأ بإعادة اللغة العربية إلى مكانها الطبيعي في حياة الأمة ومؤسساتها المختلفة. وبرامج التربية يجب أن تتجه إلى كل فئات الشعب عملا على تمكين الجزائريين من الثقافة العصرية وتسهيل الاتصال بين كافة شرائح المجتمع وفئاته[٢]. والأخطر من هذا عندما يتساءل رئيس أعلى سلطة في هذا الميدان "المجلس الأعلى للغة العربية" باعتباره الهيئة الرسمية التي يخول لها القانون العمل على معالجة القضية اللغوية، في مداخلة بمنتدى المجاهد، "الدكتور محمد العربي ولد خليفة" عن وضع اللغة العربية قائلا: بأنه بعد نصف قرن من ميلاد الجزائر الجديدة، هل يمكن القول بأن

(١) "اللغة العربية" مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية، العدد الأول، مارس ١٩٩٩، ص١٢، ١٣، ١٥

(٢) النصوص الأساسية الخاصة بقطاع التربية، وزارة التربية، مديرية الدراسات القانونية و التقنين والمنازعات، فيفري ١٩٩٢، ص٢٠.

لدينا سياسة لغوية تظهر في مجالات الاتصال والثقافة والتكوين وغيرها؟ هل يمكن التعرف على وظائف اللغة الرسمية والوطنية والمحكية أو المنطوقة واللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية؟ إنَّ المدرسة الجزائرية تستقبل حوالي ٨٥ % من المتمدرسين لتسعة أو ١٢ سنة يدرسون العربية وبالعربية، ولكن نسبة منهم لا تتقن العربية شفهية أو مكتوبة، أين الخلل؟ أليست العربية التي تقبلها الجزائريون طواعية في كل مناطق الجزائر لغة جامعة وموحّدة وضامنة لتجانس المجتمع وارتباطه بخصوصيته التاريخية وعمقه الحضاري العربي الإسلامي؟ كيف نبني علاقة إثراء وتكامل بين الأمازيغية والعربية بلا عقد ولا مزايدات؟ إذ بهما معا تتحقق الوحدة الوطنية والانتماء لاستمرارية تاريخية لا تقبل التجزئة والإقصاء؟ وهل نجحت وسائط الإعلام في تعميم لغة وسطى حديثة، أرقى من العامية الهجينة، وقريبة من الفصحى المقوعدة؟[1] ولا يعني ذلك إلا أن هيئته لوحدها لا تملك سلطة القرار. وتظل متفرجة كغيرها من المؤسسات الغيورة على وضع اللغة العربية في بلاد العروبة. أو ما ذكره الوزير السابق للتربية الوطنية "الدكتور علي بن محمد" أكد على أن الإصلاحات مختلة والعيب ليس في العربية، مستغربا من ظاهرة أن يدرس التلميذ الجزائري الفرنسية عبر ١١ سنة ولا يتقنها لا يدل إلا على أننا لا نحسن تدريسها. مؤكدا بأنه لا منافس للغة العربية كلغة وطنية، ولا جدال في دور اللغات الأجنبية، ولا احتكار للغة أجنبية على حساب لغة أخرى، ولو كان هناك تيار يريد احتكار الإنجليزية لكنت ضده.ولكن الأمر على

---

(١) موقع المجلس بتاريخ: ١٠ــ ٠٤ــ ٢٠١١ وقد تم التحديث فى ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠

حاله دون تغيير.[١] لذلك وفيما يتعلق باللغات الأجنبية، جاء في المشروع التمهيدي للمجلس الأعلى للتربية حول (المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة) أن "اللغات الأجنبية نافذة على العالم ووسيلة للاتصال والتفاهم مع الشعوب، وأداة لتطوير المعارف. لذلك ينبغي الأخذ بعين الاعتبار المصالح السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية الاقتصادية للبلاد في وضع سياسة تعليم اللغات الأجنبية في التعليم الأساسي مع مراعاة عدم التصادم بينها وبين اللغة العربية. لذلك نص المشروع على ضرورة تعدد اللغات الأجنبية وتفعيل مناهجها وذلك لضمان التواصل مع الحضارات والثقافات الأخرى.[٢] وقد بيّن الأستاذ: "عبد الحميد مهري"-الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني السابق، والحزب الوحيد الحاكم منذ الاستقلال آنذاك- في سياق حديثه عن السياسة اللغوية في الجزائر، أشار إلى أن منظومة التعليم في الجزائر، ما تزال تعاني الغموض فيما يتعلق بموقع اللغات الأجنبية في الجزائر، حيث تعرف اللغة الإنجليزية حصارا مقابل الفرنسية، التي اعتبرت إرثا استعماريا، وفي سياق متصل يقر المتحدث بأن الجزائر لم تحدد سياسية واستراتيجية وطنية في مجال تعليم اللغات[٣] ومثل هذا لا يزول إلا بزوال جيل بأكمله، علما أن

(١) جريدة الشروق اليومي الجزائرية، ليوم الخميس ١٦- ١٢- ٢٠١٠

(٢) المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسي، مشروع تمهيدي، المجلس الأعلى للتربية، ديسمبر ١٩٩٧، ص ٣٤

(٣) ندوة التي أعدت بالجزائر وشارك فيها عدد من الشخصيات والمسئولين السابقين في الجزائر بتارخ: ١٩ يونيو ٢٠٠٢

حاولت الجزائر انتهاج سياسة التعريب وتطبيقها في المدارس بعد الاستقلال مباشرة، واعترضت سبيلها مشاكل وصعوبات، إضافة إلى إهمال الواقع اللغوي الذي تعرفه الجزائر، و لم يصل هذا المشروع إلى النجاح. إضافة إلى هذا يقتضي التخطيط إعداد مناهج تعليمية للحصول على معلومات حول حاجات المتعلمين من معارفه ومهاراتهم، والعناية بالمتعلم والتفطن لحاجاته الحقيقية،[1] وغيرها مما يتطلب متابعة مستمرة للأحسن في البرامج والمناهج.

وبالمغرب الأقصى يعاني المغاربة من القضايا نفسها الموجودة في بقية البلاد العربية، ومن ذلك مسألة الازدواجية والثنائية، والمغرب لم يرسم سياسة لغوية واضحة لمواجهة هذا التعدد، بدعوى أنّه تعدّد تنوّع وليس تعدّد تناقض، والجهات الرسمية المسئولة في المغرب لم تولِ العناية اللازمة للقضية اللغوية، بالرغم من طغيان الأجنبية. والخبراء اللسانيون المغاربة دقوا جرس الإنذار وانتقدوا سياسة الدّولة المهلهلة والمتساهلة إزاء اللغة العربية، بالرغم من أنّ دستور البلاد ينص على أنّ العربية لغة الدولة الرسميةُ[2] كما نلاحظ أن عددا من الدوائر الحكومية والثقافية والأحزاب السياسية تهتم بالقضية اللغوية وتراها قضية مركزية وقضية تهم الجميع، وتنظم عدد من المراكز ندوات وملتقيات في هذا المجال كما فعل الاتحاد

(١) ينظر: مقال: أثر اللسانيات في النهوض بمدرسي اللغة العربية، عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللسانيات ع٤٠ سنة ٧٣- ٧٤.ص٤٤. ومقال: مدخل إلى علم اللسانيات الحديث مجلة اللسانيات المجلد الأول، الجزء الأول، سنة ١٩٧١

(٢) ينظر: السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي، السياسة اللغوية في البلدان العربية: الإعلام نموذجاً، علي القاسمي، موقع "الملتقى التربوي" السبت مايو ١٥، ٢٠١٠

الاشتراكي في ملتقاه حول قضايا اللغة العربية بعنوان "اللغة العربية بين التهافت على لغو العامية ومقاصد لهو خطاب الفرنكوفونية" معتبرا أن قضية اللغة العربية تعد وجهاً متميزاً من بين قضايا المجتمع، إذ لا تمس فقط حقول المعرفة والتاريخ والحضارة، ومجالات التربية والتعليم، بل ترتبط بقضايا تطور الأمم وإنتاجها المعرفي في علاقته بعجلة الاقتصاد والتنمية، والهدف هو تعزيز مكانة اللغة على المستوى الدولي وضرورة مواكبتها للتطورات التكنولوجية والأبحاث العلمية؛[١]. وما لم تعالج هذه القضايا بعلمية وواقعية ستظل الأجيال تتخبط في إشكالات كثيرة كمسألة الازدواجيات اللغوية مثلا، وتغيير البرامج والمناهج من فترة إلى أخرى، مما يجعل تكوين الأجيال ضعيفاً لا يرقى إلى مستوى الطموحات المطلوبة لاحتلال مراكز القرار. وفي الموضوع نفسه نظمت وكالة المغرب العربي للأنباء بالرباط أياما دراسية حول اللغة العربية بعنوان: "السياسة اللغوية؟ في المغرب: واقع وآفاق" شاركت في اللقاء كفاءات كثيرة ومتنوعة اتفقت جميعها على ضرورة الإصلاح اللغوي الذي يتطلب زمنا ليس بالقصير، فقد أوضح السيد شاكر أشهبار، رئيس حزب الأصالة والتجديد، أن هذا اللقاء شكل مناسبة للتفكير في قضايا اللغات والوضع اللغوي بالمغرب، وكذا المساهمة في النقاش الوطني حول تحديد المحاور الرئيسية للسياسات اللغوية بالمغرب. كما أشار عبد الغني أبو العزم، الأستاذ الجامعي بأن الأمر يجب أن يستند على التخطيط اللغوي، لا سيما في مجتمع يتميز بالتنوع اللغوي كما هو حال دول المغرب العربي كلها.[٢] وجميع هذه الندوات

---

(١) ندوة مخطوطة أقامها الاتحاد الاشتراكي المغربي، بتاريخ: ٢٣- جوان ٢٠١٠

(٢) السياسة اللغوية في المغرب واقع وآفاق، وكالة المغرب العربي للأنباء، الرباط، =

والملتقيات تؤكد دور النخبة المغربية والتفكير الجيد الذي توليه للمسألة اللغوية بالبلاد. وحرصها المستميت على تحقيق هذا المطلب.

ذلك هو وضع البلاد العربية أو أغلبها، لأنه من خصائص الدول المتقدِّمة احترام التشريعات وتطبيقها، في حين أنَّ الدول المتخلِّفة قد تمتلك أحيانا قوانين جيدة، كحال بعض الدول العربية، ولكنّها لا تحترمها ولا تطبقها. ولهذا فإنَّ دستورية اللغة العربية في أقطارنا غير محترمَة لا في التعليم ولا في الإعلام ولا في الإدارة ولا في الحياة العامَّة[١]. وقد دأبت المؤسّساتُ اللغوية المختصَّة، كالمجامع والمجالس اللغوية، على دعوة الحكومات العربية إلى استخدام اللغة العربية الفصيحة المشتركة في الإعلام، ولكن الحكومات العربية لا تستجيب لها، على الرغم من أنَّها هي التي أنشأت تلك المؤسَّسات المختصة. ومن أمثلة تلك الدعوات ما ورد على لسان الدكتور "محمد العربي ولد خليفة" رئيس المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، الذي دعا إلى رفع الأداء الإعلامي والثقافي باللغة العربية باعتبارها لغة موحِّدة، وأداة إدماج اجتماعي للمواطنين، داخل الجزائر وخارجه، وقناة صالحة للتوصيل المباشر لعشرات الملايين عبر العالم العربي والإسلامي والجاليات المتواجدة في المهجر[٢]...ولكن لا حياة لمن تنادي.

= بتاريخ ٠٨ جوان ٢٠١٠

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الالكسو، تونس ٢٨ فيفري ٢٠١١

(٢) موقع المجلس الأعلى للغة العربية، بتاريخ: ١٠_ ٠٤_ ٢٠١١ وقد تم التحديث في ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠

رابعا: ضرورة رسم السياسة اللغوية للأمة العربية

في دراسة مقدمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قدمها د. محمد زكي خضر[1] بعنوان "اللغة العربية بحاجة إلى تخطيط وسياسة لغوية منهجية واضحة للمصطلحات لتواكب مجتمع المعلومات" بيّن الباحث المكانة التي تحتلها اللغة، ذاكرا أنها ترقى إلى مكان الصدارة في ثقافة أي أمة، معتبرا أن التخطيط اللغوي "هو القرار الذي يتخذه مجتمع ما لتحقيق أهداف وأغراض تتعلق باللغة التي يستخدمها ذلك المجتمع سواء تعلق الأمر بحماية اللغة من المفردات الواردة أو إصلاحها أو إنعاشها أو تحديثها أو زيادة انتشارها أو غيرها مما يؤثر على وضعها، وعليه يرى أن التخطيط للغة العربية يجب أن يتم على مستوى البلدان العربية مجتمعة من خلال الاستفادة من الإمكانات المعاصرة وخاصة الإعلام بأنواعه لما له من تأثير بالغ على المتلقي، وبما أن الناطقين بالعربية يزيد اليوم على ثلاثمائة مليون نسمة وإنها ترقى في تسلسل اللغات العالمية إلى المرتبة الخامسة عالميا، لذلك لا بد من وضع

---

(١) موقع الكتروني لصحيفة: "الأزمنة" عدد: ١٨٩ بتاريخ: ٠٣- ٠١- ٢٠١٠ حيث أكد محمد زكي خضر في تقريره المقدم إلى المنظمة العربية للثقافة والعلوم "مكتب تنسيق التعريب" وإلى ندوة "مشروع مرصد اللغة العربية وآفاق التعريب" التي عقدت بدمشق، أن المنظمة حثت على ضرورة قيام الدول العربية بوضع سياسة تنمية لغوية خاصة بها وخاصة في ما يتعلق بالمصطلحات، وتدعو القادة العرب لإصدار القوانين والتشريعات اللازمة لتمكين اللغة العربية وحمايتها. والاستعجال بإنشاء مرصد اللغة العربية المقترح.

سياسة لغوية منهجية واضحة للمصطلحات في ظل تسارع ونمو مجتمع المعلومات والتغير الجذري في كافة أوجه نشاط الحياة وخاصة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.[١]

وعلى الرغم من كثرة القمم العربية التي تعقد بين أعضاء الدول العربية لتعالج قضاياها ومستجدات الوضع إلا أنه لم تعقد قمة مخصصة للوضع اللغوي في البلاد العربية باستثناء إشارات عابرة في قمم محددة كالقمة العربية بدمشق في دورها العادية العشرين سنة ٢٠٠٨، التي أوصت بإيلاء اللغة العربية اهتماماً ورعاية خاصتين باعتبارها وعاء للفكر والثقافة العربية ولارتباطها بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا، ولتصبح أداة تحديث في وجه محاولات التغريب والتشويه التي تتعرض لها ثقافتنا العربية، وهو ما أشارت إليه القمة الحادية والعشرون في الدوحة سنة ٢٠٠٩ م، وأوصت بمتابعته. وإشارة بسيطة في قمة الجماهيرية الليبية لسنة ٢٠١٠ شهر مارس بالإشارة إلى ضرورة تمكين اللغة العربية والقرارات اللازمة لتعزيز مكانتها. ومثل هذا الإهمال الكبير لقضية رئيسية ومصيرية ينبئ عن التهاون الكبير لهذه المسألة. والأمر يتطلب اعتماد سياسة لغوية تستجيب للاحتياجات السوسيو- ثقافية للساكنة، ولتطلعاتها المشروعة في تحقيق التنمية المستدامة والمنصفة وأنه لابد من تفعيل هذه السياسة في النظام التربوي وفي مختلف فضاءات التواصل العمومي، مع الأخذ بعين الاعتبار الدينامية الجديدة التي

---

(١) سلامة اللغة العربية وأثرها في المناهج المدرسية، زهير غازي زاهد، جامعة بغداد، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب- المغرب.

تشهدها اللغة الدارجة في المجتمع المغربي والشرقي والخليجي.."١

خامسا: لماذا الاهتمام برسم السياسات اللغوية؟

ليست اللغة كما يعتقد البسطاء أو كما يتصورها غير المتخصصين مجرد وسيلة للتفاهم والتواصل، كما لو كانت آلة مادية نمتطيها جميعا وصولا إلى هدف محدد، بل إن اللغة فوق أنها وسيلة للتواصل الاجتماعي والتفاهم والاحتكاك، وهي وسيلة تحمل الكنوز الحضارية للأمة عبر التاريخ، كما حملت اللغة العربية كنوز الحضارة العربية الإسلامية إلى جل بقاع العالم، وهي وعاء الثقافات، وحاملة الأفكار، وهي لسان حال الأمة، وصدق رسول الله- صلى الله عليه وسلم - في قوله: "المرء بأصغريه قلبه ولسانه" وما المرء إلا كما قال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده - فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وعلى الرغم من أن اللغات تضعف بل وقد تنهزم أحيانا في معارك حضارية معينة كضعف حال اللغة العربية اليوم، مازالت حاضرة بروافدها المعرفية في الحضارة الإنسانية، حيث يبذل باحثون كثيرون في الوقت الراهن مساعي كثيرة للتعرف على روافدها المعرفية في الحضارة الإنسانية. واللغات الحية تفرض حضورها على الساحة الثقافية والعلمية لقدرتها على نقل مدلولات الثقافة والعلم والأحاسيس والرموز الخاصة بمجتمعاتها سعياً للتواصل

(١) اليوم الدراسي حول "السياسة اللغوية في المغرب: واقع وآفاق، مدونة عبد الفتاح الفاتحي بتاريخ: ٣٠-٠٥-٢٠١٠

مع المجتمعات الأخرى، فكلما كانت المساهمات الحضارية كبيرة فرضت اللغة حضورها عالمياً، وتعلن المجتمعات عبر لغاتها عن روافدها المعرفية وعبر الكتابة تؤرخ لأنماط معيشتها وسلوكها وطقوسها ودياناتها وأحاسيسها وجملة علاقاتها الإنسانية الأخرى التي تشكل بمجملها نظامها الاجتماعي المعبر عن وجودها وحضورها في مسيرة التاريخ البشري. واللغة الإنكليزية اليوم تفرض حضورها العالمي بفضل وبفعل مساهمة شعوبها في الرافد المعرفي لمختلف العلوم التطبيقية والإنسانية ومختلف الثقافات في الحضارة الإنسانية العالمية، على الرغم من أنها ليست لغة أكبر كتلة سكانية في العالم. ومثلها اللغة العربية سابقا ليست لغة أكبر كتلة سكانية، ومع ذلك فرضت نفسها بقوة ما كان لها من مساهمات فعالة في التأسيس الحضاري، فالحضور السكاني الأكبر لا يفرض حضوره اللغوي في العلم والثقافة وإنما الصواب أن الرفد المعرفي الأكبر والمساهمة العلمية الأفضل والنشاط العلمي لمجتمع ما هو الذي يفرض حضوره اللغوي على مستوى العالم، وكان الرافد المعرفي لمجتمع محدد ضعيفا أو منعدما وغير متواصل مع الحضارة الإنسانية، كلما كان دور اللغة والمنتمين لها هامشي في الحضارة الإنسانية.

سادسا: وظيفة رسم السياسات اللغوية:

يمكن إجمال وظيفة رسم السياسات اللغوية في القضايا التالية:

١- تحديد اللغة الأولى الرسمية للدولة ولمؤسساتها الرسمية كالإدارة العمومية والإعلام الرسمي والمقنن كتابة وشفاهة، وتتبع مدى سيادة هذه اللغة الوطنية في مرافق ومؤسسات الدولة وإدارتها. وينبغي أن ينص على

ذلك الدستور، صيانة من العبث وتحقيقا للأهداف المطلوبة، ذلك أن الدولة ومؤسساهّا هي رمز السيادة، وهي القدوة العملية الأولى التي ينبغي أن تكون نموذجا وطنيا للآخرين. وإذا كانت مؤسسات الدولة ينبغي أن تكون نابعة من طبيعة شعبها وهي مفوضة عنه، ينبغي أن تكون نصوص الدستور محترمة ومقدسة. فإذا نص الدستور على أن اللغة العربية الفصحى هي لغة الدولة، فلا يعني هذا إلا أن هذه اللغة تكون لغة المسئولين في الدولة، ولغة الإعلام في الدولة، ولغة الإدارات في كامل أرجاء البلاد. والمتتبع لأحداث التاريخ الإسلامي العربي أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وفيما يتعلق برسم السياسات اللغوية للغة العربية، يعد أمر الخليفة الراشد "عثمان بن عفان" الذي جمع القرآن الكريم في مصحف واحد وحرق بقية المصاحف المعروفة إشارات مضيئة لعدد من العبر والقضايا، ومنها ما يشبه إلى حد بعيد رسم السياسة اللغوية،[١] لأن الهدف المقصود من هذا العمل هو جمع المسلمين وتوحيدهم على مصحف واحد، ويهدف إلى تقنين اللغة العربية وتوحيدها من خلال توحيد النص القرآني الذي حكم بسيادة لغة قريش على بقية اللهجات العربية التي كانت متداولة قبل نزول القرآن[٢]. وذلك بناء على ما نجده في الحديث الصحيح أن الرسول- صلى الله عليه وسلم – قال: "إن

---

(١) ينظر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، خليفة أبو بكر الأسود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦

(٢) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دت، ص٣٧، ٣٨

ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه"[١] أي اللغات السبع التي أنزل بها القرآن الكريم على محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهي من لغات العرب سابقا. وأن هذه الأحرف هي سبع لغات من لغات قريش وما جاورها من ظواهر مكة. فلما توفى الرسول استمر أصحابه يقرءون القرآن على هذه الأحرف السبعة. وحين اشتد الخلاف ورفع الأمر إلى عثمان، جمع لهم المصحف الإمام وأشاعه في الأمصار. وعلى هذا محيت من الأحرف السبعة ستة أحرف، ولم يبق إلا حرف واحد، هو هذا الذي نقرؤه في مصحف عثمان، وهو حرف قريش. وهكذا صارت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة الإسلامية منذ قيامها في المدينة المنورة بعد الهجرة. وهكذا يقوم الساسة برسم السياسات اللغوية كما يقومون برسم السياسات الاقتصادية والمالية والاجتماعية في بلدانهم. وأشار الباحث: "عبد السلام المسدي"[٢] إلى أن اللغة يستخدمها السياسيون في كثير

---

(١) النشر في القراءات العشر، الحافظ أبو الخير الدمشقي، در الفكر، بيروت، ١٩٨٥ ١ج -٣٢٠

(٢) السياسة وسلطة اللغة، عبد السلام المسدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧ ، ص : الباحث أستاذ اللسانيات في الجامعة التونسية وعضو المجامع العلمية للغة العربية في كل من تونس وفي بعض أقطار البلاد العربية كدمشق وطرابلس وبغداد، وعمل من قبل وزيرا للتعليم العالي والبحث العلمي في تونس وسفيرها لدى جامعة الدول العربية. من مؤلفاته: "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، و"اللسانيات وأسسها المعرفية" و"ما وراء اللغة"، و"مباحث تأسيسية في =

من الأحيان يثبتون بها سلطتهم، دون وعي من المواطن العادي المحكوم بتلك السياسة، لأن السياسيين يمارسون اللغة وهم واعون بقوتها وبسحرها وبفعلها القوي في نفوس المحكومين. واعتمد الباحث مجموعة من المقولات منها "لا سياسة بلا لغة" واعتبر أن الفرد لا يمكن أن يكون سياسياً خاصة من كان عيياً في الكلام. وأكد أن اللغة قد تصبح أداة إقناع واستدراك، وأداة غزو وامتلاك دلالي للآخر، وأداة استيلاء، وهنا على وجه الدقة والتحديد يظهر الوجه الآخر من علاقة اللغة بالسياسة.[١]

٢ـ **تحديد لغة العلم والتعليم** وتطوير مستويات الكفايات اللغوية في المرافق التعليمية ومراحله المختلفة والمتتالية، التي يتلقى بها التلاميذ والطلبة معارفهم. فهي من أكثر القرارات التي تتخذ بشأن رسم السياسة اللغوية، ويشارك في اتخاذه السياسيون ورجال التعليم وجمعيات أولياء التلاميذ والخبراء والمؤلفون، وعموما الذين يعنيهم شأن التعليم بشكل من الأشكال. وبما أن اللغة الوطنية هي أداة لتوثيق الروابط بين أبناء الشعب الواحد والأمة الواحدة، فإذا نالت اللغة الوطنية حقها من العناية في المدارس والمعاهد، ووسائل الإعلام المختلفة، عملت على توثيق الروابط الوطنية بين مختلف أبناء الأمة. ومن هنا كانت التعليم الابتدائي في جميع دول العالم يجري التعليم فيها

= اللسانيات"، و"النقد والحداثة"، و"مراجع النقد الحديث"، و"قضية البنيوية"، و"مساءلات في الأدب واللغة"، وغيرها.

(١) محاضرته"الفكر العربي بين لغة السياسة وسياسة اللغة،"، عبد السلام المسدي، جريدة الاتحاد، أبو ظبي، بتاريخ: ٢٤ فبراير ٢٠١١

باللغة الوطنية وحدها لأن هذه المرحلة من مرحلة تكوين الذات أو الشخصية الوطنية لدى الأطفال الصغار.[١] إن إهمال السياسة اللغوية وعدم التخطيط لها، قد يؤدي إلى فوضى عارمة كما حصل الأمر عندما انشقت دولة بنغلاديش عن باكستان بسبب الصراع اللغوي، وهكذا انعكس ذلك على المصالح الاقتصادية والسياسية بسبب الاختلافات اللغوية. وتتضح لنا هذه الصورة أكثر عندما نتصفح الماضي التاريخي المظلم عندما احتل الاستعمار الغربي البلاد العربية كيف عمل الاستعمار على محاربة اللغات الوطنية وإحلال لغته محلها، وهكذا اعتاد المستعمر أن يفرض لغته بالقوة على النظام التعليمي للمستعمر، كما حدث في جميع البلاد العربية والعديد من البلدان الأفريقية والآسيوية. فبعد وقوع الجزائر وتونس والمغرب تحت الاستعمار الفرنسي، وليبيا تحت الاستعمار الايطالي أصبحت المدارس القائمة لتعليم أبناء العرب يديرها مديرون مستعمرون، وتم إحلال التعليم الاستعماري محل التعليم النظامي في كل تلك البلدان، وصارت المقررات الدراسية تدرس باللغة الأجنبية، وأصبحت هي لغة التعليم في جميع المدارس عدا مدارس التعليم الأصلي كالحال في الكتاتيب والزوايا والمعاهد والمدارس الدينية، ومع ذلك ظل يحاربها باستمرار. ويندرج في هذا الصدد **تحديد اللغات العالمية** التي تدرس في المؤسسات التعليمية، باعتبارها لغات أجنبية، وهي القضية التي تتطلبها ضرورة البلاد وظروف الواقع ومتطلبات المعرفة.

---

(١) التربية والشخصية الوطنية، رابح تركي المجلة الجزائرية للتربية، وزارة التربية الوطنية، العدد الأول، السنة الأولى، نوفمبر ١٩٩٤، ص٢٤

فالعالم اليوم يسير في قطار واحد، ولهذا القطار معالم وحدود وشروط للتعامل الجيد مع راكبيه، فإما أن تتقن فنيات التعامل، وإما أن تقصي نفسك من الاستفادة منه. فالاستفادة من المعرفة العالمية أصبحت محتكرة على عدد من اللغات في العالم، وعلى رأسها اللغة الانجليزية. لذا ينبغي التخطيط الجيد في تحديد اللغات الأجنبية المطلوبة.كما يندرج في هذا الصدد **تحديد موقف الدولة من اللغة أو اللغات الوطنية الأخرى** التي تنتشر في الوطن الواحد، من حيث مجالات استخدامها ودراستها وكتابتها، باعتبار أن أغلب البلدان في العالم تعرف لغات أخرى غير اللغة الرسمية، تنتشر عبر مختلف أرجاء الوطن الواحد. وبالنسبة للغة واللغات الوطنية يجب أولاً معرفة دورها في حياة المجموعة التي تتحدثها، وعدد المتحدثين بها. لأن هنالك لغات تتحدث بها مجموعة صغيرة، وقد تكون في طريقها إلى الفناء، ومع ذلك تعتبر هذه اللغة الآيلة للانقراض جزءاً من تراث البلد ينبغي تدوينه وتسجيل الآداب التي كتبت أو حكيت به، ويكثر هذا في كثير من البلدان العربية.[١] وكلها أمثلة تعرفها البلاد العربية على سعتها، وتشكل جميعها تحديات تربوية في طريق تعليم اللغة التي ينبغي إن توحد البلاد والعباد. مع مراعاة الخصوصيات الوطنية، كالوضع في أغلب بلدان المغرب العربي، في ظل وجود لغات وطنية أخرى من غير اللغة العربية، وبالتالي ضرورة الإجابة عن الأسئلة التالية: بأي

(١) ينظر: اللغة العربية إلى أين؟ مقال: مشكلات التعليم باللغة العربية في المناطق الثنائية اللغة في الوطن العربي، يوسف الخليفة أبوبكر، يضرب الباحث أمثلة على ذلك في مواطن كثيرة، ص٢٩١

لغة ينبغي أن نعلم؟ وما اللغة التي ينبغي أن تقوم عليها المادة العلمية؟ وما أكثر اللغات الأجنبية ملاءمة لتطور العصر وبناء المستقبل؟ وكيفية التعامل مع لغة المستعمر الموروثة مع الأجيال السابقة؟ إن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة وغيرها مما له علاقة برسم سياسة الوضع اللغوي في البلاد العربية.

٣_ **معالجة أساليب تطوير اللغة** ومواكبتها للتطور العلمي، وتوفير وتطوير وسائل الإعلام وما له علاقة بالتكنولوجية الحديثة عملا على استغلالها استغلالا مناسبا وقت الحاجة.

٤_ **تعزيز مكانة اللغة على المستوى الدولي** وضرورة مواكبتها للتطورات التكنولوجية والأبحاث العلمية؛ وتأسيس مؤسسات متخصصة لمتابعة سيرورة هذه العملية.

سابعا: مرتكزات السياسة اللغوية

لا شك أن الحديث عن رسم السياسة اللغوية يقتضي الإجابة عن السؤال التالي: ماذا ينبغي أن نراعي في رسم السياسة اللغوية في البلاد العربية؟ وكيف نتعامل مع اللغة العربية تحديدا؟ وذلك بناء على ما تتّسمُ به اللغة العربية، عن غيرها "دونما نزوع إلى المفاضلة ولا ضلوع في المقايسة، بخصوصياتٍ تند عن لغاتٍ ثانيةٍ، وهما أمران أساسيان: أولهما يتمثل في قدرة هذه اللغة على مواكبة التحولات الثقافية، وفي قابليتها التكيف مع مختلف الأوضاع الحضارية الناشئة. وثانيهما فنازع عن السابق، ومدعاة إلى إعمال الفكر حتى لا يغدو ما تقدم وازعا إلى أنها لغة لن تعرفَ تراجعا، عن الراهن اللغويِّ العاميِّ، بحكم ارتباطها بالدينيِّ، وحتى لا يصير مانعا من

الاجتهاد بشكل تطويعيٍّ لها مخولٍ استثمارَها لغة تواصلٍ وتفاعلٍ داخل مجتمعاتها، وبينها والمجتمعاتِ الإنسانية بشكل عام"[١] تقوم الدولة ومن خلال الواقع الاجتماعي وما تنشده من مواطن المستقبل بوضع سياستها اللغوية مع مراعاة عناصر لابد من ضبطها، وحتى تكون ناجحة ومضمونة النتائج وجب أن ننطلق من: **العقيدة** أولا، و**التاريخ** المشترك للمجتمع ثانيا، و**الكيان الوطني** والهوية النابعة من كيانه ثالثا، و**استشراف المستقبل** رابعا، لأن اللغة هي المجسد لثقافته المعبرة عن مكونات حضارته. إن الاستعمار لم يحارب اللغة العربية عبثا في ديار المسلمين، وإن الحكومات الغربية اليوم لا تنفق أموالها هدرا في سبيل نشر لغاتها في العالم، والعمل على اتساع رقعة لغاتها في بلدان أخرى هنا وهناك، وإن زعماء البحث اللغوي في الغرب لم يبذلوا أوقاتهم عبثا، بل ولم يتحولوا من تخصصات أخرى إلى دراسة اللغة والبحث فيها إلا لأنهم يدركون الدور الذي تؤديه اللغة في المجتمعات. إن دوسوسير زعيم الحركة اللغوية الحديثة ورائد الحركة البنيوية، وتشومسكي[٢]

---

(١) الثنائية اللغَويَّة فِي المُجتمعَاتِ العَرِبيَّةِ، مصطفى الشليح، مداخلةٍ قدمت إلى مؤتمر "لغة الطفل العربي قي عصر العولمة" القاهرة: ١٩ فبراير ٢٠٠٧ بمقر الأمانة العامة للجامعة العربية.

(٢) هو: أفرام نعوم تشومكي عالم اللسانيات الأمريكي وصاحب النظرية التوليدية التحويلية. ينحدر من عائلة روسية الأصل، وهي تنحدر من أصول يهودية، ولد يوم ١٩٢٨/١٢/٠٧ بمدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة وقد درس اللسانيات والفلسفة والرياضيات بجامعة بنسلفانيا وتحصل على الماجستير في علم الفونيمات =

رائد المدرسة اللغوية العقلية اللذين درسا مادة الرياضيات في بداية عهدهما ثم تحولا بعد ذلك إلى الدراسات اللغوية، لم يكن هذا التحول منهما عبثا، لقد أدار دوسوسير وجهة العالم كله في الدرس اللغوي، وشغل تشومسكي العالم كله بما أثاره من قضايا لغوية جديدة فكرا وتأسيسا، ثم منهجا وتطبيقا، وما زال العالم إلى اليوم يتابع تلك القضايا باهتمام بالغ. ولكن للأسف الشديد مازال عندنا في البلاد العربية يحتل الحديث عن اللغة العربية، اللغة الوطنية والقومية والرسمية والدينية، المقامات الأخيرة، إن بقي شيء من ذلك الاهتمام. ويزداد الأمر خطورة عندما لا تعطى من الإمكانات ما يعطى لغيرها في مجالات أخرى في المجتمع نفسه، لينعكس هذا الأمر كله بعد ذلك على بقية أفراد المجتمع فيعتقدون أن التخصص في اللغة العربية لا يتطلب جهدا، ولا يحتل أصحابه من الاهتمام والاحترام والتقدير ما يكون لتخصصات أخرى. ومن هذه النافذة الأخيرة استطاع الأعداء زرع السموم وبث الشكوك في نفوس الطلبة والباحثين. وعليه فالثوابت والمرتكزات الكبرى لحضارة هذا الشعب العربي المسلم تتمثل في الدين الإسلامي ووسائل صيانته، ووحدة العالم العربي والإسلامي والحفاظ على الروح الوطنية

= الصرفي للعبرية الحديثة عام ١٩٥٥.عين أستاذا للسانيات بمعهد ماساتشوست التكنولوجي. وقد أخذ بحظ وافر من الرياضيات والمنطق وعلم النفس والترجمة الآلية. وقد تتلمذ تشومسكي على هارس وياكبسون وغيرهم وتأثر بالفلسفة العقلية. ومازال حيا يرزق.

والروح المعنوية والتاريخ المشترك الحافل بالأمجاد والمصالح المشتركة، ومراعاة المستقبل ومتطلباته. كل ذلك اعتمادا على قراءة الواقع اللغوي قراءة جيدة واستشراف المستقبل، كما يجب مراعاة وضع اللغة العربية بعد خروج الاستعمار، باعتبارها لغة وطنية أصيلة مع وجود تعدد لساني متنوع، ومراعاة طبيعة اللغات المحلية المنتشرة عبر كثير من ربوع العالم العربي بتفاوت، كوجود الأمازيغيات المتنوعة التي تختلف عن العاميات العربية سواء من الناحية المعجمية أو النحوية، وهذا ما يسبب مشكلا في التعامل بين المعلم والمتعلم، خاصة في السنوات الابتدائية الأولى. وهذا ما يحتم على المهتمين بوضع السياسة اللغوية ومهندسيها التفكير في حلول لهذه المشكلات التربوية ذات العلاقة بالقضية اللغوية.

ثامنا: حماية السياسات اللغوية:

١) إصدار مراسيم تنفيذية: إن الحديث عن رسم السياسة اللغوية قد لا يجدي نفعا إذا لم تتبع نصوص الدستور بمراسيم تنفيذية وأوامر تطبيقية، تشرح وتوضح وتلزم المتعاملين بما يجب القيام به تنفيذا لنصوص الدستور واحترام بنوده. والطبيعة البشرية.

٢- **إعطاء سلطة القرار للجهات الوصية:** كثيرا ما تصدر المؤتمرات والندوات المختلفة قرارات في مستوى الحدث، وتثمر توجيهات وتوصيات ثمينة وذات قيمة علمية عالية، ولكنها تظل حبيسة الأدراج والمكاتب، والسبب في ذلك هو فقدان سلطة القرار الذي لا يصدر إلا من الجهات العليا. والمتتبع لمختلف تلك المؤتمرات وللتوصيات العديدة التي صدرت

عنها، سيقف على جملة من القضايا المعالجة وهي ذات قيمة علمية عالية، وذات صبغة واقعية ترقى إلى مستوى الأهداف المنشودة، ولكن لأن سلطة القرار ليست بيد الجامعات ولا الجهات الوصية وحدها، تظل تلك الأعمال والجهود بعيدة عن واقع الممارسة والتطبيق.

٣- وضع آليات عملية للممارسة والتنفيذ: إن النصوص التشريعية بدورها في حاجة إلى آليات عملية تضعها الجهات الوصية، التي نعني بها وزارات التربية والتعليم، ووزارات التعليم العالي، وجميع الوزارات التي تتخذ من التعليم أيا كان موقعه ومستواه سبيلا وغاية للفرد والمجتمع. وهذا الإجراء هو وسيلة تحويل النظري إلى عمل تطبيقي مجسد في حياة المتعلمين.

٤- وضع آليات الرقابة والمتابعة: يغفل كثير من المسئولين وأصحاب القرار التفكير في إجراءات وآليات الرقابة والمتابعة لما نصوا عليه من نصوص وأوامر، حرصا على جودة التطبيق وتوجيه العمل نحو ما هو أحسن وأدق. إن كل عمل تخطيطي يقوم به الإنسان لا بد له من رقابة ومتابعة تكمله، وإلا تحول التخطيط مع الوقت إلى مجرد أمنيات وأفكار نظرية تبتعد كثيراً عن واقع التطبيق.

إن ذلك يجعل من النظام الرقابي نظاماً شاملاً، يشمل دوائر إذا تم تفعيلها من قبل أي مدير تجعل الرقابة الذاتية في أعلى درجاتها، ومن ثم تحقيق أعلى درجة من الالتزام والإتقان النابع من تقوى المرء ومراقبته لله عز وجل ومحاسبته لنفسه. "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً"[١] والمتتبع لأحداث التاريخ الإسلامي العظيم

(١) الإسراء الآية ١٣

سيقف على جملة من الأحداث التي تبين كيف يجب أن يكون عليه التخطيط في كثير من مواقف وحالات عملية للتخطيط في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم- والسلف الصالح، وما وصل إليه الغرب اليوم بناء على التخطيط.[1]

تاسعا: حلول عملية للممارسات اللغوية: إن من أبرز الحلول العملية لتيسير المسألة اللغوية قضيتين إستراتيجيتين في كل دولة _ فضلا عن قضايا أخرى_ سأذكرهما باختصار، هما:

الأولى: ضرورة جودة تعليم اللغة العربية وتعلمها في مختلف المؤسسات التعليمية التربوية العامة والخاصة، وخصوصا في مرحلة الطفولة، حيث يتم بناء الشخصية وتقويمها. وأصبح لا جدال في أن تعليم اللغة في البلاد العربية يعرف انتكاسة كبيرة لأسباب يطول حصرها، ولا ريب أن تطوير التعليم أولا هو نقطة البداية الصحيحة في أي إصلاح يستهدف إقامة مجتمع قادر على مواجهة تحديات العصر، ومواكبة المستجدات المتلاحقة. إن الوصول إلى تعليم جيد للغة، أصبحت الأمم المتقدمة تخطط له على المدى الطويل، لعلمها بقيمة اللغة ومكانتها في نفوس البشر وفي عقولهم وعلى مستوى سلوكهم جميعا. فالتعليم ما لم يصل إلى المشاركة الفعلية بين المعلم والمتعلم، وما لم تمارس اللغة ممارسة فعلية داخل قاعات الدرس وفي المجالات الممكنة، وما لم توفر له المناشط اللغوية التي يمارس فيها المتعلمون الفصحى المطلوبة فلا سبيل إلى تعلمها بكفاءة عالية. والمطلوب هو ضرورة البحث في

---

(١) ينظر: مفهوم التخطيط ما هو؟ وكيف؟ محمد المحمدي الماضي، أستاذ إدارة الإستراتيجية، كلية التجارة، جامعة القاهرة

طرق تعليم اللغة العربية أولا، ونحن أولى الباحثين المعنيين بهذا الموضوع، إن أقسام اللغة العربية ينبغي أن يحملوا الراية العلمية في التعرف عن أحسن الطرق في التعليم وأجود المناهج اللغوية لإتقان هذا اللسان العربي المبين. وفضلا عن هذا ينبغي أن يعلم الجميع بأن دراسة اللغات لا يقوم على المدرس وحده ،بل إن الأمر يتعداه إلى ضرورة أن يكون للمتعلم دور كبير ومهم في تعليم نفسه، وتحسين مستواه عن طريق المطالعات المختلفة والتدريبات المتنوعة، والاستجابة لما يطلب منه، وغيرها مما يرفع من مستواه اللغوي والأدبي. إن الاكتفاء بما يعطى داخل القاعات– وإن كان ضروريا– لا يمثل سوى المفاتيح الأساسية للاستزادة من مختلف المصادر والمراجع. لذلك ندعو الجميع إلى تحفيز الطلبة ودفعهم بمختلف الطرق التربوية إلى العناية بالقراءة المتنوعة التي تعد الرافد الحقيقي للتفوق والتوسع.

ولاشك أن المتأمل في واقع التلميذ العربي في ظروفنا الحالية، لا يجد ثمة بيئة مساعدة على تعلم الفصحى بشكل من الأشكال، باعتبار أن ما يتقنه أولا هو العامية في سنه الأولى، حيث تكون له القدرة الهائلة على اكتساب اللغات أيا كانت، والنتيجة في الأخير أن اللغة التي يكتسبها في السنين الأولى المهمة ليست هي اللغة المطلوبة ولا لغة المعرفة، لأن لغة العلم لا تكون بالعامية مطلقا. يقع التلميذ العربي في وضع لا يحسد عليه، فهو أسوأ في كل الظروف، سواء تعلق أمره بظروف تعلمه، أو بلغة التواصل بينه وبين معلمه،...وهكذا ظروف غير مناسبة. وبناءً على هذه التجارب وغيرها وعلى الأسس العلمية التي يؤكدها الباحثون، ينبغي التوجه نحو الجانب

التطبيقي العملي لتعليم اللغة العربية في المؤسسات التعليمية الابتدائية، كالأقسام التحضيرية والمدارس الابتدائية خصوصا. وذلك باعتماد اللغة العربية الفصحى الميسرة لغةً وحيدةً للتواصل في المدرسة طوال اليوم المدرسي داخل القاعات خصوصا وخارجها إن أمكن، ولا يسمح للطالب التحدث في المدرسة إلاّ بالفصحى ولا يسمعا كذلك إلا هي. إنّ قاعة الدرس هي الميدان الأول الذي ينبغي أن ينطلق منه الحل، لأنّ المدرسة هي أمّ العلوم وصاحبة الحلول، وهي الرائدة في شق الطريق نحو الحل. إن المتعلم وهو حدث السنّ إذا وجد الظروف المناسبة التي تدفعه إلى العلم والمعرفة الصحيحة، وإذا أحس بالثمرة في ذاته سيكون أكثر الناس دفاعا عن طلب المعرفة والتزود بها.

إن أقسام اللغة العربية في مختلف الجامعات العربية ينبغي أن تعدّ مجالات وتخصصات لغوية محددة ومركزة، وإعداد جيد للطلبة الدارسين بغية إيجاد متخصصين في المجالات الأخرى من غير أقسام اللغة العربية، دورهم التصحيح اللغوي والتدقيق الأسلوبي على أنواعه في كل المؤسسات المجتمعية. إن اللغة مسؤولية الجميع، وما لم يتجه التفكير نحو مسؤولية الجميع في البناء اللغوي، سيظل الأمر على غير هدى، ويبقى جانب يبني وجوانب أخرى تهدم. وإن من قضايا التخطيط اللغوي بعد رسم السياسة اللغوية التفكير في هذه التخصصات اللغوية الدقيقة، فخرّيجو الشهادات الجامعية تقتضي الضرورة أن يكونوا على تخصصات مختلفة، باختلاف المجالات والاهتمامات المطلوبة في الحياة، أما أن يتوجهوا جميعهم إلى التعليم فليس من الحكمة في

شيء. وإذا كانت الاهتمامات مختلفة يجب أن تكون الوحدات الدراسية أثناء التكوين تتماشى وطبيعة التخصص المستهدف، تماشيا مع متطلبات السوق اللغوية التي نريد دخولها. فليس من المنطق أن تظل اللغة العربية محصورة في مجال اللغة والأدب والثقافة، ولا يستطيع اللغوي بعد ذلك الحديث بها في غير هذا المجال التعليمي الضيق الذي لا يخرج عن قضايا اللغة وشؤونها والأدب وشؤونه والثقافة وشؤونها، فإذا اضطر للحديث باللغة العربية عن مجال آخر صعب عليه الأمر وعسرت عليه المهمة، والسبب في ذلك أن الدراسة التي تلقاها أثناء حياته التعليمية إلى غاية الدراسة الجامعية لم تخرج عن دراسة شؤون اللغة والأدب دون سواهما، أما بقية المجالات الأخرى فلا حديث عنها، ولا ذكر لها في المقررات الجامعية. إن مثل هذه الصورة النمطية التي اعتادها الدارسون والمدرسون وواضعو المقرارت والبرامج تعد صورة هزيلة ضيقة، تهين اللغة العربية وتظهرها بمظهر البائس الفقير الذي لا يجيد غير مجال ضيق محصور في قاعات الدرس لا غير. لقد اعتاد كل من يدرس اللغة العربية نحوها وصرفها، أن لا يخرج عن قضاياها النحوية والصرفية وقضاياها البلاغية والخلافات بين النحاة والدارسين، وما يجوز وما لا يجوز من قضايا الدرس النحوي والبلاغي وغيرها. فإذا التفت إلى الناحية الأدبية منها وجدت الحديث عن النظريات الأدبية وتحليل الخطاب الأدبي وفلسفة اللغة، وغيرها مما يدخل في مجال التحليل الداخلي للغة ومستوياتها المعدودة. وهذه مجالات على أهميتها إنما هي الدائرة الضيقة للغة، ولا تعطي الآفاق الرحبة للمجالات اللغوية التي ينبغي أن تعم أنشطة

مختلف العلوم والفنون. إن المطلوب هو أن تقتحم اللغة مجالات الحياة الأخرى التي تعد اللغة العربية اليوم غريبة عنها. فتقتحم المجال الإداري والمجال الصناعي والمجال الطبي والمجال الفني والمجال الرياضي وكافة المجالات الحيوية التي تحرك عجلة المجتمع عامة والمثقفين منهم خاصة. ويتخصص الطلبة في هذه المجالات للحصول على شهادات جامعية تمكنهم من إتقان اللغة العربية في هذه التخصصات المتنوعة. وهي الآفاق المطلوبة التي ننشدها ونطمح خوض غمارها لتنال اللغة العربية قسطها من معركة الحياة الشرسة. إن المطلوب هو توجيه مباحث اللغة العربية وجهة وظيفية اتصالية حرصا على إكساب اللغة العربية سمات المعاصرة والعملية، وخروجا من دائرة التلقين وفائض البلاغة عنها والخلافات النحوية والشواهد، وربط تدريس اللغة العربية بفروع المعرفة العلمية المعاصرة، وتوجيه طلبة اللغة العربية للعمل في قطاعات متعددة من غير قطاعات التدريس، مثل: التدقيق اللغوي والمحرر الإداري في مختلف المؤسسات، والتحرير الصحفي والترجمة والعلاقات العامة والسياحة والسلك الدبلوماسي، وفي كل مجال يمكن أن تكون اللغة فيه رقما من أرقام معادلة ذلك الأمر. ولا يمكن أن يحصل هذا الأمر إلا بإكساب طلبة اللغة العربية والمتخصصين فيها تكوينا متخصصا وثقافة فكرية رفيعة موروثة ومعاصرة، بغية توسيع آفاقهم وإكسابهم القدرة على مناقشة وتحليل قضايا العصر والتعبير عنها بلغة سليمة في المجالات المذكورة عملا على ممارسة اللغة العربية من خلال الواقع الحي والمجالات النشطة.[١] إن مستقبل

---

(١) ينظر مداخلة: مستقبل اللغة العربية في ظل صراع الحضارات، غسان عبد الخالق =

اللغة العربية منوط أولا بتغيير الصورة النمطية لمدرس اللغة العربية، بإعادة تأهيل وبناء شخصية مدرس اللغة العربية من ناحية، والدارس المتوجه للغة العربية من ناحية أخرى. واستقطاب الطلبة ذوي المعدلات المرتفعة والمحترمة، الذين يرغبون فعلا في دراسة اللغة العربية طوعا لا كرها كما هو سائد اليوم، بدلا من أن تعيش أقسام اللغة العربية على طلبة لا يرغبون في هذا التخصص، لأنهم أجبروا عليه، فضلا على معدلاتهم التي لا تسمح لهم بالتوجه لهذا التخصص، واضطروا لدراسة اللغة العربية لأنهم وجهوا لها و لم يتوجهوا إليها، أو لأنهم لم تتح لهم فرص الالتحاق بتخصصات دراسية أخرى. إن المؤسسات التعليمية التربوية العامة والخاصة، هي المؤسسات التي تناط بها تعليم اللغة العربية، وهذه المؤسسات التربوية تحمل على عاتقها مسؤولية تعليم هذه اللغة، والواقع التربوي اليوم يشهد انتكاسات كبرى في هذا المجال، ودور الجامعات هو تنوير المجتمع بما يملكه من مناهج وأدوات، والمطلوب من طلبة الجامعات اليوم وأعني أقسام اللغة العربية تحديدا هو اقتحام هذا الميدان ليكون مجالا فسيحا لإنجاز مذكرات التخرج على أنواعها من خلال البحث عن الإشكالات اللغوية التي تقف عائقا في وجه تعليمية صحيحة للغة العربية. إن ميدان تعليم اللغة العربية في مختلف المؤسسات يعاني ضعفا كبيرا جدا ويبحث عن حلول تنير دربه وترشده إلى الطريق القويم. إن المطلوب هو أن الطالب الجامعي وهو على أبواب التخرج أن

= (باحث وأكاديمي من الأردن)، موقع الكتروني حول صدام الحضارات. أخذ بتاريخ: ٣٠- ٠٥- ٢٠١٠

يبحث عن مختلف الإشكالات التي يعاني منها دارسو ومدرسو اللغة العربية ليقدم حلولا علمية وخدمة نافعة للتعليم، في مختلف أنشطة تعليم اللغة العربية الأدبية منها واللغوية، وفي مختلف المستويات اللغوية من المجالات الصوتية إلى المستويات الدلالية. إن المجالات المتعددة التي تبحث عن حلول في مجال التربية أكثر من أن تحصى، ولا أستثني شيئا من مقاييس بناء المحتوى التعليمي اللغوي أو الأدبي على السواء، بدأ من عملية اختيار المحتوى فالعرض فالتدرج فالترسيخ ثم عملية التقويم النهائية.[١] لأن "الظاهرة الخطيرة لأزمتنا اللغوية هي أن التلميذ كلما سار خطوة في تعلم اللغة، ازداد جهلا بها ونفورا منها، وصدودا عنها، وقد يمضي في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط فيتخرج من الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطابا بسيطا بلغة قومه".[٢] وأن المطلوب وباختصار من رجال اللغة أن تتكاثف جهودهم، وأن تتقارب أفكارهم في سبيل النهوض الفعال بمستوى لغتهم وعلى رأسها صرح النحو العربي، الذي يعد في العلوم اللسانية بمنزلة الدستور من القوانين الحديثة، هو أصلها الذي تستمد من عونه، وتستلهم روحه، وترجع إليه في جليل مسائلها..[٣] ولقد تعالت الصيحات منذ أمد من السنين على ضرورة تخليص

(١) وقد خصصت كتابا صغيرا لهذه القضية يمكن العودة إليه."مقاييس بناء المحتوى اللغوي" طبع بالجزائر سنة ٢٠١٠

(٢) لغتنا والحياة، عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، القاهرة، ط٢، دت، ص١٩٦

(٣) ينظر: اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧١، ص٦٦

النحو العربي من شوائبه التي داخلته عبر القرون، وإن خطوة عملية واحدة خير من ألف صيحة تذهب أدراج الرياح. وعليه يجب أن نحقق لكل فئة تعليمية ما يناسبها من المادة اللغوية بعد تحديد الغايات البيداغوجية، والمستوى اللغوي المطلوب، والمعارف السابقة التي تبنى عليها، والوقت المخصص لهذه العملية، وغير ذلك مما يجعل تعليم اللغة يحقق أهدافه مع كل فئة من الفئات. فإذا كان المتعلم في مرحلة تعليمية ما، فإنه ينبغي معرفة احتياجاته ومتطلباته اللغوية في هذه المرحلة، حيث ينبغي تحديد ما يحتاجه هذا المتعلم من عناصر لغوية محددة دون زيادة، وهذا ما يدفع المعلم والجهات الوصية إلى التفكير بجدية في الألفاظ والتركيب الملائمة للمتعلم في أي طور من الأطوار الدراسية. أما عرض المادة فيتوقف على كفاءة المدرس والفنيات التي يتمتع بها، والتي تساعده على تحقيق الهدف، وهي مسألة ذاتية، لها علاقة بتكوينه ورغبته في العمل وخصائصه الجوهرية التي يتمتع بها، وعلى الوسائل الممكنة التي تعينه وتسهل عليه القيام بالمطلوب. والتدرج في المادة فآلية تربوية مهمة، لأن المادة اللغوية لا تؤخذ دفعة واحدة. أما ترسيخها فعملية انتقال المعلومات من الذاكرة اللحظية إلى الذاكرة الدّائمة، حيث يتوقف نجاحها على مدى ماحكاه المتعلم من نماذج لغوية، لذلك تظل الممارسة الفعلية للغة هي الضمان الأكثر لتحقيق الترسيخ، والتي ينبغي أن تستغرق وقتا أطول. وأخيرا التقويم (التمارين/الاختبار) وهو عملية التأكد من مصداقية تحقيق الغايات التربوية والأهداف التعليمية التي تتبناها المؤسسة ومدى موافقتها لنمو الفرد وحاجات المجتمع. إضافة إلى كل هذا، هناك

قضايا يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، وهي جزء من العملية التعليمية، كالحرص على تعليم القواعد النحوية بالطرق المناسبة وبأكثرها فاعلية.[١] كل هذه قضايا تتطلب بحوثا ميدانية مستمرة لأنها تتطور مع تطور الحياة المتنوعة الأشكال. لذلك نجد أن أدب الطفل والتنمية اللغوية والمعرفة الموجهة إلى الطفل تشهد في العالم اليوم اهتماماً كبيراً من طرف الباحثين والمسئولين، تحقيقا للتنمية اللغوية، لأن الطفل هو المستهدف الأول في عمليات التغيير المستمرة باتجاه المستقبل، ولأن طفل اليوم هو مستقبل الغد، وما نعده اليوم هو الصورة التي نعيشها في الغد بعد عشرية من الزمن أو أقل أو أكثر، لذلك فالمعرفة ليست حكراً على الكبار دون الصغار، بل لا ينبغي التركيز على الكبار والاهتمام بهم دون الصغار، وإنما هي ملك للجميع، إن لم نقل هي للأطفال أولى، أولئك الذين ينبغي أن تصل إليهم المعرفة الشاملة وفق ضوابط منهجية ونفسية وعقلية معينة على مدار العمر كله. لذلك من واجب كتّاب أدب الطفل أن يكونوا مهيئين للكتابة وفق الشروط العلمية المطلوبة، لأن من أبرز ما يجب أن نوجه إليه الطفل، هو حبه للقراءة والمطالعة المختلفة منذ سنواته الأولى، وهذه مسؤولية الأسرة أو المربية أو المعلمة بالدرجة الأولى، لأنه من المهم أن ينشأ الطفل على مصاحبة الكتاب فيكون صديقاً له منذ سن مبكرة، ولاسيما الكتاب الأدبي الذي يتزود منه لغويا، ولعل أفضلها كتب الإبداع الأدبي كالقصة التي تمنح الطفل التنمية

---

(١) ينظر: في نقد النحو العربي، صابر أبو السعود، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، دط، ١٩٨٨، ص٧٣ (نقلا عن طه حسين من محاضرة ألقاها بدمشق سنة ١٩٥٦)

الحقيقية الواسعة في شتى الأبعاد.

الثانية: الإعلام والترسيخ اللغوي: منذ ظهور الصحافة في البلاد العربية في القرن التاسع عشر، والباحثون يحذرون من انحدار اللغة إلى مستويات متدنية، فتعالت صيحات الكتاب والأدباء داعية إلى الحرص على صحة اللغة وسلامتها، وظهرت عدة كتب تعنى بتصحيح الخطأ، وتقويم أساليب الكتابة، وتردّ الاعتبار إلى اللغة العربية. إن الهدف الأساس من اللغة هي وسيلة اتصال، ونقل معلومات بأفضل الطرق، واللغة تعتبر وسيلة الاتصال الأساسية الأولى. والاتصال تبليغ عن طريق الكلام المنطوق أو الكتابة. هذه العملية تتم عبر سلسلة من التفاعلات المتبادلة المترابطة، أي: بين مرسل، ومستقبل، ورسالة، ووسيلة اتصال، كما هو معروف في دورة التخاطب العادية، وقد تعدّدت قنوات الاتصال ومنابره، كالجرائد والراديو والتلفزيون والسينما، وكل وسيلة تحمل نوعا خاصاً من الرسائل تختلف عن الأخرى، تهدف بعضها إلى الترفيه وأخرى إلى التثقيف وأخرى إلى الإعلام وهكذا. وعملية الاتصال لا تقوم على المرسل والمستقبل فقط، فلا تنجح إلا بالرسالة، واللغة هي وسيلة الاتصال. فلكل كلمة رمز، فهي ليست مصطلحات رمزية مجردة، لكنها ضمن التركيب اللغوي تكون قائمة على نقل المعنى، فالكلمة ضمن السياق الكلامي يختلف مدلولها الرمزي في كل مرة، فيكون لها بعدان: بعد مادي، وبعد معنوي، فيهتم رجل الإعلام الجماهيري بالبعد المعنوي للكلمة؛ لأن همه الوحيد هو فهم الجمهور العام، فعندما نتصل بغيرنا نحاول أن نقيم مشاركة مع من نتصل به، من هنا تظهر

أهمية اللغة باعتبارها أهم وسيلة اتصال، فهي الأساس القائم عليها جميع وسائل الاتصال الأخرى، فلا بد من إيجاد لغة جديدة، ومبسطة ومنسجمة مع حاجة كل وسيلة إعلامية.[1] ونظراً إلى التأثير العميق والبالغ الذي يمارسه الإعلام في اللغة، وفي الحياة والمجتمع، فإن العلاقة بين اللغة العربية والإعلام أضحت تشكل ظاهرة لغوية جديرة بالتأمل، لأنه بالرغم من انتشار وتوسَّع نطاق اللغة وامتدادها وإشعاعها إلى أبعد المدى بهذه الوسائط التي ذكرناها، يمكن القول إن اللغة- كل لغة- ومنها العربية لم تعرف هذا الانتشار والذيوع في أي مرحلة من التاريخ. وهذا مظهر إيجابي دون شك، باعتبار أن مكانة اللغة العربية قد تعززت بفعل هذا الانتشار المكثف غير المسبوق، وأن الإقبال عليها زاد بدرجات فائقة، وأنها أصبحت لغة عالمية بالمعنى الواسع للكلمة. إلا أن شيوع الأخطاء والأغلاط في اللغة، وفشوّ اللحن على ألسنة الناطقين بها، والتداول الواسع للأقيسة والتراكيب والصيغ والأساليب غير السليمة، والتي تفرض نفسها على الحياة الثقافية والأدبية والإعلامية، على حساب الفصحى، حينها تصبح اللغة الهجينة هي القاعدة، والفصيحة هي الاستثناء. وهذا مظهر سلبي للظاهرة، ومن هنا تبدأ الخطورة على اللغة العربية. إن من قضايا رسم السياسة اللغوية في البلاد هو تحديد اللغة التي ينبغي استعمالها كأداة في وسائل الإعلام الجماهيري، لأنه من واجب

---

(١) ينظر: موقع الفصيح في علوم اللغة، بتاريخ: ١٦- ٠٥- ٢٠١٠ في الموقع المذكور آراء متعددة حول دور الإعلام في اللغة.

الحكومات أن تحدد اللغة المستعملة للتخاطب مع الجماهير. ويعد تحديد استعمال اللغة في وسائل الإعلام الجماهيري أحد مظاهر رسم السياسات اللغوية المحكمة، لقد أكد تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنة(٢٠٠٣) إمكانية اعتماد اللغة العربية في بناء مجتمع المعرفة. فقد أظهر التقرير أن اللغة العربية مهيأة لتأدية دور فاعل ومهم في بناء مجتمع معرفة عربي، بحيث يستقبل المعرفة وينتجها بالعربية، وذلك اعتمادا على معطيات واقعية محددة، وخاصة مع انتشار الإنترنت التي يمكن أن تفضي إلى أن تصبح اللغة العربية من أهم مقومات التكتل المعلوماتي، ومقابلة التحدي الذي تواجهه البلدان العربية في المنطقة. فقد عملت هذه اللغة على إنجاح وسائل الإعلام وواكبت العصر، وبرهنت على قدرة هذه اللغة بوصفها أداة متميزة من أدوات الاتصال، وتتأتى قوة اللغة في تأثيرها في مشاعر الناس وفي سلوكهم ومعتقداهم، فقد كانت لها تأثيرات سلبية لأنها لم تراقب المراقبة المطلوبة بالقدر الذي نسعى إليه. فإذا كانت الصحافة طوعت اللغة، وجعلتها مرنة، تفي بمتطلبات العصر، واستوعبت التطورات العظيمة المصاحبة للنهضة، فشاعت الألفاظ الجديدة، والمصطلحات الحديثة، كان لها تأثيرها السلبي، وذلك بسبب ضعف التكوين وغياب العنصر المثقف اللغوي والمهني في الآن نفسه. وقد أدى هذا الضعف اللغوي إلى ضعف في الأداء الإعلامي انعكس سلبا على الصحافة نفسها، فأصبح الذين يكتبون لا يلتزمون باللغة الإعلامية الجماهيرية الفصيحة المبسطة، وهي اللغة المطلوبة لهذا المنبر الجماهيري العام الذي يصل إلى أغلبية القراء على تفاوهم. يفسِّر علماء النفس السلوكيون

بأن اللغة عادات لفظية، والعادات تُكتسَب بالتكرار والتعزيز. فالطفل بعد ولادته، يسمع لغة الأم مراراً وتكراراً قبل أن يأخذ في الكلام تدريجياً، ولكن الأطفال يجلسون أمام شاشات التلفزيون أكثر من جلوسهم في قاعة الدرس بالمدرسة، يتعلَّمون اللغة من الإعلام أكثر من أي مصدر آخر. وخلافاً لدستورية اللغة العربية، نجد أنَّ الإعلام الرسمي يعمل على تهميش اللغة العربية المشتركة التي يتعلّمها التلاميذ في المدرسة، بطريقة تغليب العاميات، أو تغليب لغة أجنبية على اللغة العربية تحت غطاء الثنائية اللغوية، بحيث يؤدّي ذلك إلى تقليل فرص تعلُّم اللغة الوطنية المشتركة وتعزيزها من ناحية، وإلى التداخل اللغوي السلبي لدى الأطفال من ناحية أخرى.[1]

ــ **وخلاصة القول**: ينبغي للتّخطيط اللغوي أن يكون على نطاق الجامعة العربية ومؤسساتها بمساعدة المؤسسات اللغوية المختلفة والجامعات العربية، مع مراعاة الخصوصيات الجزئية التي تعرفها بلدان بعينها، دون التفريط في اللغة الأساسية التي لا خلاف أنها اللغة العربية الفصحى. والتّخطيط اللغوي ينبغي أن يكون شاملاً لا جزئياً، يكون في مجال التعليم على اختلاف مراحله، وعلى نطاق الإعلام ووسائله، وعلى نطاق الإدارة وأجهزتها، وعلى نطاق الجامعات والتعليم العالي، وعلى نطاق المؤسسات الرسمية ذات الطابع اللغوي والأدبي، كالاتّحادات والنقابات. وينبغي أن يشرف عليه علماء قديرون وباحثون يعملون بروح الإخلاص. فالتخطيط اللغوي لا يتحقّق الغرض المنشود منه إذا لم تسِر اللغة وإصلاحها والجهود في

(١) – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الالكسو، تونس ٢٨ فيفري ٢٠١١

ذلك سيراً متوازياً في كل مجالات الحياة العلمية والأدبية واليومية، وضرورة ممارستها في وسائل النشر وقاعات الدرس... والدوائر الرسمية...الخ.[1] "والتجارب الأوروبية في دعم اللغة الوطنية داخل الدولة من خلال التعليم والإعلام والإدارة ثمّ في الحياة اليومية تُعدّ نماذج جادَّة في هذا الاتجاه."[2] فإذا أحكمت هذه الخطة الإستراتيجية، وتسلّحت بالإدارة الرشيدة والإرادة القوية وآلية صنع القرارات، فإن المشروع اللغوي سوف يكتب له النجاح، كما نجحت تجارب التخطيط اللغوي في بلدان العالم المتقدم اليوم........ وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

(١)- سلامة اللغة العربية وأثرها في المناهج المدرسية، زهير غازي زاهد، جامعة بغداد، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب- المغرب.

(٢)- البحث اللغوي، حجازي محمود فهمي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٣. ص ١٢٤

مصادر المقال ومراجعه:

أولا: الكتب:

- القرآن الكريم
١- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، حجازي محمود فهمي، – مكتبة غريب، ١٩٩٣ القاهرة.
٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دت،
٣- البحث اللغوي، حجازي محمود فهمي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٣.
٤- التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، خليفة أبو بكر الأسود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦
٥- التخطيط اللغوي، حلمي خليل، صحيفة "لتخطيط التربوي في البلاد العربية"، عدد١٠ بيروت، ٢٠٠٤
٦- الثنائِية اللغَويَّة فِي الُمجتمعَاتِ العَرَبِيَّةِ، مصطفى الشليح، مداخلةٍ قدمت إلى مؤتمر "لغة الطفل العربي قي عصر العولمة" القاهرة: ١٩ فبراير ٢٠٠٧ بمقر الأمانة العامة للجامعة العربية.
٧- الدستور الجزائري لسنة ١٩٩٦.
٨- التربية والشخصية الوطنية، رابح تركي المجلة الجزائرية للتربية، وزارة التربية الوطنية، العدد١، السنة:١، نوفمبر ١٩٩٤،
٩- التربية والشخصية الوطنية، رابح تركي المجلة الجزائرية للتربية، وزارة

التربية الوطنية، العدد الأول، السنة الأولى، نوفمبر ١٩٩٤،
١٠- سلامة اللغة العربية وأثرها في المناهج المدرسية، زهير غازي زاهد، جامعة بغداد، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب- المغرب.
١١- السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي في العالم العربي، عبد الله الشمري، صحيفة الاقتصادية الالكترونية، عدد ٥٨٨٨، بتاريخ: ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٩ وعدد ٥٨٩٥، بتاريخ: ٠١ ديسمبر ٢٠٠٩، المملكة العربية السعودية.
١٢- السياسة وسلطة اللغة، عبد السلام المسدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧
١٣- صدام الحضارات، صمويل هنتنغتون، ترجمة طلعت الشايب، كتاب سطور، ط٢، ١٩٩٩.
١٤- العولمة والعولمة المضادة، عبد السلام المسدي، كتاب سطور(٦)،١٩٩٩. وموقع العربية بين اللغات البشرية، رشيد عبد الرحمان العبيدي، مجلة المجلس الأعلى، الجزائر٢٠٠١،
١٥- في نقد النحو العربي، صابر بكر أبو السعود، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان- دط- ١٩٨٨
١٦- لجنة تمكين اللغة العربية واتحاد الكتاب العرب المشروع النهضوي العربي"اللغة مرتكزاً" بتاريخ: ٢٩ آذار ٢٠١٠.
١٧- اللغة العربية إلى أين؟مقال: مشكلات التعليم باللغة العربية في المناطق الثنائية اللغة في الوطن العربي، يوسف الخليفة أبوبكر،
١٨- اللغة العربية وعلوم العصر، مسعود بوبو، مقال في مجلة الفكر العربي،

العدد ٦٠ سنة ١٩٩٠

١٩- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧١،

٢٠- لغتنا والحياة، عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، القاهرة، ط٢، دت،

٢١- المجلس الأعلى للتربية، المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسي، مشروع تمهيدي، ديسمبر ١٩٩٧،

٢٢- المجلس الأعلى للغة العربية، مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، العدد الأول، مارس ١٩٩٩،

٢٣- مفهوم التخطيط ما هو؟ وكيف؟ محمد المحمدي الماضي، أستاذ إدارة الإستراتيجية، كلية التجارة، جامعة القاهرة

٢٤- مقاييس بناء المحتوى اللغوي، عبد المجيد عيساني، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط١، ٢٠١٠

٢٥- الميثاق الوطني الجزائري ١٩٨٦.

٢٦- النحو العربي بين الأصالة والتجديد، عبد المجيد عيساني، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٨

٢٧- النشر في القراءات العشر، الحافظ أبو الخير الدمشقي، در الفكر، بيروت، ١٩٨٥

٢٨- وزارة التربية، مديرية الدراسات القانونية والتقنين والمنازعات النصوص الأساسية الخاصة بقطاع التربية، فيفري ١٩٩٢،

ثانيا: الدوريات:

١- جريدة الاتحاد –أبو ظبي- تاريخ: تاريخ النشر ليوم: ٢٤ فبراير ٢٠١١

٢- الجريدة الرسمية، نص مشروع تعديل الدستور، استفتاء ١٩٩٦/١١/٢٨، ع ٦١، السنة ٣٥، تاريخ الصدور ١٦٩٦/١٠/١٦.

٣- الشروق اليومي، جريدة جزائرية يومية وطنية، ليوم: ١٦- ١٢- ٢٠١٠

٤- مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، المجلد الأول ج ٠١ سنة ١٩٧١- والعدد: ٠٤- لسنة ١٩٧٣،٧٤

٥- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وذلك في: ٠٩ جوان ٢٠١٠

ثالثا: الندوات:

١- ندوة بتاريخ: ٢٧ كانون أول ٢٠١٠

٢- ندوة مخطوطة عقدها منطقة سانا بدمشق خلال شهر جانفي ٢٠١٠

٣- ندوة أعدت بالجزائر وشارك فيها شخصيات ومسئولين سابقين في الجزائر، بتارخ: ١٩ يونيو ٢٠٠٢

٤- ندوة مخطوطة أقامها الاتحاد الاشتراكي المغربي، بتاريخ: ٢٣- جوان ٢٠١٠

رابعا: منظمات:

١- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، "مكتب تنسيق التعريب"، الالكسو، تونس.

خامسا: مدونات:

١- السياسة اللغوية في المغرب واقع وآفاق، **مدونة عبد الفتاح الفاتحي**، وكالة المغرب العربي للأنباء، الرباط، بتاريخ ٠٨ جوان ٢٠١٠

سادسا: المواقع الالكترونية:

١- الموقع الالكتروني، محمود الذوادي
www.romuz.com m.thawad@yahoo.ca
بتاريخ٠٦جوان٢٠١٠

٢- موقع الفصيح في علوم اللغة، بتاريخ: ١٦- ٠٥- ٢٠١٠

٣- موقع المجلس الأعلى للغة العربية، بتاريخ: ١٠_ ٠٤_ ٢٠١١
محينا فى: ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠

٤- موقع الكتروني حول: "صدام الحضارات". أخذ بتاريخ: ٣٠- ٠٥- ٢٠١٠

٥- موقع "الملتقى التربوي" السياسة اللغوية في البلدان العربية: الإعلام نموذجاً، علي القاسمي، صحيفة الاقتصادية، السبت مايو ١٥، ٢٠١٠

٦ - موقع الكتروني لصحيفة: "الأزمنة" عدد: ١٨٩ بتاريخ: ٠٣- ٠١- ٢٠١٠

فهرس الموضوعات

العولمة وأثرها على اللغة العربية

إعداد

الدكتور/عصام عيد فهمي عثمان أبوغربية

المقدِّمة

ليست اللغة غاية في ذاهّا، بل هي أداة تواصل ووسيلة تفاهم بين الأفراد والمجتمعات، وهي كذلك سبيل للتعبير عن خلجات النفس وأنَّات الفؤاد. إنَّها مَجْلى الأفكار والمشاعر والعواطف والمعارف والمعلومات، كما أهّا وعاء الثقافة والتربية والسياسة والعلوم.

إنَّ اللغة بشكل عام هي مرآة للأمم يعرفون من خلالها ماضيهم وحاضرهم، وهي وسيلة للتعبير عن آمال الأمم وآلامها.

وللغة العربيَّة عند العرب شأنٌ كبير؛ فقد كانوا أصحاب كلام وقول ، وبيان وفصاحة. وقد حملت هذه اللغة العلم والثقافة والفكر والحضارة والتأليف والإبداع قرونًا طويلة؛ حيث هجر مواطنو غرب آسيا وشمال أفريقيا وجنوب أوروبا لغاهّم الأمّ ولهجاهّم الأصلية ودياناهّم الأولى إلى اللغة العربيَّة والدين الإسلامي، وكان لبعضهم دور بارز في وضع قواعد العربيَّة وصناعة مناهجها. وقد بَرَع من هؤلاء علماء في آداب اللغة وعلومها نحوًا وصرفًا وعروضًا ومعجمًا وبلاغة. وهذا ما يُحْمد للعربيَّة أنْ وَحَّدتْ بين شعوب وألَّفت بين قلوب.

إنَّ مِن منَّة الله – تعالى – وفضله على اللغة العربيَّة أنْ أعلى شأهّا وأكبر قيمتها. وقد استمدت أهميتها من كوهّا لغة الوحي الإلهي المنزَّل على قلب سيدنا محمد – صلى االله عليه وسلم – الرسول الأمين المبلغ عن ربه، ولغة السابقين الأولين الذين وضَّحوا المقاصد وبيَّنوا الدلالات. يقول الله – تعالى –: **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** [يوسف: ٢]، ويقول –

تعالى -: **{وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً...}** [طه: ١١٣] ، ويقول - تعالى -: **{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** [الزخرف: ٣] ، ويقول - أيضًا -: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}** [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

لقد أضفى القرآن الكريم والدين الإسلامي على اللغة العربيَّة صبغة اللغة العالمية بعد أن كانت محصورة في محيط جزيرتها العربيَّة ، ومن ثَمَّ تراجعت لغات؛ مثل: القبطية في مصر، والآرامية في لبنان ، والبربرية في المغرب العربي، وغيرها.(١)

يقول الثعالبي مبيِّنًا المكانة العظيمة والأهمية الكبيرة للغة العربيَّة: «من أحبَّ الله أحبَّ رسوله المصطفى –صلى الله عليه وسلم – ، ومن أحبَّ النبيّ العربي أحب العرب، ومن أحبَّ العرب أحبَّ اللغة العربيَّة التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبَّ العربيَّة عُنِي بها وثابر عليها ، وصرف هِمَّته إليها !» (٢).

ويقول كبير وزراء ولاية (لمنتان) في ماليزيا، موجِّهًا كلامه إلى العرب وذاكرا أنَّ لغتهم العربية ليست ملكا خاصًّا بهم وحدهم ، بل هي ملك عام لجميع من رضي بالله ورسوله وكتابه المبين: «لم تَعُد العربيَّة بنزول القرآن الكريم بها لغتكم وحدكم فحسب ، وإنَّما لغتنا نحن المسلمين جميعًا كذلك ، فندعوكم باسم الواجب والأخوَّة الإسلامية إلى تعليمنا هذه اللغة الشريفة »(٣).

---

(١) ينظر: اللغة العربيَّة وتحديات القرن الحادي والعشرين ١٠٤ ، ١٠٥.

(٢) فقه اللغة وأسرار العربيَّة: لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبيّ ٥٩.

(٣) اللغة العربيَّة وتحديات القرن الحادي والعشرين ١٥٩.

ويذكر الأستاذ عباس محمود العقاد أنَّه «إذا قيس اللسان العربيّ بمقاييس علم الألسنة؛ فليس في علم اللغات لغة أوفى منه بشروط اللغة في ألفاظها وقواعدها»[(١)].

وقد حملت العربيَّة لواء العلم والمعرفة والحضارة في الطب والفلك والزراعة والكيمياء والهندسة والرياضيات قرونًا طويلة وأعوامًا عديدة، ونالت قدرًا كبيرًا من اهتمام الخلفاء المسلمين؛ حيث نَشَّؤوا أولادهم عليها منذ صِغَرِهم، وبذلوا جهودًا كبيرة في صيانتها والحفاظ عليها في عصورها الزاهرة؛ فاستطاعت بذلك استيعاب معطيات الحضارة وجوانبها ومناحيها.

لقد أهَّلت خصائص العربيَّة وصفاها وقدراها وسعتها ومرونتها (في البنية والاشتقاق والنحو والتركيب) اللغة العربيَّة لاستيعاب متغيِّرات العصر وتطوراته واختلافاته. ومن أهم تلك الخصائص التي تميز العربيَّة: المشترك، والترادف، والتوليد، والمجاز، والقياس، والتضاد، والاشتقاق، والتعريب، والنحت، والدخيل... إلى آخر هذه الجوانب الدَّالة على مرونة العربيَّة وسعتها[(٢)]

إنَّ اللغة العربيَّة لا تفتقر إلى اسم آلة أو اسم مكان أو اسم زمان أو مصدر أو ما شَابَهَ ذلك؛ ففيها من السعة والمرونة ما هو قادر على استيعاب كل جديد. يقول حافظ إبراهيم شاعر النيل في قصيدة الذائعة «اللغة العربيَّة تنعي حظها بين أهلها»[(٣)]:

---

(١) اللغة العربيَّة وتحديات القرن الحادي والعشرين ١٥٩.

(٢) ينظر صفحات كتاب: فقه اللغة وخصائص العربيَّة ، تأليف: محمد المبارك.

(٣) ديوان حافظ إبراهيم ٢٥٣/١ ، ٢٥٤.والأبيات من بحر الطويل التامّ ، عروضها =

وَلَدتُ وَلَمّا لَم أَجِـد لِعَرائِـسي رِجـالاً وَأَكفـاءً وَأَدتُ بَنـاتي
وَسِعتُ كِتابَ اللَهِ لَفظـاً وَغايَـةً وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظـاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ وَتَنسيقِ أَسمـاءٍ لِمُختَرَعـاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كـامِنٌ فَهَل سَاءَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي
فَيا وَيحَكُم أَبلى وَتَبلـى مَحاسِـني وَمِنكُم وَإِن عَزَّ الـدَّواءُ أَسـاتي
فَـلا تَكِلـوني لِلزَّمـانِ فَـإِنَّني أَخافُ عَلَيكُم أَن تَحـينَ وَفـاتي
أَرى لِرِجالِ الغَربِ عِـزّاً وَمَنْعَـةً وَكَم عَـزَّ أَقـوامٌ بِعِـزِّ لُغـاتِ
أَتَوا أَهلَهُـم بِـالُمعجِزاتِ تَفَنُّنـاً فَيا لَيـتَكُم تَـأتونَ بِالكَلِمـاتِ

وبالرغم من ذلك فإنه نظرًا لضعف الأمَّة العربيَّة الآن ضَعُفَتْ لغتُها(١) ، كما رماها المغرضون الحاقدون بالجمود والتخلُّف والرجعية ، و لم يبق لها ذلك الأَلَقُ والزَّهو والظُّهور الذي كان ملازمًا لها في العصور الزاهرة الزاهية ، بل دخلت الآن في طَوْرٍ من الأُفُول والاضمحلال بفعل حقيقة العولمة. إن حال اللغة العربيَّة في ظل العولمة أصبح خطيرًا ، وقد ظلمت في مواقع كثيرة بالرغم من سهولتها وعدم غموضها وقدرتها على توصيل المعنى المراد توصيله بدقة ووضوح.

نحاول من خلال هذا البحث الوقوف على العلاقة بين اللغة العربيَّة والعولمة من خلال العناصر الآتية:

- تاريخ العولمة.

= مقبوضة وضربها ناقص.

(١) معلومٌ أنَّ قوَّة اللغة وضعفها يرتبط وجودًا وعدمًا بقوة الأمة وضعفها.

- الموقف من العولمة.
- مفهوم العولمة اللغوية.
- الآثار الإيجابية للعولمة على اللغة العربيَّة.
- الآثار السلبية للعولمة على اللغة العربيَّة.
- واجبنا تجاه العربيَّة في عصر العولمة.

وهاك بيانَ ذلك:

تاريخ العولمة

إنَّ تاريخ ظاهرة العولمة تاريخ قديم ، وليس وليد العصر الحاضر [١]؛ فالطبيعة الإنسانية تميل إلى التحرُّك من مكانها والاتساع في محيطها شيئًا فشيئًا. وقد بَرَزَتْ هذه الظاهرة منذ أمدٍ بعيد؛ فقد بسطت بعض الإمبراطوريات القديمة سيطرتها على العالم ، ومن ذلك الإمبراطوريتان الفارسية والروميَّة اللتان سيطرتا على العالم فترة ما قبل الإسلام. كما نشرت الثقافة العربيَّة والهُويَّة الإسلامية هيمنتها على العالم قرونًا طويلة.

وقد تطوَّر الأمر في حدود القرن السابع عشر مع بداية الاستعمار الغربي لآسيا وإفريقيا، وزاد ذلك التطوُّر مع ظهور الثورة الصناعيَّة وتطوُّر طبيعة الإنتاج، ثم وصل الأمر ذِرْوَته بعد ذلك عَقِبَ انهيار الاتحاد السوفيتي وزوال دول أوربا الشرقية وانفراد الولايات المتحدة بالقيادة والرِّيادة. وما فَتِئت الثقَافة الأمريكية تجتاح الدول المعاصرة ، مستفيدة من انتشار استخدام التكنولوجيا وتطوُّر الاتصالات، وظهور منظمة التجارة العالمية ، وتحرير التجارة الدوليَّة، والتحوُّل للاقتصاد الخاص (الخصخصة). وتنافست ثقافتان تريدان فرض سيطرتهما على العالم[٢]:

---

(١) جذور العولمة قديمة قدم الحضارات الإنسانيّة؛ فحيثما وجدت هيمنة لإحدى الدول أثرت في محيطها. ينظر:

http://www.arabthought.org/node/٢٤٩

(٢) ينظر: الإعلام العربيّ وقضايا العولمة ٣٦. ونود الإشارة إلى أنَّ هناك من يرى أنَّ ظاهرة العولمة بدأت في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، =

الأولى: الثقافة الأنجلو أمريكية (الأنجلوفونية) التي تحاول نشر نمط الحياة الأمريكية في جميع دول العالم من خلال البرامج والأفلام والمسلسلات الأمريكية.

والثانية: الثقافة الفرنسية (الفرانكفونية) التي تقاوم هذه النزعة تجاه الهيمنة الأمريكيَّة وتزيح ما تبثُّه من برامج وأفلام ومسلسلات أمريكية في الإعلام المسموع والمرئيّ.

لقد فرضت العولمة نفسها على الاقتصاد والثقافة والاجتماع والإعلام والتعليم والإدارة والسياسة، وغيرها. وانمحت معها الخصوصيات، وذابت الهويات، وسُلِبتْ خيرات الشعوب والأمم، وتغيَّر كلّ شيء.

ظهر مصطلح العولمة في مجال الاقتصاد والتجارة، ثم تجاوز هذه الدائرة ليشمل أمورًا أخرى؛ كالسياسة والاجتماع والتربية والفكر والثقافة والاتصالات؛ فبرز ما يُسمَّى بـــ«العولمة الاقتصادية»، و«العولمة السياسية»،

= وذلك بعد هزيمة الدولة العربية الإسلامية في الأندلس وبروز إسبانيا والبرتغال ثم هولندا وبريطانيا. وقد حدَّد روبرستون (Robertson) خمس مراحل لولادة العولمة هي: المرحلة الجينية: وقد استمرت في أوربا من بداية القرن الخامس عشر حتى القرن السابع عشر ، ومرحلة النشوء: وقد استمرت في أوربا من القرن الثامن عشر حتى عام ١٨٧٠ م ، ومرحلة الانطلاق: وقد استمرت في أوربا من عام ١٨٧٠ م حتى عشرينيَّات القرن العشرين ، ومرحلة الصراع من أجل الهيمنة: وقد استمرت من عشرينيات القرن العشرين حتى منتصف القرن نفسه ، ومرحلة عدم اليقين: وقد بدأت منذ النصف الثاني من القرن العشرين. ولكل مرحلة سمات وخصائص. ينظر:

http://www.arabthought.org/node/٢٤٩

و«العولمة الإعلامية»، و«العولمة الثقافية»، و«العولمة اللغوية»... إلخ.

الموقف من العولمة:

إنَّ الموقف من العولمة يدور في اتجاه مما يأتي: [(١)]

الاتجاه الأول: يتحيَّز للعولمة ويقبلها من غير تحفُّظ؛ لما لها من آثار إيجابيَّة؛ مثل: اختفاء الفساد الإداري والاقتصادي ، والشفافية ، والتقارب بين الشعوب، وإضعاف الديكتاتوريات ، وغيرها.

والاتجاه الثاني: يرفض العولمة رفضًا كاملاً بوصفها إعادة إنتاج لنظام الهيمنة الرأسمالي ، والسيطرة على الأسواق المحليَّة، وإلغاء الدَّعم الزراعي، وتآكل سيادة الدولة وانهيارها ، وفرض الوصايا الأجنبيَّة ، وخلط الثقافات، وازدياد الفقراء فقرًا ، وانتشار التغريب ،... وغيرها.

وبين هذين الاتجاهين هناك اتجاهٌ ثالثٌ يدعو إلى التفاعل الواعي مع العولمة والتكامل المخلص معها[(٢)].

ليست العولمة شرًّا دائمًا لابدّ من تجنُّبه والفرار منه ، كما أنها ليست مرارة يلزمُ مجُّها وتلفُّظها؛ فلها إيجابياتُها وسلبياتها ، ولها حلاوتها ومرارتها ، ولها خيرُها وشرُّها ، وفيها ما يُحْمَد وما يُذَمُّ.

وبالرَّغم من شرور العولمة وسلبياتها؛ مثل: هيمنة نمطٍ واحدٍ من الثقافة والحضارة على غيره من ثقافات البشر وحضارتهم مع نفي الآخر ونبذه، والسيطرة على الإدراك والوعي من خلال الصورة البصريَّة،

---

(١) ينظر: دور مؤسسات التربية الإسلامية في العولمة اللغوية ٧٤.

(٢) السابق نفسه.

والتشويش على القيم والأخلاقيات والسلوكيات، والإفراط في الاستخدام السيء للإنترنت، والمعاكسات المقيتة عن طريق استخدام الهاتف النقَّال، وغيرها؛ فإنَّ ما نريده ونبتغيه هو احترام ثقافة الآخرين مع الاحتفاظ بالخصوصية والذاتيَّة والهويَّة والكينونة. وهذا يعني أننا نشجِّع على تبادل الأفكار والثقافات والحضارات واللغات مع الأفراد والشعوب الأخرى، والتحاور معها مع احتفاظنا واعتزازنا بقيمنا وعاداتنا ومبادئنا وتقاليدنا وسلوكياتنا وتاريخنا ولغتنا وثقافتنا.

إنَّ الانغلاق عن العالم وعدم الإدراك الكبير للمستجدات الحديثة والمتغيّرات المعاصرة غير مجدٍ في هذا العصر المتقلِّب الذي سيطرت عليه هذه الثقافة المسماة بـ«ثقافة العولمة».

مفهوم العولمة(١):

تعدَّدت تعريفات العولمة وتباينت ، ولم يتمّ الاتفاق عليها (بوصفها مصطلحًا حديثًا)؛ وفقًا لتعدُّد زوايا النظر إليها وتنوُّع تخصُّص المعرفين لها

(١) فرَّق بعض الدارسين بين العولمة والعالمية بأنَّ العولمة عبارة عن احتواء للعالم ، وهي فعل إرادي يهدف إلى اختراق الآخر وسلبه الخُصوصيَّة الثقافية. أمَّا العالمية فتعني الانفتاح على كل ما هو كونيّ وعالميّ ، وهي تهدف إلى إغناء الهويَّة الثقافيَّة. [ينظر: الإعلام العربيّ وقضايا العولمة ٢٠].

إنَّ لثقافة العولمة خصائص كثيرة؛ منها: الميل للهيمنة ، والاختراق ، وعدم الخصوصيَّة ، والاعتماد على الصورة المرئيَّة في التلفاز ، واستخدام التقنية بشكل واسع ، وإلغاء الشخصية القومية والهويَّة الذاتيَّة.

والمهتمين بدراستها. وأضحى هذا المصطلح العولمة (Globalization) أو (Mondialisation) من أكثر المصطلحات إثارة للجدل.[١]

وإذا نظرنا إلى معاجم اللغة العربية؛ كلسان العرب لابن منظور، والصحاح في اللغة للجوهري، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، ومقاييس اللغة لأحمد بن فارس، والعباب الزاخر للحسن بن محمد الصغاني، وغيرها؛ فسوف نجد أنَّ كلمة العولمة ليست معروفة فيها؛ فجذرها من الجذور الجديدة المستحدثة التي كانت قديما على سبيل توهّم الأصالة[٢]؛ فهي من باب الملحقات التي تدرس مع توهّم الأصالة؛ ف (عَوْلَمَ) ك (حَوْقَلَ)، و (العولمة) كـــ(الحوقلة) [٣]. أمَّا في الحديث؛ فجذر الكلمة من الجذور المقبولة؛ فـــ(عَوْلَمَ) على وزن (فَعْلَلَ) مثل (دَحْرَجَ)، ومصدره هو (العولمة)، مثل (الدَّحْرَجَة).

---

(١) أطلق بعض الباحثين على هذا المصطلح اسم «الأمركة» أو «الغربنة» أو «الكَوْكبة» أو «الكونَنة» أو «الكونيَّة» أو «العالميّة» أو «التدويل»...إلخ. وقد تَميَّز مـــصطلح العولمة – منذ ظهوره – بالغموض والتعقيد والتجدُّد والتطوُّر والاستمرار ينظر: آثار العولمة على عقيدة الشباب، د. عبد القادر صوفي ١٩ ، ٢٠.

(٢) أشفق القدماء من هذا الأمر؛ حتى لا ينجروا إلى إحداث جذور جديدة علـــى اللغـــة؛ حيث نجد كلمة (عيد) عندهم في (عود) مع وجود (عيَّد) و (أعياد) ، كما نـــج كلمة (ديَّم) في (دوم)؛ حيث لم يعترفوا ب (ديم) ، كما أنَّ كلمة (تقييم) لم تكن معروفة؛ فلم يوجد (قيم) ، وإنما وجد (قوم) ، والأمر نفسه يقال في العولمة.

(٣) الحوقلة: سرعة المشي ومقاربة الخطو.ينظر:
http://baheth.info/index.jsp?page=/web/includes/start.jsp

وإذا تجاوزنا الجذر اللغوي للكلمة نجد أنَّ العولمة تعني عدم الانغلاق على العالم، وضرورة الانفتاح عليه في كلّ المجالات الفكريَّة والاقتصادية والثقافية والاجتماعيَّة والعسكرية ، وإذابة الحدود الفاصلة بين الدول، وتفكيك الحواجز العازلة بين المجتمعات ، وإزالة الفواصل والقيود ، وتقليل الفوارق، وفتح الأسواق، والاستفادة من التقنيات الحديثة وثورة الاتصالات والمعلومات في تسهيل وسائل التعامل مع الحياة؛ مثل تيسير التعامل مع شركات الطيران والمصارف ، والاطلاع على الأخبار والأحداث الدولية من مصادر كثيرة ومحطات فضائية عديدة، وإيصال الرسائل بصورة سريعة عن طريق البريد الالكتروني... وغير ذلك.

ومما يشهد لذلك ما ذكره جورج بوش الأب في خطابٍ له أمام الجمعيَّة العموميَّة للأمم المتحدة بتاريخ ١ يناير سنة ألف وتسعمائة وتسعين من أنه ينظر إلى عام ألفين على أنه «عالَم حدودٍ مفتوحة ، عالَم تجارةٍ مفتوحة ، وأهمّ من كلِّ شيءٍ: عالم عقول مفتوحة»[١]. إنَّها حالة من التوحُّد الفكري والمعرفيّ والثقافيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ، وهي تُمثِّل خطرًا مباشرًا على الهويَّة والثقافة والقوميَّة بما تفرضه من إزاحة الحواجز المختلفة في شتَّى المجالات.

لا يوجد تعريف واحد محدَّد للعولمة ، بل تعدَّدت تعريفاتها، وجميعها تعريفات اجتهاديَّة تظهر أنَّها تطوُّر اقتصاديّ واجتماعيّ وسياسيّ وتكنولوجي...إلخ تُدَمِّر الحدود المحليَّة وتُزيل الفواصل الإقليميّة، وهي تُمثِّل

---

(١) ينظر: آثار العولمة على عقيدة الشباب ، د. عبد القادر صوفي ٢٠.

كارثة على الدول الفقيرة (دول العالم الثالث)،كما أنَّها تسعَى إلى إقصاء الخصوصيات الاقتصاديَّة والاجتماعية والسياسية واللغويَّة للمجتمعات المحليَّة.

ولعلَّ من أبرز أسباب تعدُّد تلك التعريفات تعدُّد زوايا الناظرين إليها من النواحي الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية...إلخ. ويهمُّنا – في هذا السياق – إظهار ما يتعلّق بالعولمة من الناحية اللغوية، وذلك على النحو الآتي:

نتيجة للانفتاح العالمي بين الدول اندثرت لغاتٌ، وتقاربت لهجات، وطغت بعض اللغات القويَّة صاحبة القوَّة السياسية والثقافية والاقتصاديَّة على لغات أخرى ضعيفة وحلَّت محلَّها. وقد أشار بعض الدارسين إلى أنَّه منذ بداية القرن العشرين كان هناك ما يزيد عن خمس عشرة ألف لغة حيَّة على وجه الأرض، وقد تقلَّصت هذه اللغات بالتدريج إلى أنْ وصلت إلى ما يقارب خمسمائة لغة، ثلاثمائة لغة منها وضع في قائمة الخطر، والمتوقع أن تستخدم البشريَّة في القرن العشرين اثنتي عشرة لغة فقط.(١)

إنَّ العولمة اللغويَّة تعني تجاوز اللغة مجالها الإقليميّ والمحليّ إلى بلدان أخرى ومناطق بعيدة جغرافيًّا ، بحيث يتحدَّث بها أفراد ومجتمعات خارج نطاقها. وقد أدَّى هذا إلى تواصل أبناء هذه المجتمعات بلغات أخرى غير لغتهم الأصلية التي تُعبِّر عن ثقافتهم وأرضهم ودينهم، ومن ثَمَّ اختفت هوية المجتمعات اللغوية. والعولمة اللغويَّة هي أخطر أنواع العولمة؛ حيث تؤدِّي إلى هيمنة اللغة الإنجليزية والثقافة الأمريكية على غيرها من اللغات والثقافات. وهذا يؤثّر في السوك والتربية والتفكير.

(١) ينظر: دور مؤسَّسات التربية الإسلاميَّة في مواجهة العولمة اللغويَّة ، أريج الأنصاري ٨.

وبشكل عام؛ فإن مصطلح العولمة يعني إزالة الحدود ومحو الفواصل بين الثقافات والدول والشعوب، في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية، وقد خطَّط الغرب لإبعاد العرب عن تراثهم وتاريخهم ولغتهم منذ أمد بعيد. وقد تركت العولمة آثارا على العرب بشكل عام وعلى اللغة العربيَّة بشكل خاص. وسيكون موضوع حديثنا الآن حول الآثار الإيجابية والسلبية للعولمة على اللغة العربية:

الآثار الإيجابية للعولمة على اللغة العربيَّة:

لم يكن للعرب القدامى عَهْدٌ بأدوات الحضارة والتمدُّن، وكان جُلُّ تعاملهم اللغويّ محصورًا في مجالات محدَّدة؛ كالعواطف والأحاسيس والنفسيات، فضلاً عن بعض المكتسبات المادية الموجودة في بيئتهم؛ كالصحراء ورمالها، والسماء ونجومها، والجِمال وخِلْقتها، والخيل وصفاتها، والحُمُر الوحشيَّة ووصفها... إلى آخر تلك الألفاظ المتعلِّقة بحياة البادية.

ومع ذلك؛ فقد كانت اللغة العربيَّة لغة فصيحة سليمة خالية من اللحن والضعف، وكان القدامى يتكلَّمون بها سليقة من غير تكلُّف، وسجيَّة من دون تلعثم. لكن ضعفت العربية نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى، وكان ذلك سببًا في وضع قواعد اللغة وأصولها.

لم تعد العربيَّة في عصرنا الحاضر كما كانت في العصر الجاهلي لغة بداة محصورين في شبه الجزيرة العربيَّة على عكس من جاورهم من الأمم الأخرى؛ كالفرس والروم، بل أثَّرت العربيَّة في غيرها وتأثَّرت، وأخذت وأعطت.

ليست العولمة كلها شرًّا على اللغة العربيَّة فقد حملت في طيَّاتها فرصًا

ومزايا إيجابيَّة، فالتعامل مع وسائل التقنية الحديثة، وكذلك النهضة الاقتصادية والاجتماعيَّة والثقافيَّة، وتعلُّم اللغات الأجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية قد أفاد العربيَّة إفادات كثيرة.

إنَّ هناك مكتسبات يمكن أن تكتسبها العربيَّة في عصر العولمة وتكون سبيلاً للنهوض بها، ومن ذلك الإفادة من المواقع على الشبكة العنكبوتية، واستغلال المدوّنات وغرف الدردشة والشبكات الاجتماعيَّة على الفيس بوك والتويتر وغيرهما، وكذلك الإفادة من الموسوعات الإلكترونية والكتب الرقميَّة والبرامج الحاسوبيَّة وغيرها.

لا نعدم آثارًا إيجابيَّة للعولمة على اللغة العربيَّة الفُصحى، ولعلَّ من أهمِّها ما يأتي:

أولا: - الترجمة:

كان انتشار الفكر اليونانيّ سببًا في انتشار حركة الترجمة؛ فقد شجَّعها هشام بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وأبو جعفر المنصور، ثم تأكَّد التشجيع فيمن تلاهم من خلفاء بني العباس وبخاصة الرشيد والمأمون.

وفي العصور المتأخِّرة بدأت بواكير الترجمة الحديثة مع بداية حكم محمد علي لمصر؛ حيث أسَّس قلم الترجمة سنة ١٨٤١م، كما فرض ترجمة الكتب على المدرِّسين وتلاميذ البعثات.(١)

وكان للعولمة دور كبير على حركة الترجمة من العربيَّة وإليها؛ فمن

(١) اللغة العربيَّة وتحديات القرن الحادي والعشرين ٨.

خلال الترجمة عرف الغرب كتبًا عربيَّة وكتَّابًا عَرَبًا، ومن ذلك «المقدمة» لابن خلدون، و«كليلة ودمنة» لابن المقفع، وغيرهما من الأعمال المؤثرة الرائعة لكثير من المفكرين والعلماء العرب؛ كابن سينا والفارابي وابن رشد وابن النفيس وجابر بن حيَّان والخازني وأبي الريحان البيروني.

لقد أسهمت العولمة في ترجمة بعض الأعمال الأدبية والفكرية لعدد من الكتاب والمبدعين العرب، وكان ذلك سببًا في التعريف بفكرهم وأدبهم ، ومن ثم فتح لهم الباب لكي يَحْصُلوا على جوائز عالميَّة مرموقة ، ومن هؤلاء الروائي الكبير نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل في الآداب.

من خلال الترجمة كذلك عرف العَرَب أرسطو وأفلاطون وسقراط وشكسبير ، كما عرفوا شعراء التروبادور ، وعرفوا الكوميديا والتراجيديا.

لقد ساعدت العولمة على إنشاء مراكز علمية لترجمة الكتب وتعريب الأبحاث؛ لكنها ليست من الكثرة بمكان؛ فعدد الكتب التي تُرْجِمت إلى العربيَّة منذ سنة ١٩٧٠م وحتى نهاية القرن الماضي ستة آلاف وثمانية وواحد وثمانون كتابًا ، وهو رقمٌ يُعادل الكتب المترجمة إلى الليتوانية في الفترة نفسها مع أنَّ الوطن العربيّ يضم أربعمائة واثنين وعشرين مليونًا من الناطقين بالعربيَّة، بينما لا يتجاوز عدد الناطقين بالليتوانية أربعة ملايين نسمة (١).

لقد أغنت الترجمة اللغة العربيَّة بكثير من المصطلحات المعربة؛ فأدخلت إليها مصطلحات جديدة في العلوم الحديثة والآداب الجديدة والمعارف المعاصرة، وصاغتها صياغة لاتشذ عن القياس اللغوي العربي،

(١) ينظر: وسط حصار اللغات الأجنبية ١١٤ ، ١١٥.

وأخضعتها للنظام الصوتي العربي والأوزان والبِنى الصرفيَّة العربية؛ ف (النانوتكنولوجيا) ترجمت إلى (تكنولوجيا النانو) أو (تقنية النانو)، و(البيولوجيا) أو (Biology) ترجمت إلى (علم الحياة) ، و(Automatic) ترجمت إلى (تلقائي) ، و(Administration) ترجمت إلى (إدارة) ، و(Blog) ترجمت إلى (مدونة) ، و(Control key) ترجمت إلى (مفتاح التحكم) ، و(Data) ترجمت إلى (بيانات)، و(Form) ترجمت إلى (نموذج) ، و(Format) ترجمت إلى (صيغة)، و(Forum) ترجمت إلى (منتدى) ، و(Icon) ترجمت إلى (أيقونة) ، و(Link) ترجمت إلى (رابط)، و(Network) ترجمت إلى (شبكة) ، و(Table) ترجمت إلى (جدول).

وأيضا فقد ساعدت الترجمة على تنوّع الأساليب وظهور أساليب جديدة وتراكيب معاصرة ، بعضها كان على غير اللغة المتواترة، ومن ثمَّ حكم اللغويون القدامى عليها بالتخطئة، وتلمس بعض من اللغويين المعاصرين لها وجها من الصواب يسوّغ استعمالها، ومن ذلك: استعمال الكاف التشبيهية بمعنى (As) دون إرادة التشبيه، وأيضا تصدير الجملة بالمصدر أو المفعول لأجله في مثل قولهم في ابتداء الكلام: "ردًّا على..." ، أو قولهم: " نتيجة لما تقدَّم..."، أو قولهم: "طبقا لما ذكر"، أو قولهم: "أملا في..."، أو قولهم: "تلبية ل..."، أو قولهم: "انطلاقا من القول السابق..."... إلخ. وقد ذكر الدكتور عبدالصبور شاهين أن من مشكلات الترجمة اشتراك عدد من المصطلحات الأجنبية عند الترجمة في كلمة واحدة تقابلها؛ مثل المصطلحات (Chaptire)، و(Class)، و(Terme)، و(Licenciement)، وهي مصطلحات تشترك في المقابل العربي (فصل)، وقد ارتأى أن تدل كلمة (فصل)

بذاتها على معنى (Chaptire) ، ومن ثمَّ تتميَّز (Class) بأنها (فصل مدرسي)، و (Terme) بأنها (فصل دراسي) ، و (Licenciement) بترجمة أخرى هي (تنحية أو (عزل). وهناك وسائل يلجأ إليها وتعين على الضبط، ومنها: اللجوء إلى إمكانيات اللغة العربية – وما أكثرها –؛ كاللجوء إلى الإفراد والتثنية والجمع(١).

وإذا كان ما تمَّت ترجمته من العربيَّة إلى اللغات الأخرى والعكس ضئيلاً وقليلاً؛ فإنَّ المطلوب الآن هو زيادة عدد هذه الكتب المترجمة من العربيَّة وإليها؛ فلو أنَّ كل فردٍ ترجم كتابًا في أيٍّ من فروع العلوم والآداب (الفيزياء ، والكيمياء ، والزراعة ، والهندسة ، والطب ، والجغرافيا...)؛ لترجمنا عددًا كبيرًا من الكتب في شتى النواحي والفروع.

وأيضًا؛ فإنَّ الترجمة الآلية العربيَّة على الشبكة العنكبوتية أو على بعض البرامج الإلكترونية من مزايا العولمة اللغوية الحديثة وآثارها الإيجابية الحميدة مثل مشروع «جوجل للترجمة»؛ حيث يترجم من العربيَّة وإليها إلى لغات كثيرة في العالم؛ كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وغيرها. إنَّ المطلوب في الترجمة الإلكترونية هو التطوير المستمر والمتابعة المتواصلة والمراجعة الدائمة للمعلومات والأفكار اللغوية؛ حرصًا على مزيد من الدقة.

وأيضًا؛ فقد كان للترجمة دور كبير في مشاهدة الأفلام العربيَّة المدبلجة، مما أسهم في حفظ اللغة العربيَّة وتنميتها.

وبفضل الترجمة نجحت سوريا في نشر العلوم الحديثة باللغة العربية بين الأساتذة والطلاب في الجامعة.

---

(١) العربيَّة لغة العلوم والتقنية: د. عبد الصبور شاهين ٣٩٣ وما بعدها.

ثانيًا: - دخول اللغة العربيَّة لغة رسميَّة في منظمة الأمم المتَّحدة وغيرها:

لسنا نرى في اللغة العربيَّة لغة ميّتة أو مرشَّحة للموت، بل العكس من ذلك هو الصحيح؛ فمصير اللغة العربيَّة بشير خير.

ومن حسنات العولمة وميزاتها أنْ صارت اللغة العربيَّة لغة أساسيَّة في المحافل الدوليَّة؛ فاعْتُرف بعالميتها رسميًّا في هيئة الأمم المتَّحدة، وصار يُلْقى بها الخطابات، ويُنْقَل عنها الاجتماعات، بجوار مثيلاتها من اللغات العالمية الكبرى؛ كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينيَّة.

وفي هذا السياق نود الإشارة إلى أنَّ الأمم المتحدة تَحْتَفِلُ - بشكلٍ سنويٍّ - بتاريخ لغاتها الرسمية الست وثقافتها؛ فيما يُسَمَّى بـــ«أَيَّام اللغات» ،وقد اختير العشرون من مارس يومًا للغة الفرنسية؛ حيث اليوم الدولي للفرانكفونيَّة ، واختير العشرون من أبريل يومًا للغة الصينيَّة؛ حيث ذِكْرى سانغ جيه مؤسِّس الأبجدية الصينيَّة ، واختير الثالث والعشرون من أبريل يومًا للغة الإنجليزية؛ حيث الذكرى السنويَّة لوفاة الكاتب الشهير ويليام شكسبير ، واختير السادس من يونيه يومًا للغة الروسية؛ حيث الذكرى السنوية لميلاد الشاعر الروسي ألكساندر بوشكن ، واختير اليوم الثاني عشر من أكتوبر يومًا للغة الإسبانيَّة؛ حيث يوم الثقافة الإسبانيَّة ، واختير الثامن عشر من ديسمبر يومًا للغة العربيَّة؛ تخليدًا للقرار رقم (٣١٩٠) الذي اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٨ ديسمبر ١٩٧٣م خلال دورتها الثامنة والعشرين ، والذي قرَّرت بموجبه إدخال اللغة العربيَّة

ضمن اللغات الرسميَّة للأمم المتحدة [١].

كما اختيرت اللغة العربيَّة لغة رسميَّة في منظمة الوحدة الإفريقيَّة إلى جانب اللغتين الإنجليزية والفرنسيَّة [٢].

لكنَّ المشكلة الكبرى أنَّ كثيرا من السَّاسة وممثِّلي الدول العربيَّة لا يحرصون على التكلُّم باللغة العربيَّة، وبَعْضُهم لا يُحْسِن الكلام بها، وبعضهم يعاني من صعوبات في التحدُّث بها أو القراءة، وهذا يُمَثِّل خطرًا مباشرًا يُهدِّد بإلغاء اللغة العربيَّة من تلك الهيئات الكُبْرى؛ حيث إنَّ اللغة لا تحيا إلاَّ بالاستعمال.

ينبغي الحرص على هذا المكسب وعدم التفريط فيه ومواجهة كل العوائق التي تقف حائلاً دون تأكيده وتعزيزه.

ثالثًا: - تأكيد العربيَّة الفصحى في بعض وسائل الإعلام[٣]:

لم تَعُد العربيَّة كما كانت قديمًا حبيسة الأدراج أو أسيرة الأرفف أو رهينة الجلسات الخاصَّة؛ حيث لا تُسْمع إلاَّ في خطب الجمعة أو خطب العزاء أو من مأذون القريّة أو المدينة في عقد قران أو مناسبة صلح مثلاً.

لقد كان لفضاءات الإعلام ميزة على اللغة الفصحى؛ فهناك قنوات كثيرة لا تُبثُّ برامجها ونشراتها وتقاريرها إلا بالعربيَّة الفصحى؛ كبعض القنوات الإخبارية

---

(١) ينظر: وسط حصار اللغات الأجنبيَّة ١١٤ ، ١١٥.

(٢) ينظر: اللغة العربيَّة وتحديات القرن الحادي والعشرين ١٦٦.

(٣) ينظر:
http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=١٧٥٩

والاجتماعية والدينية الجادَّة؛ مثل قناة الجزيرة، وقناة المجد، وغيرهما.

وقد تجلَّتْ هذه الميزة – بشكل بارز- في بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونيَّة الجادَّة؛ مثل: نَشَرات الأخبار، وكثير من المسلسلات التاريخيَّة الجادَّة ، وبعض من البرامج الثقافية المتميِّزة. ومن ثمَّ تضاعفت فرصة أبناء البيئة العربيَّة في سماع اللغة الفصحى واستيعابها وفهمها عبر هذه القنوات وتلك البرامج. كما أتاحت القنوات الفضائية الفرصة لغير العرب من الناطقين بغير العربيَّة فرصة للتعرف على اللغة العربيَّة وثقافتها.

كما برزت هذه الميزة الكبرى كذلك في كتابات عدد من الصحفيين البارعين في كثير من المقالات الجميلة والتحقيقات الممتعة.

وتَجْدُر الإشارة في هذا السِّياق إلى إبراز دور قنوات الأطفال في تعزيز الكلام باللغة العربيَّة الفصحى وإجادتهم لها، وزيادة حصيلتهم اللغوية من المفردات الصحيحة والجمل السليمة. ومن أمثلة هذه القنوات «المجد للأطفال» و«بسمة» و«براعم» و«نيكلودين» و«الجزيرة للأطفال»، وغيرها.

يجلسُ الطفل ساعات طويلة ويقضي أوقاتًا كبيرة أمام شاشة التلفاز مشاهدًا برامجه وإعلاناته ، ومتابعا أفلامه ومسلسلاته.

وقد تزايدت مخاوف الأسرة على لغة الطفل وثقافته وعقيدته أمام تلك الثقافات الدخيلة والعادات الغريبة والتقاليد المختلفة.

كثيرا ما يرتبط الطفل بهذا الجهاز بداية من عامه الثاني ، وربما أقل من ذلك، تستهويه لقطاته، وتستحوذ عليه شخصياته، وتأسره قنواته.

إنَّ أهمية التلفاز الكبرى تتأتَّى من تعامله مع حاستين هما: حاستا

البصر والسمع؛ حيث يستخدم وسائط الصوت والصورة والرسوم المتحركة ، وهذه يساعد على تذكّر المعلومات واستدعائها بشكل أكبر.

إنَّ إثراء مفردات لغة الطفل وإغنائها من أكبر الإنجازات لأفلام الكرتون وبرامج الأطفال التي يُبُثّها هذا الجهاز، فضلاً عن كثرة المعلومات والمعارف المتعلقة بالطبيعة والبيئة والأسرة وغيرها مما يمكن أن يكتسبه الطفل؛ نتيجة طبيعية لهذه المشاهدة؛ فيؤدي التلفاز بذلك دورًا تعليميًّا ولغويًّا وقيميًّا. [١]

ولم يقتصر الأمر على الطفل الصغير، بل حذا حذوه الشاب والرجل والمرأة ، الجاهل منهم والمثقَّف؛ فتأثَّر الجميع به، وصاروا يحاكون شخصياته في كلِّ شيءٍ حتى في المفردات والنبرات والتنغيمات.

إنَّ وسائل الإعلام قد أبقت اللغة العربيَّة حيَّة – في أحيان كثيرة –، من خلال تقديمها لغة عربيَّة سهلة الفهم ، تعبِّر عن مقتضيات العصر ومتطلباته بمفردات صحيحة ومصطلحات عربيَّة سليمة. [٢]

رابعًا: – في الشبكة العنكبوتيَّة: [٣]

تُمثِّل اللغة العربيَّة على الشبكة العنكبوتيَّة ٠,٤% من مجموع اللغات الحاضرة على هذه الشبكة ، بينما تُمثِّل الإنجليزية ٤٧% ، والصينية ٩%، واليابانية ٨%، والألمانية ٦%، والفرنسيَّة ٤%، والإسبانية ٤%، والإيطالية

(١) ينظر: http://www.atida.org/forums/showthread.php?p=٤٠٩٩

(٢) ينظر: http://www.abuharoon.com/?p=١٢٣١

(٣) ينظر: http://www.bdr١٣٠.net/vb/t١٠٢٢٥٩٧.html

٣%، والروسيَّة والبرتغالية ٢%[١]. وهذه النسبة ضعيفة جدًّا إذا قيست بنسبة غيرها من اللغات الرئيسة.

وبالرغم من قِلَّة هذه النسبة وضَعْفها؛ فإنَّها بدايةٌ لبناءٍ يمكن أن يُتَمِّم هيكل اللغة العربيَّة على الشبكة العنكبوتيَّة؛ حيث أنعشت «جوجل» و«ياهو» و«ميكروسوفت» وغيرها اللغة العربيَّة – إلى حدٍّ ما – وحافظت عليها؛ فهناك مواقع إلكترونية كثيرة باللغة العربيَّة في جوانب مختلفة اجتماعية واقتصادية وثقافية وتربويَّة ودينيَّة...إلخ. وهناك مواقع كثيرة لتعليم العربيَّة لأهلها ولغير الناطقين بها ، وقد أدَّت هذه المواقع وغيرها إلى التواصل بين العربيَّة ومتحدثيها من جهة والمجتمع الدولي من جهة ثانية.

ولعلَّ موقع مقاطع الفيديو المعروف ب«يوتيوب» يقوم بتطوير تقنية حديثة تمكِّن من عرض مختلف مقاطع الفيديو التي تعرض بشتى اللغات .بمشاهدة ترجمة فورية للمتحدِّث في الفيديو.

ينبغي استغلال الإمكانات الهائلة لثورة تقنية المعلومات في اللغة العربيَّة في التبادل الثقافي والاجتماعي والتعليمي والإعلامي؛ حتى لا تنزوي هذه اللغة في محيط بيئتها.

إنَّ مزايا النشر الإلكتروني كثيرة؛ منها: تسهيل الوصول إلى الموضوعات والأفكار والمعلومات التي نرغب في معرفتها، وتيسير الرجوع إلى المصادر والمراجع، وسهولة الطباعة، وغيرها مما يساعد على توفير الجهد والوقت والمال.

إن الثورة التكنولوجية قد أسهمت في حفظ كتب التراث العربي

(١) ينظر: وسط حصار اللغات الأجنبيَّة ١١٧.

والإسلامي، وأتاحت الفرصة لمن يريد معرفة اللغة العربيَّة والثقافة الإسلامية إمكانية ذلك قراءة واطلاعًا بسهولة وسرعة، كما وفَّرت إمكانات هائلة من الخطوط والأشكال والألوان والأحجام للحروف والكلمات والجمل والعبارات. كما ساعدت وسائل التقنية الحديثة معاقي البصر من المكفوفين في تطوير برنامج الآلة القارئة؛ حيث يحوِّل النص المطبوع إلى نص إلكتروني مصحَّح لغويًّا ومقروء بصوت واضح ومسموع.

وفي هذا السياق يلزم التنبيه إلى أنَّ هناك مبادرات عربيَّة جادَّة لدعم المحتوى العربي وإثرائه على الشبكة العنكبوتية؛ ومن ذلك: مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للمحتوى العربي، والشراكة بينه وبين مشروع جوجل، وكذلك برنامج «سواعد» ضمن مبادرة مؤسسة محمد بن راشد.

خامسًا: - زيادة تعليم اللغة العربيَّة:

ساعدت أمور كثيرة على زيادة إقبال الغرب بشكل خاصّ على تعلُّم اللغة العربيَّة، ومنها: حادث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية وانهيار بُرج التجارة العالمي ، وارتباط العرب والمسلمين بالإرهاب، وشن الحروب على بعض البلدان العربيَّة والإسلامية. لقد أثارت هذه الدواعي وغيرها في الغرب فضول المعرفة باللغة العربيَّة وقواعدها، والثقافة الإسلامية ومبادئها، ومن ثَمَّ أقبلوا يتعلّمون العربيَّة ، ويتعرَّفون على فنونها وآدابها؛ رغبة في معرفة مبادئ الدين الإسلامي وفهم الثقافة الإسلامية.

وهنا ينبغي التنبيه إلى ضرورة تقديم برامج تعليم اللغة العربيَّة لغير الناطقين بها وتصميمها وإعدادها بشكل جيّد ومناسب وتطويرها التطوير

الدائم المستمر؛ لكي تُلَبِّي متطلبات العولمة ومقتضيات العصر واحتياجات المتعلِّمين النفسية والعقلية واتجاهاتهم نحو اللغة العربيَّة وأغراضهم من تعلُّمها ، وهل هي بهدف التواصل مع الناطقين بها في شتى المجالات التعليمية والبحثية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، أو بهدف فهم القرآن الكريم والحديث الشريف ومعرفة نصوص الشريعة وتفسير هذه النصوص.

كذلك ينبغي الإفادة من الثورة التكنولوجية الحديثة في الشبكة العنكبوتية وقنوات البث الفضائي في تعليم اللغة العربيَّة للأجانب وتعلُّمها ونشرها وإذاعتها عبر الأقمار الصناعية ، وإعداد المعلمين وتأهيلهم وتدريبهم التدريب الكافي الذي يُعين على استخدام وسائل التقنية في مجال التعليم.

إنَّنا إذا أحسنَّا ذلك ضمنَّا للعربيَّة حظًّا كبيرًا من الهيمنة والسيادة على غيرها من لغات الأرض في عصر العولمة، ومن ثَمَّ نضمن الهيمنة والانتشار للثقافة الإسلامية والدين الإسلامي.

الآثار السلبية للعولمة على اللغة العربيَّة:

انتشرت في هذا العصر ثقافة العولمة في كلِّ شيءٍ؛ حيث عُمِّمت الأنماط الفكريَّة والثقافيَّة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية واللغويَّة ، وتبنِّي النموذج الغربيّ وبخاصة النموذج الأمريكيّ ، وكان لذلك آثاره السلبيَّة على اللغة العربيَّة؛ فقد خسرت العربيَّة كثيرًا؛ حيث سيطرت اللغة الإنجليزية وسادت في التعليم والوظائف ووسائل التقنية الحديثة والاتصال الدولي عبر الهاتف والأفلام التلفزيونية والسينمائية ووسائل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء. وقد أدَّى ذلك إلى افتخار العرب واعتزازهم باللغة الإنجليزية والعكس صحيح؛ مما أدَّى إلى ضياع الهوية اللغوية

العربيَّة، وطمس مظاهر الانتماء والفخار والاعتزاز باللغة العربيَّة والثقافة الإسلامية. وإليك بيان ذلك:

أولا: – في التوظيف وسوق العمل[(١)]:

كان من الآثار السلبية للعولمة تهميش اللغة العربيّة في سوق العمل في المصارف والبنوك والمكاتب الاستشارية والشركات والمؤسسات والجامعات؛ حيث اشترطت اللغة الإنجليزية شرطًا رئيسًا في الحصول على وظيفة. وصارت الأفضلية في التوظيف لمن يحصل على الدكتوراه من جامعة أوربية أو أمريكيَّة ، وصار يتقاضى راتبًا أعلى من نظيره الحاصل على الدكتوراه من جامعة عربيَّة أو شرق أوسطيَّة.

اهتمَّ سوق العمل بالشركات متعدِّدة الجنسيات؛ فوجدنا كثيرًا من إعلانات الوظائف تطلب أفرادًا للعمل يجيدون لغة أجنبيَّة (إنجليزيَّة أو فرنسيَّة أو ألمانية أو غيرها) ، وصُيِّرت الأفضليَّة لهؤلاء المتقنين للغة أجنبيَّة. وهذا مَا حَدَا بكثيرٍ من الأسر إلى تعليم أولادها لغة أجنبية (إنجليزية غالبًا). وقد أثَّر هذا في الهوية والانتماء. بل الأدهَى من ذلك والأمرّ أن تكون الأولوية للأجانب أصحاب اللغات الأصلية (إنجليزية أو فرنسية) الذين يحلُّون محلّ الكفاءات الوطنية الحقيقية ممن لا يقلّون علمًا وخبرة عنهم بل ربَّما يفوقونهم في تلبية احتياجات الوظيفة بكفاءة وإتقان ، كما أنهم لا يشكلون تهديدًا للدولة والحكومة والمجتمع.

---

(١) ينظر:

http://www.neelwafurat.com/locate.aspx?mode=١&search=author١&entry

وأيضًا؛ فإنَّه مع تطوُّر الصناعة والتجارة ومواكبة التطوُّر السريع وزيادة الرفاهية انتشرت «العمالة الأجنبيَّة» من شتَّى بقاع الأرض وأقطارها.

إنَّ انتشار العمالة الأجنبيَّة الوافدة (من مربيات وخادمات وسائقين) إلى الدُّول العربيَّة بشكل عامٍّ وإلى دول الخليج العربيّ بشكلٍ خاصٍّ له خطره على القيم والعادات والأخلاقيَّات واللغة العربيَّة الفصحى؛ نتيجةً لتنوُّع لغات هؤلاء الوافدين وجنسياتهم ودياناتهم.

كان لصعوبة استعمال اللغة العربيَّة الفصحى لدى هؤلاء تأثيره على هذه اللغة، وأدى إلى عدم التواصل اللغوي بها بين أفراد المجتمع الخليجيّ، كما كان له تأثيره الاجتماعي والنفسيّ؛ مثل: خلخلة البناء الاجتماعيّ، وزعزعة الانتماء ، وفقدان الهويَّة ، وكراهية اللغة ، والتذبذب بين لغتين أو أكثر، والعنت النَّفسي في التعامل مع الخادمات والعاملات والسائقين والموظفين.

يُمثِّل السائقون والخادمات والمربيات الأجانب خطرًا على سلوك الأبناء ولغتهم وأخلاقياتهم؛ فمحصول الخادمة – مثلاً – من اللغة العربيَّة قليل جدًّا لا يتجاوز مفردات محصورة وعبارات مسكوكة وجُملاً مشوَّهة ، وذلك يؤدي إلى إضعاف التعبير والتواصل عند الأطفال.

ربما تستغني الخادمة (أو يستغني السائق) في التواصل اللغوي بلغتها ، وربَّما تلجأ بعض الأسر والعائلات إلى تعليم أولادها لغات أجنبيَّة (الإنجليزية غالبًا) ، ممَّا يؤدِّي إلى تحوُّل التواصل في البيت من اللغة العربيَّة إلى اللغة الأجنبيَّة ، وهذا يُمَثِّلُ مِعْول هَدْمٍ للغة العربيَّة.

وربما توجد بعض العمالة التي لا تتحدَّث اللغة العربيَّة أصلاً ، وهؤلاء يُنْصح بتعليمهم اللغة العربيَّة من خلال دورات مكثَّفة ومركَّزة ،

كما أنَّ بعضهم قد يتجاهل الحديث بالعربيَّة مدَّعيًا أنَّه لا يتحدَّثها.

إنَّ خطر العمالة الأجنبيَّة على اللغة العربيَّة يَكْمُنُ في تخليط اللغة وهجينها ، ممَّا يؤدِّي إلى غُرْبة الوجه واليد واللسان.

إنَّ هناك آثارًا للعمالة الأجنبيَّة على مفردات اللغة العربيَّة الفصحى وتراكيبها، ومنها[1]:

١ - *كثرة المفردات الجديدة الوافدة من بلدان شتَّى:* كثيرة هي المفردات والكلمات شائعة الاستخدام في المجتمع الخليجي ، والتي كانت بسبب كثرة عدد الأجانب العاملين في البيئة الخليجية، ومن ذلك قول أحدهم: «روح سيدا» ، أي: «اذهب مستقيمًا» ، وقول الآخر: «لف سيم سيم سيارة»، أي: «لفّ باتجاه السيارة».

٢ - *الأخطاء الكثيرة الفاحشة في تركيب الكلام وترتيبه وصياغة الجمل والتراكيب:* ومن أمثلة ذلك تركيب «واحد أخ» أو «واحد صديق» والأَوْلى «أخ واحد» و«صديق واحد»، ومثل «واحد أخت» والصواب «أخت واحدة»؛ فهذه الأمثلة وغيرها تفتقر إلى المطابقة بين العدد والمعدود[2].

ومن التراكيب التي لا تمتّ إلى العربيَّة بصلة قول سائق هندي: «كيف حال صديق. إنتا كويس ؟»، والأدق أن يقال: «كيف حالك ؟، هل أنت بخير ؟»، أو قول أحد العرب متأثِّرًا بهذا الوباء: «إنتا في روح

(١) ينظر:
http://www.neelwafurat.com/locate.aspx?mode=١&search=author١&entry

(٢) ينظر: مهارات الاتصال في اللغة العربيَّة ٤٠.

جيب أغراض». والصواب أن يقال: «ستذهب لإحضار بعض الأغراض».

٣ – فقدان الذائقة اللغوية الجميلة وعدم الاستمتاع بسماع اللغة: إنَّ هناك مشكلة أساسيَّة في كثير من العمالة الوافدة تتمثَّل في أنَّ غالبيَّةً منهم لا يفهمون باللغة العربيَّة وباللغة الإنجليزية ، ومن ثَمَّ لا يستعملون أيًّا منهما ، بل يستعملون لغة خاصَّة بهم منقولة من ثقافتهم لا يعرفها المتلقِّي العربيّ الخليجيّ الذي ربَّما يُعَنِّي نفسه طويلاً في فهم مراد هؤلاء وإفهامهم من خلال لغة الإشارة والجسد: إنَّ المشكلة لا تكمن فقط في استعمال مفردات وصيغ جديدة، بل تكمن كذلك في طريقة نطقها بلهجة مهجَّنة بين العربيَّة والبنغالية أو الهندية أو غيرهما من اللهجات أو اللغات الآسيوية.

٤ – تشويه العاميات: وهذا أمر ملحوظ لدى كثير من العمال الهنود والبنغاليِّين، ومن ذلك قول أحدهم: «إنتا إيش في كلام ؟» والمعنى المراد: «ماذا تقول ؟»، وقول الآخر: «إنتا في معلوم ؟» والمراد: «هل تعرف ؟»، وقول أحدهم: «وين يروح إنتا ؟» والمراد: «أين رحت ؟»، وفي العامية «وين رحت ؟»، وقولهم: «إيش مشكل ؟» ، والمراد: «ما المشكلة».

إن طريقة نطق هذه الجمل الغامضة والعبارات المهجَّنة والتراكيب المشوَّهة ما هو إلاَّ استعمال ملحون للغة لا يساعد المجتمع على التحلِّي بأصالته وفرادته في التحدُّث والتعايش والاستعمال للغة حتى بلهجته العامية.

ينبغي علاج هذه المشكلة الخطيرة من خلال أمور كثيرة؛ منها: اشتراط إلمام أيّ عمالة وافدة إلى الدول العربيَّة وإلى دول الخليج – بشكل

خاص – باللغة العربيَّة كشرط أساسي في نيل الوظيفة أو الحصول على فرصة العمل، وأيضًا وضع الإجراءات الكافية لنشر اللغة العربيَّة الفصحى وحمايتها والتعامل بها.

ثانيًا: – في التعليم:

يظهر تأثير العولمة على اللغة العربيَّة في مجال التعليم من خلال طغيان اللغة الإنجليزية على حساب اللغة العربيَّة؛فأضحى تعليم اللغة الأجنبية في المدارس والجامعات منذ الطفولة المبكرة.

لقد أقصيت العربيَّة من كثير من المدارس والجامعات والمحافل الدولية ، واصطنع أعداؤها فكرة مفادها أنَّ اللغة العربيَّة لغة أدب ودين وليست لغة علوم وتقنية. وقد أثَّر ذلك على العربيَّة؛ فلم تعد لغة تعليم وتعلُّم كما كانت قديمًا بل حلَّت لغات أجنبية (إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية أو غيرها) محلَّها بالرغم من الغنى والثراء الموجود في اللغة العربيَّة. وإنَّ نظرة متأنِّية إلى التراث العربيّ لتؤكِّد سعة العربيَّة ومرونتها وغناها وإفادة غيرها منها ، فقد دخلت قديمًا ألفاظ عربيَّة إلى لغات أجنبية؛ كالإنجليزية وبعض هذه الألفاظ يتعلَّق بالدين الإسلامي والحضارة العربيَّة؛ مثل (القرآن Koran) ، و(مسلم Muslim) ، و(إسلام Islam) ، و(مفتي Mufti) ، و(خليفة Caliph) ، و(مملوك Mameluke) ، وبعضها يتعلَّق بفرع من فروع العلم المختلفة؛ كالطبِّ والرياضيات والفلك؛ مثل: (الكحول Alcohol) ، و(الكيمياء Alchemy) ، و(الجبر Algebra) ، و(المناخ Almanac) ، وبعضها مصطلحات جغرافية وتجارية؛ مثل: (فلاح Fellah) ، و(سكر Sugar) ، و(عنبر Amber)،

و(مسك Musk) ، و(قطن Cotton)...إلخ.

كما وجدت مصطلحات عربيَّة تؤدِّي ما تؤدِّيه الألفاظ الأجنبية من مدلولات، ومن ذلك: (سيارة) مقابل (Automobile)، و(شرطة) مقابل (Police)، و(صهريج) مقابل (Tank) ، و(فندق) مقابل (Hotel) ، و(بريد) مقابل (Post)، و(هاتف) مقابل (Telephone)، و(بَرْق) مقابل (Telegraph)، و(عدسة) مقابل (Lens) ، و(دراجة) مقابل (Bicycle) ، و(جامعة) مقابل (University)، و(تُرْس) مقابل (Gear)، و(طيف) مقابل (Spectrum)... إلخ.(١)

وبالرغم من شيوع المفردات العربيَّة وذيوعها؛ فإنَّ كثيرين يحرصون على استعمال اللفظ الأجنبي بديلاً عن المرادف العربيّ ، بل ويشتقّون منه كلمات أخرى؛ كما هو الحال في (Telephone) وهاتف ، و(Mobile) وجوَّال أو محمول أو نقَّال أو خلويّ.

لقد أصاب التدريس باللغة الإنجليزية و غيرها من اللغات الأجنبيَّة اللغة العربيَّة ، وضَرَبَها في مَقْتلٍ؛ حيث صارت هذه اللغات مع الوقت هي اللغة الأمّ ، وصارت اللغة العربيَّة لغة ثانية بالرغم من قناعتنا بصحة المقولة القائلة «أعمى يقود أعمى»؛ فكثير من الأساتذة والطلاب ليسوا في المستوى المناسب في اللغة الأجنبيَّة(٢).

وبالرغم من العبء المضاعف الذي يقع على الطالب المتعلِّم باللغة الأجنبيَّة: عبء فهم المادة العلميَّة، وعبء تعلُّم اللغة الأجنبيَّة ذاتها (الإنجليزية

---

(١) ينظر: اللغة العربيَّة وتحديات القرن الحادي والعشرين ٣٢.

(٢) السابق نفسه.

بشكل خاصّ) واستيعابها وفهمها ، أقول بالرغم من ذلك كله فإنَّ هناك عجزًا ما عن استيعاب المواد العلميَّة وهضمها ، بهذه اللغة. وبالرغم من أننا قد استعملنا اللغة الإنجليزية في كلياتنا العلمية؛ كالطب والهندسة والصيدلة ما يقرب من قرن من الزمان ، فإنَّ حركة البحث العلمي والتطور التجاري والتقدم الصناعي لم تتطوَّر و لم تزدهر. وفي هذا إثبات لأن العلم إنما يتقدَّم باللغة الأمّ.

إنَّ الحريصين على اللغة الإنجليزيَّة يعتقدون بأنَّ النجاح والتقدُّم والرُّقِيّ رهينٌ بها ومرتبطٌ وجودًا وعدمًا باستعمالها ، وينسى هؤلاء وأشباههم بعض التجارب النَّاجحة؛ كتجربة سوريا التي يدرس أبناؤها في الكليات العلميَّة باللغة العربيَّة ، ومع ذلك فإنَّهم قادرون على النجاح والتقدُّم ، ولا يختلف غيرهم عنهم ولا يختلفون عن غيرهم في قليل أو كثير ، كما ينسى هؤلاء كذلك كثيرًا من تجارب الدول الأخرى؛ مثل: إيطاليا وفرنسا وكوريا واليابان والصين واليونان وأرمينيا وغيرها من الدول التي تُدرِّس العلوم الهندسية والطبيَّة باللغة القومية لا باللغة الإنجليزية ، وهذا خلاف ما عليه الدول العربيَّة.

لقد بلغت الإنجليزية في هذا العصر مبلغًا كبيرًا(١)؛ فصارت لغة رسميَّة في بعض المؤتمرات من دون أن يقتضي الأمر ذلك. و لم يقتصر الأمر على

(١) ومن عجب أن تجد بعضا من السيدات الحوامل يحرصن على سفرهن قبل الولادة إلى أمريكا أو بريطانيا؛ ليحصل أولادهن على الجنسية الأمريكية أو الإنجليزية ، ومن عجب كذلك أن يصبح التحدث باللغة الإنجليزية بين أفراد المجتمع العربي تفاخرًا اجتماعيًّا ووجاهة نفسية. وأمثلة ذلك كثيرة تقرع آذاننا صباح مساء.

قاعة الدرس أو مدرج التعليم ، بل صار ذلك خطابًا أساسيًّا للطلاب المتعلمين وغيرهم خارج الفصول الدراسية وقاعات العلم؛ حيث نراهم يستعملون كلماتٍ وجملاً إنجليزية في خطابهم المحكي؛ كاستعمالهم (Quize) بديلاً عن (امتحان قصير)، و(Major) بديلاً عن (اختبار) ، و(late) بديلاً عن (متأخر)، و(Hi) بديلاً عن (مرحبًا) ، و(OK) بديلاً عن (حسنًا) أو (موافق)، و(class) بديلا عن (شعبة أوفصل) ، و (Register) بديلا عن (مسجل) ، و (Email) بديلا عن (بريد إلكتروني)، و (Bye) بديلا عن (إلى اللقاء) ، و (Nice) بديلا عن (لطيف)، و (Back) بديلا عن (لقد عدت) ، وغيرها كثير[١].

كذلك فإنَّ الاعتراف بالأبحاث العلمية لعضو هيئة التدريس يقتضي نشرها بلغة أجنبيَّة (إنجليزية غالبًا) في مجلات علمية محكَّمة؛ لأنَّ المجلات العربيَّة المحكَّمة ليست مسجَّلة في فهارس المؤسَّسات العلميَّة ، ومن ثم فنسبة الاعتراف بها ضئيلة للغاية.

إنَّنا لا نحارب تعليم اللغة الإنجليزية ولا نمانعه ، بل على العكس؛ فنحن نَرَى ضرورة تعلُّمها وإتقانها وأنَّ ذلك له مميزات كثيرة؛ منها: تيسير سُبُل التواصل بين الأفراد والدول ، وتيسير الاستفادة من الاختراعات الحديثة والإنجازات المعاصرة ، وتوسيع المدارك وزيادة التجارب والخبرات ، ومتابعة التطوُّر العلميّ ، والوقوف على المخترعات الحديثة.

إنَّ إعطاء الإنجليزية – أو غيرها – أكثر من قدرها وجعلها لغة رسمية

---

(١) ينظر: http://www.adma١.com/٥dmat/Chatting-Lang.html

في المعاملات التجارية والقانونية والأكاديمية هو ما لا نرتضيه على الإطلاق؛ فلذلك مضارّ على المستوى التعليمي والاجتماعي والقيمي واللغوي.

إنَّ ما لا نرتضيه وما لا نقبله وما نحن ضده على طول الخط أن يكون تعليمنا للغات الأجنبية – وبخاصة الإنجليزية – على حساب اللغة الأم «اللغة العربيَّة الفصحى»؛ حيث يُفرض في بعض الجامعات على المدرسين التدريس باللغة الإنجليزية، وربما يُلامُ الأستاذ – إنْ لم يفعلْ ذلك –، مع أنَّ الطلاب عرب ، والأساتذة عربٌ مثلهم ، وهم في جامعة عربيَّة.

ليست هذه الظاهرة قاصرة على الكليات العلميَّة، بل إنَّها موجودة في بعض الأقسام النظريَّة؛ كالاقتصاد والإدارة والقانون، وربما توجد هذه الثنائية في الكلية الواحدة؛ ففي بعض الكليات الحكومية، هناك أقسام لدراسة الحقوق والإدارة والاقتصاد باللغات الأجنبية وأخرى بالعربية، أي أنَّ هناك تفريقًا بين الطلاب الذين يدرسون المواد ذاتها داخل الكلية الواحدة؛ فبعضهم يدرسها بالعربيَّة، وبعضهم يدرسها باللغة الأجنبيَّة.

إنَّ علينا اتخاذ التدابير الكافية لحماية العربيَّة ورعايتها قبل ولادة الطفل، وأثناء دخوله الروضة والمدرسة والجامعة وبعد ذلك.

ثالثًا: – في وسائل الإعلام(١):

بالرغم من الأثر الإيجابي والميزة البنَّاءة لوسائل الإعلام على اللغة العربيَّة الفصحى؛ فإن وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية قد تُشكِّل

(١) ينظر: http://www.diwanalarab.com/spip.php?article٤٥٦٨

خطرًا على العربية الفصحى؛ نتيجة زحف اللهجات العامية في الفضائيات التي انتشرت فيها العاميات ، وتلك مسألة ينبغي التصدِّي لها والقضاء عليها وإبعاد تلك النظرة القطريَّة الضيقة مع ضرورة المراجعة اللغويَّة والتدقيق اللغوي للأفلام والمسلسلات والبرامج والإعلانات التي تَـبُـثُّ برامجها وإعلاناتها وتقاريرها بالعربيَّة الفصحى.

وأيضًا فإنَّ انتشار القنوات الأجنبية وركون الطفل بشكل خاص والأسرة بشكل عام إليها مما يقف عائقًا ويشكِّل خطرًا على العربيَّة الفصحى. وهذا مجال الحديث الآن:

قدَّمت وسائل الإعلام – في أحيان كثيرة – الساقط واللاقط ، كما قدّمت الغثّ التافه ، وكان لها أثر كبير في تحطيم اللغة العربيَّة الفصحى وزعزعتها. وقد تجلَّت آثار الهدم في أمور ، هي:

الأول: الاعتداد الكبير باللغات الأجنبية والثقافات الغربية الطارئة على المجتمعات العربيَّة بحيث أصبحت القنوات الفضائية الأجنبية الأكثر تأثيرًا على الملتقى العربي.

والثاني: إذاعة اللهجات المحلية في كثير من القنوات الفضائية؛ كاللهجات المصرية والمغربية والسورية واللبنانية والخليجية؛ مما ساعد على إدخال مفردات ومصطلحات عامية إلى اللغة العربيَّة الفصحى.

والثالث: الاستهزاء باللغة العربية والقائمين على تدريسها.

وقد تركت وسائل الإعلام – وبخاصة التلفزيون – آثارها على المتلقِّي الذي يجلس طويلاً أمام شاشته ، يستمع إلى البرامج والأغاني،

ويشاهدالأفلام والمسلسلات ، وجُلُّها باللهجات العامية الدارجة أو اللغات الأجنبية؛ مما أدَّى إلى زيادة حصيلته اللغوية في المفردات والتراكيب والمصطلحات المحلية الدارجة ، وركاكة اللغة الفصحى وضعفها وطمس معالمها، كما أسهمت بعض الفضائيات في انتشار المفردات المشوهة والتراكيب الناقصة والأساليب غير السليمة البعيدة عن الوضوح والإشراق، وشيوعها وتفشيها في جمهور المتلقي.

وعلى العكس من ذلك، فإنَّ تمسُّك بعض البرامج الثقافية — أحيانا – باللغة الحوشية الغريبة المتقعرة الممجوجة مع عدم الاهتمام بطريقة إخراجها الإخراج المناسب الجيد ، ممَّا أسهم في ازدرائها والزهد فيها.

إنَّ الإعلام من أكبر أسباب تدهور اللغة العربيَّة الفصحى وأقواها ، وقد تجلَّى ذلك في مظاهر كثيرة؛ منها:(١)

(١) **كثرة الأخطاء اللغوية (صوتية، وصرفية، ونحوية، وإملائية) وشيوع اللحن والأساليب اللغوية الركيكة في عدد كبير من البرامج الإذاعية والتلفازيَّة**، وكذلك في كثير من الإعلانات التي تدعو لمنتج أو تروِّج لسلعة من السلع، وأيضًا في المقالات الصحفية والتقارير والإعلانات والشعارات والتحقيقات، وغيرها ممَّا أدَّى إلى تشويه النبع الصافي في اللغة الفصيحة ، والميل إلى التسكين وعدم الإعراب ، والإبدال الصوتي ، والإبدال الصرفي ، وابتداع تراكيب جديدة؛ مثل استعمال «طالما» و«حينما» و«عندما» بوصفها أدوات شرط ، وضبط عين الفعل الماضي أو المضارع

---

(١) ينظر: http://www.diwanalarab.com/spip.php?article٤٥٦٨

خطأ؛ مثل قولهم: (أرَق) بالفتح ، والصواب أن تكون بكسر الراء — من باب (فرح) – ، و قولهم: (يأمِل) بالكسر ، والصواب أن تكون بالضم — من باب (نصر) – ، وقولهم: (حرِص) بالكسر ، والصواب أن تكون بالفتح — من باب (ضرَب) – ، وقولهم: (يهدِف) بالكسر ، والصواب أن تكون بالضم – من باب (نصَر) – ، ومنها كذلك: صرف كلمات يجب منعها من الصرف؛ مثل: (أشقياء) ، و (أغنياء) ، و (أذكياء) ، و (أقوياء) ، و (شفعاء) ، و (بخلاء) ، و (رحماء) ، و (فقراء) ، ومنع صرف كلمات يجب صرفها؛ مثل (أخطاء) ، و (أصداء) ، و (أعباء) ، و (آباء) ، و (أبناء) ، و (آراء) ، وتذكير المؤنث أوتأنيث المذكر؛ كقول أحدهم: " عقدت الجامعة خمس مؤتمرات " ، والصواب أن يقال: " خمسة مؤتمرات " بتأنيث العدد؛ مراعاة للمعدود المذكر...إلخ. وهنا ينبغي التصويب اللغوي وتصحيح الأخطاء اللغوية للمذيعين والكتاب ومعدِّي البرامج.

(٢) *انتشار المفردات والألفاظ الأجنبية في الحديث الإعلامي بالرغم من وجود بديل عربيّ فصيح لها،* ومن ذلك «جورنال» التي لها بديل عربيّ هو «جريدة» أو «صحيفة» وغيرها من المفردات الأجنبية الدخيلة على وسائل الإعلام التي لها بريق لغوي في استعمالها والتحدُّث بها. ومن مظاهر ذلك انتشار الإعلانات المصوغة بلغة أجنبية (إنجليزية أو فرنسية) بالرغم من أنها موجهة للمتلقي العربي في البيئة العربية. وهناك بعض القنوات الفضائية العربيَّة التي عنوانها بعض الأحرف الأجنبية؛ مثل: باقة Art التي هي

اختصار لــ (Arabic and Radio Televison) التي تعني (راديو تلفزيون العرب) ، وباقة MBC التي هي اختصار لــ (Middle East Broadcasting Center) التي تعني مركز تلفزيون الشرق الأوسط ، أو قناة (Space Toon) أو قناة (BBC Arabic) ، أو قناة (Dream) ، أو قناة (Moga comedy TV) ....إلخ.

كما أنَّ هناك بعض البرامج التي عنوانها شعارات من بعض الحروف الإنجليزية؛ مثل: (كتالوج) و(مونتاج) و(بلوتوث) و (أوسكار).

(٣) انتشار العاميات في البرامج الحوارية والبرامج التراثية والبرامج العلمية وبرامج الأطفال والمسلسلات والأفلام بحجج واهية وهي محاكاة الواقع ، أو أنها هي الأقرب لفهم المستقبِل أو المتلقِّي من العربيَّة الفصحى ، أو بسبب التقليد الأعمى.

ومن أمثلة ذلك قولهم: " مينفعش كده " بدلا من " لا ينفع هذا "، و قولهم: " مينفعش برده " بدلا من " لا ينفع أيضا "، و قولهم: " إيه الحلّ ؟ " بدلا من " ما الحلّ ؟ " ، و قولهم: " إنتا مين؟ " بدلا من " مَنْ أنت ؟"، و قولهم: " ده ميصحش " بدلا من " هذا لا يصحّ "، و قولهم: " حيفرح أوي " بدلا من " سيفرح كثيرا "، وغيرها.

إن انتشار اللهجات العامية المحلية (مصرية – سودانية – مغربية – جزائرية – سعودية...إلخ) على ألسنة بعض المذيعين والمذيعات له آثاره السلبية على اللغة الفصحى الأم؛ حيث أدَّى إلى إضعاف مستوى الأداء إضعافًا شديدًا، وتقطيع أواصر التواصل بين الشعوب العربيَّة، ومن ثم

الاستهانة بالفصحى رمز الهوية والوجود والقومية العربيَّة والانتماء القومي؛ وترسيخ الرقعة المحلية الضيِّقة التي تلزم حدود رقعتها وبيئتها الجغرافية.

وقد ساعد الإعلام المصري على انتشار اللهجة المصرية، وكان للمسلسلات والأغاني والأفلام المصرية دور في ذيوع مفردات هذه اللهجة ومصطلحاتها، مما أضعف الفصحى وساعد على ركاكتها وإضاعتها وبخاصة لدى الأطفال الذين يستمعون لأفلام الكرتون التي تحكي بالعامية.

ومن عجب أن تجد بعض الفضائيات تُعنى بشعراء العامية، وتفرد لهم البرامج والأمسيات، ولا تقيم وزنًا لأمثالهم من شعراء العربيَّة الفصحى. وأيضًا فإن بعض الفضائيات تضفي حالة من النجومية والألق للمطربين والمغنيين بالعامية.

(٤) *عدم الصياغة السليمة:* فكثير من المذيعين والمذيعات لا يحسن صياغة جملة صياغة عربيَّة سليمة؛ فجلُّ صياغتهم كان بلغة مشوبة باللحن والخطأ؛ لأنَّ كثيرًا منهم لا يحسن الحديث بالفصحى، ولا يعرف كثيرًا من قواعدها وأصولها، ومن ثَمَّ يجنح إلى استعمال العامية المبتذلة في مفرداته وجمله ، ويميل إلى تسكين عباراته، وإذا أعربها؛ فإنه يرفع المنصوب ويجر المرفوع وينصب المجزوم، ولا يعرف الفرق بين المضاف إليه والحال والتوكيد... إلخ. وذلك كله يؤكِّد الخطأ ويعزِّزه، وبخاصة لدى الأطفال الصغار الذين هم أكثر تأثُّرًا بالأقوال والأفعال؛ ومن ثَمَّ تُرسِّخ للعاميات لدى هذا النشء الصغير ، وهذا خطرٌ عظيم وجرمٌ كبير.

إنَّ زيادة عدد القنوات العربيَّة مما يُسهم في دعم العربيَّة الفصحى

ونشرها وتعزيز الثقافة الإسلامية ونقل الحضارة الإسلامية والتراث العربي ، كما أنَّ إدراك وسائل الإعلام لدورها في التثقيف والتوجيه والتعليم وغرس القيم اللغوية وغيرها لدى جمهور المتلقين - بغضّ النظر عن تملّقهم ودغدغة مشاعرهم وعواطفهم بما يحبون ويرغبون -، ممَّا يُساعد على إظهار العربيَّة الفصحى ووضعها في المكان المناسب والمكانة المستحقَّة.

رابعًا: - في وسائل التقنية الحديثة:

كان لانتشار وسائل التقنية الحديثة من حواسيب وجوالات وغيرها أثره السلبي على اللغة العربيَّة ، ومن ذلك ما يأتي:

(١) *في لغة التحدُّث «لغة الشات»:* [١] برزت ظاهرة كتابة اللغة العربيَّة بحروف لاتينية بفضل وسائل التقنية الحديثة لدى فئة الشباب بشكل خاصّ والمستعملين للشبكة العنكبوتية بشكل عام ، وقد تركت آثارها السلبية على الفكر والثقافة واللغة؛ حيث أذاعت قدرًا من الفوضى اللغوية لدى مستخدمي وسائل التقنية الحديثة في غرف الدردشة والمحادثة وبرامج التواصل الاجتماعي؛ كالفيس بوك والتويتر ، والبريد الالكتروني؛ فظهرت أصوات ومفردات وتراكيب أجنبية ، واستسهل الكتابة باللغة الإنجليزية ، وتدهور وضع اللغة العربيَّة في الكتابة ، ومظاهر ذلك ما يأتي: [٢]

أ - استبدال الحرف الإنجليزي بالحرف العربي ، واستبدال الكلمات والجمل الإنجليزية بالكلمات والجمل العربيَّة ، وأمثلة ذلك كثيرة؛ منها:

---

(١) ينظر: http://www.bdr١٣٠.net/vb/t١٠٢٢٥٩٧.html

(٢) ينظر: http://www.aklaam.net/forum/showthread.php?t=٢٦٧٣٣

«الصديق وقت الضيق» تكتب هكذا: (Al٩edee٩` waqt al ٩'eeq). و«أنا محمد ، طالب في جامعة البترول» تكتب هكذا: (Ana M٧mmd ٦aleb fee jame٣at albetrool) ، و«كيفك ، عساك بخير» تكتب هكذا: (Kefak ٣asak be٥eer) ، و«كيف الحال» تكتب هكذا: (Kaif al٧al) ، و«السلام عليكم» تكتب هكذا: (Asalam ٣aliakom) ، و«أنت عمري» تكتب هكذا: (Anti ٣omri) ، و«صباح النور» تكتب هكذا: (saba٧ ennour).

ب - اختزال الألفاظ الإنجليزية حروفًا؛ مثل كلمة (See) اختزلت إلى "c" ، وكلمة (You) اختزلت إلى "u" ، وعبارة السلام عليكم ورحمة الله تختصر إلى "S١" ، وكلمة (كويت Kwait) تختصر إلى "Q٨" ، وكلمة (Thanks) أو شكرًا في العربيَّة تختصر إلى "ThX" ، وكلمة (Because) أو بسبب في العربيَّة تختصر إلى "Cuz" ، وكلمة (Before) أو قبل في العربيَّة تختصر إلى "B٤" ، وكلمة (Disconnected) أو غير متصل بالعربيَّة تختصر إلى (DC) ، وكلمة (Take care) أو خذ بالك بالعربيَّة تختصر إلى "Tc" ، وكلمة (Thank You) أو شكرًا تختصر إلى (Ty) ، وكلمة (In my opinion) أو برأيي تختصر إلى "imo" ، وعبارة (Fore Your Information) أو لمعلوماتك تختصر إلى "Fyi" ، وكلمة (Oh my god) أو يا إلهي تختصر إلى "OMG" ، وعبارة (You Welcome) أو أهلاً بك تختصر إلى "yw" (١).

(١) تعدت هذه الظاهرة الرسائل القصيرة عبر الجوال ، والمحادثة عبر الشبكة =

وربما كانت الحيرة والقلق والتفكّك والأحداث السريعة التي يعيشها الشباب سببًا رئيسًا وراء ذلك الاختزال.

وهناك مختصرات معتمدة في الهندسة والعلوم والتقنية ، ومن ذلك: (FCE) اختصار لـ (First Certificate in English) .بمعنى «الشهادة الدولية في الإنجليزية» ، (IAU) اختصار لـ (International Association of Universities) .بمعنى «اتحاد الجامعات الدولي»، (ICA) اختصار لـ (International Cooperation Alliance) .بمعنى «الاتحاد التعاوني الدولي»، (IDB) اختصار لـ (Islamic Development Bank) .بمعنى «بنك التنمية الإسلامي»، (ION) اختصار لـ (Institute of Navigation) .بمعنى «معهد الملاحة» ، (INTECOL) اختصار لـ (International Association for Ecology) .بمعنى «اللجنة الدولية للبيئة»، (IRA) اختصار لـ (International Reading Association) .بمعنى «جمعية القراءة الدولية» ،(NAC) اختصار لـ (National Aero Club) .بمعنى «نادي الطيران القومي» ،(NWS) اختصار لـ (National Weather Service) .بمعنى «مصلحة الجوّ الوطنيَّة»، (OAS) اختصار لـ(Organization of Arab Student) .بمعنى «منظمة الطلبة العرب»[1].

= العنكبوتية، ورسائل البريد الألكتروني إلى أسماء القنوات التلفزيونية وبعض البرامج الفضائية، وبعض لافتات المحال التجارية ، وبعض الإعلانات التجارية في المجلات والصحف وغيرهما.

(١) ينظر: المختصرات المعتمدة في الهندسة والتكنولوجيا (جزء خاص بالجمعيَّات) ، مقـــال =

جـــ – إبدال الحروف أرقامًا «لغة الأرقام»: حيث وضعت أرقام للأصوات العربيَّة التي لا يوجد مثيلٌ لها في الإنجليزية؛ مثل حرف الثاء، والحاء ، والعين ، والخاء ، والطاء ، والظاءِ ، والصَّاد ، والضاد ، والقاف؛ فحرف الثاء في اللغة العربيَّة يكتب رقمًا هو (٢)، وحرف العين في اللغة العربيَّة يكتب رقمًا هو (٣)، وحرف الطاء يكتب رقمًا هو (٦)، وحرف الخاء يكتب رقمًا هو (٧)، وحرف الصاد في اللغة العربيَّة يُكتب رقما هو (٩). وفي موقع (Arabic Pod) (www.Arabic pod.net) هذا الجدول لرموز الحروف العربيَّة باللغة الإنجليزية:

أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
A	B	T	TH	J	٧	٧`	D	D`	R	Z	S	SH	٩
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـــ	و	ي
٩`	٦	٦`	٣	٣`	F	Q	K	L	M	N	H	W	Y

وهذه بعض الكلمات العربيَّة وكتاباتها لدى الشباب في لغة الحديث في مواقع التواصل الاجتماعي:

كلمة «عبارة» تكتب هكذا: (٣barah) ، وكلمة «حديقة» تكتب هكذا: (٧adee٨ah)، وكلمة «خرَج» تكتب هكذا: (٧`araj) ، وكلمة «قطع» تكتب هكذا: (Qa٦a٣)، وكلمة «عبد» تكتب هكذا: (٣abd) ، وكلمة «صديق» تكتب هكذا: (٩addeeq)، وكلمة «عِلْم» تكتب هكذا: (٣elm)، وكلمة «نصيحة» تكتب هكذا: (Na٩ee٧ah)، وكلمة «عبد الله»

= بمجلة اللسان العربي (٣١).

تكتب هكذا: (٣bdullah) ، وكلمة «حميد» تكتب هكذا: (٧emaid) ، وكلمة (حالك) تكتب هكذا: (٧alak) ، وكلمة «حبيبة» تكتب هكذا: (٧bebah) ، وكلمة «راضي» تكتب هكذا: (Ra٩`ee) ، وكلمة «مساعي» تكتب (Msa٣e) ، وكلمة «صح» تكتب (٩٧) ، وكلمة «مقطع» تكتب (m٨٦٣) ، وكلمة «مشغول» تكتب (mshr٣`ool) ، وكلمة «سعادة» تكتب (s٣adah) ، وكلمة «خالد» تكتب (٥aled) ، وكلمة «طارق» تكتب (٦arek) ، وكلمة «حسن» تكتب (٧asan) ، وكلمة «أحمد» تكتب (A٧med) ، وكلمة «سعاد» تكتب (So٣ad) ، وكلمة «حوار» تكتب (٧war) ، وكلمة «صحافة» تكتب (Sa٧afa).

وقد يبرِّر الشباب استعماله لهذه الطريقة بأنه قد يُضطر إليها في السفر عندما يكتب من أجهزة لا توجد فيها لوحة مفاتيح تكتب باللغة العربيَّة. لكن من غير شك فإنَّ هذه الطريقة – بمرور الوقت – سوف تؤثر سلبيًّا على اللغة العربيَّة لدى مستخدميها الذين ربما ينسونها بعد فترة ما.

د – شيوع التعبيرات الإنجليزية التي تنطق وتكتب بالعربيَّة ويشتق منها أفعال ومصادر وجموع وغيرها؛ ومن ذلك «دَلِّت الملف» والمراد «أَلْغِ الملف» ، و«كنسل الموعد» أي «أَلْغِ الموعد» ، و«شيِّك على الإيميل» والمراد «تابع النظر إلى البريد الإلكتروني»، و«كنسل الميجر» ، أي: «أَلْغِ الامتحان»... إلى آخر تلك التعبيرات التي كثر ورودها لدى فئة المستخدمين للحاسب الآلي[١].

(١) لم تَقْتصر الظاهرة على التعامل الإلكتروني فقط ، بـل صـارت مـستعملة في =

وربما كان الشباب معذورًا في بعض الأحيان في استعمال هذه اللغة حين لا تسمح بعض البرامج بإدخال الحديث باللغة العربيَّة ، وحين لا يوجد في لوحة المفاتيح حروف وأرقام تكتب باللغة العربيَّة. ومن ثَمَّ يتحوَّل بعض من هؤلاء الشباب إلى استعمال الحروف اللاتينية ، وكتابة اللغة العربيَّة بالحروف الإنجليزية.

إن انتشار هذه اللغة بهذا الشكل يسترعي الانتباه ويثير القلق والذعر؛ لخطورتها على اللغة العربيَّة؛ حيث تؤدي إلى نسيانها تدريجيًّا في الاستعمال اليومي؛ ممَّا يؤدِّي إلى فقدان الهوية والانتماء للحضارة العربيَّة والإسلامية ، ومن ثَمَّ علينا العمل على الحدّ من طغيانها وذيوعها.(١)

وهناك أمر آخر خطير يتمثَّل في أنَّ عددًا من مستخدمي هذه اللغة لا يجيدون استعمال اللغة الإنجليزية ، مما يؤدي إلى إضعاف اللغتين جميعًا.

لقد كرَّم الله لغتنا العربيَّة بأن أنزل القرآن بلسانٍ عربيّ مبين؛ فلماذا نتركها ونهمل الحديث بها ونستبدلها بلغة أخرى ؟!

(٢) *لغة الرسائل القصيرة (SMS):* وهي قريبة الشبه بلغة «الشات»؛ حيث استغلت تقنية الجوَّال والهواتف النقالة في إرسال رسائل قصيرة بها بغض النكات أو الدعوات أو الأذكار أو الإعلانات أو الأدعية أو غيرها ، وبعضها كان له أثر حميد على المستوى الاجتماعي من حيث

= التعاملات الاجتماعية الوظيفية اليومية في لغة الحديث العام.

(١) هناك دول استبدلت الحرف اللاتيني بالحرف العربي؛ مثل «تركيا» ، والجمهوريات الإسلامية التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي في آسيا.

التواصل الدائم مع الآخرين وبخاصة الأهل والأصدقاء ، بيد أنَّ الآثار السلبيَّة كانت كبيرة وخطيرة ، وقد برز بعضها على المستوى الاجتماعي ، ومن ذلك: إطلاق الشائعات ونشرها بين أفراد المجتمع ، وإطلاق الألفاظ البذيئة والمذمومة ، وإشاعة الكلمات النابية والسيئة. وكان من آثارها السلبية على العربيَّة استعمال كثيرين للمفردات الإنجليزية أو غيرها ، واختصار بعض الألفاظ ، والإتيان بحروف غربية مكان بعض الكلمات والجمل أثناء المحادثة في الرسائل القصيرة على الهواتف المحمولة أو البلاك بيري أو الآي فون ، وكتابتها بالحروف العربيَّة أو الإنجليزية؛ مثل:[1]

«برب» وبالإنجليزية (BRB): وهي الحروف الأولى من جملة (Be Right Back) التي تعني بالعربيَّة «سأعود حالاً».

«تيت» وبالإنجليزية (TYT): وهي الحروف الأولى من جملة (Take Your time) التي تعني بالعربيَّة «خذ وقتك».

- «لول» وبالإنجليزية (LoL): وهي الحروف الأولى من جملة (Laughing Out Loud) التي تعني بالعربيَّة «يضحك بصوت مرتفع».
- «وب» وبالإنجليزية (WB): وهي الحروف الأولى من (Welcome Back) التي تعني بالعربيَّة «مرحبًا برجوعك».
- و(IMO): وهي اختصار للأحرف الأولى من (In my opinion) بمعنى: «في رأيي»... وهكذا.

هذه أمثلة ونماذج فقط، وخطرها الرئيس يتأتى من تكرار استعمالها،

(١) ينظر: http://majdah.maktoob.com/vb/majdah١١٦٨٧٠

ومن ثَمَّ ينمحي الحرف العربيّ ويستبدل محلّه الحرف اللاتيني، وهذا يقتضي التنبُّه لخطورة الانجراف وراء هذه الظاهرة والوعي بقيمة العربيَّة وقدرتها على مواكبة تطورات العصر وتغييراته.

لقد اتضح من خلال ما سبق أنَّ هذه اللغة المستحدثة كانت بسبب ميل بعض الشباب إلى التواصل بغير لغتهم العربيَّة، وأسباب ذلك كثيرة؛ منها: التأثُّر بغير العرب، و رغبة بعض الشباب في اختصار الوقت أو الهروب من الأخطاء اللغوية المحرجة، وعدم القدرة على الكتابة بالعربيَّة، وطلب السهولة واليسر، والغزو اللغوي. وأيضا فقد ساعدت أجهزة المحمول القديمة التي لم يكن بها حروف عربيَّة مع حاجة المتلقين إلى كتابة الرسائل بهذه الطريقة إلى ذيوع هذه الظاهرة وانتشارها.

إن خطورة هذه الظاهرة تكمن في إهمال الألفاظ العربيَّة نتيجة لعدم استعمالها، وإحلال الألفاظ الأجنبية محلها، وهي تساعد على إضاعة العربيَّة وإهمالها وانحدارها لدى الأجيال القادمة.

(٣) المدونات[١] والمنتديات الإلكترونية:

لا يُنكر أحدٌ ما تحدثه المنتديات والمدونات على اللغة من مظاهر إيجابية تتمثَّل في أنها أتاحت للأشخاص الفرصة الكاملة للانطلاق في التحدُّث والحوار والمنافسة والوصف والتعليق وإظهار الخواطر والعواطف والأحاسيس وبيان الآراء بكلِّ جرأة ووضوح.

---

(١) المدوَّنة تعريب للكلمة الإنجليزية (Blog) التي تحتوي على كلمتين هما (Web log) بمعنى «سجل الشبكة». وهي شبيهة بالمواقع الإلكترونية على الشابكة ، وقد أتاحت «جوجل» لمستخدمي اللغة العربيَّة هذه الخدمة في التواصل ، وبعض المدونات إخباري ، وبعضها فنِّي ، وبعضها تعليمي ، وبعضها أكاديمي ، وبعضها بوحٌ شخصي ، وبعضها تسويقي وتجاري ، وبعضها سياسي ، وبعضها قانوني...إلخ. ومن أمثلة المدونات: «مدونة الرسالة» ، و«مدونة سمسوم» ، و«مدونة أنا موهوب» ، و«مدونة الدارس»... وغيرها.

وبعض هذه المدونات يستفيد من إمكانات الصوت والصورة والفيديو والرسم وغيرها. وقد يُعرض في بعض هذه المدونات بعض الإعلانات والدعايات. ينظر:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩٪٨٥٪D٨٪AF%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦٪D٨٪A
٩ وينظر: http://www.shaat.com/forum/showthread.php?t=١٣١٧٤

وينظر:
ttp://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D٩٪٨٥٪D٨٪AF%D٩٪٨٨٪D
٩٪٨٦٪D٨٪A٩&action=edit&section=٢" \o

وينظر: http://www.abuharoon.com/?p=١٢٣١

وينظر: http://www.atida.org/forums/showthread.php?p=٤٠٩٩

لقد أعطت المدونات والمنتديات الفرصة الثمينة لكثير من الأقلام الشابَّة والمواهب الأدبية الواعدة ، وأتاحت لها الفرصة في الظهور والإبداع.

لكن ، بالرغم من هذه المزايا الإيجابيَّة ، فإنَّ هناك تأثيرات سلبِيَّة على اللغة العربيَّة تتمثَّل فيما يأتي:

أ – شيوع الأخطاء اللغوية (الإملائية والصوتية والصرفية والنحوية) ، وأمثلة ذلك كثيرة؛ منها: كتابة «إنْ شاء الله» بوصل النون في الشين هكذا: «إنشاء الله»؛ لتؤدي معنى البناء والتأسيس المغاير لمشيئة الله وإرادته ، وكتابة «اللهم صلِّ على سيدنا محمد» بالإبقاء على حرف العلة (الياء) هكذا: «اللهم صَلِّي على سيدنا محمد»؛ ف"صلِّ" فعل أمر مراد به الدعاء مبني على حذف حرف العلة (الياء). ومن ذلك كتابة "اللغة" بحذف اللام هكذا "الغة" ، وكتابة "الدورة الصيفية" بإهمال نقط الحروف التي تنقط هكذا "الدوره الصيفيه". ومن ذلك قولهم: "الطالبتان الفُضْلتان" والصواب "الطالبتان الفُضْليان" بمراعاة القاعدة النحوية في التثنية ، وهكذا.

والمشكلة الكبرى هي تداول هذه الأخطاء الإملائيَّة والنحويَّة والصرفيَّة وتعزيزها وتأكيدها.

ب – الاعتماد على اللهجات العامية المحكية في الكتابة والتدوين وكذلك في الردود على الرسائل الإلكترونية: وهذا يؤدي إلى نسيان الفصحى وعدم التمكُّن منها ، وصعوبة التدوين بالعربيَّة الفصحى ، واستبدالها بالغثّ والرديء. وهنا ينبغي التبيه إلى أنَّه لا يُكتب لكثير من المدونات التي تكتب باللهجات العامية الذيوع والانتشار؛ حيث لا يفهم

المغربيّ ما يدونه اليمنيّ من عامية يمنية دارجة ، ولا يفهم السوري ما يحكيه الجزائري ويدوّنه ، والعكس بالعكس.

إنَّ التدوين بالعامية خطره كبير على اللغة العربيَّة الفصحى ، وينبغي التوعية بذلك في المجالس والمنتديات ، ويكفي خطرا أن يُكتب باللهجة العاميّة المصرية في الموسوعة العالمية الشهيرة " ويكبيديا ".

جـــ - الاعتماد على اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات الأجنبية من دون داعٍ أو مقتضٍ: حيث يميل بعض المدونين إلى استعمال مفردات وكلمات أجنبيَّة. وقد سبق ذكر أمثلة لذلك.

د - سطحية اللغة وضعفها وغموض الهدف في ذهن مرسل المدونة وعدم وضوح الغرض المراد توصيله إلى المستقبِل في ذهن مرسل المدوّنة ،و إرسال رسائل خاطئة في أحيانٍ كثيرة.

هـــ- ضياع الخط العربي الجميل: من سيئات العولمة ووسائل التقنية الحديثة ضياع الخط العربي الجميل؛ نتيجة للاعتماد الشديد على أجهزة الحاسب الآلي في الكتابة، مما يقلّل من فرص الكتابة بخط اليد وعدم التدريب الكافي على استعماله.

خامسًا: - في المواقف الوظيفيَّة الاجتماعية اليوميَّة:

لقد أدَّت العولمة إلى ذوبان هويَّة الأمة العربيَّة وطمسها وإلغائها ، كما شجَّعَت على وأد العربيَّة وإخراجها واقتلاعها من البيوت والأزقَّة والشوارع والمحال والأسواق، وبرزت في سياق ذلك تحديات رئيسة تواجهها العربيَّة ، وذلك على النحو الآتي:

(١) إحلال العاميات محلّ اللغة العربيَّة الفصحى[١]:

تعدَّدت العاميات في الوطن العربي بتعدُّد أقطاره وبلدانه ، بل إنه داخل المجتمع الواحد هناك لهجات كثيرة متعدِّدة، وربما لا يفهم أحدٌ عن أحد شيئًا مما يقول ، ولذلك دور كبير في إضعاف الانتماء اللغوي وإضعاف الهويَّة القوميَّة والدينيَّة.

أُقصيت اللغة العربيَّة الفصحى، وصارت العامية في كلِّ قطر عربي هي لغة الحديث في المترل والسوق والشارع والتجارة والزراعة.

و لم يقتصر الأمر على ذلك بل صارت اللهجات العامية في بعض الأحيان هي لغة القراءة والكتابة في المقالات في الصحف والمجلات ، وكذلك في الأشعار العامية ، وأيضًا في كثير من الأحاديث الإذاعيَّة والتلفازية. وقد بُرِّر ذلك بِحُجَجٍ واهية؛ أبرزها: صعوبة العربيَّة الفصحى وسهولة العامية.

لقد انتشرت العاميات في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة. وهذا أمرٌ خطيرٌ على العربيَّة الفصحى ، وبخاصة في برامج الأطفال التي تؤكِّد اللهجات العامية المبتذلة وتقوِّيها ، وفي برامج بعض المذيعات اللائي يتبذَّلن في الكلام ويتكسَّرن في الحديث اعتمادًا على تدللهن وتغنجهن ، وفي الأغاني التي تُرَدَّد وتحكى ، وفي المسابقات الشعرية التي تحتفي بشعراء العامية الذين يحصلون على الجوائز الثمينة والأوسمة الرفيعة. وكان الأَوْلَى أن تذاع هذه البرامج والأغاني والأشعار بالكلام العربي الفصيح.

---

(١) ينظر: http://www.odabasham.net/show.php?sid=٣٤٤٦٧

ومن أكبر مظاهر انتشار العاميَّة استعمال المعلم للهجته العامية داخل قاعة الدرس بديلاً عن اللغة العربيَّة الفصحى وتفشِّيها وشيوعها ، مع ما للغة العربيَّة الفصحى من دور مهمٍّ في إكساب المهارات اللغويَّة ، وتنمية التفكير العلمي ، وزيادة الخبرات الثقافية والاجتماعيَّة.

ولعلَّ من أسباب تفشي العامية وذيوعها في مجتمع المدرسة لدى كلٍّ من الأساتذة والطلاب قلَّة الوعي بأهميَّة اللغة العربيَّة الفصحى، وعدم الإدراك لخطورة العامية، وكذلك قلة التطبيق على مهارات اللغة قراءة وكتابة وتحدُّثًا واستماعًا، وأيضًا عدم إدراك دور المكتبة والكتاب في زيادة الثروة اللغوية للأستاذ والتلميذ. وربما يكون سببًا لذلك اعتقاد بعض الأساتذة أو التلاميذ صعوبة العربيَّة، وكذلك عدم تمكُّن بعض الأساتذة من العربيَّة وعلومها.

ومن عجبٍ أن تجد تلميذًا يخاطب صديقه بالعامية ويشجعه الأستاذ على ذلك، أو تجدَ معلِّمًا يشرح دروسه وحِصَصه باللهجة العامية، أو يتحدَّث مع زملائه «وكلاهما متخصِّص في اللغة العربيَّة» بالعامية.

وهنا ينبغي التنبيه إلى عدم الاستجابة لهذا الأمر وهو اتخاذ العامية بديلاً عن العربيَّة الفصحى التي هي لغة الدين والقومية.

(٢) هيمنة اللغة الأجنبية ومزاحمتها للغة العربيَّة[1]:

لم تقتصر المحادثة على استعمال اللهجات العامية وحدها، بل طعمتها

(١) ينظر: http://aliho.akbarmontada.com/t٩٢-topic

بكلمات أجنبيَّة (إنجليزية بشكلٍ خاصٍّ)؛ فلا تخلو - إلاَّ في القليل النادر - مكالمة هاتفية من مثل: (Hello) بدلاً من «مرحبًا» ، و (OK) بدلاً من «موافق» أو «نعم» ، و(Bye) بدلاً من «إلى اللقاء» أو «مع السلامة». وكذا انتشرت الكلمات الأجنبية على الملابس والمطاعم والشركات والمؤسسات ، واعتمدت المختصرات الإنجليزية والفرنسية التي كتبت بحروف لاتينية أو بحروف عربيَّة؛ لتكون أسماءً متعارفًا عليها لعدد من الشركات والمؤسسات؛ مثل: «أرامكو» و«إيسيسكو»، و«سابكو»، و«سابك».

لقد هيمنت الإنجليزية (والفرنسية معها) لغة ثانية على عدد من البلدان العربيَّة؛ فقد انتشر تعلُّم اللغة الإنجليزية لغة ثانية في مصر والسودان ودول الخليج العربيّ ، وانتشر تعلُّم اللغة الفرنسيَّة في دول المغرب العربيّ ودول الشام. كما حلَّ التقويم الميلادي محلَّ التقويم الهجري في بعض الدول.

وأمام الشعور بهيمنة اللغة الإنجليزية وخطرها على الدول الأخرى دعا «جاك شيراك» رئيس فرنسا السابق إلى إقامة تحالف بين الدول التي تعتمد لغات ذات أصل لاتيني؛ للتصدي لتلك الهيمنة.(١)

يذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أنَّ كثيرا « من المهيمنين على مقاليد السلطة في العالم الثالث لا يدركون أبعاد العولمة ، وأنَّ مدارس اللغات تتفشَّى في المجتمعات النامية لتغيير ألسنة الشعوب ومحاربة اللغات المحليَّة»(٢).

---

(١) دور مؤسسات التربية الإسلامية في مواجهة العولمة: أريج بنت إبراهيم الأنصاري ١٠.

(٢) العربيَّة لغة العلوم والتقنية: د. عبد الصبور شاهين ٣٩.

واجبنا تجاه اللغة العربيَّة في عصر العولمة[(١)]:

لقد حافظت كثير من الأمم الأخرى على لغاتها ، ودافعت عنها ، وحمتها من الغُرْبة بين أهليها ، كما حفظتها من الاختراق والذوبان في غيرها؛ فالإسرائيليون أَحْيوا لغة دينيَّة ميِّتة هي اللغة العبريَّة ، وصيَّروها لغة العلم والحضارة في الطبِّ والهندسة والزراعة والعلوم والأدب والصحافة وغيرها، وحوَّلوها إلى لغة حياة في الروضة والمدرسة والجامعة والمنزل والأسواق.

واليابانيون أولوا لغتهم أهمية عظيمة وأولويَّة كبيرة؛ فصارت اليابانيَّة لغة التعليم والتعلُّم [(٢)].

أما الفرنسيون فأصدروا قانونًا يقضي باعتماد اللغة الفرنسية في الدعاية والإعلان ، كما حظر وزير المالية الفرنسي في وزارته استعمال أي كلمة من الكلمات المشتقة من الإنجليزية[(٣)].

وفي هذا السياق أعرب البرلمان الأوربي عن قلقه إزاء هيمنة اللغة الإنجليزية على الاقتصاد والتكنولوجيا واللغات[(٤)].

أما نحن؛ فماذا فعلنا تجاه لغتنا ؟. هل فعلنا كما فعلت فرنسا وإسرائيل واليابان بلغاتها ؟. هل قضينا على الأمية ؟ هل أسهمنا في الثورة

---

(١) ينظر:
http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=١٧٥٩

(٢) تأملات في اللغة والثقافة: الدكتور معن النقري ٧٦.

(٣) العولمة وانعكاساتها في العالم الإسلامي ٦.

(٤) العولمة وانعكاساتها في العالم الإسلامي ٩٤.

التكنولوجية الحديثة ؟. هل وحَّدْنا المصطلحات العلميَّة ؟. هل سجَّلنا ألفاظ الحضارة في المعاجم المعاصرة ؟. هل أنشأنا المراكز وأقمنا الدورات الكافية لتعليم العربيَّة للعرب ولغيرهم ؟. هل جعلنا اللغة العربيَّة لغة علم ومعرفة وثقافة بديلاً عن الإنجليزية وغيرها ؟. هل جعلنا اللغة العربيَّة لغة التواصل الأولى في المجتمع العربي بديلاً عن اللهجات الدارجة أو اللغات الأجنبيَّة ؟. هل نهضنا بالعربيَّة ، وتجاوزنا مشكلات اللغة ، وحدَّثنا مناهج التَّعليم ؟. هل أفدنا من التقنية الحديثة ووسائلها في تعليم اللغة العربيَّة ؟، وهل صنعنا برنامجًا موحَّدًا في تدريس اللغة العربيَّة ؟ ، وهل عَمَّمت وزارة التربية والتعليم على المدرِّسين – وبخاصة مدرِّسو اللغة العربيَّة – التحدُّث باللغة العربيَّة الفصحى مع الحرص على أن تدرس المقررات باللغة العربيَّة ما عدا مقررات اللغات ؟، وهل اعتمدت وزارة الإعلام الألفاظ والجمل العربيَّة الفصحى في الصحف والمجلات والبرامج والأفلام والحوارات وغيرها ؟، وهل نجحنا في إيجاد الراعي الرسمي للغة العربيَّة ؟ وهل نجحناكذلك في إيجاد عاصمة عربيَّة – مع تعدُّد العواصم العربيَّة – لتكون عاصمة اللغة العربيَّة ؟

ينبغي إيلاء العربيَّة الفصحى مزيد اهتمامنا وكبير رعايتنا. كما ينبغي المحافظة عليها وعدم إهمال الحديث بها نُطْقًا وكتابة ، وبذل قصارى الجهد في خدمتها وتيسير تعلمها ، واعتبار المحافظة عليها وخدمتها والدفاع عنها أمنا قوميًّا لغويّا وخطًّا أحمر؛ فهي مكوِّن أساسيّ من مكونات القوميَّة والوطنيَّة والهويَّة ، وهي سبيلٌ إلى إحساسنا بالفخار والعزَّة والكرامة.

تجاه ما تتعرَّض له العربيَّة من مخاطر وتحديات تُهَدِّد الهوية الثقافية

واللغوية للمجتمعات العربيَّة؛ كتشجيع اللهجات المحلية، والكتابة بالحروف اللاتينية...إلخ؛ فإنَّ علينا ألا نقف صامتين إزاء هذا الإقصاء المتعمَّد لها في وسائل الإعلام الحديثة وتلك القطيعة المزرية معها، وإدراك عناصر القوة والثبات في اللغة العربيَّة التي تجعلها قادرة على مواجهة التطورات والأخطار والتحديات، على عكس اللغات الأخرى التي لم تقف طويلاً أمام التحديات التي واجهتها؛ مثل اللغة اللاتينية ، ويمكن لمواجهة العولمة عمل ما يأتي(١):

١ – التخطيط اللغوي الواعي بتوحيد قرارات المجامع اللغوية في العالم العربي ، وتوحيد الجهود في وضع المصطلحات، وحلّ بعض المشكلات الأساسية؛ مثل: تعريب العلوم، والترجمة مع ضرورة التنسيق بين المخططين في المدارس والجامعات والإعلام ، وإنشاء مراكز لتعليم اللغة العربيَّة لأهلها ولغير أهلها من الناطقين بغيرها في الداخل والخارج، وإنشاء مراكز تحفيظ القرآن؛ لإيجاد جيل ناشئ على محبة العربيَّة وعلومها، وضرورة استعمال اللغة العربيَّة في الدوائر الرسمية وغير الرسمية، وإنشاء مراكز للتعريب.

---

(١) ينظر:

http://aliyoucef.maktoobblog.com/١٦١٤١٠٦/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٩%D٩٪٨٥٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٩-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٣٪D٨٪AC%D٩٪٨٦٪D٨٪A٨٪D٩٪٨A%D٨٪A٩-%D٩٪٨١٪D٩٪٨A-%D٨٪AF%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٤-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AE%D٩٪٨٤٪D٩٪٨A%D٨٪AC%D٨٪AE%D٨٪/B٧٪D٨٪B١-%D٩٪٨A%D٩٪٨٧٪D٨٪AF

وينظر: http://dvd٤arab.maktoob.com/showthread.php?t=١٦٠٧١٥٠

٢ – الكشف عن جماليات اللغة العربيَّة الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية، وإبراز حسنات التراث العربي والإسلامي مع تقريب هذا التراث للمستقبلين وإبعاد شوائبه عن المتلقّين.

٣ – إعداد برامج وأفلام ومسلسلات باللغة العربيَّة الفصحى؛ لتواكب التطوُّر في الفكر والثقافة ، وتنافس البرامج والأفلام والمسلسلات الغربيَّة المهيمنة الغازية في الفضائيات؛ مثل (Star Academy)، و(Super Star)، والإشراف الكامل على برامج الأطفال ، وكذلك تقليل البرامج والأفلام والمسلسلات التي تحكى باللهجات العامية ، ومن ثَمَّ إلغاؤها.

٤ – العودة إلى التربية اللغوية السليمة في البيت والمدرسة ووسائل الإعلام، وتحصين الأفراد ضد ما يستقبلونه أو يتلقَّونه في الفضائيات وغيرها، وضرورة التوعية بأهمية اللغة العربيَّة في المقالات والبرامج الإذاعيَّة والتلفزيونية والمدارس والجامعات والمساجد ، لرفع المستوى اللغوي والنهوض باللغة العربيَّة.

٥ – تنفيذ القرارات التي اتخذت سابقًا بشأن اللغة العربيَّة، ولكنها لم تُنَفَّذ ، ومتابعتها؛ مثل قرار عدم كتابة أسماء اللافتات وعناوين المحال التجارية والمؤسسات والشركات إلا باللغة العربيَّة في مصر والمملكة العربيَّة السعودية؛ ففي المملكة السعودية هناك مرسوم من ديوان رئاسة الوزراء بالمملكة العربيَّة؛ حيث وجَّه مجلس الوزراء خلال جلسته المنعقدة بتاريخ ١٤٢٧/٤/١٧هـ بالتأكيد على جميع الجهات بالتقيُّد بالأمر رقم ٣/ح/١٥٣٥١ ، وتاريخ ١٤٠٠/٦/٢٠هـ المؤكّد عليه بالأمرين رقم ٣/ح/٩٥٧٤ ، وتاريخ ١٤٠١/٤/٢٧هـ ، ورقم ٣/ح/١١١٥٢ ، وتاريخ ١٤٠٢/٥/١٢هـ ، والقاضي بأن تلتزم جميع الجهات الحكومية والمؤسسات العامة والشركات المملوكة للدولة باستعمال اللغة العربيَّة في

مراسلاتها وفي تحرير العقود ومرفقاتها ووثائقها المختلفة التي تتمّ بين هـــذه الجهات والشركات والمؤسسات الأجنبية.

٦ – تأكيد تحوّل اللغة العربيَّة إلى لغة عالميَّة – وهي كذلك – ، بنشرها داخليًّا وخارجيًّا ، وحوسبتها، واعتبار أن الحديث والكتابة بغيرها إنما هو امتهان لها وإهانة لحقها.

٧ – الحرص على السلامة اللغوية في كتابة التقارير والمراسلات ، وضـــرورة وجود مدقِّق لغوي في كافة المؤسسات والشركات والهيئات ، يُلقى عليه عبء تصحيح الخطابات والمكاتبات والمراسلات.

٨ – الإفادة من وسائل التقنية الحديثة وبخاصة تقنية الحاســـب الآلي؛ كتقنيـــة الكتب الإلكترونية وتقنية اليوتيوب ، والتشجيع على استعمالها الاستعمال المفيد في اختصار الوقت والجهد وإخراج النصوص الإخراج الجيّد ، ومن ذلك استخدام برامج العروض التقدُّمية أو شـــرائح العـــرض (Power Point) التي تُسهِّل في إيصال المعلومة إلى المتلقي ، واســـتخدام بـــرامج الحاسب الآلي في العربيَّة تلك التي تجمع بين الإفـــادة العلميـــة والمتعـــة والتشويق؛ كبرامج المراجعة اللغوية ، والتـــدقيق النحـــوي ، والتـــدقيق الإملائي ، والتحليل الصرفي ، وغيرها. وأيضًا برامج تهتم بمهارات التحرير والكتابة بالعربيَّة ، وبناء الألفاظ ، وتركيب الجمل مع استخدام الرســـوم والصور والخلفيات في جعل الموضوع المختار جذَّابًا وشيِّقًا وممتعًا ومحبَّبًـــا مع ضرورة وضع برامج جديدة؛ كعمل برامج للسلامة النحويَّة وبـــرامج للصحة الصرفية يُبتعد فيها عن تعقيد القواعد وغموض الاشـــتقاقات ، وغيرها.

٩ – تعزيز الإبداع بالعربيَّة في كل مجالات الإبداع ، وبخاصة المجالات القولية؛ كالشعر والقصة والرواية والمسرحية ، وهذا سيسهم في زيادة الوعي باللغة

العربيَّة ، بحيث تكون لغة لأناس خارج حدودها ، كما كانت قـديمًا في عصورها الزاهرة.

١٠ -التحلِّي بالإرادة القوية في مقاومة الغزو الثقافي واللغوي للعولمة ، ووقـف زحف التغريب ، ومواجهة تحديات العولمة وتلبية متطلباتها ، وذلـك بالدفاع عن الذات والهوية والخصوصية العربيَّة والإسلامية.

١١ -تشخيص واقع اللغة العربيَّة في عصر العولمة ، وإدراك مكمن الخطـورة وموطن الداء ، ومعرفة نقاط القوة وجوانب الـضعف ، واكتـشافها ، وتعزيز الجوانب الإيجابيَّة ، والسعي إلى معالجة أسباب الضعف وعوامله.

١٢ -تفعيل دور المجامع اللغوية في إغنـاء اللغـة العربيَّـة ووضـع المعـاجم والمصطلحات ، والتخطيط اللغوي ، وحماية اللغة العربيَّة والمحافظة عليها.

١٣ -إبراز دور المسئولين والقادة وأصحاب المناصب والكراسي والمؤسَّـسات في احترام اللغة العربيَّة الفصحى ، والتوعية بأهميتها في شتى المجـالات ، وإدراك ما يحيكه لها الأعداء من محاولات تدعو إلى إضـعافها ، وإبعـاد العرب عن لغتهم ، وإبعاد اللغة عن العرب.

١٤ -إبراز دور البيت في تعليم اللغة العربية منذ النشأة الأولى، وغرس حبّ اللغة العربيَّة للطفل منذ نعومة أظفاره، ومنذ سنيه الأولى ، وكذلك إبراز دور المدارس والمؤسسات الأكاديمية والبلديات والجمعيات الأهلية وروابـط الأدباء وروابط الكتَّاب في ذلك.

١٥ -توضيح آثار العولمة وأهدافها ومخاطرها على العادات الإسلامية الـسامية مأكلاً ومشربًا ومسكنًا وملبسًا ، وإظهار تأثيراتها على اللغة العربيَّة.

١٦ -الإفادة من الإمكانات الهائلة للشبكة العنكبوتيَّة في نشر اللغـة العربيَّـة والثقافة الإسلامية ، والتوسُّع في النشر الإلكتروني ، وإيجاد مواقع إلكترونيَّة تساعد على نشر اللغة العربيَّة داخليًّا وخارجيًّا.

١٧ -التقوية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

١٨ -تعريب المصارف والشركات والهيئات والجامعات، واعتماد اللغة العربيَّة لغة أساسية في التعامل التجاري والاقتصادي والسياسي والتعليمي، والتخفُّف من هيمنة اللغة الإنجليزية.

١٩ -إعادة النظر في المناهج والمقررات وطرق التدريس ، والاهتمام بالبحث العلمي والنقد الذاتي مع المحافظة على قيم التراث وأصالته.

٢٠ -تشجيع الأبحاث والدراسات العلمية باللغة العربيَّة مما يسهم في التعريف بهذه اللغة.

إنَّ ما سبق هو وسائل معينة تدعو إلى مستقبل زاهر مشرق للغة العربيَّة في عصر العولمة ، تستطيع من خلاله أن تواجه به تحديات الازدواجية اللغوية ، وأخطار الإعلام ، وتهديدات وسائل التقنية العلمية الحديثة ، والانبهار باللفظ الأجنبي، وترك اللفظ العربي.

وفي الختام؛ فإنه إذا صَحَّ القول بأنَّ اللغة العربيَّة لم تتقوقع قديمًا على ذاتها، بل أفادت من غيرها واستفادت، وأخذت من غيرها وأعطته، وتجاوزت حدود إقليمها ومنطقتها، فذاعت وانتشرت، وأضحت لغة رسمية لكثير من الدول التي افتتحها المسلمون؛ فإنَّ علينا إعادة تلك الهيبة وهذه المكانة لها.

إنَّ اللغة العربيَّة هي عنوان هويتنا ورمز قوميتنا وشارة حضارتنا ، بها نتواصل مع تراثنا وماضينا، وبها نتقارب ونتراحم فيما بيننا. هذه اللغة الثرية مبنًى ومعنًى تحتاج منا إلى أن نحفظها ونحافظ عليها ونعلمها لغيرنا.

المصادر والمراجع

- آثار العولمة على عقيدة الشباب، تأليف: الدكتور / عبد القادر بن محمد عطا صوفي، رابطة العالم الإسلامي، إدارة الدعوة والتعليم، سلسلة دعوة الحـــقّ، السنة الثالثة والعشرون ، العدد (٢١٥) ، العام ١٤٢٧هــ.
- الإسلام والعولمة: المنازلة العالمية الإسلامية والعولمة البشرية بين السُّنن الربانيَّة والتدافع الإنساني ، تأليف: الدكتور / سامي محمد صالح الــدلال ، مجلــة البيان ، ط١ ، ١٤٢٥هـــ=٢٠٠٤م.
- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقــاد، دار المعــارف، القاهرة، ط٢، لات.
- الإعلام العربي وقضايا العولمة ، د. عواطف عبد الرحمن، كتــب عربيَّــة إلكترونيَّة ، بدون بيانات أخرى.
- أمريكا المستبدَّة (الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم «العولمة») ، ترجمة: الدكتور / حامد فرزات، من منشورات اتحاد الكتــاب العــرب ، دمشق ، لاط ، ٢٠٠١م.
- انهيار العولمة (هل حقًّا يُعيد التاريخ نفسه وتنهار العولمة المعاصرة كما انهارت في موجتها الأولى بالكساد العظيم ؟) «الدراسة الحائزة على جائزة الدولة في الاقتصاد ، جمهورية مصر العربيَّة»، إعداد: د. رضا عبد السلام ، تقديم: د. علي لطفي، ود. أحمد جمال الدين موسى ، منشور إلكترونيًّا ، بدون بيانات أخرى.
- انهيار مزاعم العولمة: قراءة في تواصل الحضارات وصراعها ، د. عزت السيد أحمد ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، لاط ، ٢٠٠٠م.

- البنيويَّة والعولمة في فكر كلود ليفي شتراوس، د. محمد مجـــدي الجزيـــري، الناشر: دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، لاط ، ١٩٩٩م.
- تأمُّلات في اللغة والثقافة ، الدكتور / معن النقري ، دار الشام القديمة للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- تحدِّي ظاهرة العولمة ومتطلبات التغيُّر لمواجهتها في إدارة الموارد البشرية (بحث مقدَّم إلى المؤتمر الدولي للتنمية الإداريَّـــة: نحـــو أداء متميـــز في القطـــاع الحكومي) ، إعداد: د. باسم أحمد المبيضين ، الرياض ١٣-١٦ ذو القعدة ١٤٣٠هـــ الموافق ١-٤ نوفمبر ٢٠٠٩م.
- الثقافة العربيَّة في عصر العولمة، تركي الحمد، دار الساقي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٩م.
- ثقافة العولمة بوصفها خطابًا متطرفًا ، إعداد: د. عبد الله العشي بجامعة باتنة بالجزائر ، مقدَّم إلى اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام مـــن الإرهاب ١٤٢٥هـــ=٢٠٠٤م ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الخصائص ، صنعة: أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـــ)، تحقيـــق: الشيخ محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـــ = ١٩٨٧ م.
- خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، يوسف القرضاوي ، دار الـــشروق ، ط١ ، ١٤٢٤هـــ=٢٠٠٤م.
- دور مؤسسات التربية الإسلامية في مواجهة العولمة اللغوية ، بحث مكمِّـــل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلاميَّة والمقارنة ، الفصل الدراسي الثاني عام ١٤٢٨هـــ/١٤٢٩هـــ ، إعداد الطالبة: أريج بنت إبراهيم بن أحمـــد الأنصاري ، الرقم الجامعي ٤٢٣٨٠٢٨٥ ، إشـــراف: د. آمـــال حمـــزة

المرزوقي ، جامعة أم القرى ، كلية التربية بمكة المكرمة ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة.

- ديوان حافظ إبراهيم ، ضبطه وصحَّحه وشرحه ورتَّبه: أحمد أمين ، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري ، الناشر: محمد أمين دمج ، بيروت ، لاط ، ١٩٦٩م.
- العربية الصحيحة ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب للنشر والطباعة والتوزيع ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م.
- العربيَّة لغة العلوم والتقنية ، د. عبد الصبور شاهين ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٦م.
- العولمة ، إعداد: لخضاري سفيان وآخرين ، إشراف: برزوان. ح ، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ٢٠٠٧م /٢٠٠٨م.
- العولمة الثقافية: الحضارات على المحك، تأليف: جيرار لكيرك، ترجمة: جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ ، ٢٠٠٥م.
- العولمة الثقافية وأثرها على هوية الشباب السعودي وقيمهم وسبل المحافظة عليها ، إعداد: بدر بن جويعد العتيبي ، ود. ثناء يوسف الضبع ، ود. عبد الحميد صفوت إبراهيم ، إشراف وتمويل: الإدارة العامة للبرامج البحثية بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (مشروع بحثي رقم ع س – ٧ – ٩).
- العولمة: ما لها وما عليها ، د. محمد عبد القادر حاتم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، لاط ، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
- العولمة وتأثيرها في لغة الطفل ، ورقة عمل مقدَّمة إلى المؤتمر الدولي «الطفل بين اللغة الأم والتواصل مع العصر» ٢١–٢٣ فبراير ٢٠٠٧م ، د. سامي الصلاحات ، المركز الثقافي ، الدوحة.

- العولمة وأثرها على التعليم العالي ، د. سلوى بنت محمد المحمادي ، جامعة أم القرى ، كلية التربية للبنات بمكة المكرَّمة ، الأقسام الأدبيَّة ، قسم الدراسات الإسلامية ، ١٦/١١/١٤٣٠هـ.
- العولمة والثقافة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان ، تأليف: د. جون توملسينون ، ترجمة: د. إيهاب عبد الرحيم محمد ، عالم المعرفة (سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت) ، صدرت السلسلة في يناير ١٩٧٨م بإشراف أحمد مشاري العدواني ١٩٢٣م - ١٩٩٠م ، العدد رقم (٣٥٤) ، أغسطس ٢٠٠٨م.
- فخّ العولمة (الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية) ، تأليف: هانس - بيترمارتن ، هارالد شومان ، وترجمة: د. عدنان عباس علي ، ومراجعة وتقديم: د. رمزي زكي، عالم المعرفة بالكويت، العدد رقم (٢٣٨).
- فقه اللغة وأسرار العربيَّة لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبيّ ، تحقيق: ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
- فقه اللغة وخصائص العربيَّة: دراسة تحليلية للكلمة العربيَّة وعرض لمنهج العربيَّة الأصيل في التجديد والتوليد ، تأليف: محمد المبارك ، دار الفكر الحديث ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٤م.
- قراءة نفسيَّة في ملفّ العولمة ، منشور في ندوة العولمة وأولويات التربية ، جستن (الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسيَّة) ، إعداد: صلاح الدين عبد القادر محمد ، نشر بتاريخ ١-٢/٣/١٤٢٥هـ الموافق ٢١-٢٢/٤/٢٠٠٤م.
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرَّم الأنصاري المعروف بابن منظور ، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا تامًّا ومذيلة بفهارس مفصلة ، تولَّى تحقيق

لسان العرب نخبة من العاملين بدار المعارف ، وهم الأساتذة: عبدالله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، لاط ، لات.

- اللغة الشاعرة ، عباس محمود العقاد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، لاط ، لات.
- اللغة العربيَّة وتحديات القرن الحادي والعشرين ، المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم ، دار الثقافة ، تونس ، لاط ، ١٩٩٦م.
- محاكمة العولمة ، الجزء الثاني: آثار العولمة ، الجزء الثالث: نحو إعادة التوطين ، ترجمة وتقديم: د. رجب بو دبوس ، إشراف: إدوارد كولد سميث وجيري ماندير ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، منتدى ليبيا للجميع ، عبد الله عمران ، لاط ، لات.
- المختصرات المعتمدة في الهندسة والتكنولوجيا (جزء خاصّ بالجمعيات) ، الدكتور / فاضل حسن أحمد ، مجلة اللسان العربي ، مكتب تنسيق التعريب ، المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم ، جامعة الدول العربيَّة ، العدد (٣١) ، ١٩٨٨م.
- معجم مصطلحات عصر العولمة (مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية) ، د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ، منشور إلكترونيًّا في كتب عربيَّة ، قويسنا ، لاط ، مايو ٢٠٠٣م.
- من الحداثة إلى العولمة (رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي) ، منتدى سور الأزبكيَّة ، تأليف: ج. تيمونز روبيرتس ، وأيمي هايت ، وترجمة: سمر الشبشكي ، ومراجعة: أ. محمود ماجد عُمر ، عالم المعرفة بالكويت ، العدد رقم (٣٠٩) ، الجزء الأول ، نوفمبر ٢٠٠٤م.
- مهارات الاتصال في اللغة العربيَّة، د. سمر روحي الفيصل، ود. محمد جهاد جمل، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربيَّة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.

- وسط حصار اللغات الأجنبيَّة: الأمم المتحدة تحتفل بيوم اللغة العربيَّة ، مقال بمجلة المعرفة (مجلة شهرية تصدر عن وزارة التربية والتعليم في المملكة العربيَّة السعوديَّة) ، العدد (١٩١) ، ربيع الأول ١٤٣٢هـ=فبراير ٢٠١١م.

المواقع الإلكترونية:

- http://www.alarabiya.net/articles/٢٠١٠/٠٧/٣٠/١١٥٢١٧.html
- http://www.ar.mikipedia.org
- http://www.voiceofarabic.net/index/php?option=com content &view=article&id=٢٥:٢٠٢&catid=٥:٢٠٠&=٠٦-٠٧-٠٩-٣١&itemid=٣٣٦
- http://www.arabthought.org/nod/٢٩٥
- http://www.alfaseeh.com/vb/forum/php
- http://www.zahra١.com/bhooth/٥ Makamat-Allogah.htm
- http://www.sonar٣.org/vb/showthread.php?p=١٣٥٩٢
- http://www.alkhabeer.net/vb
- http://www.adab.com
- http://www.infomag.news.sy/index.php?inc=issues/shouarticle&issuenb=١٣&id=٢٢٣
- http://www.tafeda.com/forums/thread٢٧٤٤٤.html
- http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩٪٨٥٪D٨٪AF%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦٪D٨٪A٩
- http://www.voiceofarabic.net/index.php?option=com_labels&view=label&label=linguistic-congresses" \o
- http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=١٧٥٩
  - http://majdah.maktoob.com/vb/majdah١١٦٨٧٠/
- http://www.arabccd.org/arabic/abstracts.html
- ttp://aliyoucef.maktoobblog.com/١٦١٤١٠٦/%d٨٪a٧٪d٩٪٨٤٪d٨٪b٩٪d٩٪٨٥٪d٨٪a٧٪d٩٪٨٤٪d٨٪a٩-%d٨٪a٧٪d٩٪٨٤%d٨٪a٣٪d٨٪ac%d٩٪٨٦٪d٨٪a٨٪d٩٪٨a%d٨٪a

٩-%d٩٪٨١٪d٩٪٨a-%d٨٪af%d٩٪٨٨٪d٩٪٨٤-
%d٨٪a٧٪d٩٪٨٤٪d٨٪ae%d٩٪٨٤٪d٩٪٨a%d٨٪ac%d٨٪ae%d٨٪b
٧٪d٨٪b١-%d٩٪٨a%d٩٪٨٧٪d٨٪af/" \o

- http://www.arabthought.org/node/٢٤٩
- http://baheth.info/index.jsp?page=/web/includes/start.jsp

فهرس الموضوعات

الفهرس العام